

# الأنبياء والملأ

## دراسة مقارنة من خلال القرآن الكريم والعهدين الجديد والقديم

للدكتور:

**حسين محمود أحمد المهدي**

مراجعة وتقديم:

الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة

الطبعة الأولى

1429هـ / 2008م

شركة ابن خلدون للطباعة والنشر
طولكرم 09-2680412

يتقدم آل المهدي بخالص الشكر وعظيم الامتنان والتقدير

للأستاذين الفاضلين

الدكتور محمد الشريدة

و

الدكتور حسام الدين عفانة

لتفضلهما بكتابة تقديم لهذه الرسالة

صدقة جارية

عن روح المرحوم

الداعية الدكتور

حسين المهدي " رحمه الله تعالى"

**بسم الله الرحمن الرحيم**

# تقديم

**للأستاذ الدكتور/محمد حافظ الشريدة**

**عضو عشرين جمعية محلية وعربية ودولية**

**وأستاذ العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**

**في جامعة النجاح الوطنية /نابلس / فلسطين**

الحمد لله في البداية والنهاية ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد النّبي الرسول الخاتم، المبعوث بالعناية للهداية ، وبعد:

فإنّ مما لاشكّ فيه أنّ أمر العقائد والشرائع والرسالات، هو أهمّ ما في هذه الحياة، بل هو أعظم ماخطّ به قلم، وأخطر ما نطق به فم، وأحقّ ما سعت إليه قدم. ذلك أنّ أيّ إنسان في الوجود إنّما يرتبط مع غيره في هذه الدنيا بوشائج متعددة وعلائق شتى : منها آصرة المتاع والمال، ومنها وشيجة القربى والنسب والآل، ومنها رابطة العشيرة والوطن والمآل... على أن أحقّ هذه الأواصر طرّاً بالرعاية والأداء، وأولاها بالتضحية والفداء، ما كان منها منطلق عقل المرء وبها مناط فكره، وإليها مهوى فؤاده وتصريف أمره، وهي من قبل ومن بعد مهيمنة على تلك الأواصر كلها تحكمها وتضبطها وترعاها، ألا وهي رابطة العقيدة والملّة والدين.

لقد أرسل الله تعالى للنّاس – منذ أن رفّت أجنحة جبريل (عليه السلام) على الأرض مبلّغاً وحي الله –الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) ، يهدونهم إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم، فاجتالتهم شياطين الإنس والجنّ، وتقاذفتهم يد الضلالة وأمواج الكفر العاتية، فكان فضل الله عظيماً على الإنسانية، حيث بعث إليها من يجدّد لها أمر دينها، ويهديها إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

و شاء الله عزّ وجلّ –وهو الحكيم الخبير– أن يتفرق النّاس أمام دعوات الأنبياء (عليهم السلام) طرائق قدداً، منهم من آمن بهم عن حبّ و قناعة ورضىً –وهم القلّة القليلة– ، ومنهم الملأ و الحاشية – الكثرة الكاثرة – من أصحاب السلطان والجاه و المال و النفوذ،

الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، واتّبعوا ما ألفوا عليه آباءهم الكفرة، و هكذا هي سنّة الله في خلقه: الحقّ والباطل و الهدى و الضلال و الإيمان و الكفر والنور والظلام والسعادة والشقاوة والخير والشرّ ثم الجنّة أو النّار... إنّ الصراع بين الفضيلة و الرذيلة طويل ومرير ومتشعب وعميق ودائم، إنّه صراع بين طرفين: الملأ والحاشية من المنتفعين، والأنبياء -عليهم السلام- ومن معهم من المؤمنين والمستضعفين، وأثبتت التجارب أنّ العاقبة دائماً للمتّقين، وأنّ الخسارة في الدّارين على الكافرين.

إنّ الطريق إلى الله الواحد واحد: هو الإسلام العامّ الذي بعث الله تعالى به الأنبياء جميعاً (عليهم السلام) كما قال عزّ من قائل:" ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"، "وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدون". ومن خصائص الرسالة الخاصة الخاتمة التي لا يقبل الله ممن سمع بها سواها -أعني بها الشريعة الإسلامية المحمّديّة-: أنها جاءت ناسخة لما قبلها، ومصدّقة لما فيها من حق، ومهيمنة عليها، وكاشفة ما فيها من زيادة و تحريف ونقص وتزييف، ولا غرو في ذلك، فهي شريعة الحقّ ودين الصدق، لا تقبل ضالّ الطرق وبدع الفرق...

وبعد هذا التمهيد أقول:

لقد سرّني -والله- مراجعة وتصحيح وتهذيب وتنقيح، كتاب أخي التقيّ الداعية الدكتور حسين المهدي (رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته)، الذي تربطني به رابطة العقيدة والدعوة منذ ربع قرن .. وكان بودّي أن أتشرّف بتقديم رسالته في حياته، ولكن شاء الله تعالى غير ذلك، ولا نملك إلا أن نقول: (إنّ القلب ليخشع وإنّ العين لتدمع وإنّا على فراقك يا حسين لمحزونون وإنّا لله وإنّا إليه راجعون)!

والحقّ يقال : لئن قلّت صفحات هذه الرسالة العلميّة التي كتبها في ديار الغربة والتغريب، الأخ العلاّمة حسين الحبيب، فقد كثر خيرها، وإن تكرّر بعض مباحثها فقد زادت حلاوتها، وكما قيل:

قليلٌ منك يكفيني ولكنْ     قليلك لا يقال له قليلُ!

وإنّي لأحسب الفقيد (رحمه الله) لو امتدّ به الأجل، لغيّر في رسالته وبدّل وأضاف وعدّل، ولكنْ قدّر الله وما شاء فعل، وكلّ إنسان يؤخذ منه ويردّ عليه إلا المعصوم الأجلّ (صلّى الله عليه وسلّم).

أشهد أنّ هذه الرسالة كُتبت بمدادٍ من نور -ولا أزكّي على الله أحداً-، أسأل الله أن ينفع صاحبها وقارئها وناشرها يوم البعث والنشور.

وإنني على ثقة أنّ هذه الرسالة العلميّة ستأخذ مكانها بين الأطروحات العلمية والمكتبات الإسلاميّة، وستكون نبراساً لكل من شاء من عباد الله أن يستقيم!

وختاماً:

ليكن نشر هذه الرسالة بهذه الصورة في هذا الظرف العصيب، تحيّة منّا لروح المؤلف الفقيد الداعية الرشيد، وتحيّة لأهله وأسرته وذويه، ومعارفه وأصدقائه ومحبّيه، الذين شرّفوني بمراجعة هذه الرسالة وتقديمها، ومن ثم نشرها وتوزيعها على طلبة العلم والمكتبات، والمساجد والمدارس والنوادي والجامعات.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

وكتب

أبو معاذ

محمد بن حافظ الشريدة

نابلس/غرّة ذي القعدة/١٤٢٧هـ.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## تقريظ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ سورة آل عمران (١٠٢)، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ سورة النساء (١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ سورة الأحزاب (٧٠-٧١).

**وبعد:**

فقد عرفت المرحوم الشيخ الدكتور حسين المهدي منذ عهد بعيد ووجدته رجلاً فاضلاً خلوقاً كريماً، ووجدته رجلاً ودوداً ومحبوباً لدى من عرفه وتعامل معه.

وكان المرحوم يمتاز بخفة الروح ودماثة الأخلاق، وكان محباً للعلم وأهله، وكان لديه طموح كبير لإكمال دراسته والحصول على درجة الدكتوراة وكان له ذلك، فسافر إلى تونس الخضراء وأقام فيها ما يقارب السنتين، حتى حصل على درجة الدكتوراة، ورجع إلى إلى أرض الوطن فرحاً مسروراً بما أنجز وحقق، ولكن هذه الفرحة ما فتئت أن انطفأت حين انتقل الشيخ الدكتور حسين إلى رحمة الله تعالى.

ومن باب البر والوفاء له، قام إخوانه وأهله ومحبوه بطباعة رسالته للدكتوراة، وهذا عمل خير وصدقة جارية، أسأل الله أن ينفعه بها مصداقاً لما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" رواه مسلم. وختاماً فأسأل الله العلي العظيم أن يتغمد الدكتور حسين المهدي بواسع رحمته وأن يتقبله في الصالحين وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

**وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.**

**كتبه الأستاذ الدكتور حسام الدين بن موسى عفانه**

**بيت المقدس/ أبو ديس.**

**يوم الأربعاء ٢٧ صفر الخير ١٤٢٩ هـ وفق ٢٠٠٨/٠٣/٠٥ م.**

بسم الله الرحمن الرحيم

**دعـــــــاء**

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾

إبراهيم ١٤/٤٠-٤١

# الإهــــداء



أهدي ثمرة جهدي هذا إلى :

حضرة والدي العزيز الشيخ محمود أحمد المهدي حفظه الله ورعاه، وأطال عمره وأصلح له عمله

وإلى روح أمّي - أمّ يوسف- رحمها الله

وإلى إخوتي الأحبة الذين أبادلهم دوما حبّاً بحبّ

وإلى أهل بيتي الكرام

متّعهم الله جميعاً بالصحة والعافية

## شكـــــر وتقديـــــر

الحمد لله وكفى، وصلّى الله وسلّم وبارك على عباده الذين اصطفى، اللهمّ افتح لنا باباً نفد منه عليك، سبحانك لك مقاليد السّموات والأرض، وأنت على كلّ شيء قدير. يقول الله جلّ وعلا في كتابه العزيز:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

(إبراهيم ١٤/٧)

وبعد: فبعد أن أتمّ الله عليّ الخير والنعمة، وأعانني على إتمام هذا البحث، فإنّ مما يناسب المقام أن أذكر الفضل لأهله، فأتوجه من أعماق قلبي بالشكر الجزيل للدكتور حرّاث بوعلاقي، الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة، وقد كان لما أولاه لي من رعاية صادقة وتوجيه سديد كبير الأثر في بلوغ هذا العمل ما وصل إليه، فالله أسأل أن يديم عليه الصحة والعافية، وأن ينفع الناس بعلمه، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

كما وأشكر جميع القائمين على جامعة الزيتونة والعاملين بصدق وإخلاص في سبيل رفعتها وسؤددها.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة القدس والقائمين عليها، لما أتاحته لي من فرصة الابتعاث، لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الزيتونة العريقة.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل كذلك لكل من أسدى إليّ معروفا أو دعا لي دعوة صالحة في ظهر الغيب.

والحمد لله ربّ العالمين.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليما كثيراً.

## رموز ومفاتيح الرسالة

| الرمز | | المعنى |
|---|---|---|
| ح | = | رقم الحديث |
| ط. | = | الطبعة |
| ص | = | صفحة |
| ج | = | جزء |
| مج | = | مجلد |
| د.م | = | دون مكان |
| د.ن | = | دون ناشر |
| د.ت | = | دون تاريخ |
| م.س | = | مصدر/مرجع سابق |
| ن.م | = | نفس المصدر/المرجع |

# ثبت رموز أسفار العهد القديم

| كتب الشريعة | | كتب الأنبياء | | كتب الحكمة | |
|---|---|---|---|---|---|
| التكوين | تك | أشعيا | أش | أيّوب | أي |
| الخروج | خر | إرميا | ار | المزامير | مز |
| اللاويين | لا | المراثي | مرا | الأمثال | مث |
| العدد | عد | سفر باروك | با | الجامعة | ج |
| تثنية الاشتراع | تث | حزقيال | حز | نشيد الأناشيد | نش |
| كتب التاريخ | | دانيال | دا | سفر الحكمة | حك |
| سفر يشوع | يش | هوشع | هو | يشوع | يش |
| سفرالقضاء | قض | يوئيل | يوء | | |
| سفر راعوت | را | عاموس | عا | | |
| سفر صموئيل الأول | ١صم | عوبديا | عو | | |
| سفر صموئيل الثاني | ٢صم | يونان | يون | | |
| سفر الملوك الأول | ١مل | ميخا | مي | | |
| سفر الملوك الثاني | ٢مل | نحوم | نحو | | |
| سفر الأخبار الأول | ١أخ | حبقوق | حب | | |
| سفر الأخبار الثاني | ٢أخ | صفنيا | صف | | |
| سفر عزرا | عز | حجّاي | حج | | |
| سفر نحميا | نح | زكريا | زك | | |
| سفر طوبيا | طو | ملاخي | ملا | | |

| سفر يهودات | يه | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سفر أستير | أس | | | | |
| سفر المكابيين لأول | ١مك | | | | |
| سفر المكابيين الثاني | ٢مك | | | | |

## ثبت رموز أسفار العهد الجديد

| الإنجيل كما رواه متى | مت | الرسالة ٢ إلى أهل تسالونيقي | ٢ تس |
|---|---|---|---|
| الإنجيل كما رواه مرقس | مر | الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس | ١ تيم |
| الإنجيل كما رواه لوقا | لو | الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس | ٢ تيم |
| الإنجيل كما رواه يوحنا | يو | الرسالة إلى أهل طيطس | طي |
| الإنجيل كما رواه برنابا | بر | الرسالة إلى فيلمون | ف |
| أعمال الرسل | أع | الرسالة إلى العبرانيين | عب |
| الرسالة إلى أهل روما | روم | رسالة القديس يعقوب | يع |
| الديانة الأولى إلى أهل قرونتس | ١ قور | رسالة القديس بطرس الأولى | ١ بط |
| الديانة الثانية إلى أهل قرونتس | ٢ قور | رسالة القديس بطرس الثانية | ٢ بط |
| الرسالة إلى أهل غلاطيا | غل | رسالة القديس يوحنا الأول | ١ يو |
| الرسالة إلى أهل أفس | أف | رسالة القديس يوحنا الثانية | ٢ يو |
| الرسالة إلى أهل فليبي | فل | رسالة القديس يوحنا الثالثة | ٣ يو |
| الرسالة إلى أهل قولسي | قل | رسالة القديس يوحنا | يو |
| الرسالة ١ إلى أهل تسالونيقي | ١ تس | الرؤيا | رؤ |

# المقدمـــــة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شـرور أنفـسنا ومـن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي لــه، وأشـهد أن لا إلــه إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٢/٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النـساء ١/٤).

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

حينما رأيت كثيراً من الأصوات بدأت ترتفـع وتنـادي بـضرورة الحـوار بـين أهـل الرسالات، لتضييق هوة الخلاف بينهم، رأيت أن أنحى منحى آخر، يخدم الإسـلام والمـسلمين، فرأيت أن أكتب في العلاقة بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم، وأن أجعل مـن الـصراع بـين الأنبياء والملأ حواراً، لأنّ الصراع لا حوار فيه ولا لقاء، وإنما يلجـأ إليـه عنـد العجـز عـن التفاهم والتقارب، وأمّا الحوار فإنه رغبة في التفاهم والتقارب وإجلاء الحقيقة.

لذلك وقع اختياري على موضوع "الأنبياء والملأ، دراسة مقارنة من خلال القرآن الكـريم وما يسمى بالكتاب المقدّس" مع ما فيه من تحريف، حيث إن الله تعالى لم يتكفـل بحفـظ كتـاب سوى القرآن الكريم، ومن الحوافز التي جعلتني أختار هذا الموضوع:

أوّلاً: شغفي الشديد به، أثناء تدريسي لطلبتي في الجامعات الفلسطينية ومحـاولتي قـراءة عقلية الملأ للتعرف على منهجهم في التعامل مع الأنبياء عليهم السلام مـن خـلال مـا يـصدر عنهم من قرارات متباينة تبعاً لتغيّر الظروف والأحوال والرغبة فـي التعـرّف علـى الأسـباب

الحقيقية لوجود الخلاف بينهم، وهل هذا الأمر على الإطلاق، أم ثمة استثناءات؟ وما سبب رفض الملأ لأنبيائهم عليهم السلام؟

ثانياً: عدم وجود دراسة مستقلة متخصصة في هذا الموضوع، فرغبت في أن أقوم بدراسة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتكون في علاقة الأنبياء عليهم السلام مع الملأ، من خلال القرآن الكريم وما يسمى الكتاب المقدس، الذي يشتمل على العهد القديم وكتب الأنبياء والعهد والجديد وأعمال الرسل وإنجيل برنابا، والوقوف على تلك العلاقة، ومنهجية تلك الكتب السماوية المحرفة في طرحها.

ثالثاً: أنني عندما كنت أقف على الآيات العظام التي أتى بها الأنبياء عليهم السلام وأرى الملأ لا يستفيدون منها تأخذني الدهشة وأتساءل لماذا لم ينتفع الملأ من تلك الآيات؟ فهل كانت تلك الآيات موضع نزاع؟

رابعاً: أنني نظرت في دنيا الناس فوجدت أن الأنبياء عليهم السلام وإن ماتوا وذهبوا إلاّ أن أتباعهم ما زالوا يحملون فكرهم ويذودون عنه، وبالمقابل فإنّ الملأ موجودون!! فتساءلت هل التاريخ يعيد نفسه؟ وهل هناك من إمكانية للقاء؟

فعزمت على معالجة هذا الموضوع والكتابة فيه، والغور في فكر الملأ والتعرّف عليه.

**<u>المشاكل والصعوبات:</u>**

من الصعوبات التي واجهتني وأنا أعدّ هذه الرسالة زيادة على الظروف الاجتماعية والحياتية التي يمر بها الشعب الفلسطيني المسلم أذكر:

١. اتساع أفق مرجعية البحث، سيّما وأنني تناولت عدة موضوعات في وقت واحد، فتحدثت عن التوحيد، والنبوة، والبعث، والزعامة، والعادات والتقاليد، والحوار التربوي والأخلاقي في التوراة والإنجيل والقرآن، بطريقة حوارية، في حين أن من الممكن لباحث أن يتناول موضوعاً واحداً. ويقيم عليه بحثا مستقلاً.

٢. ضعف ترجمات ما يسمى بالكتاب المقدس، واختلافها فيما بينها لدرجةٍ تبلغ التناقض والتباين.

٣. إغفال الكتاب المقدس لبعض القضايا العقدية الهامة، فرأيت أن أتمّ الموضوع من خلال آيات القرآن الكريم، حتى تكتمل الفكرة وتتضح الصورة.

**الدراسات السابقة:**

يلاحظ القارئ أنّ الأبحاث والدراسات السابقة كانت عامة، وتناولت الموضوع بطريقة عرضية، فقد وجدت مادة البحث مشتتة ومتناثرة في بطون كتب لم تعن في الأصل بهذا الموضوع، ولم أقف على بحث متخصص في ذلك إلاّ رسالة جامعية بعنوان «حوار الأديان من خلال الصحيحين» للباحثة نسرية كحلول، حيث تناولت الموضوع بشيء من العمق، لكنها اقتصرت في بحثها على الصحيحين وسيرة ابن هشام.

**مصادر ومراجع الرسالة والمنهج المتّبع فيها:**

اعتمدت في رسالتي هذه على المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي، فكانت دراسة نصية استقرائية تحليلية تعتمد على المقارنات والترجيحات.

وأهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة القرآن الكريم وهو الأساس في عرضه للحوار بين الأنبياء وملئهم ثم العهد القديم والعهد الجديد وإنجيل برنابا والسيرة النبوية وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، وأسباب النزول للواحدي ودلالة الحائرين لابن ميمون، وتنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة. ومن الكتب التي تناولت جوانب من هذا الموضوع: كتاب الله وصفاته في التوراة والإنجيل والقرآن، ونقد التوراة و أسفار موسى الخمسة لأحمد حجازي السقا، والقرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان لحسن الباش، والفكر الديني لحسن ظاظا، والنبوة في الأديان الكتابية لأحمد المشرقي، وحقيقة التوحيد بين الإسلام واليهودية لمحمد منصف السليماني، وعقيدة البعث في الإسلام لمحمد حسن بخيت، وتاريخ الأنبياء لـ م.ص. سيجال، واستعنت بكتب التفسير المشهورة

لاسيما الأمهات منها : كتفسير الطبري، والتفسير الكبير للرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وروح المعاني للألوسي، والكشاف للزّمخشري، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

واستعنت بكتب السنة النبوية المطهّرة فيما ذكرته في الرسالة من الأحاديث الشريفة، وركزت في ذلك على الصحيحين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

واقتضى العمل في هذه الرسالة للرجوع إلى كتب علوم القرآن الكريم كبصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي، وقاموس القرآن الكريم للدامغاني، وغريب القرآن للسجستاني، والمفردات في غريب القرآن للأصبهاني.

وفي المعاجم وكتب اللغة استعنت بكتاب لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، والمعجم الوسيط لمعجم اللغة العربية في مصر، واستعنت بكتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، للوقوف على الألفاظ الغريبة في الحديث النبوي الشريف.

واستعنت بقاموس الكتاب المقدس للدكتور بطرس عبد الملك وزملائه، ومعجم اللاهوت للدكتور آرنست سمعان وزملائه وذلك لتفسير الألفاظ الغريبة في الكتاب المقدس.

وترجمت لبعض الأعلام الذين ذكرتهم في هذه الرسالة عندما كنت أرى لذلك ضرورة.

وما نقلته نصاً من المراجع وضعته بين قوسين، وذكرت مرجعه في حاشية الرسالة، وما نقلته بتصرف أو عبرت عنه أشرت إلى ذلك في الحاشية بقولي:" انظر ص كذا ".

واقتضى العمل مني في هذه الرسالة العلمية أن أقدم لكل فصل ومبحث بتمهيد وأختم ذلك بخلاصة.

وقد كانت خطّتي في الرسالة على النحو الآتي:

المقدّمة: وجعلتها لإلقاء الضوء على قيمة الرسالة وبيان مشكلاتها وأسباب اختيارها ودوافعها وأهمّيتها، وتعرّضت فيها لمواضيع الأبواب والفصول، وأشرت فيها إلى المنهج المتّبع، وقمت بنقد مصادرها وعرّفت بها.

الباب الأول: المقدّمات: وقد خصّصته لمقدّمات ثلاث، في مفاهيم التوحيد والنبوّة والمـلأ، دون الخوض فيما جرى في تلك المسائل من حوار بين الأنبياء عليهم السّلام والمـلأ. ويعتبـر هذا الباب باب الارتكاز للرسالة، وهو منهج دأب عليه باحثون قـدامى ومحـدثون، وقـد حمـل رايته في القديم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل. ولم أقصد بتلك المقـدّمات وصـاية فكريّـة على أحد، فليست هذه إشكالية الرّسالة، وإنّما الهدف هو الحوار بـين الأنبيـاء علـيهم السّلام وملئهم. وقد جعلته في فصول:

- <u>الفصل الأوّل</u> : <u>مفهوم التوحيد في الأديان الكتابيّة</u>
  - المبحث الأول: مفهوم التّوحيد في اليهودية.
  - المبحث الثاني: مفهوم التّوحيد في النصرانية.
  - المبحث الثالث:مفهوم التّوحيد في الإسـلام.
- <u>الفصل الثاني : مفهوم النبوّة في الأديان الكتابيّة</u>
  - المبحث الأول: مفهوم النبوّة في اليهوديّة.
  - المبحث الثاني: مفهوم النبوّة في النصرانيّة.
  - المبحث الثالث: مفهوم النبوّة في الإسلام.
- <u>الفصل الثالث: مفهوم الملأ في الأديان الكتابيّة:</u>
  - المبحث الأول: مفهوم الملأ في اليهوديّـة.
  - المبحث الثاني: مفهوم الملأ في النصرانيّة.
  - المبحث الثالث: مفهوم الملأ في الإسلام.

- <u>الباب الثاني</u>: الحوار العقائدي بين الأنبياء عليهم السّلام والملأ: وقد جعلته فـي فصول، تناول كل فصلٍ منها قضيّة عقديّة على النحو الآتي:

- الفصل الأول: حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في التّوحيد، واشتمل على مباحث:
  - المبحث الأول: حوار موسى عليه السلام مع الملأ في التوحيد
  - المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في التوحيد
  - المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ مع الملأ في التوحيد.
- الفصل الثاني: حوار الأنبياء عليهم السلام مع الملأ في النبوّة، واشتمل على مباحث:
  - المبحث الأول: حوار موسى عليه السلام مع الملأ في النبوّة
  - المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في النبوّة
  - المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ مع الملأ في النبوّة.
- الفصل الثالث: حوار الأنبياء عليهم السلام مع الملأ في البعث، واشتمل على مباحث:
  - المبحث الأول: البعث في اليهوديّة.
  - المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في البعث.
  - المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ مع الملأ في البعث.

الباب الثالث: الحوار الاجتماعي بين الأنبياء عليهم السّلام والملأ، وقد جعلته في فصول، تناول كلّ فصل منها قضيّة اجتماعيّة على النحو الآتي:

- الفصل الأول: حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات، واشتمل على مباحث:
  - المبحث الأول: حوار موسى عليه السلام مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات.

- المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات.
- المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات.

○ الفصل الثاني: حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في العادات والتقاليد، واشتمل على مباحث:

- المبحث الأوّل: حوار موسى عليه السلام مع الملأ في العادات والتقاليد.
- المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في العادات والتقاليد
- المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ مع الملأ في العادات والتقاليد

○ الفصل الثالث: الحوار التربوي والأخلاقي بين الأنبياء عليهم السّلام والملأ، واشتمل على مباحث:

- المبحث الأوّل: الحوار التربوي والأخلاقي بين موسى عليه السلام والملأ.
- المبحث الثاني: الحوار التربوي والأخلاقي بين عيسى عليه السلام والملأ.
- المبحث الثالث: الحوار التربوي والأخلاقي بين محمد ﷺ والملأ.

- الباب الرابع: مناهج الأنبياء عليهم السّلام في حوارهم مع الملأ، وقد جعلته في فصول، تناول كلّ فصل منها منهجاً مستقلاً على النحو الآتي:

  - الفصل الأول: المنهج الفطري في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ، واشتمل على مباحث:
    - المبحث الأول: المنهج الفطري في حوار موسى عليه السلام مع الملأ
    - المبحث الثاني: المنهج الفطري في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ
    - المبحث الثالث: المنهج الفطري في حوار محمد ﷺ مع الملأ
  - الفصل الثاني: المنهج التاريخي في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ، واشتمل على مباحث:
    - المبحث الأول: المنهج التاريخي في حوار موسى عليه السلام مع الملأ
    - المبحث الثاني: المنهج التاريخي في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ
    - المبحث الثالث: المنهج التاريخي في حوار محمد ﷺ مع الملأ
  - الفصل الثالث: المنهج العقلي في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ واشتمل على مباحث:
    - المبحث الأوّل: المنهج العقلي في حوار موسى عليه السلام مع الملأ
    - المبحث الثاني: المنهج العقلي في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ
    - المبحث الثالث: المنهج العقلي في حوار محمد ﷺ مع الملأ

- الخاتمة: بينت فيها خلاصة الرسالة وأهمّ النتائج التي توصلت إليها.

وبعد فإنّني لا أدّعي أنّني قلت كلّ ما ينبغي أن يقال في هذا الموضوع، ولكنّني أستطيع أن أقول إنّني تناولت موضوعاً جديداً كلّ الجدّة، وبذلت فيه جهدي. والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والله المستعان وعليه التّكلان، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

تونس في يوم الإثنين غرّة رمضان المبارك ١٤٢٤هـ وفق ٢٧/١٠/ ٢٠٠٣م.

# الباب الأوّل

## المقدّمات

### الفصل الأوّل "المقدمة الأولى" : مفهوم التوحيد في الأديان الكتابيّة

- المبحث الأول: مفهوم التّوحيد في اليهودية.
- المبحث الثاني: مفهوم التّوحيد في النصرانية.
- المبحث الثالث:مفهوم التّوحيد في الإســلام.

### الفصل الثاني "المقدمة الثانية" : مفهوم النبوّة في الأديان الكتابيّة

- المبحث الأول: مفهوم النبوّة في اليهوديّة.
- المبحث الثاني: مفهوم النبوّة في النصرانيّة.
- المبحث الثالث: مفهوم النبوّة في الإسلام.

### الفصل الثالث "المقدمة الثالثة": مفهوم الملأ في الأديان الكتابيّة:

- المبحث الأول: مفهوم الملأ في اليهوديّــة.
- المبحث الثاني: مفهوم الملأ في النصرانيّة.
- المبحث الثالث: مفهوم الملأ في الإسلام.

## الفصل الأوّل : المقدّمة الأولى

## مفهوم التوحيد في الأديان الكتابيّة

تمهيد:

سأتحدث في هذه المقدمة عن القاسم المشترك الذي تجمع عليه الشرائع السماوية، وهو توحيد الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وسأبحث عن مظانّه في تلك الديانات الكبرى، وسأتحدث عن الحوار بين الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ وأقوامهم، ولا أريد لأحد أن يكره أحداً على اتّباع نحلة، فالأصل أن لا إكراه في الدين، وكما أن الكفر بالإكراه غير معتبر، فالإيمان تحت الإكراه لا قيمة له كذلك، وفي ذلك يقول الله تعالى﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(يونس: ١٠/٩٩)، ويقول أيضاً: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ﴾ (البقرة:٢/٢٥٦)، وسأتعامل مع الكتب السماوية ـ سواء ما ثبت صحّتها وقطعيتها، أو ما ثبت تحريفها وتزويرهاـ بالأمر الواقع كما هي، وليس هذا اعترافاً مني بشرعيتها بعد تبيان الله تعالى لتحريفها.

## المبحث الأول: مفهوم التوحيد في اليهودية

الأصل في التوراة أنها كتاب سماوي، أنزله الله على موسى عليه السلام في ألواح، إلا أنه اعتراها التحريف والتبديل والتغيير، فمن الفضول إذن أن نقول إن اليهودية ديانة توحيدية، فهي تزخر بكمّ هائل من الفقرات والمقاطع الدالة على عدم التوحيد.

وليس لأحد ناهيك عن اليهود أن يدّعي أن التوراة التي بين أيدينا اليوم، هي التي أنزلت على موسى في ألواح، وإن كان التلمود[١] ينص على ذلك، فقد جاء فيه "قد أعطى الله الشريعة على طور سيناء، وهي التوراة، والمشنا[٢]، والجمارا[٣] ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفاهًا..."[٤] ، فقد كتبت التوراة من جديد في السبي البابلي بعد سنة ٥٨٦ ق.م، وفق المبادئ الآتية:

١ – الله تعالى إله واحد، ولكن ليس للعالمين، بل لبني إسرائيل من دون الناس.

٢ – شريعة التوراة أنزلها الله تعالى ولكن ليست للعالمين، بل لبني إسرائيل من دون الناس.

٣ – النبي المنتظر الذي أخبر عن مجيئه موسى عليه السلام سوف يأتي، ولكن ربما يكون من بني إسرائيل لا من بني إسماعيل[5].

---

[1] – التلمود: كلمة عبرية، معناها المعرفة أو التعليم، جرجس صبري: التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي. عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. ص ٨٨

[2] – المشنا: متن التلمود، ومعناها: التكرار، أو الشريعة المتكرّرة.- د. يوسف، نصر الله (ترجمه عن الفرنسية): الكنز المرصود في قواعد التلمود، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م. ص ٤٧.

[3] – جمارا: شرح المشنا، وهما شرحان: جمارا أورشليم وجمارا بابل، ويشتمل كلّ واحد منهما على سجل مناقشات الحاخامات سواء في أورشليم أو في بابل. – د.طعيمة، صابر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص: ٤٣ – د. يوسف نصر الله : م.س، ص ٤٨

[4] – ن.م، ص٥١

[5] – السقا، د. أحمد حجازي: مقدمة التوراة السامرية دار الأنصار، ط.١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٥، ٦.

يقول الدكتور عبد الغني الراجحي عميد كلية أصول الدين في تقديمه لكتاب "الله وصفاته في التوراة والإنجيل والقرآن" للدكتور أحمد حجازي السقا:

"إنّ بني إسرائيل عبدوا الأصنام كما هو مبين في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج، وفي الإصحاح الثاني عشر من سفر الملوك الأول، وعبادتهم العجل والأصنام ليس لأن التوراة قد نصت على ذلك، بل لأنهم اتخذوا كتاب الله وراءهم ظهريا. إنّهم عبدوا العجل وعبدوا الأصنام، بالرغم ممّا هو مكتوب في الوصايا العشر"[١].

يقول الدكتور أحمد حجازي السقا: " فهذا بحث موجز في موضوع الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام، أثبت فيه أن الله تعالى إله واحد لا شريك له، لا يرى ولا يكيف بكيفية، وليس جسما، وليس كمثله شيء، ولا يحده مكان ولا زمان، يوصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص، وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم[٢].

وقبل أن أدلّل على توحيد الله تعالى أودّ أن أسجل استغرابي لعدم معرفة اليهود اسم إلههم، فلا يعقل بحال أن يُخفي الله اسمه ولا يعلنه، وهو الذي علّم آدم عليه السلام الأسماء كلها قبل هبوطه إلى الأرض ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٢/٣١)، فهل يعقل أن يُعلّم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها، ويتكتم على اسمه؟!

ويحاول الأستاذ سهيل ديب أن يجعل من تطاول الزمن سبباً في نسيان اليهود لاسم إلههم فيقول: "لعل الزمن الطويل الذي انقضى بين تأليف التوراة وتحريرها بشكلها النهائي هو أحد أسباب هذا التقليد الذي انفرد به الدين اليهودي عن غيره من الأديان، أي عدم معرفة اليهود الأكيدة لاسم إلههم، وقد جرى العرف على تفسير ذلك بأنّ طريقة لفظ الاسم الرباعي المقدّس "Tetragrmmnation" غير معروفة لتحريم نطقه على اليهود، وقد اندثرت طريقة لفظه نتيجة لذلك[٣] وجاء الإعلام بذلك في سفر الخروج"

---

1 – د. السقا، أحمد حجازي: الله وصفاته في التوراة والإنجيل والقرآن، دار النهضة العربية، مصر، ط.١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص ٤،٥.

2 – ن.م، ص٨

3 – ديب، سهيل: التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس، بيروت، ط.٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٥

وقال الرب لموسى: "أنا هو الرب قد ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب إلها قادراً على كل شيء. أما اسمي يهوه -أي الرب- فلم أعلنه لهم"[1].

وهذه شواهد على وحدانيّة الله من خلال التّوراة المحرفة:

**أولاً : الله واحد لا شريك الله .**

١ - الوصايا العشر:[٢] "أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك. لا يكن لك آلهة أخرى سواي. لا تنحت لك تمثالا. ولا تصنع صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من أسفل الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك، إله غيور، أفتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ، وأبدي إحسانا نحو ألوف من محبّي الذين يطيعون وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا، لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلا. أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك، أما اليوم السابع فتجعله سبتا للرب إلهك، فلا تقم فيه

---

[1] - خر ٦ :٣ .

[2] - يقول الدكتور صابر طعيمة معلقا على هذه الكلمات " الوصايا العشر " ليس في أسفار العهد القديم كله كلمات تتحدث عن العقيدة والعبادة والشريعة اليهودية بهذا القدر من الإيجاز، وبهذا القدر من الإلمام والشمول، فبصريح العبارة ودون أن يكون هناك مجال للبس، أو تأويل جاءت الوصايا العشر، تحمل بين سياقها الجانب العقائدي والتعبدي والشرعي في صلب العقيدة اليهودية كما يبرزها العهد القديم ويرويها، ومن خلالها نستطيع أن نتعرف على بعض ما سجلته الأسفار الخمسة بعد ذلك من عقيدة ( الإله ) عند اليهود، على ضوء ما في أسفارهم تنزيها أو تجسيدا، مماثلة للمخلوقات وتشبها بها، أو تجردا بالخالقية وانفرادا بها ومغايرة لما سواها . إننا نستطيع أن نرتب ما جاء في الفقرات السابقة وبغير مسخ ولا تشويه، كما يحاول بعض علماء اليهود أن يفعلوا بالنصوص، نستطيع أن نراها على الوجه الآتي :

- [ أنا هو الرب الهك .... لايكن لك آلهة أخرى.... لا تصنع لك تمثالا منحوتا .... لا تسجد لهن ولاتعبدهن .... لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا....لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا.]

- وعند هذه العناصر الثلاثة، التي جاءت بين النص، نستطيع أن نرى العقيدة اليهودية، على ضوء ما هي عليه، في هذا المشهد، من كتب التوراة الخمسة، وهي فيما نراه منها عقيدة دينية، بالمعيار المنزّه لربّ العالمين ولذاته تعالى، والمقر بمخالفته تعالى للخلق، لا نرى هذه العناصر الثلاثة، شيئا يستحق الوقوف أمامه بالنقد أو التعليق . د. طعيمة، صابر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ١١٠ ، ١١١

بأي عمل أنت أو ابنك أو ابنتك أو عبدك أو أمتك أو بهيمتك أو النزيل المقيم داخـل أبوابـك. لأن الرب قد صنع السماء والأرض، والبحر وكل ما فيها في ستة أيام، ثم استراح فـي اليـوم السابع"، لهذا بـارك الرب يوم السبت وجعله مقدسا أكرم أباك وأمك لكي يطول عمـرك فـي الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك، لا تقتل، لاتزن، لا تسرق، لا تشهد زوراً علـى جـارك. لا تشتهي بيت جارك، ولا زوجته، ولا عبده، ولا أمتـه، ولا ثـوره ولا حمـاره، ولا شـيئاً ممّا له"[1].

٢ – شريعة محبة : "اسمعوا يا بني إسرائيل : الرب إلهنـا رب واحـد[2]، فـأحبوا الـرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم وضعوا هذه الكلمات التي أوصيكم بها علـى قلـوبكم، وقصوها على أولادكم، وتحدثوا بها حين تجلسون في بيوتكم، وحين تسيرون في الطريـق، وحين تنامون، وحين تنهضون، اربطوها علامة على أيـديكم، واجعلوهـا عـصائب علـى جباهكم، اكتبوها على قوائم أبواب بيوتكم وبوابات مدنكم"[3].

٣ ـ "إن الرب هو الإله، وليس آخر سواه"[4].

٤ ـ "إني أنا هو وليس إله آخر معي، أنا أميت وأحيي"[5].

٥ ـ "يا رب ليس لك نظير ولا إله سواك"[6].

٦ ـ "أنا هو الأول والآخر، ولا إله غيري"[7].

٧ ـ "أنت وحدك إله كل ممالك الأرض. أنت وحدك خلقت السماوات والأرض"[1].

---

1 – خر ٢٠ : ٢ – ١٧، تث : ٥ : ٦ – ٢١.

2 – يترجم "فرويد" صلاة العبرانيين المشهورة "اسمع يا اسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد" تث ٦ : ٤ وهي بالعبرية "شماع اسرائيل آدوناي ايلوهينو آدوناي آحود" هكذا "اسمع يا اسرئيل إن إلهنا آدوناي هو الإله الوحيد" ديب، سهيل، م.س، ص ٤٤، ٤٥

3 – تث ٦ : ٤ –٩ .

4 – تث ٤ : ٣٥

5 – تث : ٣٢ : ٣٩

6 – ١ أ ح ١٧ : ٢٠

7 – اش ٤٤ : ٦

ثانيا: الله لا يُرى في الدنيا، ولا يقدر أحد أن يراه:

١ ــ قال موسى: "أرني مجدك". فقال الربّ: "أجيز إحساناتي أمامك، وأذيع اسمي (الرب) أمامك، أغدق رأفتي على من أشاء ورحمتي على من أريد، وأضاف: ولكنك لن ترى وجهي، لأن الإنسان الذي يراني لا يعيش"[٢].

٢ ــ موسى يذكّر الشعب بالوصايا العشر: "فخاطبكم الربّ من وسط النار، فسمعتم صوت كلماته من غير أن تبصروا له صورة. وأعلن لكم عهده في الوصايا العشر التي نقشها على لوحيْ حجر، وأمركم أن تعملوا بها"[٣].

٣ -حظر صناعة التماثيل وعبادتها: "فاحذروا لأنفسكم جدّاً، فأنتم لم تروا صورة ما حين خاطبكم الربّ، في جبل حوريب من وسط النار، لئلا تفسدوا فتنحتوا لكم تمثالاً لصورة ما لمثال رجل أو امرأة"[٤].

٤ ــ "وانتقدت مريم وهارون موسى لزواجه من امرأة كوشية[٥]، فقال الربّ حالاً لموسى وهارون ومريم: "اذهبوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع"[٦]، فمضى ثلاثتهم. فنزل الربّ في عمود سحاب، وحلّ عند باب الخيمة. ونادى هارون ومريم، فتقدما وحدهما، فقال: "اسمعا كلامي: إن كان بينكم نبي للرب فإني أستعلن له بالرؤيا، وأكلمه بالحلم، أما عبدي موسى فلست أعامله هكذا بل هو أمين في بيتي لذلك أكلمه وجهاً لوجه وبوضوح من غير ألغاز، وشبه الربّ يعاين"[٧] ويقول الدكتور السقا معلقاً على هذا

---

1 – ٢ مل ١٩ : ١٥

2 – خر ٣٣ : ١٨ – ٢٠

3 – تث ٤ :١٢، ١٣

4 – تث ٤ : ١٥، ١٦

5 – كوشية: سوداء.

6 – خيمة الاجتماع: مركز عبادة بني اسرائيل قبل بناء الهيكل وأطلقت على بيت آخر وضع فيه داود عليه السلام التابوت ٢ صم ٦ : ١٧، ١ أخ ١٦ :١، د. عبدالملك، بطرس ومن معه: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، ط.١، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

7 – عد : ١٢ : ١ – ٨

النص:"إنّ الثلاثة لم يروا الله جهرة بل سمعوا الصوت في ظلل من الغمـــام، وأنّ موســـى نفسه لم ير الله تعالى لقوله: "وشبه الربّ يعايـــــن"[1].

٥ ــ "حقًّا أنت إله يحجب نفسه"[2].

**ثالثا:** انتفاء المشابهة والمماثلة لله عزّ وجل:

١ ــ "فمن مثلك يا ربّ بين كل الآلهة؟ من مثلك جليلاً في القداســـة مهيبــاً فـــي المجـــد، صانعاً عجائب"[3].

٢ ــ "ما أعظمك أيها السيّد الـــربّ لأنــــه لـــيس لـــك نظيـــر، ولـــيس هنـــاك إلـــه غيـــــرك"[4].

٣ ــ "أيها الربّ إله اسرائيل، ليس نظير لك في السماء من فـــوق ولا علـــى الأرض من أسفل"[5].

٤ – "يا ربّ ليس لك نظير ولا إله سواك"[6].

٥ – "أيها الربّ إله إسرائيل، ليس إله نظيرك في السماء والأرض"[7].

٦ – "برّك متعالٍ يا الله، وأعمالك التي صنعت عظيمة، فمن مثلك يا الله"[8].

٧ – "فمن في السماء يعادل الربّ؟ ليس بين الكائنات السماوية من يماثله"[9].

٨ – "من مثلك أيها الربّ إله الجنود، الربّ القدير، وأمانتك محيطة بك"[1].

---

[1] – د.السقا : الله وصفاته في التوراة والإنجيل والقرآن، م.س، ص ٢٦

[2] – اش : ٤٥ : ١٥

[3] – خر ١٥ : ١١

[4] – ٢ صم ٧ : ٢٢

[5] – ١ مل ٨ : ٢٣

[6] – ١ اخ ١٧-٢٠

[7] – ٢ اخ ٦ : ١٤

[8] – مز ٧١ : ١٩

[9] – مز ٨٩: ٦

٩ – "أنا هو الأول وأنا الآخر، ولا إله غيري، ومن مثلي؟ فليخبر بذلك"[2].

١٠– "بمن تشبهوني وتعادلونني وتقارنونني حتى نكون متماثلين"[3].

رابعا: الله منزه عن الزمان والمكان:

١– "ولكن هل يسكن الله حقا على الأرض؟ إن كانت السّموات، بل السّموات العلى لا تسعك فكيف يتسع لك هذا الهيكل الذي بنيت؟"[4].

٢ – "الربّ من السماء أشرف على بني البشر"[5].

٣ – "إن قلت في نفسي: ربّما الظلمة تحجبني والضوء حولي يصير ليلاً، فحتى الظلمة لا تخفي عنك شيئاً، والليل كالنهار يضيء، فسيّان عندك الظلام والضوء"[6].

٤ ـ "عينا الربّ في كل مكان ترقبان الأشرار والأخيار"[7].

٥ – "ألعلّي أرى فقط ما يجري عن قرب، ولست إلهاً يرقب ما يجري عن بعد؟ أيمكن لأحد أن يتوارى في أماكن خفية فلا أراه"[8].

يقول الدكتور أحمد حجازي السقا معلّقاً على هذه الفقرات من التوراة : "وعلماء بني إسرائيل يقولون إنها لا تدلّ على أنّ الله يجلس في السماء، بل تدل على جهة العلو، بالنسبة لعقل الإنسان ومداركه، فمعنى أن الله في السماء أي: عال عن مستوى البشر علو السماء

---

[1] – مز ٨٩: ٨

[2] – اش ٤٤ : ٦

[3] – اش ٤٦ : ٥

[4] – ١ مل : ٨ : ٢٧

[5] – مز ١٤ : ٢

[6] – مز ١٣٩: ١١، ١٢

[7] – مثل ١٥ : ٣

[8] – ار ٢٣ : ٢٣، ٢٤

عن الأرض، والفقرات التي تثبت لله المكان متشابهة والتي تثبت التنزيه محكمة، ويجب أن تردّ المتشابهة إلى المحكمة"(١)

وهذا مسلك حسن، وهو مذهب سلف الأمة في إثبات صفة العلو لله، فعندما سأل الرسول ﷺ الجارية "أين الله؟ قالت في السماء، قال : من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال أعتقها فإنّها مؤمنة"(٢)، رضي جوابها وأعتقها. والمراد بالسماء هنا: مافوق العرش!

## تطوّر مفهوم الإله عند بني إسرائيل:

يعلّق عبّاس محمود العقّاد على توحيد بني إسرائيل نقلا عن الكاتب (انجل) فيقول: "إنّ الوحدانيّة التّي كان يدركها بنو إسرائيل في ذلك الزّمن لم تكن وحدانيّة تفكير، ولكنّها وحدانيّة تغليب لربّ من الأرباب، ولم يخط اليهود خطوة غير هذه الخطوة وهي أنّ لليهود إلهًا يعلو على آلهة غيرهم من البشر"(٣).

ويقول حسن الباش: "ومن هذا الذي تقدّم نرى أنّ الإله التّوارتي يدلّ على قصور عقل بني إسرائيل، والكتبة الذين دوّنوا هذه التّوراة، لم يدركوا حقيقة التّوحيد، ولا عرفوها، وهذا الذي أتوا به يتناقض كليًّا مع ما أوحي إلى النبي موسى عليه السلام ويتناقض حتماً مع نظرته كنبيّ موحّد للذّات الإلهيّة، ولو عدنا إلى القرآن الكريم فإننا نجد أنّ صفات الله كما عرفها موسى ليست هي صفاته التّي وردت في التّوراة المدوّنة، وإنّ بني إسرائيل حملوا مفهوما محدّدا للإله الخاصّ بهم، وعندما استقرّوا سنين في بابل وجدوا أنّ الله الذي تمثّلوه لم يكن سوى إله قومي صغير بالقياس إلى آلهة البابليين، ولاسيما الإله الكبير "مردوخ".

ولقد أدرك بعض علمائهم هذا التّفاوت الكبير في طبيعة الفهم لذات الله، فكان لا بدّ من إعادة النظر فيها وصياغتها صياغة جديدة تتناسب مع تطوّر الفهم ذاته، لقد ظنّ بنو إسرائيل

---

[1] – د.السقا، احمد حجازي: م.س، ص١٩، ٢٠

[2] – مسلم( ت٢٦١هـ ): صحيح مسلم: ٦ كتاب المساجد ومواضع الصلاة،٨ باب تحريم الكلام في الصلاة ح ٨٣٦، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٩٧٢م

[3] – العقّاد، عبّاس محمود: إبراهيم أبو الأنبياء– المكتبة العصرية، صيدا، بيروت [د.ت] ص ١٢٢

أن (يهوه) إله لا يقهر وشيعته لا تقهر، وعندما أصبح الانهزام أمرًا واقعًا وأصبح بنو إسرائيل أسرى بيد البابليين سقطت مفاهيم كثيرة ترتبط بالإله القويّ "يهوه" فشعبه يهزم ويسبى، ولذلك فإنّه حسب رأي كثير منهم إله مهزوم لا يقدر على الصّمود أمام آلهة الشّعوب.

وقد ولّد هذا لدى أحبارهم ردود فعل نفسيّة وفكريّة فخرجوا بنظرة جديدة للإله، الإله الأعظم والأكبر، الإله الواحد الذي لا تحاربه آلهة ولا أصنام أو أوثان، وقد تجلّت هذه النُقلة في مفهوم أشعيا، كما أوردنا له من نصوص آنفًا.

وعلى الرّغم من هذا التحوّل، فإنّ مفهوم الإله ظلّ معنيًّا به إله إسرائيل، وليس إله كلّ الشّعوب. صحيح أنّه حسب هذا التحوّل إله خالق السّموات والأرض والإنسان والحيوان، لكنّه ظلّ هو "يهوه" إله إسرائيل الذي يخصّ بني إسرائيل ويغضب على من سواهم.

ولم يستطع بنو إسرائيل التخلّص من هذه النظرة، وقد انعكست على جميع تصوّراتهم، حتّى تلك التّي برزت بعد السّبي البابلي واستمرّت طويلا إلى يومنا هذا. لذا فإنّ من يعتبر الدّيانة اليهوديّة ديانة توحيديّة يكون مخطئا، لأنّ مستندها كما هو معروف تخيّلات وتصوّرات وروايات كتبها أحبار اليهود أيّام السّبي البابلي، في ديانة أقرب إلى الوثنيّة، وتختلف كليًّا عن عقيدة موسى عليه السلام التّي وصفها القرآن الكريم وبيّن فيها ذات الله المتنزّهة عن التجسيم والتّجسيد والمحدوديّة ، البعيدة عن الوثنيّة والتعدديّة ، وما إلى ذلك ممّا تخيّله مدوّنو التّوراة[1].

أمّا سهيل ديب فيقول: "تحت عنوان آلهة اليهود: "ورغم دعوة موسى عليه السلام التوحيديّة لم يتمكّنوا من الخروج من طور التعدديّة إلى طور التّوحيد إلا بعد مخاض طويل وأليم جدًّا، فقد اعتنقوا التّوحيد لكنّهم لم يستطيعوا التخلّص من آلهتهم المتعدّدة إلاّ بعد فترة طويلة استمرّت حتّى عهد عزرا ونحميا، أي بعد انتهاء السّبي البابلي، وعودتهم إلى أرض كنعان

---

[1] - الباش،حسن: القرآن والتّوراة أين يتّفقان وأين يفترقان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، بيروت، ط.١، ص ١٢١-١٢٤

من جديد، في القرن الخامس قبل الميلاد، إذ إن أوّل من أتـاهم بفكـرة التّوحيـد هـو النبـي موسى عليه السلام"[1].

<u>أركان الإيمان اليهودي وتأثّره بالفكر الدّيني الإسلامي:</u>

هناك بون شاسع بين الشّريعة الموسويّة الفطريّة البسيطة، كما سـجّلتها الوصـايا العـشر آنفة الذكر، وما أعقبها من خطوات تجديديّة، ونقلة نوعيّـة متـأخّرة انتهـت إليهـا العقيـدة اليهوديّة في العصور الوسطى، بعد قرون طويلة من الاختلاط بالنصرانيّة والإسلام.

وهناك نصّ يسمّى "الأصول الثلاثة عشر" وضعها موسى بن ميمون[2] وجعلها أركـان الإيمان اليهودي:

١. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق، تبارك اسمه، هو الموجد والمدبّر لكلّ المخلوقـات، وهو وحده الصّانع لكلّ شيء فيما مضى وفي الوقت الحالي، وفيما سيأتي.

---

1 – ديب، سهيل: م.س، ص ٤٣

2 – ابن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤م)من أعظم علماء اليهود في العصور الوسطى ولد بمدينة قرطبـة لأب مـن أكـابر العلماء الممتازين هو الطبيب والقاضي ميمون بن يوسف، وسمّي الغلام موسى، ومن الأقـوال المـأثورة بـين اليهود قولهم: " لم يظهر رجل كموسى من أيّام موسى إلى موسى "، وقد عرف بين النّاس باسـم موسـى بـن ميمون أو " ميموني "، ولمّا أصبح من أحبار اليهود الذّائعي الصيت جمعت الحروف الأولى مـن لقبـه واسـمه فصارت رميم، وعبر العالم النصراني عن أبوّته بتسميته ميموينِدس "Maimonides"، وانتقل هـو وزوجتـه وأبناؤه في عام ١١٥٩م إلى فاس ومنها إلى فلسطين، ثمّ انتقل إلى الإسكندريّة في عام ١١٦٥م ومصر القديمة حيث عاش فيها حتّى وفاته، وسرعان ما عرف المصريّون أنّه من أعظم أطبّاء زمانه، وفي عام ١١٦٦م عـيّن زعيمًا لليهود في القاهرة.
وفي القاهرة ألّف معظم كتبه، ومنها عشرة كتب في الطبّ باللغة العربيّة، واختصر كتاب جـالينوس إلـى ألـف وخمسمائة عبارة قصيرة، تشمل كلّ نوع من فروع الطبّ،
وفي عام ١١٥٨م نشر شرحا للمشنا باسم كتاب السّراج، رفعه إلى منزلة بين شرّاح التلمود، وفي عام ١١٧٨م، نشر متحديًا مشنا التّوراة أي تكرار الشريعة، لأنّ من يقرأ الشريعة المسطورة ( الأسفار الخمسة ) لأوّل مرّة، ثمّ يقرأ هذه المجموعة، يعرف الشريعة الشفويّة جميعها من غير أن يحتاج إلى الرجوع إلى أيّ كتاب آخر. والـذي زاده شهرة كتابه " دلالة الحائرين " .
– ول ديوارنت: قصّة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة محمد بـدران، دار الجيل، بيروت، ط.١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الجزء الثالث، من المجلد الرابع، ص ١٢٠،١٢٩،١٣٢

٢. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق، تبارك اسمه، واحد لا يشبهه في وحدانيّته شيء بأيّة حال، وهو وحده إلهنا كان منذ الأزل، وهو كائن وسيكون إلى الأبد.

٣. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق، تبارك اسمه، ليس جسدًا ولا تحدّه حدود الجسم، ولا شبيه له على الإطلاق.

٤. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق، تبارك اسمه، هو الأوّل والآخر.

٥. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق، تبارك اسمه، هو وحده الجدير بالعبادة، ولا جدير بالعبادة غيره.

٦. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ كلام الأنبياء حقّ.

٧. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ نبوّة سيّدنا موسى عليه السلام كانت حقًّا، وأنّه كان أبًا للأنبياء، من جاء منهم قبله، ومن جاء بعده.

٨. أنا أومن إيماناً كاملاً بأنّ كلّ التّوراة الموجودة الآن بأيدينا هي التّي أعطيت لسيّدنا موسى عليه السلام.

٩. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ التّوراة غير قابلة للتغيير، وأنّه لن تكون شريعة أخرى سواها من قبل الخالق، تبارك اسمه.

١٠. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق، تبارك اسمه عالم بكلّ أعمال بني آدم وأفكارهم، لقوله: "هو الذي صوّر قلوبهم جميعًا وهو المدرك لكلّ أعمالهم".

١١. أنا أومن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق، تبارك اسمه، يجزي الحافظين لوصاياه، ويعاقب المخالفين لها.

١٢. أنا أومن إيمانًا كاملا بمجيء المسيح، ومهما تأخّر فأنّني انتظره كلّ يوم.

١٣. أنا أومن إيمانًا كاملا بقيامة الموتى، في الوقت الذي تبعث فيه بذلك إرادة الخالق، تبارك اسمه، وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الآبدين(١).

يقول الدكتور حسن ظاظا معلّقا على هذه الأصول، ومبيّنًا مدى تأثّرها بالفكر الدّيني عند المسلمين: "وواضح أنّ علاّمة اليهود في العصور الوسطى الإسلاميّة، وطبيب الدّولة الأيوبيّة في مصر، موسى بن ميمون قد وصل بالعقائد اليهوديّة في هذه الأصول الثلاثة عشر إلى المستوى الفكري الموازي لنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عند أئمة المسلمين، كما أنّ تأثّره بها واضح أشدّ الوضوح، فالخالق عنده كما يبدو في الأصل الأوّل من هذه الأصول قد خلعت عليه ربوبيّة فلسفيّة لا تكتفي بما كان يكتفي به القصص البسيط في سفر التكوين، من أنّه " في البدء خلق الله السّموات والأرض..." بل وضعت من حوله الشّروط والاحتياطات، فهو وحده الذي خلق والذي يخلق، حتّى يتمّ النصّ على اختصاصه بهذه القدرة، منذ الأزل وإلى أبد الآبدين.

وفي الأصل الثاني الخالق واحد، ولكنّه ليس في بساطة الإله الواحد، الذي ورد نصّ التوراة بوحدانيّته "اسمعوا يا بني إسرائيل: الربّ إلهنا ربّ واحد "(٢)، وهو يقوم مقام شهادة أن لا إله إلاّ الله عند المسلمين، فهذا الربّ الواحد المعلن عن وحدانيّته في التّوراة، يتركها مطلقة بلا قيدٍ ولا شرطٍ، كما أنّه يجعل الإيمان وجدانيًّا لا عقلانيًّا، إذ يقول بعد هذه الفقرة مباشرة: "فأحبّوا الربّ إلهكم من كلّ قلوبكم ونفوسكم وقوّتكم"(٣)، أمّا موسى بن ميمون فإنّه يعلن عن وحدانيّة لا شبيه لها على الإطلاق، ثمّ ينصّ في الأصل الثالث على أنّ هذا الواحد ليس بجسم، ولا تحدّه حدود الجسم، وأنّه هو هو منذ الأزل وإلى الأبد، أو كما يقول في الأصل الرابع إنّه الأوّل والآخر. ولا يكتفي بهذا بل ينصّ على تنزيهه سبحانه وتعالى عن الشريك في قوله في الأصل الخامس، إنّه وحده الجدير بالعبادة، ولا يستحقّ العبادة غيره.

---

[1] - Selections From the Arabic Waitings Of Maimondes، Leiden 1909 : مختارات من الكتابات العربيّة لابن ميمون، ص ٢٧- ٣٩. - د. ظاظا، حسن: الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط.٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. ص ١٣٤،١٣٥.

[2] - تث ٦:٤

[3] - تث ٦:٥

وفي الأصلين السّادس والسّابع، عقيدة تعلن أنّ كلّ كلام النبيّين حقّ وخاصّة نبوّة موسى، ثمّ تقفز فكرة صوفيّة إسلاميّة، لها شبيه في النصرانيّة، حول صاحب الدّعوة، فكثير من متصوّفة المسلمين المنحرفين يقولون إنّ العالم كلّه خلق من نور النبي ﷺ.

فعلى ضوء الفكرة الصوفيّة الإسلاميّة، والفكرة اللاهوتيّة النصرانيّة، نجد موسى بن ميمون يقول في الأصل السّابع: إنّ موسى كان أبًا الأنبياء، من جاء منهم من قبله ومن أتى بعده أيضا.

وفي الأصل الثّامن والتّاسع يقلّد المسلمين تقليدًا صارخًا، فيجعل من التّوراة الحاليّة الألواح التّي أنزلها الله على موسى، ويجعلها خاتمة الشّرائع، يريد بذلك أن يجاري المسلمين في أنّ محمدًا ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنّ القرآن خاتم الرّسالات، ونسي ابن ميمون أنّ باب النبوّة في بني إسرائيل بقي مفتوحاً، والأسفار الخمسة لا تشكّل أكثر من سدس التّوراة الحاليّة لاشتمالها على كتب الأنبياء، ونسي أنّ التّوراة قد ضاعت عدّة مرّات، وكانت تُروى مشافهة في بعض الأحيان، وقد كتبت مرة ثانية في السبي البابلي قبل الميلاد.

وفي الأصل العاشر يبدو أثر عقيدة الأشاعرة - وهي عقيدة الدّولة الأيّوبية التّي كان ابن ميمون كبير أطبّائها- واضحًا فهو ينصّ على ضرورة الإيمان بإثبات علم الله بأعمال النّاس ونواياهم مقدّمًا بذلك للإيمان بالثّواب والعقاب، في الأصل الحادي عشر.

ولم يأخذ ابن ميمون بفلسفة الأشاعرة هنا فحسب بل زادها وضوحاً في كتابه المشهور في العقائد اليهوديّة "دلالة الحائرين"، وهذه نقطة من النقاط القليلة التّي خالف فيها ابن ميمون سلفه "سعديا الفيّومي" الذي ألّف هو أيضا كتاباً في العقائد اليهوديّة سمّاه "كتاب الأمانات والاعتقادات" وقال فيه بحُريّة الخلق في أفعالهم، وهو رأي المعتزلة الذين عاصرهم في بغداد.

أمّا الأصلان الثاني عشر والثالث عشر فإنّهما يجمعان العقيدتين الرئيسيتين: المسيحانيّة، أو الإيمان بمجيء المسيح المنتظر، والإيمان بالقيامة وبعث الموتى في اليوم الآخر[1]. فأين هذا التطوّر في العقائد اليهوديّة من تلك الشّريعة البدويّة البسيطة التّي تضمّنتها التّوراة؟!

---

1 - د. ظاظا، حسن: م.س، ص ١٣٤-١٣٩

## المبحث الثاني: مفهوم التّوحيد في النصرانيّة:

إنّ التّوحيد الذي أتى به المسيح ﷺ هو امتداد للخطّ التوحيدي الذي جاء به الأنبياء (عليهم السلام) من قبله، ويتّضح ذلك من قوله: "لا تظنّوا أنّي جئت لألغي الشّريعة أو الأنبياء، ما جئت لألغي بل لأكمل..."[١]، إنّ احتكام المسيح الدّائم إلى العهد القديم في كثير من الحالات والظروف المتنوّعة أمر لافت للنّظر، وإنّ أكثر اقتباساته منه وردت في خطبه التعليميّة إلى تلامذته، وذلك إمّا بشواهد واضحة فيه، أو بعدد لا يحصى من العبارات التّي تنقل صداه، بحيث إنّ بعض خطبه تبدو وكأنّها رقعة مطرّزة بكلمات العهد القديم وأفكاره[٢] ومن ذلك أنّه عندما سئل عن الوصيّة العظمى في الناموس، أجاب بما ورد في التّوراة قائلاً: "اسمع يا إسرائيل الربّ إلهنا ربّ واحد..."[٣]، وعندما عرض عليه الشيطان أن يسجد له دحره بمقولة توراتيّة "اذهب يا شيطان. فقد كتب للربّ إلهك تسجد وإيّاه وحده تعبد"[٤] ويقابلها في التّوراة "فالربّ إلهكم تتّقون، وإيّاه تعبدون، وباسمه تحلفون"[٥]، وعندما خطب في الجموع -كما ذكر برنابا- عدّة عبارات مستوحاة من التّوراة منها: "أنّه مكتوب هناك أنّ الله لا يرى وأنّه محجوب عن عقل الإنسان لأنّه غير متجسّد، وغير مركّب وغير متغيّر"[٦] ويقابلها في التّوراة: "حقّاً أنت هو إله يحجب نفسه"[٧] و "قد كتب في عهد الله الحي وميثاقه أن ليس لإلهنا بداية ولا نهاية ولا يكون له نهاية"[٨] ويقابلها في التّوراة: "قبل أن أوجدت الجبال أو كوّنت المسكونة، أنت الله من الأزل وإلى الأبد"[٩] و "أنّه كتب هناك أنّ إلهنا قد

---

1 - مت ٥: ١٧، ير ٣٨: ٢، ٣

2 - ريتشارد، فرانس: المرشد إلى الكتاب المقدّس ، الخلفية الدينية للعهد الجديد ،منشورات دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط،، بيروت، ط.٢، ٢٠٠٠، ص ٣٩

3 - مر١٢: ٢٨-٢٩، تث ٦: ٤

4 - مت٤: ٨-١١، لو ٤: ٥-٨

5 - تث ٦: ١٣

6 - ير ٩٥: ٩

7 - اش ٤٥: ١٥

8 - ير ٩٥: ٥

9 - مز ٩٠: ٢

برأ كلّ شيء بكلمته فقط"[1] ويقابلها في التّوراة "بكلمة من الربّ صنعت السماوات وبنسمة فمه كلّ مجموعات الكواكب"[2] و"إنّه مكتوب هناك أن ليس لله حاجة لأن يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص[3]، ويقابلها في التّوراة: "لا ينعس ولا ينام"[4] و "أنّه مكتوب هناك أن إلهنا في كلّ مكان وأن لا إله سواه، الذي يضرب ويشفي ويفعل كل ما يريد"[5] ويقابلها في التّوراة " أنّي هو وليس إله آخر معي، أنا أميت وأحيي، إسحق وأشفي ولا منقذ من يدي[6].

فعيسى عليه السلام نبي من بني إسرائيل، عاش معهم، وفهم لغتهم، وكما قال جاء ليكمل وليصحّح وما جاء ليلغي، فليس مستهجنًا والحال كذلك أن يدلّل على خطابه وما يذهب إليه من التّوراة.

وفي ذلك يقول الدكتور أحمد السّقا نقلا عن كتاب "تفسير الكتاب المقدّس": "زيادة البيان يغني عنها تصريح المسيح عليه السلام بالتزامه بكلّ ما جاء في التّوراة من العقيدة والشريعة، ويغني عنها تصريح علماء النّصارى بمثل ما صرّح به الربّيون من اليهود من ذات الله وصفاته، لقد قال الربّيون، إنّ الله متّصف بكلّ كمال ومنزّه عن كلّ نقص، وإنّ الله عبّر عن نفسه بالألفاظ التّي تقربُ ذاته إلى عقول البشر، وقال اللاهوتيون مثل قولهم، ففي تفسير قول الله لموسى: "أنا أهيه الذي أهيه" (خر ٣: ١٤) يقولون معناها أنّه كائن بذاته الموجود الواجب الوجود، وأنّه الحيّ الحقيقي، ومصدر كلّ حقيقة، وأنّ فيه الكفاية الذّاتية، والسّرمدي الذي لا يتغيّر في مواعيده، وأنّه كما هو الآن، فهو كذلك إلى الأبد، وأنّه يعمل كلّ شيء حسب مشيئته[7].

---

[1] -بر 95: 7

[2] – مز ٣٣: ٦

[3] – بر ٩٥: ١٣

[4] – مز ١٢١: ٤

[5] – بر ٩٥: ١٥

[6] – تث ٣٢: ٣٩

[7] – مجموعة من اللاهوتيين برئاسة فرنسيس داندس: تفسير الكتاب المقدّس، نقلا عن أحمد السقا في كتابه الله وصفاته، ص ٦٨

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: "فوجدنا علماء كثيرين قد صرّحوا بقوّة أنّ المسيح لم يكن إلاّ رسولا، وأنّه لم يكن أكثر من بشر، قد اقتبسوا ذلك من الأناجيل نفسها، فهذا "رينان" قد جهر بذلك، ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الإصرار على رأيه، وهذا "تولستوي" ينكر على النّصارى ألوهيّة المسيح فيقول: "إنّه ينبغي لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقي، كما كان يفهمه هو أنّ نبحث في تلك التفاسير والشّروح الطويلة التي شوّهت وجه التعليم المسيحي، حتّى أخفته عن الأبصار، ويرجع بحثنا إلى أيّام بولس الذي لم يفهم تعليم المسيح، بل حمله على محمل آخر، وأدخل خياله على هذا الدّين المسيحي فأفسده، وهو إذن ينكر ألوهيّة المسيح وينكر ألوهيّة روح القدس، ويعتقد أنّ الله واحدٌ أحد فرد صمد، وينكر أن تكون كتب النّصارى كتبت بإلهام، ويعلن في جرأة أنّها حرفّت وعراها التغيير والتبديل"(١).

ومن الشواهد على وحدانيّة الله من الأناجيل:

١. "ثمّ أخذه إبليس أيضا إلى قمّة جبل عال جدّا، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها، وقال له: "أعطيك هذه كلّها إن جثوت وسجدت لي "فقال له يسوع: "اذهب يا شيطان، فقد كتب للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد"(٢).

ويعلّق الدكتور محمد محمود حجازي على هذا النصّ فيقول: "وهذه شهادة المسيح عليه السلام بأنّ الله هو بارئ السّموات والأرض وله وحده السّجود والعبادة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ١/٥)(٣).

---

[1] – أبو زهرة، محمّد: محاضرات في النصرانيّة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص ٢٣٠، ٢٣١

[2] – مت ٤: ٨-١١، لو ٤: ٥-٨

[3] – د. حجازي، محمد محمود: التّفسير الواضح، دار الجيل، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، مج١، ص ٨١

٢. "والحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنت الإله الحقّ وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح، أنا مجّدتك على الأرض، وأنجزت العمل الذي كلّفتني، فمجّدني في حضرتك الآن أيّها الأب[1].

ويعلّق الدكتور محمد محمود حجازي على هذا النصّ فيقول: "إذا هو عبد خاضع لله، قدم له العبادة والتمجيد:﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ (النساء: ٤/١٧٢)(٢)".

٣. "فأجابه يسوع: "أولى الوصايا جميعاً هي "اسمع يا إسرائيل، الربّ إلهنا إله واحد، فأحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وبكلّ نفسك وبكلّ فكرك وبكلّ قوّتك"[3].

٤. "وركع يصلّي قائلاً: "يا أبي، إن شئت، ابعد عنّي هذه الكأس، ولكن، لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك"[4]. ويقول: "رحمة الله الهندي" معلّقاً على هذا النصّ وأمثاله: "فأقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارات تدلّ على عبوديّته ونفي ألوهيته، أيحزن ويكتئب الإله ويموت ويصلي لإله آخر ويدعو بغاية التضرّع لا والله.[5].

وهنا يظهر بوضوح تضرّعه وافتقاره لله، وتوجّهه إليه في أشدّ الظروف والأزَمات.

٥. "نفسي الآن مضطربة، فماذا أقول؟ أيّها الأب أنقذني من السّاعة القادمة عليّ؟ لا! فمن أجل هذه السّاعة أتيت، أيّها الأب، مجد اسمك"[6].

ويعلّق عبد الوهّاب النجّار على هذا النصّ فيقول: "والإله لا بدّ أن يكون تامّ القدرة، ومن العجز أن يطلب النجاة من سواه، بل طالب النجاة مقرّ بالعبوديّة والافتقار إلى من ينجيه[7].

---

1 – يو ١٧: ٣–٥

2 – د. حجازي، محمد محمود: م.س، مج١، ص ٨١

3 – مر ١٢: ٢٩

4 – لو ٢٢: ٤١ – مت ٢٩: ٣٩

5 – الهندي، رحمة الله خليل الرحمن: إظهار الحقّ، اخراج وتحقيق عمر الدسوقي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، [د.ت]،ج٢ ص ٣٩

6 – يو ١٢: ٢٧،٢٨

7 – النجّار، عبد الوهاب: قَصص الأنبياء، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ص ٤٥٧

ولا يكاد يخلو إنجيل من مثل هذين النصّين السالفين، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على بشريّته عليه السلام، ومن ثمّ افتقاره إلى خالقه جلّ وعلا.

٦. "ورفع يسوع عينيه إلى السّماء وقال: "أيّها الأب، أشكرك لأنّك سمعت لي، وقد علمت أنّك دومًا تسمع لي، ولكنّي قلت هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنّك أنت أرسلتني"[١].

فهل من مطلب للمسيح عليه السلام أكثر من إقامة الحجّة على أنّه رسول، فأنّى له أن يدعى أنّه إله أو ابن إله.

٧. "وقال لهم (أي للحواريين): "ناموا الآن واستريحوا، يكفي أقبلت السّاعة، ها أنّ ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخاطئين"[٢].

وقد صرّح المسيح عليه السلام عدّة مرّات أنّه ابن الإنسان، وهل هو إلاّ كذلك، ومن ذلك على سبيل القصر لا الحصر (مت ٨: ٢٠ و ٩: ٦ و ١٦: ١٣، ٢٧ و ١٧: ٩، ١٢، ٢٢ و ١٨: ١١ و ١٩: ٢٨ و ٢٠: ١٨، ٢٨ و ٢٤: ٢٧ و ٢٦: ٢٤،٤٥، ٦٤)، ويعقّب رحمة الله الهندي على ذلك بقوله: "وظاهر أنّ ابن الإنسان لا يكون إلاّ إنساناً"[٣].

٨. "الحقّ أقول لكم متكلّما من القلب، إنّي أقشعر لأنّ العالم سيدعوني إلهًا... إنّي رجل كسائر النّاس ... وبعد أن تكلّم يسوع هكذا أذرف الدّموع فبكى تلاميذه بصوت عال ورفعوا أصواتهم قائلين اصفح أيّها الربّ الإله وارحم خادمك البريء، فأجاب يسوع: "آمين آمين"[٤].

---

1 - يو ١١: ٤١-٤٢

2 - مر ١٤: ٤١ و متى ٢٦: ٤٥

3 - الهندي، رحمة الله خليل الرحمن: م.س، ج٢، ص ٣٩

4 - بر ٥٢: ١٠-٢٠

٩. ثمّ بكى يسوع قائلا: "ويل للعالم سيحلّ به عذاب أبدي، ما أتعسك أيّها الجنس البشري، فإنّ الله قد اختارك ابناً واهباً إيّاك الجنّة، ولكنّك أيّها التعيس سقطت تحت غضب الله بعمل الشيطان وطردت من الجنّة"[1].

إنّه رجل كسائر النّاس يبكي ويتألّم، ويُبكي من حوله، ويعترف ببشريّته، فأين ذلك من الألوهيّة؟!

١٠. "إلى هذا أراد الشّيطان أن يوصلكم أيّها الإخوة، إذ حملكم على التّصديق بأنّي أنا الله، وأنا لا طاقة لي أن أخلق ذبابة بل إنّي زائل وفانٍ لا أقدر أن أعطيكم شيئا نافعاً، لأنّي أنا نفسي في حاجة إلى كلّ شيء، فكيف أقدر إذًا أن أعينكم في كلّ شيء كما هو شأن الله أن يفعل"[٢]. حقا إنّه توحيد وتذلّل وافتقار إلى الله سبحانه، وتبرؤ من الكُفر، واعتراف بالضعف والعجز، وإسناد أمر الخلق والإيجادُ لله سبحانه وتعالى.

ويقول الدكتور جمعة شيخة: "إنّ عيسى إنسان مخلوق كغيره من البشر، وهو يشترك معهم في جملة من الغرائز كغريزة حبّ البقاء المتمثلة في المأكل والمشرب وهو معرّض مثلهم للموت، ولئن انفرد بطريقة لا يشبه فيها أي إنسان، فإن ذلك لا يخرجه من الناسوتية إلى اللاهوتية، لهذا كانت أول كلمة تلفظ بها هي قوله: ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ - (مريم: ٣٠/١٩) بما في كلمة عبد من خضوع واستسلام، والمسيح لا يستنكف ولا يتحرج، شأنه في ذلك شأن الملائكة، من أن يكون عبدا للخالق عزّ وجلّ له عليه وجوب الطاعة وفرض العبادة ككل مخلوق عاقل مدرك، والآيات الدّالة على هذه العلاقة بين عيسى عليه السلام وربّه تعالى كثيرة، وقد جاءت كلها مؤكدة على أنه لا مجال بعد هذا التأكيد للخلط بين الخالق والمخلوق[٣].

---

1 – بر ١٠٣: ١٦، ١٩

2 – بر ١٢٨: ٧، ٩

3 – د. شيخة، جمعة: عيسى المسلم أو عيسى عليه السلام في القرآن، ( طبع هذا الكتاب بمناسبة الألفية الثالثة )، تونس ٢٠٠٠م، ص ٣٣

المبحث الثالث: مفهوم التّوحيد في الإسلام:

توحيد الله قضيّة ثابتة لا تقبل التغيير، ولا التّبديل، ولا يجري عليها النّسخ خلافا للأحكام والشّرائع، فتوحيد الله في الإسلام امتداد واندراج ضمن الخطّ التّوحيدي العامّ الذي أتى به الأنبياء جميعا من عند الله.

أمّا ثبوت النصّ وصحّته، فهذه من أعقد القضايا التّي واجهت اليهوديّة والنصرانيّة دون الإسلام، أمّا الإسلام فقد تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه فقال في محكم التّنزيل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ١٥/٩).

وأسجّل هنا شهادة لموريس بوكاي يبيّن فيها مكانة القرآن وصحّته بين كتب التّنزيل، فيقول: "صحّة القرآن التّي لا تقبل الجدل، تعطي النصّ مكانة خاصّة، بين كتب التّنزيل، ولا يشترك مع نصّ القرآن في هذه الصّحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد، وليس الأمر كذلك بالنسبة للقرآن لسبب بسيط، وهو أنّ القرآن قد ثبت في عصر النبي ﷺ"(١).

وأمّا ضيق النظرة للإله وسعتها، فهل هو إله لليهود وحدهم أم إله للعالمين؟ وسواء كان هذا أو ذاك فإنّه إله واحد لا إله إلاّ هو.

وكلمة التّوحيد في الإسلام هي الركن الأوّل منه، شهادة أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدًا رسول الله، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ"(٢).

والتّوحيد في الإسلام هو توحيد الربوبية والألوهيّة والأسماء والصّفات، أمّا توحيد الربوبيّة فأن نُوحّد الله بأفعاله، وأمّا توحيد الألوهيّة فأن نوحّده بأفعالنا، وتوحيد الأسماء

---

[1] – بوكاي، موريس: القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٥٠

[2] – البخاري( ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، ٢ كتاب الإيمان ، ١ باب بني الإسلام على خمس ح ٧ ، دار القلم ، بيروت ١٩٨٤.

– مسلم ، م.س ، ٢ كتاب الإيمان، ٥ باب أركان الإسلام ودعائمه العظام ، ح ٢١

والصفات يكون بأن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإنّ الله تعالى ذمّ الذين يلحدون في أسمائه وآياته، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٨٠). وإثبات الأسماء والصّفات يكون مع نفي مماثلة المخلوقات" إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ٤٢/١١)، وفي قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ردّ للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾: ردّ للإلحاد والتعطيل[1].

يقول ابن القيّم في كتاب مدارج السالكين: "وأمّا التوحيد الذي دعت إليه الرسل فنوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد:

**فالأول:** هو حقيقة ذات الربّ تعالى وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوّه فوق سماواته على عرشه وتكلّمه بكتبه، وتكلّمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدّ الإفصاح، كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السّجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

**النوع الثاني:** مثل ما تضمّنته سورة: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون: ١٠٩/١)، وقوله: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٣/٦٤)، وأول سورة تنزيل الكتاب، وآخرها،

[1] – ابن تيمية، أحمد: الرسالة التدمرية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٤، ١٥

وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كلّ سورة في القرآن متضمّنة لنوعي التّوحيد، شاهدة به داعية إليه.

فإنّ القرآن: إمّا خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلّ ما يعبد من دونه، وهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره. وهي حقوق التّوحيد ومكمّلاته، وإمّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدّنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، جزاء توحيده، وإمّا خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم من النكال، وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب، وهو خبر عمّن خرج عن حكم التّوحيد. فالقرآن كلّه في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشّرك وأهله وجزائهم[1].

ويضيف (رحمه الله) مبيّناً معنى التّوحيد: "وملاك السّعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين الذين عليهما مدار كتاب الله تعالى، ولتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وإليهما دعت الرّسل عليهم السّلام، أحدهما التوحيد العلمي الخبري والاعتقادي، المتضمّن صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التّشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النّقص، والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبّته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكّل عليه والرضى به ربًّا وإلهاً ووليّاً، وأن لا يجعل له عدْلاً في شيء من الأشياء، وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النّوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص، وهما سورة (الكافرون) المتضمّنة التوحيد العملي الإرادي، وسورة (الإخلاص) المتضمّنة التوحيد العلمي الخبري، فسورة قل هو الله أحد فيها بيان ما يجب لله من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه من النّقائص والأمثال، وسورة (الكافرون) فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبرّي من عبادة كلّ ما سواه، ولا يتمّ أحد التّوحيدين إلاّ بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ

---

[1] – ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين.دار الكتاب العربي، بيروت، ط.٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. مج٣، ص ٤٤٩، ٤٥٠

بهاتين السورتين في سنّة الفجر والمغرب، والوتر، اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النّهار توحيدًا، وخاتمته توحيداً"[1].

أما الأمام ابن تيميّة فيقول " التّوحيد الذي جاءت به الرّسل إنّما يتضمّن إثبات الألوهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلاّ الله: لا يعبد إلاّ إيّاه، ولا يتوكّل إلاّ عليه، ولا يوالي إلاّ له، ولا يعادي إلاّ فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمّن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصّفات، قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ٢/١٦٣)، وأخبر عن كلّ نبي من الأنبياء، أنّهم دعوا النّاس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ (الممتحنة: ٦٠/٤) وقال عن المشركين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (الصافات: ٣٧/٣٥،٣٦).

وليس المراد بالتوحيد مجرّد توحيد الربوبيّة، وهو اعتقاد أنّ الله وحده خلق العالم، فإنّ الرّجل لو أقرّ بما يستحقّه الربّ تعالى من الصّفات، ونزّهه عن كلّ ما ينزّه عنه، وأقرّ بأنّه وحده خالق كلّ شيء: لم يكن موحّدًا حتّى يشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده، فيقرّ بأنّ الله وحده هو الإله المستحقّ للعبادة، ويلتزم بعبادته وحده لا شريك له، و"الإله" هو المألوه المعبود الذي يستحقّ العبادة، فإنّ مشركي العرب كانوا مقرّين بأنّ الله وحده خالق كلّ شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٢/١٠٦)، وقال: ﴿ قُل مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

[1] – ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: اجتماع الجيوش الإسلاميّة على غزو المعطلة والجهميّة،إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٥١هـ، ص ٦٢٧

﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾(المؤمنون: ٢٣/٨٦-٨٩) فليس كلّ من أقرّ بأنّ الله تعالى هو ربّ كلّ شيء وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، حتّى يأتي بالعبادة على وجهها، وهو اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة"[١]. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥١/٥٦)، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٢١).

ولمّا كان الأمر كذلك، فعلى العبد أن يجتهد في طاعة الله وعبادته كما أمر الله وشرّع. والقرآن الكريم خاطب الرّسول ﷺ ابتداءً مستحضراً الموروث الدّيني لدى العرب، فالعرب وخاصّة قريش يقرّون بالخالق، ويعترفون به ربّاً، ولكن الغلط عندهم كان في توحيد الألوهيّة، توحيد العبادة، فجاء الخطاب عن الله دون إثبات، قال تعالى في أوّل آية أُنزلت على قلب محمّد ﷺ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق: ٩٦/١)، وقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ (العلق: ٩٦/٣) وإنّما أضاف ذاته لنبيه وكفى.

فمسألة التّوحيد كما أسلفت لم تكن خافية، ولا جديدة على قريش، وهم الذين كانوا يحملون لواء الدّين ويتزعّمونه، وسمّوا أنفسهم بالحُمْس، لزعمهم بأنّهم اشتدّوا في الدّين[٢]. وخلاصة القول: إنّه كانت فيهم بقيّة باقية من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، وجاء الإسلام ليصحّح المسار، ويقوّم المعوجّ، وليكمّل الدّين، وليتمّ النعمة، وفي ذلك يقول ابن تيميّة: "كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم" لبيك لا شريك لك، إلاّ شريكا هو لك تملكه

---

1 – ابن تيميّة، أحمد: مجمل اعتقاد السّلف، الدار العربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص ٩٧، ١٠١، ١٠٢ – آل الشيخ عبدالرحمن بن حسن: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، دار المسلم للنشر والتوزيع والنشر، [د.ت]، ص ١٢، ١٤

2 – ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبويّة، القسم الأوّل، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، [د.م]، [د.ت]، ص ١٩٩ – ابن عبد الوهاب، محمد: مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٣١

وما ملك "فأهلّ رسول الله ﷺ بالتوحيد وقال: "لبيكَ اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيكَ، إنَّ الحمدَ والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك"[1].

ويبدو أنّ ذات المرض الاعتقادي كان مستفحلاً في الأمم على مرّ الأيّام، وقد تنبّه إلى ذلك ابن تيميّة فقال: "لم يذكر الله جحود الصّانع إلاّ عن فرعون موسى، وأمّا الذين كانوا في زمن يوسف عليه السلام، فالقرآن يدلّ على أنّهم كانوا مقرّين بالله وهم مشركون، ولهذا كان خطاب يوسف عليه السلام لهم وللملك وللعزيز يتضمّن الإقرار بوجود الصّانع لقوله: ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ (يوسف: ١٢/٣٩)، وقوله: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (يوسف: ١٢/٥٣). فإنّ جحود الصّانع لم يكن غالبًا على أمّة من الأمم قطّ، وإنّما كان دين الخارجين عن الرّسالة الإشراك"[2].

ويقول الدكتور محمد شحرور: "إنّ الربوبيّة تسبق الألوهيّة، وإنّه لم يطلب من أحد الاعتراف بالربوبيّة وكلّ الرّسالات جاءت من أجل الألوهيّة"[3].

ويخلص ابن تيميّة إلى أنّه "سبحانه وتعالى مستحقّ للتّوحيد، الذي هو دعاؤه وإخلاص الدّين له، دعاء العبادة بالمحبّة والإنابة، ونحو ذلك من معاني تألّهه وعبادته، ودعاء المسألة والاستعانة بالتوكّل عليه والالتجاء إليه، والسؤال له، ونحو ذلك بما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيّته، ولهذا جاءت الشّريعة الكاملة في العبادة باسم الله، وفي السؤال باسم الربّ، فيقول المصلّي والذاكر: "الله أكبر وسبحان الله، والحمد لله ولا إله إلاّ الله" وكلمات الأذان: "الله أكبر الله أكبر إلى آخرها، ونحو ذلك. كما في السؤال:

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾ (الأعراف: ٧/ ٢٣ ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ (إبراهيم: ١٤/٤١)،

---

1 - ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم: مجمل اعتقاد السلف،م.س، ص ٩٦

2 - ابن تيمية،أحمد: الإيمان، مج٧، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، [د.ت]، ص ٦٣٠،٦٣١

3 - د.شحرور، محمد: الكتاب والقرآن، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر والتوزيع، بيروت، ط.٥، ١٩٩٦م، ص ١٢٤،١٢٥

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٣/١١٨)، ونحو ذلك[1].

والآن هيا بنا نتعرف على الله الواحد الأحد وصفاته من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال العلماء وشروحاتهم:

**أوّلا: الله واحد لا شريك له ولا معبود بحقّ سواه:**

١ - سورة الإخلاص: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص: ١١٢/١-٤). يقول الرسول ﷺ في فضل هذه السورة فيما ترويه عنه عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ"[2].

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، أنّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ويردّدها، فلمّا أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك -وكأنّ الرجل يتقالّها- فقال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"[3].

وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال أقربها ما نقله ابن تيمية عن أبي العبّاس بن سريح عن أبي الوليد القرشي من أنّ القرآن اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسيّة: أولها: الأوامر والنّواهي المتضمّنة للأحكام والشّرائع العمليّة الّتي هي موضوع علم الفقه والأخلاق. ثانيها: القصص والأخبار المتضمّنة لأحوال الرسل عليهم السّلام مع أممهم، وأنواع الهلاك التّي حاقت بالمكذّبين لهم، وأحوال الوعد والعيد وتفاصيل الثّواب والعقاب.

---

1 - ابن تيميّة، أحمد: توحيد الربوبيّة، م.س، مج٢، ص ٤٥٦

2 - البخاري: م.س ، ٧٧ كتاب التوحيد، ١ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ح ٦٨٢٧

3 - البخاري : م.س ، ٤٦ كتاب فضائل القرآن، ١٣ باب فضل قل هو الله أحد حديث ح ٤٦٢٧

وثالثها: علم التّوحيد وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هـو أشـرف الثلاثة. ولمّا كانت سورة الإخلاص قد تضمّنت أصول العلم، واشتملت عليـه إجمـالا، صـحّ أن يقال إنّها تعدل ثلث القرآن[1].

يقول الإمام ابن حجر: قوله "ثلث القرآن" حمله بعض العلماء على ظـاهره، فقـال: "هـي ثلث باعتبار معاني القرآن"، لأنّه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هي على القـسم الثالـث فكانـت ثلثاً بهذا الاعتبار، ويستأنس لهذا بما أخرجه أبو عبيده من حديث أبي الدرداء، قـال: "جزّأ النبي ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن".

وقال القرطبي في تفسيره: "اشتملت هذه السّورة على اسـمين مـن أسـماء الله يتـضمنّان جميع أصناف الكمال لم يوجدا في غيرها من السّور، وهمـا الأحـد و الـصمد، وقيـل: إنّ القرآن أنزل أثلاثاً، ثلثا منه أحكام، وثلثا منه وعد ووعيد، وثلثا منه أسـماء وصـفات، وقـد جمعت ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أحد الأثلاث، وهو الأسماء والصّفات، ودلّ على هـذا التأويـل: ما في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء سالف الـذكر، وبهـذا المعنـى سـمّيت سـورة الإخلاص"[2].

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه السّورة: "( الاخلاص ) يعني الواحد الأحد الذي لا نظير لـه ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبـات إلاّ علـى الله عزّ وجلّ، لأنّه الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ عـن ابن عبّاس يعني الذي يُصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، والحـيّ القيـوم: الـذي لا زوال له، وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أي: لـيس لـه ولد ولا والد ولا صاحبة، وهكذا قـال الله تعـالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ

---

[1] – هراس، محمد خليل: شرح العقيدة الواسطيّة لابن تيمية، إصدارات الملحقيّة الثقافيّة، تونس، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٣٥،٣٤

[2] – ابن حجر العقسلاني: ( ٧٧٣/٨٥٢هـ)، فتح الباري دار المعرفة، بيروت ،مج٩، ص ٦١ – القرطبي، أبو عبدالله محمد: الجامع لأحكام القرآن، [د.ت]، مج٢٠، ص ٢٤٧

وَلَدٌ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ (الأنعام:٦/١٠١) أي هو مالك كلّ شيء وخالقه، فكيف يكون له ولد من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدّس وتنزّه، وفي صحيح البخاري: "قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ"[1].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال الرسول ﷺ: "قال اللّهُ كَذّبَنِي ابنُ آدَمَ، ولَمْ يكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي ولَمْ يَكُنْ لهُ ذَلِكَ، فأمّا تَكْذِيبهُ إيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يعِيدنِي كمَا بَدأنِي، ولَيْسَ أوّلَ الخَلْقِ بِأهْون علَيَّ مِنْ إعادته، وأمّا شتمه إيّاي فقوله اتّخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد"[2].

ففي هذه السّورة القليلة في عدد كلماتها، العظيمة في شأنها ومكانتها، وعلوّ درجة من يقرأ بها، وجزيل ثوابه، ومحبّة الله له، فيها صفة الرحمن ، وهذا موطن الشاهد ، ففي الوقت الذي ضلّ فيه يهود ولم يهتدوا إلى معرفة اسم ربّهم، نجد الله ينعم على المسلمين بمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ويحبّهم لحبّها، ويدخلهم بذلك الجنّة، يقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾(الأعراف:٧/١٨٠)، ويقول أيضا: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾(الإسراء:١٧/١١٠).

ويقول الرسول صلى الله علي وسلّم: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"[3].

وليس المقصود من حصر الأسماء بتسع وتسعين قصرها على ذلك، وإنّما ما يترتّب على حفظها والعمل بها من فضل، وذلك لأنّ من أسماء الله ما نعلمه، ومنها ما لا نعلمه، وفي حديث عبدالله بن مسعود إشارة إلى ذلك، قال ﷺ: "ما أصاب أحدًا قطّ همّ ولا حزن، فقال:

---

1 – البخاري، م.س ، ٧٧ كتاب التوحيد ، ٣ باب قوله تعالى إنّ الله هو الرزاق ، ح ٦٨٣٠

2 – البخاري، م.س ، ٤٥ كتاب تفسير القرآن ، ٣٩٠ باب قوله وامرأته حمالة الحطب ح ٤٥٩٢

3 – البخاري، م.س ، ٧٧ كتاب التوحيد، ١٢ باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ح ٦٨٢٦

– مسلم، م.س ، ٤٩ كتاب الذكر والدعاء، ٢ باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ح ٤٨٣٦

اللهّم إنّي عبدك وابن عبدك، وابن أمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي، إلاّ أذهب الله همّه وحزنه، وأبدله مكانه فرجًا، قال : فقيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا"[1].

ولا ينبغي لأحد أن يفهم الإحصاء الوارد في الحديث العدّ والحفظ مجرّدين، لأنّ هذا قد يقع من غير المؤمن، قال الأصيلي فيما ذكره عنه ابن حجر: "الإحصاء للأسماء العمل بها لا عدّها وحفظها، لأنّ ذلك قد يقع من الكافر المنافق، كما في حديث الخوارج يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم"[2]، ويقول ابن بطّال فيما ذكره عنه ابن حجر: "الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل، فالذي بالعمل أنّ لله أسماءً يختصّ بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحبّ الاقتداء بها في معانيها: كالرّحيم والكريم والعفوّ ونحوها، فيستحبّ للعبد أن يتحلّى بمعانيها، ليؤدّي حقّ العمل بها، فبهذا يحصل الإحصاء العملي، وأمّا الإحصاء القولي، فيحصل بجمعها وحفظها، والسؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره في العدّ والحفظ، فإنّ المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها"[3].

٢- <u>آية الكرسيّ</u>: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (البقرة: ٢/٢٥٥).

---

[1] – ابن حنبل، أحمد( ٢٤١هـ) :المسند،٥ كتاب مسند المكثرين من الصحابة، ١باب مسند عبد الله بن مسعود ح ٣٥٢٨، المكتب الاسلامي ١٩٨٥م.

[2] – ابن حجر العسقلاني: م.س ، مج١٣، ص ٣٧٨.

[3] – ن.م، مج١٣، ص ٣٧٨.

عن أُبيّ بن كعب (رضي الله عنه) أنّ النبي ﷺ سأله: أيّ آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم، فردّدها مراراً ثمّ قال أُبي: "آيَةُ الْكُرْسِيِّ ، قال : لِيَهْنِكَ[1] الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ"[2].

ويقول العلامة السعدي في تفسيره لآية الكرسي : "أخبر ﷺ أنّ هذه الآية أعظم آيات القرآن الكريم لما احتوت عليه من معاني التّوحيد والعظَمة، وسعة الصّفات للباري تعالى، فأخبر أنّ الله الذي له جميع معاني الألوهيّة، وأنّه لا يستحقّ الألوهيّة والعبوديّة إلاّ هو. فآية احتوت على هذه المعاني التّي هي أجلّ المعاني، يحقّ أن تكون أعظم آيات القرآن ولمن قرأها، متدبّراً متفهّماً، أن يمتلىء قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون محفوظاً بذلك من شرور الشيطان"[3].

فهذه الآية وغيرها من مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٢١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الحج:٢٢/٧٧).

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥١/٥٦-٥٨).

﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ (قريش: ١٠٦/ ٣-٤).

كلها آيات عظيمة تأمر بأمر عظيم هو توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة. ومن أجل ذلك بعثت الرّسل، وما هذه الآيات إلاّ نماذج، وإلاّ فغيرها كثير وكتاب الله مليء

---

١- ليهنك : يخصك،(أي هنيئاً لك).

٢- ابن حنبل، أحمد: م.س ، ١٢ كتاب مسند الأنصار، ٢٦ باب حديث المشايخ عن أبي بن كعب ح ٢٠٣١٨ .

٣ – السّعدي، عبدالرحمن: تيسير الكريم المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي، السعودية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص ٣١٣-٣١٥.

بأمثالها، ونقف قليلاً عند سورة قريش لنتلمّس المعاني العظيمة لتوحيد الربوبية في هذه السورة، يقول الرّازي في تفسيره: "إعلم أنّ الإنعام على قسمين: أحدهما دفع الضرر، والثّاني جلب النّفع، والأوّل أهمّ وأقدم، ولذلك قيل: دفع الضرر عن النّفس واجب، أمّا جلب النفع فإنّه غير واجب، فلهذا السبب بيّن تعالى نعمة دفع الضرر، في سورة الفيل، ونعمة النّفع في هذه السّورة، ولما تقرّر أنّ الإنعام لا بدّ وأن يقابل بالشّكر والعبوديّة، أتبع ذكر النعمة بطلب العبوديّة".

يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه السّورة: "أُمرت قريش بتوحيد الله تعالى بالربوبيّة تذكيراً لهم بنعمة أن الله مكّن لهم السير في الأرض والتّجارة برحلتي الشّتاء والصيف لا يخشون عادياً يعدو عليهم، وبأنّه أمّنهم من المجاعات، وأمّنهم من المخاوف، لما وفّر في نفوس العرب من حرمتهم، لأنّهم كانوا سكّان وعمّار الكعبة. وبما ألهم النّاس من جلب الميرة إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة. وردّ القبائل فلا يغير على بلدهم أحد، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٢٩/٦٧) فأكسبهم ذلك مهابة في نفوس النّاس وعطفًا منهم[1].

وممّا جاء في دعاء النبي ﷺ أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى قول ابن عبّاس رضي الله عنه: "لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"[2].

---

[1] – ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ج٣٠، ص ٥٥٤

[2] – البخاري: م.س ، ٧٧كتاب التوحيد، ١ باب دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد، ح ٦٨٢٤

وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قال النبي ﷺ: "يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا .أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ"[1].

ثانياً: الله تعالى لا يُرى ولا يقدر أحد أن يراه في الدّنيا:

يلتقي القرآن الكريم والتّوراة في الإخبار بعدم إمكانيّة رؤية الله في الدّنيا،وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ٦/١٠٣)

وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٤٣)

وقوله : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٥٥) فهذه الآيات الكريمة وغيرها تؤكّد هذه الحقيقة، وقد سبق أن أشرنا إلى نفس الواقعة مع موسى عليه السلام في سفر الخروج (٣٣:١٨-٢٠). من أنه عليه السلام غلبه الشّوق فأحبّ أن يرى الله ويتنعّم بالنظر إليه، فجاء المنع، لعدم القدرة البشريّة في الحياة الدّنيا على تحمّل الرؤية، فبادر إلى التوبة والإعلان عن الإيمان، على الخلاف من قومه الذين علقوا الإيمان على الرؤية تحديّاً، فكانت النتيجة لسوء فعلهم أن أماتهم.

وفي الحديث المتّفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارّون[2] في رؤية الشّمس والقمر إذا كانت صحوًا، قلنا: لا، قال: فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا"[3].

---

[1] - ن.م، ح ٦٨٢٥

[2] - تضارّون بالتشديد والتخفيف، والتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحّة النظر لوضوحه وظهوره - ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة الإسلاميّة،، ط.١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج٣، ص ٨٢

[3] - البخاري، م.س ، ٧٧ كتاب التوحيد، ٢٤ باب قول الله ( وجوه يومئذ ناضرة ) ح ٦٨٨٦

يقول الإمام الطحاوي: "والرؤية حقّ لأهل الجنّة بغير إحاطة ولا كيفيّة كما نطق به كتاب ربّنا حيث قال: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" ، وتفسيره على ما أراده الله وعلمه، وكلّ ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فهو كما قال، ومعناه وتفسيره على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأوّلين بآرائنا، ولا متوهّمين بأهوائنا"[1].

ويفنّد محمد خليل هرّاس في شرحه للعقيدة الواسطيّة شبهة المعتزلة في عدم رؤية المؤمنين ربّهم يوم القيامة، فيقول: "وأمّا ما احتجّ به المعتزلة من قوله تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَار ﴾ فلا حجّة لهم فيه، لأنّ نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد: أنّ الأبصار تراه ولكن لا تحيط به رؤية، كما أنّ العقول تعلمه ولكن لا تحيط به علماً، لأنّ الإدراك هو الرؤية على جهة الإحاطة، فهو رؤية خاصّة، ونفي الخاصّ لا يستلزم نفي مطلق الرؤية"[2].

وخلاصة القول: إن رؤية الربّ جلّ وعلا متعذّرة في حقّ الجميع في الدّنيا ويحرم الكافر منها كذلك في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين: ١٥/٨٣).

وأمّا المؤمنون فإنّ أفضل نعمة يتنعّمون بها في الآخرة، هي النّظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[3] (القيامة: ٢٣/٧٥). وقوله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦/١٠) (والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى).

---

1 – الميداني، عبد الغني الغنيمي (ت١٢٩٨هـ) : شرح العقيدة الطحاويّة، دار الفكر، دمشق، ط.٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢٧

2 – هراس، محمد خليل: م.س، ص ١٠٣، انظر: الأشعري، أبو الحسن: الإبانة عن أصول الدّيانة، اصدارات الملحقية الثقافية السعودية لتونس ١٤١٥هـ/١٩٩٤، ص ١٢-١٥

3 – ناضرة: أيّ مشرقة من بريق النعيم ونداه – السجستاني، أبوبكرمحمد (ت٣٣٠هـ): غريب القرآن، تحقيق وتقديم محمد أديب عبدالواحد جمران، ، دار قتيبة، ط.١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ص ٤٧٠

**ثالثا: انتفاء المشابهة والمماثلة لله تعالى:**

يقول ابن تيميّة: "وطريقة القرآن الكريم إثبات الأسماء والصّفات، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشّورى: ٤٢/١١).

وفي قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾: ردٌّ للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، ردٌّ للإلحاد والتعطيل. والله سبحانه بعث رسله بإثباتٍ مفصّل، ونفيٍ مجمل، فأثبتوا الصّفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ١٩/٦٥) ، قال أهل العلماء: هل تعلم له سمياً: أي نظيراً، يستحقّ مثل اسمه، وهذا معنى ما يروى عن ابن عبّاس (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) مثيلاً أو شبيهاً، وقال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص: ١١٢/٣،٤)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٢٢).

وأمّا الإثبات المفصّل فإنّه ذكر من أسمائه وصفاته، ما أنزله في محكم آياته كقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ...﴾ (البقرة: ٢/٢٥٥) الآية بكمالها، وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ (الإخلاص:١١٢/١،٢)، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف٤٣/٨٤)، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ (الروم:٣٠/٥٤) ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم:١٤/٤)... الخ[1].

**رابعًا: الله تعالى منزّه عن الزّمان والمكان:** قال تعالى

١. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/٣).

---

[1] – ابن تيميّة، أحمد" الرسالة التدمريّة، م.س، ص ١٥-١٦

٢. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف: ٨٤/٤٣).

وكون الله سبحانه وتعالى هو المعبود، فلا ينبغي لأحد أن يتوهّم أنه حلّ في السّماء أو في الأرض، بل هو معبود فيهما، مع ماله من صفة العلوّ التي أقرّها الرسول ﷺ حين سأل الجاريّة: "أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"[1]، فرضي جوابها، وقبل ذلك منها وأعتقها، فالله في السّماء وله صفة العلوّ، وهذا ما تعرفه وتقرّ به الفطر السليمة المؤمنة.

---

1 – مسلم: م.س ، ٦ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٨ باب تحريم الكلام في الصلاة، ح ٨٣٦

## الفصل الثاني: المقدمة الثانية

## مفهوم النبوّة في الأديان الكتابيّة

### تمهيد:

كثيراً ما تتشابه المصطلحات لفظاً، بينما تختلف في مفهومها من منهج إلى آخر ، أو من عقيدة إلى أخرى، أومن طائفة إلى طائفة أخرى.

ونحن في هذه المقدّمة أمام لفظ "نَبِيٍّ" ننظر إليه من خلال مفاهيم متباينة في الشرائع السماوية.

ومع أنّ اللفظ دينيّ، ومرتبط بالوحي وخبر السّماء وله مدلوله الخاصّ، فإنّ أتباع الدّيانات قد اختلفوا في شأنه، من أين جاء، وكيف تطوّر وارتقى، حتّى غدا على نحو ما.

وإذا كان من الممكن أنّ يختلف البشر في دلالة الكلمة وفي شمولها أو قصورها، فليس لهم بحال، أن يدّعوا اختراعها ونسبتها إلى أيّ منهم، لأنّها ليست بشريّة المصدر، وإذا ما ترك التعصّب جانبًا وتعاملنا مع الدّيانات كوحدة واحدة، واتّفقنا على وحدة مصدر التلقّي، وأنّها جميعًا جاءت من عند الله، وقبلنا من اللاحق أن يردف السّابق، بما خفي عليه، أو ضاع، أو طمس، أو نُسي، لتقادم زمن، أو اضطهاد، أو اندراس العلم وذهاب العلماء، أو لتحقيق قصدٍ أو مرادٍ، لهان الأمر ووضُح الخطاب، ومع هذا وذلك، فالنّاس دومًا لا يزالون مختلفين.

وفي الصفحات الآتيّة نتعرّف على مفهوم لفظ "نَبِيٍّ" ، وكيف تطوّر؟ ومتى استخدم؟ وما وظيفة النبيّ وكذا الرّسول؟ والله المستعان وعليه التّكلان.

المبحث الأول: **مفهوم النبوّة في اليهوديّة:**

**النبي في اللغة العبرية:**

بالعودة إلى معاجم اللغة العبريّة، نجد أن لفظ "نَبِيّ" يطابق ما في العربيّة لفظاً ومعنىً، وان اختلف رسماً، فيكتب هكذا [ נ ב ה ]، وتلفظ "نَابِي"، وكلمة تنبؤ يقابلها في العبريّة [ נ ב ו ה ]، ولفظها "نُبُوَة"، وكلمة نبوّة وتكهن يقابلها في العبريّة [ה ת נ ב א] ولفظها "هِيتَانَبِي"[1]. وقد ورد من لفظ "نَبِيّ" في العبرية اشتقاقات بعدّة معان نذكر منها:

- تنبّأ وتحدّث كنبيٍّ: "إنّ السيّد الربّ لا يجري أمراً من غير أن يعلن سرّه لعبيده الأنبياء، قد زأر فمن لا يخاف، وتكلّم الربّ فمن لا يتنبّأ"[2].
- تغنى بترانيم أو أناشيد دينيّة كما لو كان مقودًا بوساطة روحٍ إلهيّةٍ أو سبح الله "وعندما وصل (شاؤل) جبعة، قابله مجموعة من الأنبياء، فحلّ عليه روح الله وتنبّأ في وسطهم، وحين شاهده الذين كانوا يعرفونه من قبل يتنبّأ، تساءلوا فيما بينهم "ماذا جرى لابن قيس؟ أشاؤل بين الأنبياء"[3].
- أصبح مجنوناً "وحدث في اليوم التّالي أن هاجم الروح الرديء شاؤل من قِبل الربّ، فبدأ يهذي جنونًا في وسط البيت".
- سلك سلوك الأنبياء أو جاء بالوحي[4].
- تكهّن[5].

---

1 – د. كمال، ربحي: المعجم الحديث، عبري عربي، دار العلم للملايين. ط.٢، ١٩٩٢م، بيروت، لبنان، ص ٢٩٤

2 – عا ٣: ٧-٨

3 – ١ صم ١٠،١١: ١٠

4 – مشرقي، أحمد: النبوّة في الأديان الكتابيّة، المركز القومي البيداغوجي، تونس، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ،ص ١٣

5 – د. كمال، ربحي: م.س، ص ٢٩٤

وجاء في قاموس الكتاب المقدّس: إنّ "النبي هو من يـتكلّم أو يكتـب عمّـا يجـول فـي خاطره، دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوّة خارجيّـة عنـه، قـوّة الله عند المسيحيين والعبرانيين والمسلمين، وقوّة الآلهة المتعدّدة عند عبّاد الأصنام الوثنيين.

كما عَنت النبوّة عند اليهود: الإخبار عن الله وخفايا مقاصـده، وعـن الأمـور المـستقبليّة ومصير الشّعوب والمدن والأقدار، بوحي خاص منزّل من الله على فم أنبيائه المصطفين[١].

ومن الأمور المستهجنة في لغة الأسفار الخمسة عند حديثها عن الإله والنبـي: أنّ النبـوّة قد ترتقي إلى مقام الألوهيّة، فيصبح النبي إلهًا، ومن الممكن أن يصبح صديق أو شـقيق ذلـك النبي، المترقي إلى درجة الألوهيّة نبيًا هو الآخر! "فقال الربّ لموسى انظر: أنا جعلتـك إلهـاً لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيّك فعليك أن تبلغه بكلّ ما آمرك به"[٢].

يقول الدكتور صابر طعيمة: "وهذه التزكيّة العجيبة في نصوص الأسفار ممّا يحيّـر القلـب والعقل معاً، ولا تسعف فيها القواميس، ولا المعاجم، ولا التّفاسير، ولا التـأويلات الكهنوتيّـة، فالربّ جعل الإنسان إلهاً، ولم يقل لنا السفر ما الفرق عند كاتبه بين الربّ والإله؟ ومـع ذلـك فقد ساق لنا الإنسان وقد أصبح إلهًا له نبي ووظيفة هذا النبي بجوار "النبي الإله ثانويّة"[٣].

الرّسول: ومعناه في العبرية [ ש י ל ח ] ويلفظ "شيلح" وفعله الذي ورد كثيرًا فـي العهـد القديم هو [שלח] ومعناه "أرسل"[٤] ويلفظ "شيلح" ويـستعمل للتعبيـر عـن تكليـف الله أحـد الأشخاص بمهام النبوّة، ومن أمثلة وروده في العهد القديم: "فهلم الآن أرسلك إلـى فرعـون، فتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر"[٥].

"فتكون هذه العلامة أنّني أرسلتك"[٦].

---

1 – د، بطرس، عبد الملك ومن معه: قاموس الكتاب المقدّس، م.س، ص٣٤٩

2 – خر ٧: ١-٢

3 – د. طعيمة، صابر: م.س، ص ١١٨

4 – د. كمال، ربحي: م.س، ص ٤٧٩-٤٨٠

5 – خر ٣: ١٠

6 – خر ٣: ١٢

"هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه أنا هو الذي أرسلني إليكم"(١).

"هكذا تقول لشعب إسرائيل: إنّ الربّ إله آبائكم، وإله إبراهيم وإسحق ويعقوب قد أرسلني إليكم"(٢).

وتكرّر الفعل ذاته "أرسل" وأفعال أخرى تفيد معنى الإرسال مثل: "اذهب" و "قل" مع بقيّة أنبياء بني إسرائيل، ومن ذلك: "وسمعت صوت الربّ يقول: من أرسل؟ ومن يذهب من أجلنا؟ عندئذ قلت: "ها أنا أرسلني" فقال: "امض وقل لهذا الشّعب اسمعوا سمعاً"(٣) والخطاب في هذه الفقرة إلى أشعياء.

فالرّسول أو المُرسَل في العهد القديم من الإله "يهوه"، مكلّف برسالة ذات مصدر إلهي(٤).

## لفظ نبيّ في الفكر اليهودي:

يقول الدكتور محمّد عزّت الطهطاوي في كتابه محمّد نبيّ الإسلام في التّوراة والإنجيل والقرآن: "لم يتمكّن اليهود من إدراك مدلول لفظ نبوّة أو رسالة، إلاّ بعد فترة طويلة حيث كانوا لا يرون في النبيّ أو الرّسول غير صاحب الغرائب والأعاجيب، وهي الدّليل الوحيد عندهم على نبوّته، وليست نتيجة لما يأتي به الشّخص من هدي من عند الله، حتّى أنّهم كانوا يسمّون النبيّ بالرّائي أو النّاظر أو خادم الله، لذلك لم يطلقوا عليه لفظ نبي إلاّ بعد مجاورتهم للعرب"(٥).

وجاء في قاموس الكتاب المقدّس: " أينما توجّهنا في الشّرق القديم وجدنا هناك رجالاً يمارسون السِّحر والعرافة (عد ٢٢: ٥-٦، دا ٢: ٢، ٤: ٣-٤)، فيعتبرون جديرين بتلقّي

---

1 - خر ٣: ١٤

2 - خر ٣: ١٥

3 - أش ٦: ٨، ٩

4 - المشرقي، أحمد: النبوّة في الأديان الكتابيّة، م.س، ص ١٧

5 - السليماني، محمد المنصف: حقيقة التّوحيد بين الإسلام واليهوديّة، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة في تاريخ الأديان، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس ١٤١١-١٤١٢هـ/١٩٩١-١٩٩٢م، ص ٢٠٧

رسالة من الآلهة، ويلجأ إليهم أحيانًا قبل اتّخاذ القرارات، ويحدث لأنبياء بني إسرائيل أن يقوموا ببعض مهام مماثلة (١ مل ٢٢: ١-٢٩)(١).

ويتّضح لنا من هذا الكلام: أنّ اليهود كانوا يخلطون بين السحرة والمنجمّين وبين الأنبياء، ويعتبرون أنّ المحطّة الأولى في طريق النبوّة تعلم دروب السِّحر والعرافة، وشتّان ما بين طريق العرافة وطريق الهداية، وفي توراتهم: أنّهم كانوا يجعلون للنبي أجرًا لقاء ما يرشد أو يوجّه أو يدلّ عليه. جاء في سفر "صمويل الأول": "في هذه المدينة يقيم نبي يتمتّع بالإكرام، وكل ما ينبئ به يتحقّق، فلنذهب إليه لعلّه يخبرنا عن الطريق التّي علينا سلوكها. فقال شاؤل للغلام: كيف نذهب إليه ونحن لا نحمل معنا هديّة نقدّمها إليه، حتّى الخبز الذي كان معنا قد نَفَد، إنّنا لا نملك شيئا؟ فقال الغلام: معي ربع مثقال فضّة، نقدّمها له فيخبرنا عن الطّريق التّي نتخذّها، وكان النبي حينذاك يُدعى الرّائي"(٢).

ويبدو أن "م. ص. سيجال" مؤلّف بحث بعنوان: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل لم ترقْ له أن يقال أنّ كلمة "نبيّ" وافدة إلى الفكر اليهودي، ويذكر أنّ ما ورد في سفر صموئيل الأوّل من أنّ النبي كان يعرف بالرّائي هو حاشية من يد الناسخ أراد أن يفسّر بها لفظ "الرّائي" فيقول: جاء في (١ صم ٩: ٩) قديماً في إسرائيل هكذا كان يقول الرّجل عند ذهابه ليسأل الله، هل نذهب إلى الرّائي، لأنّ النبي اليوم كان يُدعى سابقًا "الرّائي" وهذه الفقرة ليست من صميم سياق القصّة، ولكنّها حاشية من يد ناسخ، أراد أن يفسّر لفظ "الرّائي" الذي ورد في الجُمل ١١، ١٨، ١٩، وهي في مكانها الحالي تقطع الحوار بين الغلام وبين شاؤل، وكان من الضروري أن يتأخّر إلى ما بعد الجملة ١٠.

وقد جعل معظم الباحثين من هذه الحاشية، التي يصعب تحديد زمنها، أساسًا تقوم عليه كلّ أبحاثهم في تاريخ النبوّة وتطوّرها عند بني إسرائيل، واستنتجوا منها أنّ الاسم "نبيّ" مستحدث في حقبة من الحقب التي سبقت عصر الكاتب لهذه الحاشية، وأنّه قبل ذلك لم تكن التسميّة "نبيّ" معروفة في إسرائيل، وأنّ "رجل الله" إنّما كان يدعى ويوصف بلفظ

---

[1] – د.سمعان، آرنست ومن معه: معجم اللاهوت الكتابي، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط.٤، ١٩٩٩م، ص ٧٩

[2] – ١ صم ٩: ٦-٩

"الرّائي"، وصموئيل نفسه كان يدعى، ويدعو نفسه "الرّائـــي" لا "النبـــيّ" ( نفـس الإصـــحاح، الجمل ١١، ١٨، ١٩ )، أمّا التحوّل الذي حدث في تسمية "رجل الله" من "الرّائي" إلى "النبـــي" فقد حدث بعد صموئيل، وكما يظهر عندما اتّسع شأن "رجـــال الله" وقـــويَ فـــي أيّـــام إليـــاس واليسع. وهذا التحوّل يحدّد نهاية عصر وبداية آخر جديد في تاريخ النبوّة، ففي هـــذا العـــصر الجديد تغيّرت صفات رجل الله ووظائفه، ومن ثمّ تغيّر اسمه كذلك من "رائي" إلى "نبيّ".

ذلك أنّ الرّائي القديم كان يخبر بما سيكون، وينبئ بالغيب، حسب علامات معروفة، تلقـــى دلالاتها وتأويلاتها نقلاً عن سابقيه، كان حكيمًا، وساحراً، وعرّافاً، مثـــل "الرّائـــي" أو الكـــاهن العربي.

أمّا "النبيّ" فكان شخصًا مختلفًا تمام الاختلاف، كان النبيّ ذا شطحات، صـــاحب حـــرارة، ووَجْدٍ روحانيٍ، تصل به إلى حدّ التجرّد عن المادّة والانطـــلاق –لوقـــتٍ مـــا– مـــن مجـــال الحواس العادي، كان "الروح" يستولي عليه، ويملأ نفسه وجسده، كما في حالـــة المـــسّ، وإذا هو تحت سلطان "الرّوح" قد رأى ما رأى، وفعل ما فعل، وقال ما قـــال، وهـــذه الحالـــة مـــن الشّطح –في رأي أولئك الباحثين– غريبة تمامًا عن طبيعة النّفس السّامية، وأصلها مـــن آســـيا الصغرى، ثمّ انتقلت من هناك إلى سوريا فبلاد الكنعانيين، وعلى ذلـــك يكـــون التحـــوّل مـــن "الرائي" إلى "النبي"، قد جاء إلى بني إسرائيل من الخارج وبتأثير الكنعـــانيين، وحـــسب هـــذه النظريّة، فإنّ صموئيل لم يكن نبيًّا، وكذلك "جاد" و "ناثان" و "أخيا الشيلوني" لم يكونوا أنبيـــاء بل رؤاة وعرّافين، وفي أجيال متأخّرة فقط هي أجيال الأنبياء أُطلق اسم "النبي" علـــى رجـــال الله أولئك أيضا. وفي أجيال متأخّرة فقط، غيّروا صورة موسى وجعلوا منه نبيّاً.

هذه النظريّة كلّها مبنيّة على أساس مزعزع، إذ أنّ صفة النبي قد أُعطيت لناثان في فتـــرة اتّفق الجميع على إيغالها في القِدم، وهي الفترة الخاصّة بتولّي سليمان الملك (ســـفر الملـــوك، الإصحاح الأوّل والثّاني)، وليس من الجائز بحال القول بأنّه في كلّ موضع من هـــذه الفقـــرة جاء فيه "ناثان النبيّ" كان مكتوبًا في الأصل "ناثان الرّائي" (الملوك الأوّل ١: ٨ وما بعـــدها)، حيث تكرّر التعبير تسع مرّات. وإذا كان وصـــف ناثان بأنّه نبيّ أصيل في هذه الفتـــرة، فإنّـــه أصيل كذلك في صموئيل الثاني ٧: ٢، ١٢: ٢٥.

وقياساً على ناثان يمكن القول بأنّه وصفٌ جادّ بأنّه نبي أصيل أيضاً (صموئيل الأول ٢٢: ١١:٢٤،٥)، وكذلك الحال بالنسبة لأخيا (الملوك الثاني ١١: ٢٩، ١٤: ٢، ١٨)، وبالنسبة لصموئيل وموسى.

وإذن فقد اتّضح أنّ هناك أنبياء في أيّام صموئيل، وأنّه من غير الممكن أن نقول: إنّ الحاشية الواردة في صموئيل الأول ٩: ٩ تفيد أنّه في أيّام صموئيل لم يكن لفظ "النبيّ" قد وُجد بعد، أو حتّى أنّ لفظ "النبي" قد استحدث على أيّام صموئيل فقط، لنوع معيّن من "رجال الله" هو ذلك النّوع من "ذوي الشّطحات". فالجملة لا تقول أكثر من أنّ "النبي" و "الرّائي" بمعنى واحد، وأنّهم على عهد كاتب هذه الحاشية لم يكونوا يستعملون لفظ الرّائي في الكلام العادي وكانوا يقولون "النبي" بدلاً منه.

وبعد فليس صحيحًا أنّ "النبي" صاحب الشّطحات دخيل على إسرائيل من الكنعانيين، وأنّ الكنعانيين أخذوه من آسيا"[1].

ويخلص في النهاية وبدون دليل إلى أنّ لفظ "نبي" خاصّ ببني إسرائيل وإن لم يوجد الفعل الثلاثي "نبأ" الذي اشتقّ منه الاسم "نبي" في عبريّة العهد القديم، فيقول: "وإذا كان ذلك كذلك فلا مجال للقول بأنّ "النبي" في موضع "الرّائي" معنى استحدث في إسرائيل من أيّام صموئيل فقط أو في أيّام أخاب، إذ المعنى المستحدث يقتضي اسمًا مستحدثًا، لا اسما قديما اختفى أصل اشتقاقه من اللغة منذ أجيال[2].

حقيقة النبوّة في الفكر اليهودي:

يقول الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون في كتابه دلالة الحائرين: "إنّ حقيقة النبوّة وماهيتها هو فيض من الله عزّ وجلّ بوساطة العقل الفعّال على القوّة الناطقة أولاً ثمّ على القوّة المتخيّلة بعد ذلك، وهذه أعلى مرتبة الإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد لنوعه، وتلك الحالة هي غاية كمال القوّة المتخيّلة، وهذا أمر لا يمكن في كلّ إنسان بوجه، ولا هو

---

[1] - م. ص. سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمه من العبرية وعلقّ عليه حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، در العلوم والثقافة، ط.١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. ص ٦١-٦٨

[2] - ن.م، ص ٦٩

أمر يصل إليه بالكمال في العلوم النظريّة، وتحسين الأخلاق، حتّى تكون كلّها على أحسن ما يكون وأجمله، دون أن ينضاف لذلك كمال القوّة المتخيّلة في أصل الجِبِلَّة على غاية ما يمكن.

وقد علمت أنّ كمال هذه القوى البدنية التّي من جملتها القوّة المتخيّلة إنّما هو تابع لأفضل مزاج، يكون لذلك العضو الحامل لتلك القوّة، ولأحسن مقدار يكون، ولأصغر مادّة تكون له[1]. ثمّ يذكر أنّ تفاضل الأنبياء إنّما يكون بالتّفاضل في كمال القوّة الناطقة، وكمال القوّة المتخيّلة بالجبِلة وكمال الخلق، ويذكر أنّ النبوّة في بعض الحالات قد تتعطّل جزئيّا أو ترفع كليّاً، وفي ذلك يقول: "ومعلوم أنّ هذه الثلاثة أغراض التي ضمناها وهي كمال القوّة الناطقة بالتعلّم، وكمال القوّة المتخيّلة بالجبِلة، وكمال الخلق بتعطيل الفكرة في جميع اللّذات البدنيّة، وإزالة الشوق لأنواع التعظيمات الجاهليّة الشرّيرة، يتفاضل فيها الكاملون تفاضلاً كثيراً جدّاً، وبحسب التفاضل في كلّ غرض من هذه الثلاثة أغراض يكون تفاضل درجات الأنبياء كلّهم. وقد علمت أنّ كلّ قوّة بدنيّة، فإنّها تكلّ وتضعف وتختلّ وقتًا، وتصحّ وقتاً آخر، وهذه القوّة المتخيّلة قوّة بدنيّة بلا شكّ، فلذلك نجد الأنبياء تعطّلت نبوّتهم عند الحزن أو الغضب ونحوها، قد علمت قولهم: إنّ النبوّة لا تنزل عند الحزن وعند الكسل، وإنّ أبانا يعقوب لم يأته وحي طول أيّام حزنه لاشتغال قوّته المتخيّلة بفقد يوسف، وإنّ سيّدنا موسى عليه السلام لم يأته وحي، على ما كان يأتيه من قبل من بعد نوبة الجواسيس، إلى أن فني جيل الصحراء بجملتهم، وكذلك نجد بعض الأنبياء تنبأوا مدّة ما، ثمّ ارتفعت عنهم النبوّة، ولم يكن ذلك مستمرّاً لعارض طرأ، وهذا هو السبب الذاتي القريب في ارتفاع النبوّة في زمان الجلاء، بلا شكّ، أي الكسل، أو الحزن، تكون للإنسان بحالة من الحالات أشدّ من كونه عبدًا مسترقاً للجاهليّة الفسقة"[2].

<u>مراتب النبوّة</u>: يرى ابن ميمون أنّ مراتب النبوّة إحدى عشرة مرتبة وهي على النحو الآتي:

---

[1] – ابن ميمون، موسى: دلالة الحائرين، ترجمه وعارضه بأصوله العربية والعبرية: حسين أتامي، ط. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، المركز الإسلامي للطباعة [د.ت] ص ٤٠٠، ٤٠١

[2] – ن.م، ص ٤٠٤–٤٠٥

**المرتبة الأولي**: أنْ تصحب الشّخص معونة إلهيّة وتنشّطه لعمل الخير، ويقال لمن تصحبه هذه الحالة: حلّت عليه روح الربّ، وهذه هي درجة قضاة إسرائيل.

**المرتبة الثانيّة**: أنْ يجد الشّخص نفسه كأنّ أمرًا ما حلّ فيه وقوّة أخرى طرأت عليه فتنطقه فيتكلّم بحكم أو تسبيح، وهذا كلّه حال اليقظة وتصرف الحواس. وبهذا النحو من روح القدس ألّف داود المزامير وألّف سليمان: الأمثال ونشيد الأنشاد، وسائر كتب الأنبياء بهذا النّحو ألّفت.

**المرتبة الثالثة**: وهي أولى مراتب من يقول: إنّ كلام الربّ صار إليّ، وهو أن يرى النبي مثالا في الحلم، وبتلك الشرائط كلّها التّي تقدّمت في حقيقة النبوّة، وفي نفس ذلك الحلم يبيّن له معنى ذلك المثل، أي شيء أريد به مثل: أكثر أمثال زكريا.

**المرتبة الرابعة**: قد يسمع كلامًا في الحلم والنبوّة مشروحا مبيّنا، ولا يرى قائله، كما اعترى صموئيل في أوّل وحي أتاه.

**المرتبة الخامسة**: أن يكلّمه شخص في الحلم كما قال في بعض نبوّات حزقيال، فقال لي الرجل يا ابن البشر.

**المرتبة السادسة**: أن يكلّمه ملاك في الحلم، وهذه حالة أكثر النبييّن كقوله: فقال لي ملاك الربّ في الحلم.

**المرتبة السابعة**: أن يرى في الحلم للنبوّة كأنّه تعالى يكلّمه كقول أشعيا: رأيت الربّ...الخ. وقال: من أرسل؟ وكقول ميخا بن يملة: رأيت الربّ جالسا...الخ.

**المرتبة الثامنة**: أن يأتيه وحي وهي بمرأى النبوّة ويرى أمثالا، كإبراهيم بمرأى بين القطع، لأنّ تلك الأمثال كانت في الرؤيا نهارًا.

**المرتبة التاسعة**: أن يسمع كلاماً في الرؤيا، كما جاء في إبراهيم، فإذا بكلام الربّ إليه قائلا: لا يرثك هذا.

المرتبة العاشرة: أن يرى شخصًا يكلّمه في مرأى النبوّة، كإبراهيم أيضا في بطم ممرا، وكيشوع بريحو.

المرتبة الحادية عشرة: أن يرى ملكا يكلّمه في الرؤيا، وهذه عند ابن ميمون أعلى مراتب النبيين[1].

ويعلّق ابن ميمون على هذه المراتب فيقول: "ليس كلّ من هو في مرتبة منها هو نبي، بل المرتبة الأولى والثانيّة هي درجات النبوّة، ولا يعدّ من وصل لدرجة منها نبيًّا من جملة الأنبياء، وإن سمّي وقتا ما نبيًّا، فبعموم ما لكونه قريبا من الأنبياء جدًّا. ولا يغلطك في هذه المراتب كونك تجد في كتب النبوّة نبيًّا أتاه الوحي بصورة إحدى هذه المراتب، ويبيّن في ذلك النبي بعينه أنّه أتاه الوحي، بصورة مرتبة أخرى، وذلك أن هذه المراتب التي أذكرها قد يكون وحي ذلك النبي أتاه بعضه بحسب صورة منها، ويأتيه وحي آخر، في وقت آخر بحسب مرتبة دون مرتبة الوحي الأول، لأنّه كما أنّ النبي لا يتنبّأ طول عمره باتّصال، بل قد يتنبّأ وقتًا وتفارقه النبوّة أوقاتاً. كذلك يتنبّأ وقتاً ما بصورة مرتبة عالية ثمّ يتنبّأ وقتاً آخر دونها. وقد لا ينال تلك المرتبة العاليّة إلاّ مرّة واحدة في عمره ثمّ يسلبها، وربّما بقي على مرتبة دونها إلى حين انقطاع نبوّته، لأنّه لا بدّ من ارتفاع النبوّة في سائر النبييّن قبل موته"[2].

وأمّا ابن كمونة[3] اليهودي فيرى أنّ مراتب النبوّة على النّحو الآتي:

---

1 - ن.م، ص ٤٣٣-٤٤١

2 - ن.م، ص ٤٣٢-٤٣٣

3 - هو سعد بن منصور بن كمونة من رجالات القرن السابع الهجري، عاش ما بين ( ١٢١٥-١٢٨٥م) في بغداد وهو من المدافعين عن اليهوديّة ضدّ خصومها، وأهمّ مصنّف له كتاب " تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث " باللغة العربية، يقدّم له بفصل عن النبوّة وعدم انطباق شروطها التي يضعها على النبي محمد ﷺ فثارت عليه جماهير بغداد عقب صلاة الجمعة، وساعده الحكّام على الهروب من بغداد - الحنفي، عبد المنعم: الموسوعة النقديّة للفلسفة اليهوديّة، ص ٣٤، ٣٥، نقلا عن حقيقة التوحيد بين الإسلام واليهوديّة لمحمد المنصف السليماني، م.س، ص ٢١٢

المرتبة الأولي: أن يرى النبي مثالاً في النّوم، وفي نفس المثل يتبيّن له معناه وأي شيء أريد به.

المرتبة الثانيّة:أن يسمع كلاما في المنام مشروحاً بيّناً ولا يرى قائله.

المرتبة الثالثة: أن يكلّمه إنسان في المنام كذلك.

المرتبة الرابعة: أن يكلّمه ملك في المنام.

المرتبة الخامسة: أن يرى في المنام كأنّ الله يخاطبه.

المرتبة السّادسة: أن يأتيه وحي في اليقظة ويرى أمثالاً.

المرتبة السّابعة: أن يسمع كلاماً في اليقظة.

المرتبة الثامنة: أن يرى في اليقظة كأنّ إنسانًا يخاطبه.

المرتبة التاسعة: أن يرى ملكاً يخاطبه في اليقظة.

المرتبة العاشرة: أن يرى الله تعالى يخاطبه في حال اليقظة[1].

ويلاحظ هنا أنّ ابن كمونة قد تأثّر بما سطّره ابن ميمون من مراتب النبوّة، وأنهما تأثّرا بالفكر الإسلامي بحكم عيشها بين ظهراني المسلمين، فالبيئة المحليّة والثقافة السّائدة لا مفك للمرء من التأثّر بهما.

وظيفة النبي في الحياة اليهوديّة:

يذكر م. ص. سيجال في بحثه حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل أنّه: "ليس من الممكن لنا اليوم أن نقف بدقّة على المفهوم الأساسي للفظ "النبي" ولكنّنا نستطيع أن نتبيّن مدلول هذا الاسم من وظيفة النبي في حياة الأمّة الإسرائيليّة، ويتّضح لنا هذا المدلول في التّوراة، ففي سفر الخروج (٧:١) يقول الله لموسى: "انظر، أنا جعلتك ربّاً (ألوهيم) لفرعون، وهارون أخوك نبيّك "ووظيفة هارون إلى جانب موسى مشروحة في مكان آخر

---

[1] - ابن كمونة، سعد بن منصور: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ( اليهودية، المسيحية، الإسلام)، دار الأنصار ، القاهرة، ١٩٦٧م.، ص ٦-٧.

من سفر الخروج ( ٤: ١٦ ): "وهو يكلّم الشّعب عنك، وهو يكون لك فما، وأنت تكـون لـه ربّا (ألوهيم). ومن ذلك نعلم أنّ النبي إن جاز لنا التّعبير فم ربّه الذي به يتحدّث إلـى الـشعب فيسمعه كلام هذا الربّ"، كما كان هارون بمثابة نبي لموسى، عليه أن يكون فمًا لموسى يبلـغ كلام موسى إلى الشّعب وإلى فرعون"[١].

ويمكن تلخيص وظيفة النبي في الحياة اليهوديّة من خلال بحث م. ص. سيجال في النقـاط التاليّة:

١. التكلّم نيابة عن الربّ (يهوه) أمام الشعب، والتكلّم نيابة عن الشعب أمام الله.

٢. الصّلاة والتضرّع من أجل الأفراد والجماعات اليهوديّة.

٣. الإقامة حول المعابد، والارتباط بها، وتلقّي الوحي فيها.

٤. إمامة المصلّين وإلقاء نبواتهم ومواعظهم على الشّعب، والإجابـة علـى استفـسارات الوافدين في الأعياد، وأوائل الشّهور، وأيّام السبت.

٥. الإنشاد والموسيقى والرقص، فالتغنّي بالأناشيد بمصاحبة آلات الموسـيقى والـرقص كان من عمل الأنبياء، ومن أجل هذا أطلق صاحب سفر أخبار الأيام علـى اللاويـين الذين كانوا يقومون بالإنشاد في المعبد على آلات الموسيقى اسم "الأنبياء" كمـا دعـي فعلهم هذا "عمل نبوّة" (١ أخ ٢٥: ١-٦)[٢].

---

[1] - م. ص. سيجال: م.س، ص ٧٠

[2] - ن.م، ص ٧٠-٨٥

## المبحث الثاني: مفهوم النبوّة في النصرانيّة:

### النبي في اللغة:

جاء في جدول الشّروح الملحق بالكتاب المقدّس أنّ:

- النبي، أنبأ، النبوءة: من يعلن كلمة الله مثل أنبياء العهد القديم (لو1: ٧٠) ويوحنا المعمدان (مت ١١: ٩) ويشوع نفسه (يو ٤: ١٩).
- النبي: الشخص الذي أنبأ عنه موسى (تث ١٨: ١٥ و ١٨) واعتقد اليهود أنّه سيأتي ليعلن مجيء المسيح (يو1: ٢١).
- الأنبياء والشّريعة: كتب أنبياء العهد القديم (مت ٥: ١٧) المكمّلة لكتب الشّريعة.
- أنبياء الكنيسة:أناس تكلّموا بالروح القدس، كلام تشجيع وبناء وتعزية (١ كور١٤: ٣) وأعلنوا أحيانا أمورًا مستقبليّة (أع ١١: ٢٨).
- أنبأ وتنبأ: أعلن رسالة من عند الله (مت ١١: ١٣).
- النبوّة: رسالة الأنبياء ومضمون إعلانهم (مت ١٣: ١٤)[1].

ويقول المطران كيرلس سليم بسترس: "إنّ لفظ نبي يعني أمرين: إمّا التنبؤ بالمستقبل، وإمّا إعلام النّاس المعاصرين للنبي بإرادة الله في حياتهم ودعوتهم إلى التوبة، واتباع وصايا الله، لذلك تبدأ نبوءات الأنبياء في العهد القديم بالقول الآتي: "هكذا قال الله"، وفي كلا المعنيين علاقة مع الله، فالمستقبل في المعنى الأول، مرتبط أيضا بإرادة الله، إذ أنّ الكشف عن المستقبل ليس إلا وسيلة لدعوة النّاس إلى الإيمان، وإلى التقيّد بإرادته فيما سوف يأتي من أحاديث، وهكذا فالنبي هو الوسيط بين الله الذي لا يرى رؤية مباشرة والنّاس الذين تصلهم النبوءة، وهو ينقل إلى النّاس ما ينبع من داخله من إيحاءات واختيارات روحيّة، وقد جمع لفظ "نبي" في الدّيانة النصرانية المعنيين، فالنصرانية تعتقد أنّ الأنبياء في العهد القديم

---

[1] - جدول الشّروح للكتاب المقدّس، ملحق بالكتاب المقدّس، جمعية الكتاب المقدّس بلبنان ص ٤٣١-٤٣٢

تكلّموا باسم الله، وأوصلوا إلى النّاس إرادة الله، ودعوا النّاس إلى الإيمان بالله والتخلّي عن عبادة البعل[1] والأصنام"[2].

فالنبي في العهد الجديد كما في العهد القديم، لا تقف رسالته عند حدّ الإنباء عن المستقبل فحسب، بل إنّ عليه أن ينبئ ويعظ ويعزيّ (اكور١٤: ٣)، وهذه خدمات تتعلّق عن قرب بالوعظ والإرشاد[3]. وجاء في قاموس الكتاب المقدّس: "وتكلّم العهد الجديد عن النبوّات، واعتبرها عطيّة المسيح (اف٤: ١١ و رؤ١١: ٣)، ونعلم يقيناً أنّ كلّ نبوّة صحيحة صادقة هي موحى بها من الرّوح القدس ( لو١: ٦٧ و ١ كو١٢: ١٠ و ٢ بط١: ٢١)، وأنّها ثابتة لا تنقض (٢ بط١: ١٩)، وقد أعلن المسيح أنّه سيرسل أنبياء (مت ٢٣: ٣٤)، ويذكر العهد الجديد أنّ الأنبياء أناس مملوؤون بالروح القدس، وبه مسوقون، وبه يتكلّمون (لو١: ٦٧ و اع : ١٦ و١١: ٢٨).

واعتبرت النبوّات ممهّدة للمسيح (لو٢٤: ٤٤)، وقد أعطيت لمنفعة الأجيال الآتية (١ بط ١: ١٢) وهي سراج منير في الظلام (٢ بط١: ١٩) وحذّر العهد الجديد من تفسير النبوات التي تقوم على فرد بذاته (٢ بط ١: ٢٠)، وحذّر الكتاب المقدّس من احتقار النبوات (١ أش ٥: ٢٠)، ومن عدم الانتباه لها (٢ بط١: ١٩)[4].

<u>المسيح عليه السلام وتسميته بالنبي:</u>

جاء في معجم اللاهوت: "إنّ مسلك يسوع المسيح يتميّز بوضوح عن مسلك يوحنا المعمدان (مت٩: ١٤) فإنّنا نشاهد فيه كثيراً من الملامح النبويّة، فهو يكشف مضمون "علامات الأزمنة" (مت١٦: ٢-٣)، ويعلن نهايتها (مت٢٤: ٢٥)، وموقفه إزاء القِيم

---

1- بعل: اسم إله عبده سكّان أرض كنعان الأقدمون، بعل أي السيّد وصاحب الأرض، كان يعتبر سيّد الطّبيعة، وينسب إليه النّاس سلطة إخصاب الحقول والمواشي، وكانت ترافق ممارسة ديانة بعل ما يسمّى البغاء المكرّس، فحارب العهد القديم بقوّة هذه الدّيانة.

- جدول الشروح، م.س، ص ٤٢٢ ، انظر: د. عبد الملك، بطرس ومن معه: م.س، ص ١٨١

2- بسترس، كيرلس سمعان: م.س، ص ١١٧

3- د. سمعان، ارنست ومن معه: م.س، ص ٨٠٣

4- د. عبد الملك، بطرس ومن معه: م.س، ص ٩٥١

التقليديّة، هو عود إلى النقد الذي أبداه الأنبياء بصرامة، إزاء من يقبضون علـى المفتـاح، ولا يدعون الدّاخلين يدخلون (لو١١: ٥٢) وغضب الرياء (المـراء) الـدّيني (مـت١٥: ٧ و أش ٢٩: ١٣)، وفتح الجدال في صفة إبراهيم، موضع افتخـار اليهـود (يـو٨: ٣٩ و ٩: ٢٨)، وتوضيح ميراث روحي اختلط أمره، فصارت خطوطه العريضة عـسيرة التمييـز، وتطهيـر الهيكل (مر١١: ١٥-١٧ و اش٥٦: ٧ و ار٧: ١١)، والإعلان عن عبادة حقيقيّة كاملة، بعـد وقوع خراب الهيكل (يو٢: ١٦ و زك١٤: ٢١).

وأخيراً يشهد يسوع – وهذا ما يربط خاصّة بينه وبين الأنبياء القدماء أنّ رسـالته تـرفض (مت١٣: ١٣-١٥) وتنبذ من تلك المدينة، أورشـليم، قاتلـة الأنبيـاء (مـت٢٣: ٣٧-٣٨ و اتس٢: ١٥) وبقدر ما تكون هذه النهاية آخذة في الاقتراب، يتولّى يـسوع إعلانهـا ويـشرح معناها من حيث كونه نبيًّا يتنبأ عن نفسه، مبيّناً بذلك أنّه لا يزال سيّدًا لمـصيره، فهـو يقبلـه حتّى يتمّم قصد الأب، كما صورته الكتب المقدّسة.

فلا غرو، مع هذه المواقف، أن تلقّب الجموع يسوع[1] تلقائياً بلقب نبـي (مـت١٦: ١٤ و لو٧: ١٦ و يو٤: ١٩، ٩: ١٧).

غير أنّ يسوع لم يذكر نفسه بهذا اللقب إلا عرضًا (مت١٣: ٥٧)، ومن ثمّ لن يكـون لـه إلا مجال بسيط في فكر الكنيسة الناشئة (أع٣: ٢٢ و لو٢٤: ١٩)، ذلك لأنّ شخصيّة المـسيح تتجاوز من كلّ الوجوه التّقليد النبوي، فيسوع هو المسيح وعبد الربّ، وابن الإنسان"[٢].

لعل عدم اشغال نبوّة المسيح عليه السلام جزءًا كبيرا من خريطة فكر الكنيسة، أنّهـا قـد أعطـت المسيح حجمًا أكبر من إخوانه الأنبياء، ولم ترض به مبلّغًا للحقيقة التي هـي الـوحي كبقيّـة الأنبياء، بل جعلته مصدر الوحي، ويتّضح ذلك ممّا جاء في معجـم اللاهـوت: "أنّ الأنبيـاء

---

[1] – أن تؤمن الجموع بعيسى عليه السلام لمواقفه وعظمته، هذا صحيح، أمّا أن تكون الجموع هي التي تمنحه لقـب النبـوّة، فهذه مغالطة وعيسى عليه السلام في غنًى عنها.

[2] – د. سمعان، أرنست ومن معه: م.س، ص ٨٠٢-٨٠٣

كانوا يرتدون" هذا وحي الله بينما يسوع يقول الحقّ أقول لكم، فرسالته وشخصه ليسا من ذات المستوى النبوي[1].

الرسول:

ذكرنا أنّ الرّسول في العهد القديم هو المبعوث من الإله (يهوه)، والمكلّف برسالة ذات مصدر إلهي.

أمّا في النصرانيّة، فيصعب علينا أن نحدّد معنى مصطلح رسول قبل أن نعرف لمن نُسب وما وظيفته، فحضور مصطلح رسول في النصرانيّة متميّز لمركزيّته في الإيمان النصراني. فقد أُطلق على المسيح ﷺ "ولكنّي قلت هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنّك أرسلتني"[2]، و "الحقّ أقول لكم: "من يقبل الذي أُرسله يقبلني، ومن يقبلني، يقبل الذي أرسلني"[3]، "روح الربّ عليّ، لأنّه مسحني لأبشّر الفقراء، أرسلني لأنادي للمأسورين، بالانطلاق، وللعميان بالبصر"[4]، فهو إذن المبعوث من الإله والمكلّف برسالة ذات مصدر إلهي، واحد من أنبياء بني إسرائيل.

ويتابع معجم اللاهوت فيقول: "يعطي العهد الجديد لقب (رسول) لعديد من الشّخصيات زيادة على المسيح ﷺ".

- أوّلا: للتّلاميذ الإثني عشر[5] الذين اختارهم يسوع لتأسيس كنيسة (مت١٠: ٢، اع١٤:٢١).

---

1 - ن.م، ص ٨٠٣

2 - يو١١: ٤٢

3 - يو١٣: ٢٠

4 - لو٤: ١٨

5 - التلاميذ الإثني عشر هم: سمعان بطرس واندراوس ويعقوب بن زيدي ويوحنا أخوه وفيليبس وبرثولماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفي ولياوس الملقّب تداوس ( ويسمّى أيضا يهوذا بن حلفي ) وسمعان القانوني (وهو الغيور) ويهوذا الاسخربوطي، وبعد صعود المسيح ﷺ ببضعة أيّام انتخب التلاميذ متياس خلفًا ليهوذا الاسخربوطي – د.عبد الملك، بطرس ومن معه: م.س، ص ٤٠٣.

- ثانيًا: بولس رسول الأمم (روم١١: ١٣) ولكن يعتاد بولس أن يعطي لكلّ من سلوانس وتيموتاوس (١ اتس٢: ٧) وبرنابا (اكور٩: ٦) اللقب نفسه.

- ثالثًا: بطرس "رسول يسوع المسيح" (١ بط: ١: ١).

وبجانب بولس وبطرس والإثني عشر نرى "يعقوب وجميع الرّسل" (١ كور١٥: ٥-٧، ١: ٩)، ولندع جدا الكلام عن عطيّة الرسالة (اكور١٢: ٢٨، اف٤: ١١)، أوعن الرّسل الكذّابين[1] أو "الرّسل الأكابر" الذين يندّد بهم بولس (٢ كور١١: ١٣،٥ و ١٢: ١١).

فاستخدام هذا اللقب بهذا التوسّع من شأنه أن يثير مشكلة هي: ما الصلة التي تربط بين هؤلاء الرّسل المتنوّعين؟ "ولحلّ هذه المشكلة، حيث إنّنا لا نجد تعريفًا واضحًا، في العهد الجديد للعمل الرّسولي يناسبهم جميعاً، ينبغي أن ندرس كلّ الشّخصيات المختلفة على حدة بعد أن نكون قد جمعنا البيانات المتعلّقة بهذا اللفظ وهذه الوظيفة في المجالات غير النصرانية.

فالاسم (apostolos)[2] لا يفيد في اليونانيّة الفصحى المعنى الذي نعطيه إيّاه، ولكن الفعل الذي يشتقّ منه (apostolo)، "يرسل" يعبّر عن مضمونه تماماً، ونستطيع توضيحه بما يقابله في العهد القديم والعادات الجارية في اليهوديّة، فالعهد القديم يتضمّن إشارات إلى السّفراء الذين ينبغي احترامهم قدر احترام الملك الذي يوفدهم (٢ صم١٠) ويمارس الأنبياء إرساليات من النّوع نفسه (أش٦: ٨، ار: ١- ٧ ، أش:٦١: ١-٣)، ولو أنّه لم يطلق عليهم لقب رسول. إلا أنّ يهود مدرسة الربانيّين بعد عام ٧٠ ألّفوا نظام المرسلين (شليحين)[3] ، ويبدو أنّ هذا النظام كان مستخدماً من قبل هذه الفترة، وتشهد بذلك نصوص العهد الجديد ذاتها، فبولس "يلتمس رسائل إلى مجامع دمشق"، حتّى يضطهد أتباع ملّة يسوع (أع٩: ٢)،

---

1 - الأنبياء الكاذبة (مت٧: ١٥ ) أناس يزعمون كذبًا أنّهم يتكلّمون بكلام الله - جدول الشّروح، م.س، ص ٤٣٢.

2 - apostolos: لفظ يوناني يقابله بالإنجليزية الحديثة: " apostle "، وتلفظ " ابستل " بمعنى رسول أو حواريّ. - البعلبكي، منير" المورد: قاموس إنجليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٨، ص ٥٥، ويقابلها كذلك بالإنجليزية الحديثة " prophet " وتلفظ " برفات " بمعنى نبي أو رسول – ن.م، ص ٧٣٠، ويقابلها كذلك بالإنجليزية الحديثة " messenger " وتلفظ " ميسنجر " ومعناها الرسول – ن.م، ص ٥٧٣.

3 - شليحين: رسل وهي كلمة عبريّة تكتب هكذا [ ש י ל ח י ן ] وتلفظ ( شليحين ).

فهو مندوب رسميّ يحمل رسائل رسميّة (أع٢٨: ٢١-٢٢)، وتقتبس الكنيسة هذا العرف، عندما ترسل من أنطاكيّة وأورشليم، برنابا وسيلا ومعهما رسائلهما الرسميّة (١٥: ٢٢)، أو عندما تجعل من برنابا وبولس مندوبيهما (أع١١: ٣٠، ١٣: ٣، ١٤: ٢٦، ١٥: ٢، ويرسل بولس نفسه أخوين هما رسولا (apostoloi) الكنائس (٢كور:٨: ٢٣) وبحسب كلمة يسوع التي لها ما يماثلها من قبل في الأدب اليهودي، يمثّل الرسول من يرسله: "ما كان عبد أعظم من سيّده، ولا كان رسول أعظم من مرسله" (يو١٣: ١٦)، لذلك إذا قدّرنا الأمور بما جرى عليه العرف في تلك الحقبة، لا يكون الرسول أوّلا مرسلاً، ولا رجلاً يدفعه الروح ولا حتّى شاهداً، إنّما هو مبعوث ومندوب ومفوّض بمطلق الصلاحيّة، وسفير"[١].

وفي قاموس الكتاب المقدّس أنّ لفظ رسول يعني مبعوث، وهو أي شخص يُرسل في مهمّة خاصّة[٢].

والذي أراه أنّ المسألة لا تستحقّ كلّ هذا التعقيد، لولا أنّ النّصارى فتحوا باب النبوّة على مصراعيه، وجعلوا من المسيح عليه السلام مصدر الحقيقة والوحي ذاته[٣]، وجعلوا من موهبة النبوة ضرورة لإدراك رسائل كثير من قدّيسي الكنيسة، والتّي تظلّ خاضعة لقواعد وضعها بولس[٤].

إنّ مسألة إرسال الرسل والسّفراء ممكنة، وعادة درج عليها بنو البشر ناهيك عن الأنبياء والرّسل، وإن تشابهت الأسماء، فالمسمّيات تختلف، وكذا المهام المناطة بالأشخاص، والرّسول محمّد ﷺ كان يُرسل الرّسل ويستقبلهم الملوك والأمراء.

فماذا يضير النّصارى لو قالوا الرّسول هو مبعوث من الله، ومكلّف برسالة ذات مصدر إلهي، كما هو في العهد القديم، ومن يرسله الرسول إنّما هو مندوب ومبعوث ومفوّض

---

1 – د. سمعان، أرنست ومن معه: م.س، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

2 – د.عبدالملك، بطرس ومن معه: م.س ، ص ٤٠٣

3 – انظر: يو١ : ١-٤

4 – د. سمعان، أرنست ومن معه: م.س ، ص ٨٠٣.

بصلاحيّة مطلقة أو مقيّدة، إلاّ أنّ المسألة كما ذكرت من اختلاف في العقيدة، وإضفاء لـصفته الشرعيّة على الأعمال الكنسية.

**المبحث الثالث: مفهوم النبوّة في الإسلام:**

**النبي في اللغة:**

إذا نظرنا في معاجم اللغة العربيّة، فإننا نجد أنّ مدلولات لفظ "نبي" تدور حول الخبر العظيم، والمكان المرتفع، والطّريق الواضح، وفي ذلك يقول الراغب الأصبهاني: "النبأ خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتّى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب، كالتّواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النبيّﷺ.

ولتضمّن النبأ معنى الخبر، يقال: أنبأته بكذا، كقولك: أخبرته بكذا، ولتضمّنه معنى العلم، قيل: أنبأته بكذا كقولك أعلمته بكذا، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (ص: ٦٧/٣٨،٦٨)، وقال: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (النبأ: ١/٧٨)(١).

وقال ابن منظور: "النبأ: الخبر، والجمع أنباء، وقوله عزّ وجلّ: (عمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنْ النَّبَأ الْعَظِيمِ) قيل عن القرآن الكريم، وقيل: عن البعث، وقيل: عن أمر النبي ﷺ وقد أنبأه إيّاه ربه.

والنبي: المخبر عن الله عزّ وجلّ، لأنّه أنبأ عنه، وفي النهاية، فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ الخبر، لأنّه أنبأ عن الله أي أخبر.

والنبوّة الارتفاع. قال ابن سيده: النبو العلو والارتفاع وقد نبا، والنبوة والنباوة والنبي: ما ارتفع من الأرض، وفي الحديث: فأتي بثلاثة قِرَصَه(٢) فوضعت على نبي أي على شيء مرتفع من الأرض، ومنه الحديث: لا تصلّوا على النبي أي الأرض المرتفعة المُحَدودبة، والنبي: العلم من الأرض التي يهتدى بها، قال بعضهم ومنه اشتقاق النبي لأنّه أرفع خلق

---

[1] – الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد" المفردات في غريب القرآن، دار قهرمان للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ١٩٨٠م، ص ٧٣٢

[2] – قِرَصَة: وفي الحديث: " فأتي بثلاثة قرصه من شعير"، القِرصه بوزن العنبة، جمع قُرص، وهو الرّغيف، كجُحْر وجِحَرَه – ابن الأثير: م.س، مج٤، ص ٤٠

الله، وذلك لأنّه يهتدى به، والنباوة هي الارتفاع من الأرض، وسمي النبي بذلك لارتفاع قدره، ولأنّه شرّف على سائر الخلق.

قال قتادة: ما كان بالبصرة رجل أعلم من حميد بن هلال، غير أنّ النباوة أضرّت به، أي طلب الشرف والرياسة أضرّ به.

وقال الكسائي: النبي: الطريق، والأنبياء طرق الهدى.

وقال أبو معاذ النحوي: سمعت أعرابيًّا يقول: "من يدلّني على النبيّ، أي الطّريق"[١].

ويقول الفيروزآبادي: "النبأ محركة: الخبر، أنبأه، أنباه، أخبره، والنبي المخبر عن الله تعالى، ونبا كمنع، نبأً ونبوءاً ارتفع وعليهم طلع، ومن أرض إلى أرض خرج، وقول الأعرابي: "يا نبيء الله بالهمز، أي الخارج من مكّة إلى المدينة.

والنبي الطّريق الواضح، والمكان المرتفع المُحْدَوْدَب كالنابيء[٢].

وإذا أمعنّا النظر في المعاني الثلاثة للفظ "نبي" ومشتقّاته، نجد المناسبة حاصلة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، فالنبي رفيع القَدر عالِيَ المكانة، عند الله وعند المؤمنين، وهو من أشراف قومه، جاء في حديث أبي سفيان مع هِرقل: "فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا"[٣]. والنبي علم يهتدى به ويدلّ النّاس على الهدى، الذي هو الطّريق الواضح، والصراط المستقيم.

ولذلك يقول الراغب الأصفهاني: "النبوّة: سفارة بين الله وبين ذوي العقول، من عباده، لإزاحة علّتهم في أمر معادهم ومعاشهم"[٤].

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول يوسف خيّاط، دار الجيل، بيروت،، دار لسان العرب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج ٦، ص ٥٧٣

[2] – الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، [د.ت] ج١، ص٣٠

[3] – البخاري، م.س ، 45 كتاب تفسير القرآن، ٦١ باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ح ٤١٨٨ ، مسلم: م.س ، ٣٣ كتاب الجهاد والسير، ٢٦ باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ح ٣٣٢٢

[4] – الراغب الأصفهاني: م.س ، ص ٧٣٤

**نبيّ أو نبيء:**

قال الراغب الأصفهاني: النبي بغير همزٍ، قال النحويون: أصله الهمز، فترك همزه، استدلُّوا بقولهم مسيلمة نبيء سوء، وقال بعض العلماء هو النبوة -أي الرِّفعة، وسمي نبيّاً لرفعة محلّه عن سائر النّاس، المدلول عليه بقوله: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم: ١٩/٥٧)، فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبيء بالهمز، لأنّه ليس كلّ نبأ رفيع القدر والمحلّ- ولذلك قال ﷺ لمن قال يا نبيء الله: لست بنبيء الله ولكن نبيَ الله، لمّا رأى أنّ الرّجل خاطبه بالهمز لبغضٍ منه"[1].

وقال ابن منظور: "قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلاّ ويقول تنبّأ مسيلمة بالهمز، غير أنّهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية، إلاّ أهل مكّة فإنّهم يهمزون هذه الأحرف، ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك، قال والهمز في النبي لغة رديئة، يعني لقلّة استعمالها.

وقال الزجّاج: القراءة المجمع عليها في النبييّن والأنبياء، طرح الهمز، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن، ومن هذا اشتقاقاته، من نبأ وأنبأ، أي أخبر، قال: والأجود ترك الهمز، ومن غير المهموز حديث البرّاء: "قلت: ورسولك الذي أرسلت، فردّ عليَّ وقال: ونبيّك الذي أرسلت"[2].

وقال الفيروز آبادي: "النبي المخبر عن الله تعالى، وترك الهمز هو المختار، وقول الأعرابي: "يا نبيء الله بالهمز، أيّ الخارج من مكّة إلى المدينة.

وقال ابن منظور: "ويقال تنبّى الكذّاب، إذا ادّعى النبوة، وتنبّى كما تنبّى مسيلمة الكذّاب وغيره من الدّجالين المتنبّئين، وتصغير النَّبيء: نُبَيء، وتصغير النُّبوة: نبيئة، وتنبّأ الرجل: ادّعى النبوة"[3].

---

1 – ن.م ، ص ٧٣٤

2 – ابن منظور: لسان العرب المحيط، م.س، ج٦، ص ٥٦١

3 – ابن منظور: م.س، ج٦، ص ٥٦٢

وقال الفيروز آبادي: "وتنبّأ: ادّعاها، ومنه المتنبــيء أحمد بن الحسين، خرج إلى بنـــي كلب، وادّعى أنّه حَسَنِيٌّ، ثمّ ادّعى النبوة فشهد عليــه بالــشّام، وحــبس دهــراً ثــمّ اســتتيب وأطلق[1].

وفي المعجم الوسيط أن تنبّأ: ادّعى النبوة[2].

ولمّا كان الأمر كما ذكرت، من أنّ غالبيّة العرب لا يهمزون لفــظ نبــي، ورســول الله ﷺ يبغضها بالهمز، فإنّني سأعمد في هذه الرسالة إلى استخدام لفظ نبــي بغيــر الهمــز، وبــالله المتسعان وعليه التكلان.

كلمة النبي عربيّة لفظًا ومعنى:

يقول عبّاس محمود العقّاد: "كلمة النبي عربيّة لفظًا ومعنى، عربيّة لفظًــا لأنّ مــادّة النبــأ والنبوءة أصيلة في اللغة، وعربيّة معنى، لأنّ المعنى الذي تؤدّيه لا تجمعه كلمة واحــدة فــي اللغات الأخرى، فهي تجمع معاني الكشف والوحي والإنباء بالغيب والإنذار والتبــشير، وهــي معان متفرّقة تؤدّيها اللغات الحديثة بكلمات متعدّدة، فالكشف تؤدّيــه فــي اللغــة الإنجليزيّــة كلمـــة (Revelation) والوحي تؤدّيه كلمة (Inspiration) واستطلاع الغيب تؤدّيــه كلمــة (Divination) أو (Oracls) ولا تجتمع كلّها في معنى النبوة كما تجتمع فــي هــذه الكلمــة باللغة العربيّة. وقد وُجدت كلمة النبوة في اللغة العربيّة غير مستعارة مــن معنــى آخــر، لأنّ اللغة العربيّة غنيّة جدًّا بكلمات العرافة والعيافة والكهانة وما إليها من الكلمات التّــي لا تلتــبس في اللسان العربي بمعنى النبوة كما تلتبس في الألسنة الأخرى عند أصــل التّــسمية واشــتقاق المعانيَ الجديدة من الألفاظ القديمة، فكلمة النبي تدلّ على معنى واحد، لا تــدلّ علــى غيــره، خلافًا لأمثالها من الكلمات في كثير من اللغات.

---

[1] – الفيروزآبادي: القاموس المحيط، م.س، ج٢، ص ٣٠

[2] – د. أنيس، إبراهيم ومن معه: ط.٢، [د.م]، [د.ت]، ج٢، ص ٨٩٦

والعبرانيّون قد استعاروها من العرب في شمال الجزيرة بعد اتّصالهم بهـا، لأنّهـم كـانوا يسمّون الأنبياء الأقدمين بالآباء، وكانوا يسمّون المطّلـع علـى الغيـب بعـد ذلـك بـالرّائي والنّاظر، ولم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر إلاّ معنى الإنذار[1].

1 - العقّاد، عبّاس محمود: م.س، ص ١٥٩

**الرّسول في اللغة:**

إذا نظرنا في معاجم اللغة نجد أنّ مدلولات لفظ رسول تدور حول التّوجيه والانبعاث على التؤدة، والاسترسال، وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: "أصل الرّسل الانبعاث على التؤدة، يقال: ناقة رسلة: سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول: المنبعث، وتصور تارة منه الرّفق، فقيل: على رسلك، إذا أمرته بالرّفق. وتارة الانبعاث فاشتقّ منه الرّسول.والرسول: يقال تارة للقول المتحمل كقول الشّاعر:ألا أبلغ أبا حفص رسولا، وتارة لتحمّل القول والرسالة. والرّسول: يقال للواحد والجمع، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ (التوبة: ٩/١٢٨)، ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٦/١٦).

وجمع رسول: رُسُل، والرَّسل من الإبل والغنم ما يسترسل في السير، يقال: جاؤوا أرسالا: أي متتابعين.

والرَّسل: اللبن الكثير المتتابع الدَّر[1].

ويقول الدّامغاني: "أرسل أي بعث، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾ (النساء: ٤/٧٩) أي: مبعوثاً، كقوله تعالى في كثير من النظائر: ( ولقد أرسلنا ).

وأرسل أي وجّه،كقوله تعالى: "وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ" (الأعراف: ٧/١١١) يعني وجّه، كقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ (يوسف: ١٢/١٩) أي وجّهوا[2].

ويقول ابن منظور: "الرّسول: اللين الإسترسال إلى الإنسان كالإستئناس والطمأنينة، واسترسل إليه، أي: انبسط واستأنس. وفي الحديث: "أيّما مسلم استرسل إلى مسلم فغبنه فهو كذا"، الاسترسال الاستئناس والطمأنينة إلى الإنسان والثقة به فيما يحدّثه، وأصله السكون

---

[1] - الراغب الأصفهاني: م.س، ص ٢٨٤-٢٨٥

[2] - الدّامغاني، الحسين بن محمّد: قاموس القرآن الكريم أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ط.٢،، ١٩٨٠م ص ٢٠٤

والثّبات، والترسل من الرِّسل في الأمور والنطق كالتمهّل والتوقّر والتثبّت، وجمع الرِّسالة الرسائل.

والترسل في الكلام، التوقّر والتفهّم والترقّق، من غير أن يرفع صوته شديداً.

والإرسال: التّوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرِّسالة، والرسالة والرسول والرِّسيل والرَّسول بمعنى الرسالة، يؤنّث ويذكّر.

وقال أبوبكر الأنباري في قول المؤذن: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، أعلم وأُبيّن أنّ محمّداً متابع للإخبار عن الله عزّ وجلّ، والرسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم: جاءت الإبل رَسلاً، أي متتابعة.

وقال أبو إسحق النحوي في قوله عزّ وجلّ حكاية عن موسى وأخيه، فقولا إنّا رَسُول ربِّ العَالَمِينَ، معناه إنا رِسالة ربّ العالمين، أي ذوا رسالة ربّ العالمين.

وسمّي الرّسول رسولا لأنّه ذو رسالة[١].

وفي المعجم الوسيط: "الرسول، المرسل، للمذكّر والمؤنّث والواحد والجمع، وفي التنزيل: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٦/٢٦) ويجمع أيضًا على رسل، وأرسُل، والرَّسالة.

وفي الشّرع الرسول من الملائكة من يبلغ عن الله، ومن النّاس من يبعث الله بشرع يعمل به ويبلغه[٢].

والمناسبة حاصلة بين الرسول وبين المعنى اللغويّ، فالرّسول يتابع أخبار الذي بعثه، والرّسول مبعوث من قِبل الله برسالة معيّنة، وهو مكلّف بحملها وتبليغها ومتابعتها بلطف وتؤدة.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، م.س، مج١١، ص ٢٨٤

[2] – د. أنيس، إبراهيم ومن معه: م.س ، ج١، ص ٣٤٤

## الفرق بين النبي والرّسول:

ثمّة فرق بين النبي والرسول، ولو كان الأمر خلاف ذلك، لما عطف الله لفظ نبي على رسول، في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ (الحج:٢٢/٥٢). ولما صوّب الرسول ﷺ البرّاء بن عازب (رضي الله عنه) عندما ردّد ما تعلّمه من دعاء عند النّوم مستبدلاً كلمة نبي برسول بأن يقول: "ونبيك الذي أرسلت" قال رسول الله ﷺ: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن متّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهنّ آخر ما تتكلّم به"، قال فردّدتها على النبي ﷺ، فلمّا بلغت اللهّم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت وبرسولك قال: "لاَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ"[1].

يقول ابن القيّم: "أوّل ما أوحى إليه ربّه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربّه الذي خلق، وذلك أوّل نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثمّ أنزل عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ (المدثر: ٧٤/١-٢) فنبأه بقوله (اقرأ) وأرسله بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ثمّ أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثمّ أنذر قومه، ثمّ أنذر من حولهم من العرب، ثمّ أنذر العرب قاطبة، ثمّ أنذر العالمين"[2].

ويقول ابن تيميّة: "النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلّغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأمّا إذا كان يعمل بالشّريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلّغه عن الله رسالة، فهو نبي، وليس برسول، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ (الحج: ٢٢/٥٢)، فذكر إرسالاً يعمّ النّوعين، وقد خصّ أحدهما بأنّه رسول، فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف كنوح عليه السلام، وقد ثبت في الصحيح أنّه أوّل رسول بعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيت وإدريس وقبلهما آدم، كان نبيًّا مكلّما. قال ابن عبّاس: كان بين آدم ونوح عشرة

---

[1] - البخاري: م.س ، ٤ كتاب الوضوء،٧٥ باب فضل من بات على الوضوء. ح ٢٣٩

[2] - ابن القيّم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامي، ط.٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ج٣، ص ١٥٨، ١٥٩

قرون كلّهم على الإسلام، فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلون، ويأمرون به المؤمنين، الذين عندهم، لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشّريعة الواحدة يقبلون ما يبلّغه العلماء عن الرّسول وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التّوراة، كالعالم الذي يفهمه الله في قضيّة، معنى يطابق القرآن، كما فهّم الله سليمان حكم القضيّة التي حكم فيها هو وداود، فالأنبياء ينبئهم الله، فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهم، بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي، فإن أرسلوا إلى كفّار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له"[1]. ويخلص في النهاية إلى هذا التّفريق الدقيق، فيقول: "فالنبوة داخلة في الرسالة، والرسالة أعمّ من جهة نفسها، وأخصّ من جهة أهلها، فكلّ رسول نبي، وليس كلّ نبي رسولا، فالأنبياء أعمّ والنبوة نفسها جزء من الرّسالة، فالرّسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف النبوة، فإنّها لا تتناول الرّسالة"[2].

ويقول الصابوني: "النبي هو إنسان من البشر أوحى الله إليه بشرع ولكنّه لم يكلّف بالتبليغ، وأمّا الرّسول فهو إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع، وأمر بتبليغه، فالرّسالة إذن أعلى مرتبة من النبوة، لأنّ كلّ رسول نبي، وليس كلّ نبي رسولاً"[3].

كلام يردّده كثير من العلماء، لكنّه لا يستقيم من كلّ الوجوه، فالرّسالة أعلى مرتبة من النبوة، نسلّم بذلك، ونقول: نعم، لكن أنّى لنبي أن يوحى إليه بشرع، ولا يكلّف بتبليغه، وهذا معلوم من الدّين بالضرورة، وعلى آحاد المسلمين أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، فكيف بالأنبياء أن يمسكوا عن التبليغ ناهيك عن الأمر والنهي، الذي جعلت خيريّة الأمّة منوطة به. والأشقر في كتابه الرّسل والرّسالات ينتصر للأمر والنهي ويرجّح القول بوجوب التبليغ على الأنبياء ويفنّد ما شاع لدى العلماء من أنّ النبي أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، فيقول: "وهذا الذي ذكروه بعيد لأمور:

---

1 – ابن تيميّة، أحمد: النبوات، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٤٦هـ، م.س ،ص ١٧٢-١٧٣

2 – ابن تيميّة، أحمد: الإيمان، م.س، مج٧ ص ١٠

3 – الصابوني،محمد بن علي: النبوة والأنبياء، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥، ص ١٤

**الأول**: أنّ الله نصّ على أنّه أرسل الأنبياء كما أرسل الرّسل، في قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ (الحج، ٢٢/٥٢)، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

**الثاني**: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من النّاس، ثمّ يموت هذا العلم بموته.

**الثالث**: قول الرسول ﷺ: "عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي معه الرجل والرّجلان، والنبي وليس معه أحد"[١].

فدلّ هذا على أنّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم[٢].

ويسجّل كذلك عبد القادر شيبة الحمد استهجانه من الذين يقولون: إنّ النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فيقول: "وهذا تعريف عجيب، فإنّ الله تبارك وتعالى، قد أخذ الميثاق على أهل العلم ألاّ يكتموه، وعاب أولئك الذين يكتمون العلم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران:٣/١٨٧)، كما أنّ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ (الحج،٢٢/٥٢)، يدلّ على أنّ كلّ نبي ورسول تلا على قومه أو اشتهى هدايتهم، فليست إذن وظيفة النبي قاصرة على نفسه منعزلة عن قومه"[٣].

والخلاصة: إنّ كلّ رسول نبي وليس كلّ نبي رسولاً، وإن كان التبليغ يلزمهما، والفرق بينهما أنّ الرسول مبعوث بشريعة جديدة، والنبي يقرّر شريعة سابقة، ويدعو إليها، وفي ذلك

---

1 – البخاري: م.س، ٥٦ كتاب الطب، ٤١ باب من لم يرق، ح ٥٣١١.

2 – الأشقر، عمر سليمان: الرسل والرّسالات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط.١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٤، ١٥

3 – شيبة الحمد، عبدالقادر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، [د.ت]، ص٥

يقول الألوسي: "الرّسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث ليقرّر شرع من قبله"[1].

**مراتب الهداية الخاصّة والعامّة:**

هذا وقد ذكر الإمام ابن القيّم أن مراتب الهداية الخاصّة والعامّة عشر مراتب هي:

**المرتبة الأولي:** مرتبة تكليم الله عزّ وجلّ لعبده يقظة بلا وساطة، بل منه وإليه، وهذه أعلى مراتبها، كما كلّم موسى بن عمران عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء:٤/١٦٤).

**المرتبة الثانيّة:** مرتبة الوحي المختصّ بالأنبياء، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ (النساء: ٤/١٦٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ (الشورى: ٤٢/٥١)، فجعل الوحي في هذه الآية قسماً من أقسام التكليم، وجعله في آية النّساء للتكليم، وذلك باعتبارين فإنّه قسيم التكليم الخاصّ الذي هو بلا وساطة، وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعدّدة.

**المرتبة الثالثة:** إرسال الرسول الملكي إلى الرّسول البشري، فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه.

فهذه المراتب الثلاث خاصّة بالأنبياء، لا تكون لسواهم.

**المرتبة الرابعة:** مرتبة التحديث، وهذه دون مرتبة الوحي الخاصّ، وتكون دون مرتبة الصدّيقين، كما كانت لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه، كما قال النبي ﷺ: "إن كان في الأمم قبلكم محدّثون، فإن يكن في هذه الأمّة فعمر بن الخطّاب"[2].

---

1 – الألوسي، محمود شكري: روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت [د.ت]، ج١٧، ص ١٧٣

2 – البخاري،م.س، ٤٢كتاب أحاديث الأنبياء، ٥١باب حديث الغار،ح ٣٢١٠

المرتبة الخامسة: مرتبة الإفهام، قال تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء: ٢١/٧٨-٧٩).

المرتبة السادسة: مرتبة البيان العام، وهو تبيين الحقّ وتميّزه عن الباطل بأدلّته وشواهده وأعلامه، وهذه المرتبة هي حجّة الله على خلقه، التي لا يعذّب أحدًا، ولا يضلّه، إلاّ بعد وصوله إليها. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (التوبة: ٩/١١٥).

المرتبة السّابعة: البيان الخاصّ، وهو البيان المستلزم للهداية الخاصّة، وهو بيان تقارنه العناية والتّوفيق والاجتباء، وقطع أسباب الخذلان وموادّها عن القلب، فلا تتخلّف عنه الهداية البتّة، قال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ (النحل:١٦/٣٧)، وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٢٨/٥٦).

المرتبة الثامنة: مرتبة الإسماع، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنفال:٨/٢٣) وهذا الإسماع أخصّ من إسماع الحجّة والتبليغ، فإنّ ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجّة عليهم، لكن ذلك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب. والفرق بين هذه المرتبة ومرتبة الإفهام: أنّ هذه المرتبة إنّما تحصل بوساطة الأذن، ومرتبة الإفهام أعمّ فهي أخصّ من مرتبة الفهم من هذا الوجه، ومرتبة الفهم أخصّ من وجه

---

مسلم، م.س، ٤٥كتاب فضائل الصحابة، ٢باب من فضائل عمر ﷺ، ح ٤٤١١

آخر، ومرتبة السّماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب، ويترتّب على هذا السّماع سماع القبول.

المرتبة التاسعة:مرتبة الإلهام، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ (الشمس:٩١/٧-٨) وقد جعل صاحب المنازل[1] الإلهام مقام المحدّثين، وقال: وهو فوق مقام الفراسة، لأنّ الفراسة ربّما وقعت نادرة، واستصحبت على صاحبها وقتًا، أو استعصت عليه، والإلهام لا يكون إلاّ في مقام عتيد، قلت -أي ابن القيم- التحديث أخصّ من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين، والتحديث إلهام خاصّ، وهو الوحي إلى غير الأنبياء إمّا من المكلّفين، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (القصص: ٢٨/٧)، وإمّا من غير المكلّفين، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ (النحل: ١٦/٦٨). والفرق الصحيح بين الفراسة والإلهام، أنّ الفراسة قد تتعلّق بنوع كسب وتحصيل، وأمّا الإلهام فموهبة مجرّدة، لا تنال بكسب البتّة.

المرتبة العاشرة: الرؤيا الصّادقة، وهي أجزاء من النبوة، كما ثبت عن النبي ﷺ أنّه قال: "الرؤيا الصادقة جزءٌ من ستّة وأربعين جزءاً من النبوة". وقد قيل في سبب هذا التخصيص المذكور: أنّ أوّل مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة، وذلك نصف سنة، ثمّ انتقل إلى وحي اليقظة مدّة ثلاث وعشرين سنة، من حين بُعث إلى أن توفّي ﷺ، فنسبة مدّة الوحي في المنام من ذلك: جزء من ستّة وأربعين جزءاً، وهذا حسن[2].

---

1 - صاحب المنازل: أي منازل السائرين هو أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي الحنبلي الصوفي، المتوفّى في ذي الحجّة سنة ٤٨١هـ . وقد شرح هذا الكتاب الإمام ابن القيّم في : مدارج السالكين

2 - ابن القيّم: أبو عبدالله :مدارج السّالكين، م.س، مج١، ص ٣٧-٥٠

**وظائف الأنبياء والمرسلين:**

أولا: توحيد الله والإخلاص له في العبادة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٢١/٢٥) .

ثانيا: التحذير من الشّرك، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ (النحل: ١٦/٣٦).

ثالثا: الهداية إلى سبيل الرّشاد، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى: ٤٢/٥٢).

رابعًا:التبليغ والتبشير والإنذار: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء:٤/١٦٥)، وقال تعالى : ﴿ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ (المائدة: ٥/١٩)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (الأنعام: ٦/٤٨).

## الخلاصــــة:

النبوة ظاهرة دينيّة ارتبطت بالشرائع السماوية، والأنبياء هم من البشر يتكلّمون نيابـة عـن الربّ في اليهوديّة، وباسمه في النصرانيّة، ويبلّغون عنه في الإسلام.

واليهود يحصرون النبوة في بني إسرائيل ويرفضون نبوة المسيح عليه السلام وكـذا محمّـد ﷺ، ويرتقبون بفارغ الصبر المسيح المنتظر[1] والنصارى يقولون بألوهيـة المـسيح ويعتبرونـه مصدر الحقيقة، وفيه تجسّدت الكلمة، فهو المحطّة النهائيّـة للـوحي، والإسـلام لا يحـصر الرسالة بشعب دون غيره، ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعـام: ١٢٤/٦)، وإن كان الـوحي قد انقطع بنهايـة نـزول القـرآن الكـريم، ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائـدة: ٣/٥)، وبجعل محمدا ﷺ خاتم الأنبيـاء والمرسـلين، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحـزاب: ٤٠/٣٣). وكل من لم يؤمن بالنبي الرسول الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ فهو كافر لا يقبل الله منه صـرفاً ولا عـدلاً. وجميع الأنبياء دعوا إلى توحيد الله والإخلاص له في العبادة.

---

[1] – جاء في سفر أشعياء :" لأنّه يولد لنا ولد ويعطى لنا ابن يحمل الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا، مثيرا، إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السّلام، ولا تكون نهاية لنمو رياسته وللسلام اللذين يسودان عرش داود ومملكته، ليثبتها ويعضدها بالحقّ والبرّ، من الآن وإلى الأبد، إنّ غيرة الأب القدير، تتّمم هذا ( أش ٩: ٦-٧ )، وجاء في (ملا ٣: ١ ) " ها أنا أرسل رسولي فيمهد الطريق أمامي، ويأتي الربّ الذي تطلبونه فجأة إلى هيكله يقبل أيضا ملاك العهد الذي تسرون به "وجاء في ملاخي أيضا ٤: ٥ " ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي قبل أن يجيء يوم قضاء الربّ الرهيب العظيم فيعطف قلب الأباء على أبنائهم وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي ( إن لم يتوبوا ) وأصيب الأرض باللعنة (ملا ٤: ٥ ).

وفي ذلك يقول خالص مسور: تقوم عقيدة المسيح المنتظر على تنبؤات تدّعي القول أنّه سيظهر شخص يهودي يرسله الله ليقود شعب الله المختار نحو السيادة على العالم وسيكون هذا الشخص واحدا من أولاد يوسف أو داود حيث سيسود العالم جو من السّلام والاطمئنان وتستعاد الحقوق إلى أصحابها وسينتهي من الأرض وإلى الأبد الشرّ والحزن والضغائن. مسور، خالص: الاقتباس والجنس، منشورات علاء الدّين، دمشـق، ١٩٩٧، ص ١٢٥

وأمّا عصمة الأنبياء فالتباين واضح بين نظـرة اليهوديّـة وضـمنها النـصرانيّة ونظـرة الإسلام للأنبياء، ففي الوقت الذي تنحطّ فيه صورة النبي في اليهوديّة لدرجة أنّه يرتكـب كـلّ رذيلـــة وكلّ فاحشة[1]، وهو في ذلك أقلّ من عامّة النّاس، بل ربّما بعض النّـاس يترفّعـون عن أفعالهم، نجد الإسلام يرفع من شأن الأنبيـاء ويجعلهـم أئمـة وأعلامـاً يهتـدى بهـم، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٢١/٧٣).

والمسألة دائرة بين الإفراط والتفريط والاعتدال، فالنّـصارى بالإضـافة إلـى مـشاركتهم اليهود في ما نسبوه إلى الأنبياء من موبقات، في العهد القديم جعلوا من المسيح إلهًـا أو ابـن إله، واليهود جوّزوا على الأنبياء ما رذُل من الصفات والأفعال، والمسلمون أكرمـوا الأنبيـاء غاية الإكرام، فاعترفوا لهم بحسن أخلاقهم، واصطفائيتهم، قـال تعـالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (الحـج:٢٢/٧٥)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمـران: ٣/٣٣)، ولمّـا أراد الله أن يُثنـي علـى يوسـف عليه السلام

---

[1] - وممّا نسبوه من سوء أخلاق إلى أنبيائهم عليهم السلام مصارعة يعقوب مع ربّه، وغلبته عليه ومباركته الله له ( تك ٣٢: ٢٥-٢٩ )، وشرب نوح عليه السلام الخمر وتعريته من ملابسه ( تك: ٢٠-٢١ )، ومطالبتهم الربّ أن يراجع نفسه في قراراته وحمُو غضبه ( خر ٣٢: ١٢ )، وزنى لوط عليه السلام بابنتيه وحبلهما منه ( تك ١٩: ٣٠-٣٦ )، وكذب يعقوب وخداعه لأبيه إسحق عليهما السّلام وإيهامه أنّه عيسو ومن ثمّ سرقة البركة من أخيه عيسو ( تك٢٧: ١٨-٢٩ )، واقتناص داود عليه السلام لزوجة قائده " أوريا الحثي ) والزنا بها، وحبلها منه، وتآمره على زوجها، الذي اتّسم بكلّ فضيلة، وأبت نفسه أن يبيت مع زوجته في حين إخوانه في الحرب،ممّا دفع داود للتآمر عليه وزجّه في المعركة، ليغطّي على جريمته ويتخلّص منه،وقد كان له ذلك،ثمّ زواجه من زوجته وإنجابها لسليمان عليه السلام، فأيّ مولود هو إذن، ومن أبواه؟ (٢صم١١: ٢-٢٦ و١٢:١٥-٢٥ ) وما لبث أن هام أمنون ابن داود بأخته غير الشقيقة، وعانى من سقم الحبّ، فدلّه ابن عم راجح العقل، كما تصفه التّوراة، ولو كان عقله راجحًا لدلّه على الخير، إلى طريقة اغتصب فيها أخته، فعدا عليه شقيقها فقتله ( ٢صم:١٣: ١-٣٣ )، وهذا غيض من فيض، ممّا ألصقه اليهود بأنبيائهم، وما ذلك إلاّ ليتسنّى لهم ممارسة الفواحش، دون خجلٍ أو حياء، وليشجّعوا غيرهم على فعلها، فأنبياؤهم قُدوتهم، قد فعلوا أكثر من هذا، وبهذه النّصوص وأمثالها نعرف منزلة أنبياء بني إسرائيل في نفوس اليهود.

قـــال:﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ١٢/٢٤)، ولم يقل المخلِصين ليدلّ على إخلاصه في عبادته، وإنماّ أخلصه الله واختاره وخصّه لنفسه، وهكذا شأن جميع الأنبياء.

ومع أنّ اليهود يشترطون الخيريّة في النبي ابتداءً إلاّ أنّهم يجوزون عليه الارتداد والفسق في مرحلة ما، وفي ذلك يقول فيلسوفهم ابن ميمون: "رأى جمهور الجاهليّة، ممّن يصدّق بالنبوة، وبعض عوام شريعتنا أيضا يعتقدونه، وهو أنّ الله يختار من يشاء من النّاس، فينبيه ويبعثه، لا فرق أن يكون ذلك الشّخص عندهم عالمًا أو جاهلاً، كبير السنّ أو صغير السنّ، لكنّهم يشترطون فيه أيضا خيريّة ما، وصلاحيّة أخلاق، لأنّ النّاس إلى هذه الغاية، ما قالوا إنّه قد ينبىء الله رجلاً شرّيراً، إلاّ بأن يردّه خيّراً أوّلاً، بحسب هذا الرأي"[1]، ويقول: "وكذلك أيضا نجد بعض الأنبياء تنبّأوا مدّة ما، ثم ارتفعت عنهم النبوة، ولم يكن ذلك مستمرّاً لعارض طرأ، وهذا هو السبب الذّاتي في ارتفاع النبوة، في زمان الجلاء بلا شكّ أي الكسل أو الحزن، تكون للإنسان بحالة من الحالات أشدّ من كونه عبداً مملوكًا مسترقاً للجاهليّة الفسقة"[2]. والأمر الأهمّ أن كلّ نبي واكب مبعثه أزمة، وأنّه جاء لمعالجة مشكلة مستعصيّة، وربّما يفشل حوار النبي مع قومه، ويصل معهم إلى طريق موصدة ومن ثمّ إلى مرحلة الاصطدام، لاسيما عندما لا يتقبّلون الفكرة والدّين الجديد على حدّ زعمهم، هذا وغيره موضع حديثنا في الباب الثاني والثالث، وإنّه لموضوع إشكاليّة الرسالة، لعلّنا نجد إجابة على هذا السؤال، لماذا لم يتقبّل أولئك الأقوام أنبياءهم؟

---

[1] – ابن ميمون، موسى: م.س، ص ٣٨٩

[2] – ن.م، ص ٤٠٥

## الفصل الثالث: المقدمة الثالثة:

## مفهوم الملأ في الأديان الكتابيّة

### المبحث الأول: مفهوم الملأ في اليهوديّة:

حاولت جاهداً أن أقف على كلمة "الملأ" في التّوراة فلم أتمكّن من ذلك، ولإثراءً البحث وحتّى لا يبقى الموضوع مبتوراً، أثبتُ هنا فقرة، أودعها موسى بن ميمون في كتابه دلالة الحائرين، ذكر فيها لفظ "الملأ" حيث ورد في العهد القديم، مبيّناً معانيها المختلفة وفقًا لموقعها في النصّ، ولم أجد ضالتي بين تلك النّصوص. يقول موسى بن ميمون في كتابه: "ملأ" اسم مشترك يستعمله أهل اللغة في جسم فيملأه: وملأت جرّتها[١]، ملأ العمر لواحد[٢]، وهذا كثير، ويستعمل في معنى انقضاء زمان ما مقدّر وتمامه: كملت أيّامها[٣]، وكملت له أربعون يوما[٤]، ويستعمل في الكمال في الفضيلة والغاية منها، وامتلأ من بركة الربّ[٥]، وملأ قلوبها حكمة، وكان ممتلأ حكمة ومعرفة[٦]، ومن هذا المعنى قيل: الأرض كلها مملوءة من مجده[٧]، معناه جميع الأرض تشهد بكماله، أي تدلّ عليه، وكذلك قوله: وملأ مجد الربّ المسكن[٨]، وكلّ لفظ ملآن، تجده منسوبا لله، فهي من هذا المعنى، لا أنّ ثم جسم يملأ مكانًا، إلاّ أن تريد أن تجعل مجد الربّ النّور المخلوق الذي يسمّى مجداً في كلّ موضع، وهو الذي ملأ المسكن فلا ضير في ذلك".

---

1 – " فنزلت إلى العين وملأت جرّتها " ( تك ٢٤: ١٦ ).

2 – " احفظوا ملء العمر منه ذكرى " ( خر ١٦: ٣٢ ).

3 – " وعندما اكتملت أيّامها لتلده، إذا في أحشائها توأمان " ( تك ٢٥: ٢٤ ).

4 – " وقد استغرق ذلك أربعين يومًا " ( تك ٥٠: ٣ ).

5 – " اشبع يا نفتالي رضًى، وامتلىء بركة من الربّ " ( تث ٣٣: ٢٣ ).

6 – " وملأه من روح الله، ووهبه الحكمة والمهارة والمعرفة في كلّ أنواع الحرف " ( خر ٣٥: ٣١ ).

7 – " قدوس الربّ القدير مجده ملء كلّ الأرض " ( اش ٦: ٣ ).

8 – " ومجد الربّ ملأ المسكن " ( خر ٤٠: ٣٥ ) "

أمّا محقّق الكتاب "حسين أتامي" فقد ردّ إشارات ابن ميمون إلى مواضعها في العهد القـديم وكتبها بالعبريّة، وبالحروف العربيّة وها أنا ذا أثبتها في الحاشية بالعربيّة، وكمـا وردت فـي العهد القديم بالتّفصيل[1].

[1] - ابن ميمون، موسى: م.س، ص ٤٨.

إنّ لفظ "ملأ" في العبريّة كلفظ "ملأ" في العربيّة لفظًا ومعنى[1]، كما تبيّن معنا من خلال الأمثلة السّابقة، ويكتب بحروفه العبريّة هكذا [מלא] ومعناه: امتلأ، فاض، ملأ[2]، ويلفظ "ملا"، وأعلمني أحد تلامذتي أنّ اليهود يطلقون لفظ [המלא] وتلفظ "هملئا" على رجال الحكم وأعضاء البرلمان، فقلت هذا الذي أبحث عنه، وهي ليست بعيدة عن كلمة ملأ في العربيّة، وما سمّي الملأ ملأً، إلاّ لأنّهم يملأون أعين النّاس بعظمتهم ويتمالئون، ويتآمرون، ويتشاورون، لتحقيق أغراضهم.

والذي يهمّنا هنا، ما نحن بصدده، الجهة التّي تصدّت لنبي الله موسى عليه السلام، وقاومته فكريًا وماديًا.

إنّ الجهة التي تولّت كبر مقاومة نبي الله موسى عليه السلام ورسالته هي الفئة المستفيدة من ثبات الواقع وديمومته، وتمثّلت في فرعون وحاشيته وعلى رأسهم هامان وزيره، وقارون ذاك الرّجل الثريّ الذي خرج على بني إسرائيل، وهو منهم، والتفّ حول الحاكم وكدّس الأموال وانتفع بالنظام.

والفئة الثانيّة، التّي أخذت كثيرًا من جهد موسى عليه السلام ووقته، بنو إسرائيل وسأرجىء الحديث عن الحوار ما بين موسى عليه السلام وملئه للبابين الثاني والثّالث لأقتصر هنا على توضيح المفاهيم.

---

[1] – **ليس غريبًا أن نجد أكثر من ٤٠ % من ألفاظ العبريّة عربية ، أو قريبًا من الألفاظ العربيّة، فالعبريّة كالعربيّة لغة سامية .**

[2] – **د. كمال ربحي: م.س، ص ٢٦٤**

## المبحث الثاني: مفهوم الملأ في النصرانيّة:

الإنجيل متمّم ومصحّح للتّوراة، وما قيل عن اليهوديّة في خلوّها من لفظ "ملأ" يقال عن النصرانيّة، فالملأ مصطلح قرآني لا وجود له في التوراة ولا في الإنجيل، أمّا الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه فموجود، في الديانات الكتابية، فمبعث أيّ نبي يعني وجود أزمة وقضايا متشعّبة، ومعقّدة، بحاجة إلى معالجة.

ومن نافلة القول، أن أذكر أنّ هذه المسألة لا تمرّ بهدوء، فالفكرة الجديدة قابلة للأخذ والردّ، وسيكون هناك حوار وجدال، وسنجد هناك جهات تقف، وبكل قوّة تدافع عن المكتسبات القديمة، وقد تصرّ عليها، وقد تقبل بالدّين الجديد، وقد يتشبّث النّاس ويختلفون في أمرهم.

أمّا الجهة التّي تولّت كبر مقاومة نبي الله عيسى عليه السلام فكانت اليهود وخاصّة الكهَنة والكتبة والفريسيون ومن خلفهم الحاكم الروماني.

لمَ كان هذا؟ وما الذي آل إليه الأمر في نهاية المطاف؟ هذه الأسئلة وغيرها سنبحث لها عن أجوبة في البابين الثاني والثالث بإذن الله تعالى .

## المبحث الثالث: مفهوم الملأ في الإسلام:

تتبّعت لفظ "ملأ" ومشتقاته في القرآن الكريم، وإذا به قد ورد في ثلاثين موضعًا، كلّها في معنى واحد، الذي نحن بصدده، غير اثنين وردا للدّلالة على الملأ الأعلى[1] الذين هم الملائكة.

"الملأ": مصطلح قرآني، دأب القرآن على استعماله، ولم يختلف المفسّرون في المراد به، ولا أهل اللغة، وإنّما الفرق في دقّة العبارة وشمولها، أو طولها أو قصرها.

يقول ابن منظور: "ملأ الشيء يملأه ملأً، فهو مملوء، وملأه فامتلأ، وتملأ، وإنّه المـلأة، أي: الملء، لا التملّؤ.

والملأ: الرؤساء سمّوا بذلك، لأنّهم ملاء بما يحتاج إليه، وقيل : أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدّموهم الذين يرجع إلى قولهم، وكذلك الملأ إنّما هم القوم ذوو الشّارة والتجمّع للإدارة، وقد مالأته على الأمر ساعدته عليه وشايعته، وتمالأنا عليه: اجتمعنا، وتمالأوا عليه: اجتمعوا عليه، كقول الشّاعر:

وتحدّثوا ملأً لتصبح أمنا عذراء، لا كهل ولا مولودُ

أي: تشاوروا وتحدّثوا متمالئين على ذلك ليقتلونا أجمعين، فتصبح أمنا كالعذراء التي لا ولد لها"[2].

ويقول الفيروز آبادي: "الملأ كجبل التّشاور والأشراف والعلية والجماعة والطمع والظنّ، والقوم ذوو الشّارة والتجمّع والخلق، ومنه أحسنوا أملاءكم أي: أخلاقكم، والملاء بالكسر والاملئاء بهمزتين والملآء: الأغنياء المتموّلون، أو الحسنو القضاء، منهم الواحد مليء وقد

---

[1] - ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ (الصافات: ٣٧/٨)

- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (ص: ٣٨/٦٩)

[2] - ابن منظور: لسان العرب المحيط، م.س، مج ٥، ص ٥١٨، ٥١٩

ملا كمنع، ملاء وملاه على الأمر ساعده وشايعه، كمالاه وتمالأوا عليه: اجتمعوا"[1]، وقال في بصائر ذوي التمييز: "الملأ بالتحريك : الجماعة.

أي: ثاروا (تشاوروا) مجتمعين متمالئين على ذلك ليقتلونا أجمعين، فتصبح أمنا كأنّها لم تلد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ (القصص: ٢٨/٢٠)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (البقرة: ٢/٢٤٦).

والملأُ أيضاً: الأشراف، وفيه قوله ﷺ: "يا ابن سلمة أولئك الملأ من قريش"، والملأُ أيضاً: الخُلُق، يقال: "ما أحسن ملأ بني فلان، أي عشرتهم وأخلاقهم والجمع أملاء"[2].

وفي المعجم الوسيط: " الملأ: الجماعة وأشراف القوم وسراتهم، ويُقال: ما كان هذا الأمر عن ملأ منّا: عن مشاورة، والخلق يقال: ما أحسن ملأ فلان: أخلاقه وعشرته[3].

ويقول الراغب الأصبهاني: "ملأ: جماعة يجتمعون على رأي فيملأون العيون روادا ومنظراً، والنّفوس بهاءً وجلالاً، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (البقرة: ٢/٢٤٦)، يقال: فلان ملء العيون: أي معظّم عند من رآه، كأنّه ملأ عينه من رؤيته، ومنه قيل: شاب مالىءُ العين، والملأ: الخلق المملوء جمالاً، ومالأته: عاونته وصرت من ملئه: أي جمعه، نحو شايعته، أي صرت من شيعته[4].

ويقول السجستاني: "الملأ من بني إسرائيل يعني أشرافهم ووجوههم، واشتقاقه ملأت الشيء، ويقال فلان مليء إذا كان مكثراً، فمعنى الملأ الذين يملأون العين والقلب وما أشبه هذا"[5].

---

1 – الفيروز آبادي: القاموس المحيط، م.س ج١ ، ص ٢٩، ٣٠

2 – الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز، م.س، ج٤، ص ٥١٧

3 – د. أنيس، إبراهيم ومن ومعه: م.س، ج٢، ص ٨٨٢

4 – الراغب الأصبهاني: م.س، ص ٧١٩

5 – السجستاني، أبوبكر محمد بن عزيز: غريب القرآن، دار قتيبة، ط.١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٤١١

وتكاد تتّفق عبارات كثير من المفسّرين في تحديد معنى هذا المصطلح القرآني في كون الملأ من أشراف النّاس ووجوههم وأنّهم سمّوا بذلك لأنّهم يملأون العين مهابة وإجلالاً، ويملأون القلوب بما يحتاج إليه من قولهم، ويملأون المكان إذا حضروا، وأن "ملأ" اسم جمع كالقوم والرهط والجيش، وجمعه أملاء، وفي ذلك يقول الشّاعر:

وقال لها الأملاء من كلّ معشر        وخير أقاويل الرّجال سديدها[١].

يقول محمد الطّاهر بن عاشور "الملأ: الجماعة الذين أمرهم واحد، وهو اسم جمع كالقوم والرهط، وكأنّه مشتقّ من الملْء، وهو تعمير الوعاء ونحوه، وأنّه مؤذن بالتشاور لقولهم: تمالأ القوم إذا اتفقوا على شيء، والكلّ مأخوذ من ملء الماء، فإنّهم كانوا يلمأون قِربهم وأوعيتهم كلّ مساء، عند الورد، فإذا ملأ أحد لآخر فقد كفاه شيئا مهمّاً، لأنّ الماء قوام الحياة، فضربوا ذلك مثلاً للتّعاون على الأمر النّافع الذي به قوام الحياة، والتمثيل بأحوال الماء في مثل هذا قول عليّ (رضي الله عنه) : "اللهم عليك بقريش، فإنّهم قد قطعوا رحمي وأكفأوا إنائي" تمثيلاً لإضاعتهم حقّه[٢].

ويقول محمد سرور بن نايف بن زين العابدين : "الملأ هم بطانة الحكّام الظالمين وأعوانهم[٣]، وأصحاب المصالح، والأغنياء المترفون، والمنافقون، وزعماء المناطق

[1] – انظر: الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج٦، ص ١٤٤، الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، عالم الكتب، ١٩٨٥، ج٢ ص ٥٩٥، القرطبي، محمد بن احمد: الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص ٢٤٣، ابن عطية، عبدالحق:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ط.١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، الدوحة ج٢، ص ٣٥٢، القنوجي، صديّق حسن خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، تقديم ومراجعة ابراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٩م. ج٢، ص ٦٩، المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار احياء التراث العربي، [د.ت]، ج٢، ص ٢١٤، الصابوني، محمد بن علي: صفوة التفاسير، دار الصابوني ، القاهرة، مج١، ص ١٥٦

[2] – ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، م.س، ج٢، ص٤٨٤–٤٨٥

[3] – ليس بالضرورة أن يكون الملأ بطانة الحكام الظالمين، فمن الممكن أن يكونوا بطانة الأنبياء عليهم السّلام، أو بطانة الحكّام العادلين، قال تعالى على لسان سليمان ﷺ : (قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ) ( النمل: ٢٧/٣٨ )

والقبائل، ومن سنن الله في خلقه، أن يكون هؤلاء جميعا في طليعة من يتصدّى لأنبياء الله"(١).

ويقول ابن كثير: "الملأ هم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة، وقال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم"(٢).

وبالتّالي يكون معنى هذا المصطلح قد اتّضح، وبقي أن نعقّب بما ذكره الدكتور عبد الكريم زيدان على ماهية الملأ ومدى استحقاقهم لهذا المسّمى: "الملأ" هم البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم النّاس أشرافًا وسادة، أو يعتبرون بحسب مفاهيم المجتمع وقيمه -أشراف المجتمع وسادته، ومن ثمّ يستحقّون في عرف النّاس- قيادة المجتمع والرئاسة فيه، وقد يباشرون ذلك فعلاً.

وإطلاق كلمة الملأ على هؤلاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، هو من قبيل بيان الواقع لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلاً للشّرف والسيادة والقيادة والرئاسة. ويشبه هذا الإطلاق ما ورد في رسائل النبي ﷺ إلى رؤساء فارس والروم ومصر، فقد جاء في بعضها مخاطبة الرسول الكريم ﷺ إلى رئيس الروم بعبارة: "إلى عظيم الروم"[3]. فإطلاق هذه العبارة على رئيس الروم من قبيل بيان واقعه، وهو أنّه عظيم في نظر الروم لرئاسته لهم وليس بيانًا لاستحقاقه هذا الوصف(٤).

أمّا الذين تولّوا كبر مقاومة الرّسول محمد ﷺ ورسالته ومن معه فكريًّا وماديًّا، فكانوا زعماء قريش، ومن شايعهم من العرب وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمنافقين، ولا يخفى على أحد أنّ كلّ فريق من هؤلاء ظهر في فترة ومرحلة تختلف عن سابقتها، تبعًا للزّمان والمكان واختلاف المصالح.

---

[1] – زين العابدين، محمد بن سرور بن نايف: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، دار الأرقم، برمنجهام، المملكة المتحدة،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج١، ص ٥٩

[2] – ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، م.س، مج٣، ص ٧٠٧

[3] – البخاري، م.س ، ١كتاب بدء الوحي، ١باب بدء الوحي، ح٦

مسلم ، م.س ، ٣٣كتاب الجهاد و السير، ٢٦باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ح ٣٣٢٢

[4] – زيدان،عبدالكريم: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٣٨٠

وأمّا الأسباب التي دفعت بالملأ عامة، وفي سائر الديانات الكتابية خاصـــة إلـــى ذلـــك الكبر وتلك المقاومة، فهي ما سنتحدث عنه في البابين الثاني والثالث.

## الخلاصــــــة

لئن كان لفظ "ملأ" مصطلحاً قرآنياً أطلق في بعض المقامات القرآنية علــى بطانــة الأنبياء عليهم السّلام، والحكّام عامة، فسأركّز في هذه الرسالة على الفئة التّي كانــت تختلــف مصالحها مع النبي وتقف أمام رسالته، وتتولّى كبر مقاومته، وعلى كــلّ مــن نــاوأ الأنبيــاء ووقف في وجههم ومن تبعهم فكرياً ومادياً، سواء أطلق عليهم لفظ مــلأ أو غيــر ذلــك مــن المسمّيات، فلا مشاحة في الاصطلاح، ذلك لأنّ الحوار العقائدي والاجتماعي برز فــي حــوار الأنبياء عليهم السّلام مع هذه الفئة فقط، وسنرى كيف بدأ اللقاء بينهما؟ وهل أثمــر الحــوار أو الجدال بينهم؟ وكم كانت النجاحات والإخفاقات؟ وما السبب في ذلــك؟ وهــل كتــب لنبــي أن يرى ثمرة جهده في حياته؟

هذه الأمور وغيرها هي موضوع الرسالة وهي الإشــكاليّة المركزيّــة فيهــا، ومكانهــا البابان الثاني والثالث.

# الباب الثاني

# الحوار العقائدي بين الأنبياء عليهم السّلام والملأ

## الفصل الأول

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في التّوحيد

- المبحث الأول: حوار موسى عليه السلام مع الملأ في التوحيد
- المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في التوحيد
- المبحث الثالث: حوار محمّد ﷺ مع الملأ في التوحيد

## الفصل الثاني

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في النبوّة

- المبحث الأول: حوار موسى عليه السلام مع الملأ في النبوّة
- المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في النبوّة
- المبحث الثالث: حوار محمّد ﷺ مع الملأ في النبوّة

## الفصل الثالث

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في البعث

- المبحث الأول: البعث في اليهوديّة
- المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في البعث
- المبحث الثالث حوار محمّد ﷺ مع الملأ في البعث

## الفصل الأول

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في التّوحيد

### تمهيـــد:

أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم أن يعبدوه وألا يشركوا به شيئاً، وكـان ذلـك فـي عالَم الذرّ يوم أخرج الله بني آدم من ظهره ﷺ وأشهدهم على أنفسهم فـأقرّوا لـه بالتوحيـد وأذعنوا له بذلك، وحذّرهم من الغفلة والهوى ومتابعة الآباء والأجداد بالباطل، قال تعـالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (الأعـراف: ٧/١٧٢،١٧٣).

وأمدّهم بعد ذلك بالأنبياء والرّسل عليهم السّلام يبلّغونهم رسالة السّماء، ويعرّفـونهم بـربّهم، ويبشّرونهم وينذرونهم، ورفع العذاب عنهم حتّى يتمّ البلاغ، قـال تعـالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٧/١٥). ومع ذلك فقد تنكّر كثير من الخلـق للتّوحيـد ورفـضوه، وهنا جاء دور الأنبياء (عليهم السلام).

وسنجد في هذا الفصل إجابات شافية لهذه الأسئلة:

ما توحيد الألوهيّة؟ وما توحيد الربوبيّة؟ وما موقف البشريّة منهما؟

هل مسألة وجود الله موضع خلاف بين الأنبياء عليهم السلام والملأ؟ وهل جحد أحد من الناس الخالق عز وجل؟

ما سبب انحراف النّاس عن التوحيد؟ وما شبهتهم في ذلك؟

لماذا يتنكّر الملأ للتوحيد، وماذا يقلقهم منه؟ وهل يرفضونه عن قناعة وعدم إيمان؟

ما منهجيّة الأنبياء عليهم السلام في حوارهم للملأ في التّوحيد؟

## المبحث الأول: حوار موسى ﷺ مع الملأ في التوحيد:

### تمهيد:

مضت السنّة الربانيّة أنّ الرّسل تبعث في أقوامها، وبألسنتهم حتّى يكون البيان وتقوم الحجّة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، ويهلك من هلك عن بيّنة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم:١٤/٤).

وملأ النبي في العادة قومه، أو النخبة المترفة منهم، بينما ملأ موسى ﷺ زيادة على قومه: فرعون، ذلك الحاكم الذي كان يستعبد ويضطهد بني إسرائيل[1]، ولذلك كانت المهمّة التّي كلّف بها موسى ﷺ زيادة على تبليغ فرعون خبر السّماء وحثّه على الإيمان بالرّفق واللين[2]، إخراج بني إسرائيل من أرض العبوديّة، جاء في التوراة: "بعد ذلك ذهب موسى و هارون وقالا لفرعون: "هذا ما يعلنه الربّ، إله إسرائيل: أطلق شعبي ليحتفل لي في البريّة"[3]، وقال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ (طه: ٢٠/٤٧).

ترى هل أذعن فرعون لخبر السّماء فسارع إلى الإيمان بالله؟ وهل استجاب لطلب موسى ﷺ؟ وهل أكرم وفادته، وسهّل مهمّته؟ أم ما الذي قام به؟ وماذا كان ردّ فعله؟ وهل آمن بنو إسرائيل بالله؟ وهل ثبتوا على إيمانهم؟

هذه الأسئلة وغيرها، نحاول الإجابة عليها، من خلال حواره ﷺ مع فرعون وملئه، ومع قومه كذلك.

---

1 – قال تعالى: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) الشعراء: ٢٦/٢٢

2 – قال تعالى: (فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) طه: ٢٠/٤٤

3 – خر ٥: ١

## مقابلة موسى عليه السلام لفرعون:

جاء في التّوراة: "وبعد ذلك ذهب موسى وهارون وقالا لفرعون: "هذا ما يعلنه إله إسرائيل: أطلق شعبي ليحتفل لي في البرّية"، فقال فرعون: "من هو الربّ حتّى أطيع أمره وأطلق إسرائيل؟ أنا لا أعرف الربّ ولن أطلق بني إسرائيل"، ثمّ قالا: "إنّ إله العبرانيين قد التقانا، فدعانا نذهب مسيرة ثلاثة أيّام في الصحراء، لنقدّم ذبائح للربّ إلهنا لئلا يعاقبنا بوبأ أوسيف" فقال لهما ملك مصر: "يا موسى وهارون، لماذا تعطّلان الشّعب عن أعماله؟ ارجعوا إلى أعمالكم الشّاقة"، ثمّ قال فرعون: "هو ذا شعب الأرض قد كثر الآن، وأنتما تريدان أن تريحاهم من الأعمال الشّاقة"[1].

وهكذا لا نجد في التوراة ما يشفي الغليل من حوار في التّوحيد، وحتّى الأسئلة التّي طرحها فرعون في هذه الفقرة، لم تحظَ بإجابة شافية، وإنّما حيدة وهروب، ففرعون يتنكّر لربّ العالمين، ويتجاهله تمامًا، ويعلن عن رفضه المطلق لإطاعة أمر هذا الربّ، وتأتي الإجابة من موسى وهارون عليهما السّلام بكلّ ضعف، أنّ إله العبرانيين التقاهما ودعاهما للذهاب مسيرة ثلاثة أيّام في الصحراء، لتقديم الذبائح، وإلاّ فالعقاب حاصل، وماذا بعد ذلك؟ أعودة إلى العبوديّة؟ أم إلى أين؟ الحوار ضعيف، وأبعد ما يكون عن الحوار والحِجاج في التّوحيد، وإنّه ليكاد يكون النصّ الوحيد الذي في هذا الموضوع.

إنّ فرعون في هذا النصّ يتعامل كإقطاعي يتحكّم في مجموعة من العبيد، ويخشى من عرقلة العمل، وانخفاض الإنتاج، نتيجة تلبية مطلب موسى وهارون عليهما السّلام.

وأمّا موسى وهارون عليهما السّلام فحجّتهما وفق النصّ ضعيفة جدّاً، فلم يحدّثا عن الربّ ولم يعرّفا بصفاته، ولم يقيما الأدلّة على ذلك، ولم يحذّرا فرعون من عاقبة رفضه وكفره وعناده. وأما الخروج ببني إسرائيل للاحتفال في البرّية مسيرة ثلاثة أيّام فلا يعني أكثر من إجازة عمل، ولا يفهم منه أكثر من ذلك، ولذا لم يكن من فرعون إلا الرّفض واتّخاذ إجراءات قاسيّة تجاه بني إسرائيل، في استعبادهم، وفي التّضييق عليهم، ومطالبتهم بتوفير نفس كميّة الإنتاج السابقة من اللبن، ممّا ألّبهم وحرّضهم ضدّ موسى وهارون، جاء

---

[1] - خر ٥: ١-٥

في التوراة: "فوجد رؤساء عمّال بني إسرائيل أنفسهم في ورطة سيئة بعد أن قيل لهم انتجوا من لبنكم فريضة كلّ يوم بيومه، لا تنقصوا منها شيئا، وصادفوا موسى وهارون وهما واقفان في انتظارهم عند خروجهم من لدن فرعون، فقالوا لهما: "لينظر لكما الربّ ويقض، لقد كرّهتما بنا فرعون وحاشيته، وأعطيتماهم سيفاً في أيديهم ليقتلونا، فرجع موسى إلى الربّ، وقال: "لماذا أسأت إلى شعبك يا ربّ؟ لماذا أرسلتني؟ فمنذ أن جئت لأخاطب فرعون باسمك، أساء إلى الشّعب، وأنت لم تخلّص شعبك على الإطلاق"[1].

ولم يكن من بني إسرائيل إلاّ الغضب والتذّمر من موسى وهارون عليهما السلام، ولم يكن منهما إلا التذمّر والشكوى للربّ وإظهار اليأس والقنوط من بداية الطّريق.

وتتكرّر الوعود في التّوراة بمعاقبة فرعون، إن أصرّ على رفضه إطلاق سراح بني إسرائيل، ويعاود موسى عليه السلام الحديث مع بني إسرائيل، ويلحّ في مطالبة فرعون بتسريح الشّعب، وذلك ما سجّلته التوراة في الفقرات الآتية:

- "فأجاب الربّ موسى : "سترى الآن ما أنا فاعله بفرعون، لأنّي بيد قديرة، سأجعله يطلقهم، بل يطردهم طردًا أيضاً"[2].
- "فخاطب موسى بني إسرائيل، ولكنّهم لم يصغوا إليه لتوجّع نفوسهم وعبوديّتهم القاسية، فأجاب موسى: "هوذا بنو إسرائيل لم يصغوا إليّ، فكيف يستمع إلي فرعون، وأنا ثقيل اللسان؟ "فخاطب الربّ موسى وهارون وأمرهما أن يرجعا إلى بني إسرائيل، وفرعون ملك مصر، لكي يطلق بني إسرائيل من أرض مصر"[3].

وأغرب فقرة تسوقها التّوراة، أن جعلت من موسى عليه السلام إلهاً لفرعون، ممّا يدلّ دلالة واضحة، أنّها من وضع الكتَبَة، وليس من كلام ربّ العالمين، فأنّى لنبي أن يدّعي الألوهيّة، وقد أرسله الله لطاغية، يدّعيها، وينازع الله فيما هو له، وفي ذلك تقول التّوراة: "فقال الرّب لموسى: "أنا جعلتك كإله لفرعون" وهارون أخوك يكون كنبيّ لك، فعليك أن تبلّغه بكل ما

---

1 - خر ٥: ١٩-٢٣

2 - خر٦: ١

3 - خر٦: ٩-١٣

آمرك به، فيخاطب أخوك هارون فرعون كي يطلق سراح بني إسرائيل من بلاده، ولكنّي أقسي قلب فرعون فأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر، إلاّ أنّ فرعون لن يستمع لكما، عندئذٍ أضرب مصر واخرج شعبي إسرائيل من أرض مصر بقوات إحكام عظيمة"[1].

وهكذا يستمرّ الأمر في أخذ وردّ حتّى يتمكّن موسى وهارون من إخراج بني إسرائيل من مصر، بعيدًا عن الموضوع الذي نحن بصدده، وهو الحوار في التوحيد، والذي أغفلت عنه التّوراة ولم تأبه به.

فلا بدّ إذن والحال كذلك من الرجوع إلى القرآن الكريم، لننظر ذلك الحوار، ولنكمل النّقص، وليتّضح الأمر.

---

1 - خر٧: ١-٧

**حوار موسى عليه السلام مع فرعون في التّوحيد من خلال القرآن الكريم:**

قال السّعدي: " القرآن كلّه لتقرير التّوحيد ونفي ضدّه، وأكثر الآيات يقرّر الله فيها توحيد الألوهيّة وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ويخبر أن جميع الرّسل إنّما أرسلت تدعو قومها إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنّ الله تعالى إنّما خلق الجنّ والإنس ليعبـــدوه، وأنّ الكتب والرّسل، بل الفطر والعقول السليمة كلّها اتّفقت على هذا الأصل، الذي هو أصل الأصول كلّها، وأن من لم يدن بهذا الدّين الذي هو إخلاص العبادة والقلب والعمل لله وحده، فعمله باطل: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (الزمر:٣٩/٦٥) ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/٨٨).

ويدعو العباد إلى ما تقرّر في فطرهم وعقولهم من أنّ الله المنفرد بالخلق والتدبير، والمنفرد بالنِعم الظاهرة، هو الذي يستحقّ العبادة وحده، ولا ينبغي أن يكون شيء منها لغيره، وأنّ سائر الخلق ليس عندهم أيّ قدرة على خلق، ولا نفع، ولا دفع ضرّ عن أنفسهم فضلاً عن أن يغنوا عن أحد غيرهم من الله شيئاً[1].

أمّا فرعون فلم يلتفت لشيء من هذا، بل أعرض عن التّوحيد، وعبّد بني إسرائيل، وكما قلت في مقدّمة مفهوم النبوة، إنّ بعث أيّ نبي يواكب أزمة من الأزمات، وأيّ أزمة أعتى وأشدّ من تنكّر حاكم للربوبيّة والألوهيّة، وتعبيد بني البشر؟!

يقول عادل أبو العلا معلّقًا على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٠٤) إنّي مرسل لكم لكي أدعوكم إلى من يستحقّ العبادة وحده وهو الله ربّ العالمين الذي له في كلّ عالم من العوالم تربية ظاهرة، ورعاية مستمرّة، فهو الحقيق بأن يكون ربّاً وهو الحقيق بأن يكون إلهاً، وهذه الآية تعريض بفرعون الذي قال لقومه في آية أخرى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٧٩/٢٤)، وإنّما سلك موسى عليه السلام معه

---

[1] – السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: القواعد الحسان في تفسير القرآن، مركز صالح بن صالح الثقـافي، السـعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج٨ ص ٢٣

مسلك التعريض من أول الأمر، لأنّه الأمثل في أسلوب الدّعوة إلى الله تعالى، ولعلّ فرعون يتنبّه بقول موسى: ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٠٤) الذي هو واحد منهم، فينظر في حال نفسه، ويصغي بقلبه إلى دعوة موسى عليه السلام"[1].

ومن هنا يبدأ الحوار، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ٢٠/٤٩-٥٥)

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٦/٢٣-٢٩).

ويبلغ فرعون الذروة في غطرسته، واستخفافه بمن حوله من ملئه فيدّعي الألوهية، ومع إقراره بوجود آلهة أخرى، إلا أنه لا يريد لأحد أن يدين لإله غيره، وبلغت به الجرأة أن هدّد موسى عليه السلام بالسجن إن لم يتخذه إلهاً.

ولم تك تلك فلتة لسان، ندم عليها فرعون وإنما سياسة اتّبعها وأصرّ عليها، وأعلنها لملئه في كل مناسبة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

---

[1] - د. أبو العلا، عادل محمد: الصراع بين الحقّ والباطل، كما جاء في سورة الأعراف، مطبوعات، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط.١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ص ٣٦٢-٣٦٣

غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨/٢٨) ولم يكتف بذلك بل تجاوز الحدّ عندما ادّعى الربوبية، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤/٧٩)(١).

وكما قال ابن تيمية: إن الله لم يذكر جحود الصائغ إلا عن فرعون موسى[٢]. ومع ذلك ينفي الرازي عن فرعون اعتقاده بكونه خالقا، وإنما كان دهريّاً منكراً للصانع فيقول "إنه لا يجوز أن يعتقد الإنسان في نفسه كونه خالقًا للسماوات والأرض والجبال والنبات والحيوان والإنسان، فإن العلم بفساد ذلك ضروري، فمن تشكّك فيه كان مجنوناً، ولو كان مجنوناً، لما جاز من الله بعثه الأنبياء والرسل إليه بل الرجل كان دهريّا، منكراً للصانع والحشر والنشر، وكان يقول ليس لأحد عليكم أمر ولا نهي إلاّ لي، فأنا ربّكم بمعنى مربّيكم، والمحسن إليكم وليس للعالم إله حتى يكون له عليكم أمر ونهي، أو يبعث إليكم رسولاً. قال القاضي عياض: وقد كان الأليق به بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية، أن لا يقول هذا القول، لأنّ عند ظهور الذلة والعجز، كيف يليق أن يقول:﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾؟ (النازعات:٢٤/٧٩)، فدلّت هذه الآية على أنه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول[٣] وما كان له أن يدّعي الألوهية، ولا الربوبية، ولا أن ينكر الصانع، وكانت عقوبته كما قال الله تعالى: " فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ" (النازعات: ٢٥/٧٩ ) [٤]عقوبة له وردعاً لأمثاله، يقول ابن كثير:

---

[1] – القول الذي نادى به هو تذكير قومه بمعتقدهم فيه، فإنّهم كانوا يعتبرون ملك مصر إلهًا، لأنّ الكهنة يخبرونهم بأنّه ابن ( أمون رَعْ ) الذي يجعلونه إلهًا، ومظهره الشمس، فوصف نفسه بالربّ الأعلى لأنّــه ابنــه، وهــو الــربّ الأعلى، فابنه هو القائم بوصفه، أو لأنّه كان في عصر اعتقاده أنّ فرعون ربّ الأرباب المتعدّدة عنــدهم فــصفة الأعلى صفة شاملة. – ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، م.س، ج٣٠، ص ٨٠، ٨١

[2] – ابن تيمية، أحمد: الإيمان، م.س، مج٧ ص ٦٣٠

[3] – الرازي، فخرالدين محمد بن عمر( ٥٤٤هـ/٦٠٤هـ): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م.ت، مج١٦،ج٣١، ص ٣٩

[4] – (نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى)، عن ابن عبّاس: كلمته الأولى ( مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَــهٍ غَيْــرِي ) والآخــرة ( أَنَــا رَبُّكُــمْ الأَعْلَـــى ) والتنكيل والإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة.

– انظر: الزمخشري، محمود بن عمر: الكشّاف، مج٤ ، ص ٢١٤.

"يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه، وافترائه في دعواه الإلهيّة لنفسه القبيحة، كما قال الله عنه: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٥٤)، وذلك أنّه دعاهم إلى الاعتراف به بالإلهيّة، فأجابوه إلى ذلك بقلّة عقولهم وسخافة أذهانهم، ولهذا قالك ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٢٨/٣٨)، وقال تعالى إخباراً عنه: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ (النازعات:٧٩/٢٣-٢٦) يعني: أنّه جمع قومه، ونادى فيهم بصوته العالي مصرّحا لهم بذلك، فأجابوه سامعين مطيعين، ولهذا انتقم الله تعالى منه، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة، وحتّى أنّه واجه موسى الكليم بذلك، فقال: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء:٢٦/٢٩)، وقوله: "فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ" (القصص:٢٨/٣٨) يعني: أمر وزيره هامان، ومدير رعيّته، ومشير دولته أن يوقد له على الطين، فيتّخذ له آجرًا لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع العالي، كما قاله في الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ (غافر:٤٠/٣٦-٣٧)[1].وذلك لأنّ فرعون بنى هذا الصّرح الذي لم ير في الدّنيا بناء أعلى منه، إنّما أراد بهذا أن يظهر لرعيّته تكذيبه موسى، فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون، ولهذا قال: "وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ " أي: قوله إن ثمّ ربًّا غيري، لا

– الطبري، محمد بن جرير: م.س، ج٣٠، ص ٤٢ – القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن،م.س، ج١، ص ٢٠٢

– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص ٤٦٩ – ابن تيميّة، أحمد: الإيمان،م.س، ص ٦٣١

[1] – (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ )أي: وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطّلاع إلى إله موسى إلا في خساروذهاب مال وغبن، فقد ذهبت نفقته على الصرح باطلاً، ولم ينل شيئا ممّا أراده – الطبري: م.س، مج ١٢ ص ٦٦

أنّه كذبه في أنّ الله تعالى أرسله، لأنّه لم يكن يعترف بوجود الصّانع جلّ وعلا، فإنّه قال: "وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ" (الشعراء: ٢٦/٢٣) وقال: "قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ" (الشعراء: ٢٦/٢٩)، وقال: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى" (القصص: ٢٨/٣٨)[1].

## المحطّة الأخيرة هلاك فرعون:

لمّا بلغ فرعون الأوج في تبجّحه وعناده، حيث ادّعى الألوهيّة، والربوبيّة، وهدّد نبي الله بالسّجن إن لم يتّخذه إلهًا، وبذلك يكون فرعون قد وصل المحطّة الأخيرة في حوار التّوحيد، ليعلن عن إيمانه بالله، ولكن بعد فوات الأوان لأنّه أدركه الغرق، قال تعالى: "حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ" (يونس: ١٠/٩٠-٩١) قال السّعدي: "جرت عادة الله، أنّ الكفّار إذا وصلوا إلى هذه الحالة الاضطراريّة، أنّه لا ينفعهم إيمانهم، لأنّ إيمانهم صار إيمانًا مشاهدًا كإيمان من ورد القيامة، والذي ينفع، إنّما هو الإيمان بالغيب"[2].

وقال الطبري: " يقول تعالى معرّفًا فرعون قبح صنيعه أيّام حياته، وإساءته إلى نفسه أيّام صحّته، بتماديه في طغيانه ومعصيته ربّه حين فزع إليه في حال حلول سخطه عليه، ونزول عقابه، مستجيرًا به من عذابه الواقع به، لمّا ناداه وقد علَته الأمواج، وغشيته كرب الموت: " أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ " له المنقادين بالذلّة له، المعترفين بالعبوديّة، الآن تقرّ بالعبوديّة، وتستسلم له بالذلّة، وتخلص له الألوهية، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض،

---

1 – ابن كثير: تفسيرالقرآن العظيم ، ج٣، ص ٣٧٦

2 – السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن، ج٣، ص ٣٨٥

الصاديّن عن سبيله، فهلا وأنت في مهل، وباب التوبة مفتوح أقررت بما أنت به الآن مقر"[1].

ويقول ابن كثير عن فرعون وملئه: "وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفّضهم، وتراكمت الأمواج، فوق فرعون، وغشيته سكرات الموت، فقال وهو كذلك: "ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ"، فآمن حيث لا ينفعه: "فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدۡ خَلَتۡ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ" (غافر: ٣٥/٨٤-٨٥)[2].

ويبيّن الرّازي سبب عدم قبول إيمان فرعون فيقول:" إنّه آمن ثلاث مرّات أوّلها قوله: (ءَامَنت) وثانيها: قوله: "لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ" (يونس: ١٠/٩٠) وثالثه: قولـــه: "وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ"، فما السبب في عدم القبول، والله تعالى متعال عن أن يلحقه غيظ وحقد حتّى يقال: إنّه لأجل ذلك الحقد لم يقبل منه هذا الإقرار؟

والجواب من وجوه:

<u>الوجه الأوّل</u>: أنّه إنّما آمن عند نزول العذاب، والإيمان في هذا الوقت غير مقبول، لأنّ عند نزول العذاب يصير الحال وقت الإلجاء، وفي هذه الحالة لا تكون التوبة مقبولة، ولهذا السبب قال تعالى: "فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا".

<u>الوجه الثاني</u>: أنّه ذكر هذه الكلمة ليتوسّل بها إلى دفع تلك البليّة الحاضرة والمحنة الناجزة، فما كان مقصوده من هذه الكلمة الإقرار بوحدانيّة الله تعالى، والاعتراف بعزّة الربوبيّة وذلّة العبوديّة، فما كان ذكر هذه الكلمة مقرونًا بالإخلاص، فلهذا السبب ما كان مقبولاً.

---

1 – الطبري: م.س، مج ٧، ج ١١، ص ١٦٤

2 – ابن كثير: م.س، ج٢، ص ٤١٢.

**الوجه الثالث:** أنّ ذلك الإقرار كان مبنيًّا على محض التقليد، ألا ترى أنّه قال: "لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ"، فكأنّه اعترف بأنّه لا يعرف الله، إلاّ أنّه سمع من بني إسرائيل أنّ للعالم إلهًا، فهو أقرّ بذلك الإله الذي سمع من بني إسرائيل أنّهم أقرّوا بوجوده، فكان هذا محض التقليد، فلهذا السبب لم تصر الكلمة مقبولة منه، وفرعون من الدّهرية، المنكرين بوجود الصانع تعالى، ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته، إلاّ بنور الحجج القطعيّة والدّلائل اليقينيّة، وأمّا بالتقليد المحض فهو لا يفيد، لأنّه يكون ضماً لظلمة التقليد إلى ظلمة الجهل السّابق"[1].

**حوار موسى عليه السلام مع قومه في التوحيد:**

لم يك بنو إسرائيل بأهون على موسى عليه السلام من فرعون، وقد ابتلوا بعبادة الأصنام، ورغم التّوجيهات المستمرّة، والنداءات المتتابعة إلاّ أنّهم غرقوا في عبادة الأصنام، وهذا ما أغضب الربّ عليهم، ولم يقبل منهم توبة إلاّ بتقتيل أنفسهم.

وكان ينتظر منهم لمّا نجّاهم الله من عدوّهم فرعون، أن يشكروه، وأن يداوموا على طاعته وعبادته، كما فعلوا بصيام عاشوراء مثلاً[2]، إلاّ أنّهم ما أن نجّاهم الله حتّى فتنوا بعبادة الأصنام تقليدًا لغيرهم، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة كما لهم آلهة، قال تعالى: "وَجَـٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَـٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَـٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ" (الأعراف: ٧/١٣٨-١٤٠).

---

[1] – الرازي: م.س، مج٩، ج١٧، ص١٢٢

[2] – عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا ؟ قالوا: هـذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوّهم، فصامه موسى، قال: أنا أحقّ بموسى منكم فصامه وأمـر بصيامه " البخاري:م.س، ٣٠، كتاب الصوم، ٦٩، باب صيام يوم عاشوراء، ح ١٨٦٥

يقول ابن كثير: " يخبر تعالى عمّا قاله جهلة بني إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا، فمرّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادة العجل بعد ذلك فقالوا: "يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" أي: تجهلون عظمة الله وما يجب أن ينزّه عنه من الشريك والمثيل"[١].

ولم تجد النصائح ولا التّوجيهات آذانًا صاغيةً من بني إسرائيل فقد أولعوا بحبّ العجل، وسرعان ما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربّه انحرفوا وعبدوه.

ولم يكتف كتَبَة التّوراة بتصوير قبح ما فعل بنو إسرائيل، وإنّما زادوا عليه بأن نسبوا صناعة العجل لنبي الله هارون عليه السلام، تقول التّوراة:

١. "ولمّا رأى الشّعب أنّ موسى قد طالت إقامته على الجبل، اجتمعوا حول هارون، وقالوا: هيّا اصنع لنا إلهًا يتقدّمنا في مسيرنا لأنّنا لا ندري ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذي أخرجنا من ديار مصر، فأجابهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وبنيكم وأعطوني إيّاها، فنزعوها من آذانهم وجاؤوا بها إليه، فأخذها منهم وصهرها وصاغ عجلاً، عندئذ قالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر، وعندما شاهد هارون ذلك شيّد مذبحًا أمام العجل وأعلن : هذا هو عبد للرب"[٢].

٢. "فأمر الربّ موسى: "قم فأنزل فإنّ الشعب الذي أنزلته من ديار مصر قد فسد، إذ انحرفوا سريعًا عن الطريق الذي رسمته لهم، فصاغوا لهم عجلا وعبدوه، وذبحوا له الذبائح هاتفين: هذا هو إلهك يا إسرائيل الذي أخرجك من ديار مصر"[٣].

---

[1] – ابن كثير: م.س، ج٢، ص ٢٣٣

[2] – خر ٣٢: ١-٥

[3] – خر ٣٢: ٧-٨

٣. "وما أن اقترب موسى من المخيّم وشاهد العجل والرقص حتى احتدم غضبه وألقى باللوحين من يده وكسرهما عند سفح الجبل، ثمّ أخذ العجل الذهبي وأحرقه بالنّار وطحنه حتى صار ناعمًا، وذراه على وجه الماء وأرغمهم على الشرب منه"(١).

ويحاور موسى عليه السلام هارون في ذات الموضوع فيقول: "ماذا فعل بك هذا الشّعب حتى جلبت له هذه الخطيئة العظيمة ؟ فأجاب هارون: لا يحتدم غضب سيّدي، إنّك تعرف شرّ هذا الشّعب لقد قالوا لي: اصنع لنا إلها يتقدّمنـــا في مسيرنا، لأنّنا لا ندري ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذي أخرجنا من ديـــار مصر، فقلت لهم: من لديه ذهب فلينزعه ويعطيني إيّاه فطرحته في النّار فخرج هذا العجل"(٢).

وكان قبول توبتهم بتقتيل أنفسهم عقوبة لهم، تقول التوراة: "وقف (موسى) في باب المخيّم وصاح: "كلّ من يتبع الربّ فليقبل إلى هنا"، فاجتمع حوله اللاويون، فهتف بهم: "هذا ما يعلنه الربّ إله بني إسرائيل ليتقلّد كلّ واحد سيفه، وجولوا في المخيّم ذهابًا وإيّاباً من مدخل إلى مدخل واقتلوا كلّ داعر سواء أكان أخًا أم صاحبًا أو قريبًا" فأطاع اللاويون أمر موسى، فقتل من الشّعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل"(٣).

وقد ورد ذكر العجل في القرآن الكريم ثماني مرّات في موضع الشنعة والقبحة لسوء فعلهم[4]. وورد ذكر القصّة متّصلة في موضعين،[5] إن أهمّ ما تميّز به النصّ القرآني تبرئة هارون عليه السلام ممّا ألصقته به التّوراة من صناعة العجل، أو أنّه شيّد مذبحًا أمامه، وإنّما الذي فعل ذلك هو السامري، وإن الذين عكفوا على عبادة العجل كادوا أن يقتلوه ، فقد رأوه

---

[1] – خر ٣٢: ١٩-٢٠

[2] – خر ٣٢: ٢١-٢٤

[3] – خر ٣٢: ٢٦-٢٨

[4] – ( سورة البقرة: ٢/٥١، ٥٤، ٩٢، ٩٣ ) سورة النساء: ٤/١٥٣) سورة الأعراف: ٧/١٤٨، ١٥٢) (طه: ٢٠ / ٨٨).

[5] – ( الأعراف: ٧/١٤٨ – ١٥٥) (طه ٢٠/ ٨٣ – ٩٨ )

ضعيفاً[1]، وإنّه لم يلحق بموسى عليه السلام هو ومن لم يعبد العجل مخافة أن يتّهم بالتفريق بين جماعة بني إسرائيل.

والتقت التّوراة والقرآن الكريم في أنّ قبول توبة بني إسرائيل كانت بتقتيلهم أنفسهم[2].

والآيات التاليّة تشكّل حواراً بين الربّ جلّ وعلا وموسى عليه السلام وبني إسرائيل وهارون عليه السلام والسامري، قال تعالى: "وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ

---

٧ - (قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) **(الأعراف:٧/١٥٠)**

2 - (وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) **( سورة البقرة: ٢/٥٤)**

فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا " (طه: ٢٠/٨٣-٩٨).

ولم ينفكّ بنو إسرائيل عن عبادة العجل والأصنام، ولذا جاء التصوير القرآني لمحبّتهم لعبادة العجل بشرب قلوبهم لمحبّته قال تعالى: "وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ" (البقرة: ٢/٩٣).

يقول الرازي: "وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ، معناه: تداخلهم حبّه، والحرص على عبادته، كما يتداخل الصبغ الثوبَ، وكما أن الشرب مادّة لحياة ما تخرجه الأرض، فكذا تلك المحبّة كانت مادّة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال"[1].

ويقول القرطبي: "وإنّما عبر عن حبّ العجل بالشرب دون الأكل لأنّ شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام مجاور لها غير متغلغل فيها"[2].

وحيثما تنقّلنا في الأسفار الخمسة أو كتب الأنبياء نجد المعضلة التي واجهت أنبياء بني إسرائيل مع قومهم بعد طلباتهم المتعدّدة، التي لا تنتهي، هي التحذير من عبادة الأصنام[3].

وأكتفي هنا بذكر ثلاثة مقاطع تدلّ على تغلغل محبّة عبادة الأصنام في قلوبهم:

١. "واقترف بنو إسرائيل الشرّ في عيني الربّ وعبدوا البعليم، ونبذوا الربّ إله آبائهم الذي أخرجهم من ديار مصر، وغووا وراء آلهة أخرى، من أوثان الشعوب المحيطة بهم، وسجدوا لها، فأغاظوا الربّ، تركوا الربّ وعبدوا البعل وعشتاروت[4]، فاحتدم غضب الربّ عليهم وتركهم تحت رحمة الغُزاة"[1].

---

1 – الرازي: م.س، مج٢، ص ١٧١.

2 – القرطبي: م.س، ج٢، ص ٣٢.

3 – انظر: ( الوصايا العشر: خر ٢٠: ٣-٥ ) و ( عد ٢٥: ١-٥ ) و ( تث ٤: ٣-٤ ) و ( تث ٤: ١٥-٩) و( تث ٧: ١-٥ ) و ( تث ١٢: ٢٩-٣٢ ( و قض ١٧: ١-٧ ) و ( اش ٤٤: ٦-٢٠ )، ومثلها كثير.

4 – عشتاروت: آلهة الحبّ والخصب، ان اتشرت عبادتها جدًا في الشرق الأدنى. جدول الشروح: م.س، ص ٤٢٧.

٢. "وعاد بنو إسرائيل يرتكبون الإثم في عيني الربّ، وعبدوا البعليم وعشتاروت، وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة عمّون، وآلهة الفلسطينيين وبني عمّون"(٢).

٣. "قد خر وانحنى بيل ونبُو إلاها بابل، وحملوا تماثيلهما على الحمير المرهقة، التي ناءت بأثقالها، سقطت جميعها وعجزت عن حماية نفسها، بل أخذت هي نفسها إلى السَبي مع المأسورين". "اصغوا إليَّ يا بيت يعقوب، ويا بقيّة ذريّة إسرائيل الذين حَمَلْتُهُم منذ أن حبل بهم، وتكفلت بهم منذ مولدهم، وبقيت أنا حتى زمن شيخوختكم وحملتكم في مشيكم، أنا صنعتكم لذلك أنا أحملكم، وأخلصكم، بمن تشبهونني وتعادلونني وتقارنونني حتى نكون متماثلين؟".

هل بالذين يفرغون الذهب من الكيس، ويزنون الفضّة بالميزان، ويستأجرون صائغاً ليسبكها إلهًا، ويخرّون لها ساجدين؟ يرفعونها على أكتافهم، وينقلونها لينصبوها في موضعها حيث تستقرّ هناك لا تبرح مكانها، وإن استغاث بها أحد لا تستجيب، ولا تنجّيه من محنته، اذكروا هذا واتّعظوا، انقشوه في أذهانكم يا عصاة تذكّروا الأمور الغابرة لأنّي أنا الله وليس آخر"(٣).

---

[1] - قض ٢: ١١-١٤.

[2] - قض ١٠: ٦-٧.

[3] - اش ٤٦: ١-٩

لم يكن موسى عليه السلام في العهد القديم أكثر من زعيم قومي همّه الوحيد أن يخلّص شعبه من براثن فرعون، فلذلك لم تثبت التّوراة حواراً في التوحيد بين موسى عليه السلام وفرعون، وعندما كان فرعون يتنكّر لوجود الله، ويعلن عن عدم معرفته للربّ، ما كان موسى عليه السلام يلتفت لإنكاره وتجاهله، ولا يردّ عليه، وإنّما يواصل مطالبته بإطلاق سراح بني إسرائيل، وكأنّ قضيّة التوحيد مسألة ثانويّة، لا قيمة لها.

وبعدما تمكّن موسى عليه السلام من الخروج ببني إسرائيل من مصر، كان بنو إسرائيل أعتى عليه من فرعون، فلم يتجذّر التّوحيد في قلوبهم، فقد عكفوا على عبادة الأصنام تماماً، وتخصّصوا في عبادة العجل، بل أحبّوا العجل من كلّ قلوبهم، فلم يكن خروجهم والحالة تلك خروجاً دينيّاً وإنّما خروجًا قوميّاً، فلم ينجح عليه السلام في تربيتّهم على التّوحيد.

ومنهج التّوراة كان منهجًا قصصيّاً وعظيّاً في معظم الحالات.

وعلى النقيض من ذلك فقد كان دور موسى عليه السلام كما سجّله القرآن الكريم إيجابيّاً في تركيزه على التوحيد، ومحاججته لفرعون وإقامة الأدلّة الدّامغة عليه، حيث كان منهجه فطريّا علميّا، يخاطب العقل والفطرة ويذكّر بنعمتي الخلق والهداية، كما كان منهجه وعظيّا إرشاديّا، يجمع ما بين الترغيب والترهيب.

أمّا بنو إسرائيل فكما جاء وصفهم في التّوراة صلابة وتمرّد وقسوة قلب، وبعد عن التوحيد ومداومة على عبادة الأصنام، فقد أكدالقرآن الكريم على تلك الأوصاف التّي أصبحت ملازمة لهم تماماً.

## المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في التوحيد:

### تمهيد:

قبل أن نتحدّث عن حوار المسيح عليه السلام مع ملئه في التوحيد، لا بدّ من أن نحيط علمًا، بالزّمان والمكان والسّلطان، الذي كان يعيش إبّانه، حتّى تكتمل الصورة ويتّضح الأمر.

فقد "وُلد يسوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهوديّة، على عهد الملك هيرودس[1] وكان في زمن هيردوس ملك اليهوديّة كاهن اسمه زكريا"[2] وهو الذي كفل مريم أمّ المسيح عليهما السّلام[3].

"وفي ذلك الزّمان أصدر القيصر أغسطس مرسوماً يقضي بإحصاء سكّان الإمبراطوريّة، وقد تمّ هذا الإحصاء الأوّل عندما كان كيرنيوس حاكما لسورية، فذهب الجميع ليسجّلوا كلّ واحد في بلدته، وصعد يوسف أيضا من مدينة النّاصرة بمنطقة الجليل، إلى مدينة داود المدعوّة بيت لحم بمنطقة اليهوديّة، لأنّه كان من بيت داود وعشيرته، ليتسجّل هناك مع مريم المخطوبة له، وهي حبلى، وبينما كانا هناك، تمّ زمانها لتلد، فولدت ابنها البكر، ولفّته بقماطٍ وأنامته في مذود، إذ لم يكن لهما متّسع في المنزل"[4].

وفلسطين وقتئذٍ جزء لا يتجزّأ من الإمبراطورّة الرومانيّة، فقد ورد في كتاب إنجيل القدس: "فلسطين الرومانيّة حتّى أدريان (٦٣ق.م -١٣٥م)"[5]. ويعبّر شارحو إنجيل لوقا عن فلسطين بقولهم: "فلسطين المحتلّة الجاثمة تحت نير الاستعمار الغربي الروماني"[6]. ويقولون: "حكم هيرودس الكبير اليهوديّة من عام ٣٧ - ٤ ق.م[7].

---

1 - مت ٢ : ١

2 - لو ٥: ١

3 - قال تعالى: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا) آل عمران ٣٧/٣

4 - لو ٢: ١-٧

5 - La Sainte Bible, Traduite en Français sous la direction de l'école publique de Jerusalem, nouvelle édition entiérement revue et augmentée,Paris, 1973

6 - الملوحي، مظهر ومن معه: م.س، ص ١٣-١٤

7 - ن.م، ص ١٦١

وبالتّالي كانت اليهوديّة تخضع مباشرة للإمبراطوريّة الرومانيّة وإن كانت تحظـــى بـــشبه حكمٍ ذاتيٍّ.

**الحوار في التّوحيد:**

وُلد المسيح ﷺ ونشأ وترعرع في بيئة يهوديّة وجرى عليه ما يجري على أطفال اليهود "ولمّا بلغ الطفل يومه الثامن وهو يوم ختانه، سمّي يسوع"[١]، وكان في الهيكل بين المعلّمين، وقد بلغ سنّ الثانيّة عشرة، جالسًا وسط المعلّمين يستمع إليهم، ويطرح عليهم الأسئلة، وجميع الذين سمعوه ذهلوا من علمه وأجوبته[٢].

يقول ول ديورانت: "وقد ظلّ المسيح ﷺ زمنا طويلا لا يرى في نفسه إلاّ أنّه أحد اليهود يؤمن بأفكار الأنبياء ويواصل عملهم ويجري على سنّتهم، فلا يخطب إلاّ في اليهود، ولمّا أرسل أتباعه لينشروا إنجيله لم يرسلهم إلاّ لمدن اليهود"[٣].

وجاء في الإنجيل أنّه أرسل إليهم "ما أرسلني الله إلاّ إلى الخراف الضّالة مـــن بني إسرائيل"[٤].

واليهود بالجملة موحّدون بالرّغم من بعض تجاوزاتهم وأفهامهم الخاطئة في التّوحيد، وولعهم بحبّ العِجل، وعبادة الأصنام، فلم تكن مسألة وجود الله محلّ خلاف بينهم، وبين المسيح ﷺ، وإنّما فتنوا به للآيات العِظام التّي أجراها الله على يديه، فتاهوا فيه واحتاروا، فمنهم من جعله إلهًا، ومنهم من جعله ابن إله، ومنهم من أقرّ به نبيّاً، وهذه إشكاليّة كبيرة واجهت المسيح ﷺ، وقد توفّاه الله وهو ينكر ألوهيته ويؤكّد بشريته وعبوديته لله، وما زالت هذه القضيّة معضلة تواجه النصرانيّة حتّى يومنا هذا.

ولقد اضطرب اليهود زمن المسيح ﷺ واختلفوا في شأنه، وحدث بسبب ذلك فتنة كبرى، ومن أجل ذلك وتسكينًا للشعب، ترتّب على رئيس الكهنة والحاكم بيلاطس وهيرودس لقاءه ﷺ بحضرة جموع غفيرة من الشّعب، يستوثقون منه ممّا نُسب إليه، فكان اللّقاء والحوار الآتي وِفق ما سجّله برنابا في إنجيله:

---

1 – لو ٢١:٢

2 – لو ٢: ٤٦ – ٤٧

3 – ول ديورانت: المرجع السّابق، ص ٢٢٩

4 – مت ١٥: ٢٤

"وحدث في هذا الزّمن اضطراب عظيم في اليهوديّة كلّها لأجل يسوع، لأنّ الجنود الرومانيّة أثارت بعمل الشّيطان العبرانيين قائلين: "إنّ يسوع هو الله قد جاء ليفتقدهم" فحدثت بذلك فتنة كبرى حتّى أنّ اليهوديّة كلّها تدجّجت بالسّلاح مدّة الأربعين يوما فقام الابن على الأب والأخ على الأخ، لأنّ فريقا قال: "إنّ يسوع هو الله قد جاء إلى العالم"، وقال فريق آخر: "كلاّ بل هو ابن الله"، وقال آخرون: "كلاّ لأنّه ليس لله شبه بشريّ ولذلك لا يلد بل إنّ يسوع الناصري نبيّ الله".

وقد نشأ هذا عن الآيات العظيمة التي فعلها يسوع، فترتّب على رئيس الكهنة تسكيناً للشّعب إن يركب في مركب لابساً ثيابه الكهنوتيّة واسم الله الفردوس التتغراماتن[1] على جبهته وركب كذلك الحاكم بيلاطس وهيرودس، فاجتمع في (مزبة) على أثر ذلك ثلاثة جيوش كلّ منها مئتا ألف رجل متقلّدي السيوف، فكلّمهم هيرودس أما هم فلم يسكنوا، ثمّ تكلّم الحاكم ورئيس الكهنة قائلين: "أيّها الإخوة إنّ هذه الفتنة إنّما قد أثارها عمل الشّيطان لأنّ يسوع حيّ وإليه يجب أن نذهب ونسأله أن يقدّم شهادة عن نفسه وأن نؤمن به بحسب كلمته".

فسكن لهذا ثائرتهم كلّهم ونزعوا سلاحهم وتعانقوا قائلاً بعضهم لبعض "اغفر لي أيّها الأخ". فعقد في ذلك اليوم كلّ واحد النيّة أن يؤمن بيسوع بحسب ما سيقول، وقدم الحاكم ورئيس الكهنة جوائز كبرى لمن يأتي ويخبرهم أين يسوع.

ففي هذا الزّمن ذهبنا ويسوع إلى جبل سينا عملاً بكلمة الملاك الطاهر، وحفظ هناك يسوع الأربعين يوما مع تلاميذه، فلمّا انقضت اقترب يسوع من نهر الأردن ليذهب إلى أورشليم، فرآه أحد الذين يؤمنون بأن يسوع هو الله، فصرخ من ثمّ بأعظم سروره "إنّ إلهنا آتٍ"، فلمّا بلغ المدينة أثارها كلّها قائلا: "إنّ ألهنا آتٍ يا أورشليم تهيّأي لقبوله"، وشهد أنّه رأى يسوع على مقربة من الأردن.

فخرج من المدينة كلّ أحد الصغير والكبير ليروا يسوع، حتى أصبحت المدينة خاليّة لأنّ النّساء حملن أطفالهنّ على أذرعهنّ ونسين أن يأخذن معهنّ زاداً للأكل.

---

[1] – اسم عظيم في بني إسرائيل

فلمّا علم بهذا الحاكم ورئيس الكهنة خرجا راكبين وأرسلا رسولاً إلى هيرودس، فخرج هو أيضاً راكباً ليرى يسوع تسكيناً لفتنة الشعب، فنشدوه يومين في البرية على مقربة من الأردن، وفي اليوم الثالث وجدوه وقت الظهيرة إذ كان يتطهّر هو وتلاميذه للصّلاة حسب كتاب موسى.

فانذهل يسوع لمّا رأى الجمّ الغفير الذي غطّى الأرض بالقوم، وقال تلاميذه: "لينزع الله من الشّيطان السّيطرة التي له على الخطاة".

ولمّا قال هذا اقترب من الجمهور فلمّا عرفوه أخذوا يصرخون: "مرحبا بك يا إلهنا" وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله، فتنفّس يسوع الصعداء، وقال: "انصرفوا عنّي أيّها المجانين لأنّي أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعني وإيّاكم لكلامكم الممقوت"، ولذلك ارتاع الشعب وطفقوا يبكون.

حينئذ رفع يسوع يده إيماء للصمت، وقال: "إنّكم لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون لأنّكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان، وإنّي أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدّسة وباءً شديداً مسلماً إيّاها لاستعباد الغرباء، لعن الشيطان الذي أغراكم بهذا ألف لعنة".

ولمّا قال يسوع هذا صفع وجهه بكلتا كفّيه، فحدث على إثر ذلك نحيب شديد حتّى لم يسمع أحد ما قال يسوع، فرفع من ثمّ يده مرّة أخرى إيماءً للصمت، ولمّا هدأ نحيب القوم تكلّم مرّة أخرى: "أشهد أمام السّماء وأشهد كلّ شيء على الأرض أنّي بريء من كلّ ما قد قلتم، لأنّي إنسان مولود من امرأة فانية بشريّة وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحرّ كسائر البشر، لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامي كحسام يخترق كلّ من يؤمن بأنّي أعظم من إنسان".

ولمّا قال يسوع هذا رأى كوكبة من الفرسان فعلم من ثمّ أنّ الوالي مع هيرودس ورئيس الكهنة كانوا قادمين، فقال يسوع: "لعلّهم هم قد صاروا مجانين أيضا"، فلمّا وصل الوالي مع هيرودس ورئيس الكهنة إلى هناك ترجّلوا جميعا وأحاطوا بيسوع حتّى أنّ الجنود لم يتمكّنوا من دفع الجمهور الذين كانوا يودّون أن يسمعوا يسوع يكلّم الكاهن. فاقترب يسوع

من الكاهن باحترام، ولكن كان هذا يريد أن يسجد ليسوع، فصرخ يسوع: "حذار ما أنت فاعل يا كاهن الله الحي لا تخطىء إلى الله".

أجاب الكاهن: "إنّ اليهوديّة اضطربت لآياتك وتعليمك حتّى أنّهم يجاهرون بأنّك أنت الله فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس، فنرجوك من كلّ قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التّي ثارت بسببك، لأنّ فريقاً يقول إنّك الله وآخر أنّك ابن الله ويقول فريق إنّك نبيّ".

أجاب يسوع: "وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة؟ هل جننت أنت أيضاً، هل أمست النبوّات وشريعة الله نسياً منسيّا أيتّها اليهوديّة الشقيّة التي ضلّلها الشيطان ؟".

ولمّا قال يسوع هذا عاد فقال: "إنيّ أشهد أمام السّماء وأشهد كلّ ساكن على الأرض أنّي بريء من كلّ ما قاله النّاس عنّي من أنّي أعظم من بشر، لأنّي بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشّقاء العام، لعمر الله الذي تقف نفسي بحضرته إنّك أيّها الكاهن قد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته، ليلطف الله بهذه المدينة المقدّسة حتّى لا تحلّ بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة".

فقال حينئذٍ الكاهن: "ليغفر لنا الله أمّا أنت فصلّ لأجلنا".

ثمّ قال الوالي وهيرودس: "يا سيّد إنّه لمن المحال أن يفعل بشرٌ ما أنت تفعله فلذلك لا نفقه ما تقول".

أجاب يسوع: "إنّ ما تقوله لصدق، إنّ الله يفعل صلاحا بالإنسان كما أنّ الشيطان يفعل شرّاً، لأنّ الإنسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل ويبيع فيه، ولكن قل لي أيّها الوالي وأنت أيّها الملك أنتما تقولان هذا لأنكما أجنبيان عن شريعتنا لأنّكما لو قرأتما العهد وميثاق إلهنا لرأيتما أنّ موسى حوّل بعصاه البحر دماً والغبار براغيث والندى زوبعة والنّور ظلاماً، أرسل الضفادع والجرذان على مصر فغطّت الأرض وقتل الأبكار وشقّ البحر وأغرق فيه فرعون، ولم أفعل شيئاً من هذه وكلّ يعترف بأنّ موسى إنّما هو الآن رجل ميّت وأوقف يوشع الشمس وشقّ الأردن وهما ممّا لم أفعله حتّى الآن، وكلّ يعترف بأنّ يوشع إنّما هو الآن رجل ميّت، وأنزل إيليا النّار من السّماء عياناً وأنزل المطر، وهما ما لم أفعله،

وكلّ يعترف بأنّ إيليا إنّما هو بشر كثيرون آخرون من الأنبياء والأطهار وأخلاّء الله فعلوا بقوّة الله أشياء لا تبلغ كنهها عقول الذين لا يعرفون إلهنا القدير الرحيم المبارك إلى الأبد.

وعليه فإنّ الوالي والكاهن والملك توسلوا إلى يسوع أن يرتقي مكاناً مرتفعاً ويكلّم الشعب تسكيناً لهم، حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجارة الإثني عشر التي أمر يسوع الإثني عشر سبطاً أن يأخذوها من وسط الأردن عندما عبر إسرائيل من هناك دون أن تبتل أحذيتهم، وقال بصوت عالٍ: "ليصعد كاهننا إلى محلّ مرتفع حيث يتمكّن من تحقيق كلامي، فصعد من ثمّ الكاهن إلى هناك، فقال له يسوع بوضوح يتمكّن كلّ واحد من سماعه: "قد كتب في عهد الله الحيّ وميثاقه أنّ ليس لإلهنا بداية ولا يكون له نهاية".

أجاب الكاهن: "لقد كتب هكذا هناك".

فقال يسوع: "إنّه كتب هناك أنّ إلهنا قد برأ كلّ شيء بكلمته فقط".

فأجاب الكاهن: "إنّه لكذلك".

فقال يسوغ: "إنّه مكتوب هناك أنّ الله لا يُرى وأنّه محجوب عن عقل الإنسان لأنّه غير متجسّد وغير مركّب وغير متغيّر".

فقال الكاهن: "إنّه لكذلك حقّاً".

فقال يسوع: "إنّه مكتوب هناك كيف أنّ سماء السّموات لا تسعه لأنّ إلهنا غير محدود"

فقال الكاهن: "هكذا قال سليمان النبي يا يسوع"؟

قال يسوع: "إنّه مكتوب هناك أنّ ليس لله حاجة لأنّه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص؟

قال الكاهن: "إنّه لكذلك".

قال يسوع: "إنهّ مكتوب هناك إنّ إلهنا في كلّ مكان وأنّ لا إله سواه الذي يضرب ويشفي ويفعل كلّ ما يريد".

قال الكاهن: "هكذا كتب".

حينئذٍ رفع يسوع يديه وقال: "أيها الربّ إلهنا هذا هو إيماني الذي آتي به إلى دينونتك شاهداً على كلّ من يؤمن بخلاف ذلك، ثمّ التفت إلى الشّعب وقال: "توبوا لأنّكم تعرفون خطيئتكم من كلّ ما قال الكاهن إنّه مكتوب في سفر موسى عهد الله إلى الأبد فإنّي بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الأرض وفانٍ كسائر البشر، وأنّه كان لي بداية سيكون لي نهاية وأنّي لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة".

حينئذٍ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا: "لقد أخطأنا إليك أيّها الربّ إلهنا فارحمنا، وتضرّع كلّ منهم إلى يسوع ليصلّي لأجل أمن المدينة المقدّسة لكيلا يدفعها الله في غضبه لتدوسها الأمم، فرفع يسوع يديه وصلّى لأجل المدينة المقدّسة ولأجل شعب الله وكلّ يصرخ: " ليكن كذلك آمين" [١].

وقد أورد الإنجيل حوارًا بين المسيح ﷺ وإبليس في التوحيد، أراد فيه أن يجرّبه، إن استطاع أن يضلّه، وأنّى له ذلك، قال متى: "ثمّ صعد الرّوح يسوع إلى البرّية، ليجرّب من قبل إبليس، وبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، جاع أخيراً، فتقدّم إليه المجرّب وقال له: إن كنت ابن الله، فقل لهذه الحجارة أن تتحوّل إلى خبز. فأجابه قائلا: قد كُتب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله"، ثمّ أخذه إبليس إلى المدينة المقدّسة، وأوقفه على حافة سطح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنّه قد كُتب: يوصي ملائكته بك، فيحملونك على أيديهم لكي لا تصدم قدمك بحجر، فقال له يسوع: وقد كُتب أيضا: لا تجرّب الربّ إلهك".

ثمّ أخذه إبليس أيضا إلى قمّة جبل عال جدّاً وأراه جميع ممالك العالم، وعظمتها، وقال له: أعطيك هذه كلّها إن جثوت وسجدت لي، فقال له يسوع: اذهب يا شيطان، فقد كُتب: للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد".

فتركه إبليس، وإذا بعض الملائكة جاءوا إليه وأخذوا يخدمونه [٢].

---

[1] - بر ٩١ - ٩٥

[2] - مت ٤: ١-١١ مر ١: ١٢-١٣ لو ٤: ١-١٣

النبي يُبعث بالتوحيد، ويحذّر النّاس من خلافه، أمّا أن يفتتن النّاس به ويجعلون منه إلهاً، لآيات عِظام أجراها الله على يديه[1]، فهذا أمر غير معقول، ولا يقول به إلاّ من ضعف عقله وفقد صوابه، وإن جاز لأحد أن يستهجن على النبي ما أتى به من عمل، لا يقدر عليه بشر، فلا يجوز لأهل الكتاب أن يفعلوا ذلك، وهذا ما أخذه المسيح عليه السلام على اليهود علماء وعامّة، في حين التمس العذر لغيرهم الذين لا علم لهم بخبر السّماء، فكم كانت دهشته عندما اضطربوا في شأنه، فنهرهم ووبّخهم ووصفهم بالمجانين، وحذّرهم من غضب الله وأليم عقابه، وخوّفهم من أن تحلّ بسبب خطيئتهم نقمة عظيمة بالمدينة المقدّسة.

لقد أكّد لهم على بشريته وأنّه مخلوق من طين مولود من امرأة فانية بشريّة وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام، وشقاء البرد والحرّ كسائر البشر، وأنّه كما كان له بداية ستكون له نهاية، وإنّه لا يقدر أن يبتدع ذبابة، وقال لهم بأسىً وحسرة إنّ علماء بني إسرائيل قد ضلّوا الطّريق، وأصبحوا ألعوبة بيد الشّيطان، وأمّا النبوّات فقد أمست عندهم نسياً منسيّاً، وقد تميّز عليه السلام في حواره معهم في التوحيد باستدعائه التاريخ، واستخدامه لموروثهم الدّيني، فقد أعادهم إلى العهد القديم، الذي يدينون به مستشهداً بعديد من جُمله وفقراته، وأوقفهم على عظمة الله وحسن صفاته، ولا يسع رئيس كهنتهم إلاّ أن يقول في كلّ مرّة "إنّه لكذلك".

وقد أطلعهم على آيات بيّنات عظيمة، أجراها الله على أيدي أنبيائه، وقال: إنّ الذي يقرأ العهد وميثاق الله يرى أنّ موسى ويوشع وإيليا عليهم السّلام، قاموا بأعمال لم يقم هو

---

[1] – قال تعالى: (قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) المائدة: ٥/١١٠

بها، فهي أعظم بكثير ممّا قام هو به، وإنّ ما فعلوا بقوّة الله أشياء، لا تبلغ كنهها عقول الذين لا يعرفون الله القدير، وإنّ ما أتوا به من أمور خارقة، لم ترفعهم من مقام البشريّة إلى مقام الألوهيّة، فعاشوا وماتوا رجالاً، ولم يرتب في ذلك أحد، وبذلك نرى أنّه ﷺ جمع في منهجه بين مخاطبته الفطرة، والعقل، والوجدان، فقد أقام الحجّة، وضرب الأمثال، واستدعى التّاريخ، وأكّد على الموروث الدّيني، ووعظ وأرشد، ورغّب ورهّب، ويوم القيامة الله سائله عن الأمانة التّي حملها كما يسأل إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم السّلام. فيقول تعالى: "يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ "(المائدة: ١٠٩/٥)، ويسأله عمّا نسب إليه فيقول وتكون منه الإجابة الشّافية: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ١١٦/٤-١١٧).

وقد اقتصرت على الحوار الذي دار بين المسيح ﷺ وملئه في التّوحيد[1]، وفي المبحث التّالي، يكتمل الموضوع، عندما يثير أهل الكتاب، الشّبهة نفسها، في حوارهم مع الرسول محمّد ﷺ في التّوحيد.

---

[1] – لمزيد من الأدلّة على بشريّة المسيح ﷺ من خلال الأناجيل، أنظر: مفهوم التّوحيد في النصرانيّة من هذا الرسالة.( ص١٦-٢٤ ).

## المبحث الثالث : حوار محمد ﷺ مع الملأ في التّوحيد :

تمهيد:

كانت قريش والعرب من خلفها يقرّون بتوحيد الربوبيّة، فيعترفون بالله خالقًا، كما قال ابن تيميّة: "لم يذكر الله جحود الصانع إلاّ عن فرعون، فإنّ جحود الصانع لم يكن ديناً غالباً على أمّة من الأمم قطّ، وإنّما كان يجحد الصانع بعض النّاس، وأولئك كان علماؤهم، من الفلاسفة الصابئة، المشركين، الذين يعظّمون الهياكل، والكواكب والأصنام[1].

أمّا توحيد الألوهيّة أي: توحيد العبادة وتوحيد المحبّة، فمن أجله أرسل الله الرّسل عليهم السّلام، ليردّوا النّاس إلى الدّين الحقّ، بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وقريش كغيرها ضلّت الطريق في توحيد الألوهيّة[2]، فجعلوا لله شركاء، وعبدوا معه غيره، رغبة في القربى والشفاعة عنده سبحانه وتعالى.

يقول ابن كثير: "قال قتادة: أخبر الله عزّ وجلّ عن عبّاد الأصنام من المشركين أنّهم يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (الزمر: ٣/٣٩) أي إنّما يحملهم على عبادتهم لها أنّهم عمدوا إلى أصنام اتّخذوها على صور الملائكة المقرّبين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم للملائكة ليشفعوا لهم عند الله، في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدّنيا... ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجّوا في جاهليتهم "لبيك لا شريك لك إلاّ شريكاً هو لك تملكه وما ملك"، وهذه الشّبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدّهر وحديثه، وجاءتهم الرّسل عليهم السّلام بردّها والنهي عنها، والدّعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأنّ هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه، ولا رضيَ به، بل أبغضه ونهى عنه"[3].

---

1 – ابن تيميّة، أحمد: الإيمان، م.س، ص ٦٣٠-٦٣١.

2 – قال ابن إسحق:"... فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم. ما حجر نطوف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضرّ ولا ينفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينًا، فإنّكم والله ما أنتم على شيء، فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفيّة، دين إبراهيم " ابن هشام: القسم الأول،م.س، ص ٢٢٣.

3 – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٤٦.

ونقل السيوطي: "عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أن هذه الآية نزلت في ثلاثة أحياء، عامر، وكنانة، وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون: الملائكة بناته فقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1].

وأطراف الحوار مع الرّسول ﷺ في التوحيد هم: قريش وأهل الكتاب من اليهود والنّصارى، وإن كنّا نلتمس العذر لقريش لبعدها عن خبر السّماء، فأي عذر نلتمسه لأهل الكتاب عند محاورتهم للرسول ﷺ في التوحيد، الذي جاء به أنبياؤهم من قبل، فما الدّافع لذلك الحوار؟ أَجَهْلٌ ورغبة في السؤال؟ أم إحراج وتعجيز وتشكيك؟ أم مقارنة وتوثّق بما عندهم من خبر السّماء؟

<u>قريش وحوارها للرسول ﷺ في التّوحيد:</u>

يقول منير محمد الغضبان: "لم تكن قريش لتبني على هذه المعرفة (شيوع الإسلام وانتشاره) شيئا أو تعيرها انتباهاً، فقد كانت ظاهرة الحنيفيّة منتشرة في المجتمع المكّي، فزيد ابن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وأميّة بن أبي الصلت، ولا تهتمّ مكّة بمثل هذه الأحداث وهؤلاء النّاس، طالما أنّهم لا يتعرّضون لعقائدها وأصنامها، فقد كان رسول الله ﷺ يتحنّث الليالي ذوات العدد قبل البعثة، ويجاور في غار حراء، ومع ذلك لا تجد قريش غضاضة في ذلك، وحسبت أنّ الإسلام مثل هؤلاء الحنفاء الذين اعتزلوا عبادة الأصنام، بل يمكن القول: إنّ قريشا كانت تهتمّ بالحنيفيين أكثر ممّا اهتمّت بالمسلمين في المرحلة السريّة، وذلك لأنّ الحنفاء كانوا يعلنون شكّهم بالأصنام وأوثان العرب بينما لم يعلن المسلمون موقفهم تجاهها.

فلم يكن لملاحظة قريش بعض الظواهر الغريبة (من عبادة جديدة) ما يثير غضبها طالما أنّ القوم مكتفون بأنفسهم، منكفئون على ذواتهم، فكلّ إمرئ حرّ أن يعبد الله كما يشاء، طالما أنّ الدّين عقيدة في القلب، وعبادة في المعبد، ولا يتدخّل في شؤون الحياة"[1].

---

[1] – السيوطي، جلال الدّين: لباب النقول في أسباب النزول،الدار التونسية للنشر، ط٢ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م، ص٢٤٢ .

ثمّ كانت المفاصلة عندما جهر الرسول ﷺ بالرّسالة وصدع بما أمره الله به وأنذر عشيرته الأقربين،وفي مباداته رسول الله ﷺ قومه، وما كان منهم، قال ابن إسحق: "ثمّ دخل النّاس الإسلام أرسالاً من الرّجال والنّساء، حتّى فشا ذكر الإسلام بمكّة، وتحدّث به، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي النّاس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين"، ثمّ قال الله تعال: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر: ١٥/٩٤)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:٢٦/٢١٤، ٢١٥)[٢].

نقل السيوطي والواحدي: "عن ابن عبّاس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنّ العدو مصبّحكم أو ممسّيكم أما كنتم تصدّقون؟ قالوا: بلى، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديـــد، فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد: ١١١/١) إلى آخرها[٣].

ونقل الواحدي: "عن ابن عبّاس قال: قام رسول الله ﷺ فقال يا آل غالب: يا آل لؤي، يا آل مرة، يا آل كلاب، يا آل عبد مناف، يا آل قصي، إنّي لا أملك لكم من الله منفعة ولا من الدّنيا نصيبا إلاّ أن تقولوا لا إله إلاّ الله، فقال أبو لهب: تبّاً لك لهذا دعوتنا ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٤].

---

[1] – الغضبان، منير محمد: المنهج الحركي للسيرة النبويّة،مكتبة المنار، الزرقاء،ط٥ ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١، ص ٢٨-٣٠.

[2] – ابن هشام، عبدالملك: م.س، القسم الأول، ص ٢٦٢، ٢٦٣

[3] – السيوطي، م.س، ص ٣٤٣ ، الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري: (٤٦٨هـ) أسباب النزول ، المكتبة الثقافيـة بيروت، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م، ص ٢٦١-٢٦٢ ، البيهقي، أحمد بن الحسين: دلائل النبوة، دار الكتب العلميـة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص ١٨١-١٨٢

[4] – الواحدي: م.س، ص ٢٦٢

قال ابن إسحق: "فلمّا بادى الرسول ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعد قومه ولم يردّوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلمّا فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، إلاّ من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحدب على رسول الله ﷺ عمّه أبو طالب ومنعه وقام دونه"[1].

وبذلك يكون الرسول ﷺ قد خالف موروثهم الدّيني، فظهرت العداوة بينهم، وبدأت المفاوضات واللّقاءات للحيلولة دون تفاقم الأمر، ومن تلك اللّقاءات نذكر:

**وفود قريش مع أبي طالب في شأن الرّسول ﷺ:**

قال ابن إسحق: "قالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفه عنّا وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا، وردّهم ردًّا جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثمّ شرى[2] الأمر بينه وبينهم حتّى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله عليه وسلّم بينهما فتذامروا عليه[3] وحض بعضهم بعضا، ثمّ إنّهم مشوا إلى أبي طالب مرّة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنّا، أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتّى يهلك أحد الفريقين، ثمّ انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي إنّ قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني في الأمر ما لا أطيق، قال: فظنّ رسول الله ﷺ أنّه قد بدا لعمّه فيه بداء أنّه خاذله ومسلّمه، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عمّ، والله لو وضعوا الشّمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى

---

1 – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٢٦٤

2 - شرى: كثر واشتد

3 – تذامروا: حضّ بعضهم بعضاً

يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته، قال: ثمّ استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثمّ قام، فلمّا ولّى ناداه أبو طالب، فقال: "أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلّمك لشيء أبداً".

ثمّ إنّ قريشاً حين عرفوا أنّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه (ثالثة) بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتّخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنّما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني. أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه. هذا والله ما لا يكون أبداً، قال: فقال المطعم بن عديّ: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلّص ممّا تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنّك قد أجمعت خذلاني، ومظاهرة القــوم عليّ، فاصنع ما بدا لك، فحقب الأمر[1]، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضــا"[2].

نعم، لقد تصدّت قريش للدّين الجديد وأبقت على موروثها الدّيني القديم، وحاورت الرسول ﷺ بطريق غير مباشر عن طريق عمّه أبي طالب، الذي وفّر له كلّ حماية، مع أنّه على دينهم، ولمّا أعيت قريشاً الحيلة، توجّهوا إلى الرسول ﷺ بحوار مباشر يساومونه على دينه وعقيدته، لكنّه لم يقبل بأنصاف الحلول، وكان معه الحوار الآتي:

يقول ابن كثير: "ذكروا في سبب نزول قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ (الزمر: ٦٤/٣٩)، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه ونزلت: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

---

[1] – حقب الأمر: زاد واشتد

[2] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٢٦٥-٢٦٧

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ﴾ (الزمر: ٣٩/٦٤-٦٥)، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/٨٨)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّكِرِينَ ﴾ (الزمر: ٣٩/٦٥-٦٦) أي أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتّبعك وصدقك"[1].

ونقل السيوطي: "عن ابن عبّاس: أنّ قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكّة، ويزوّجوه ما أراد من النّساء، فقالوا: هذا لك يا محمّد، وتكفّ عن شتم آلهتنا ولا تذكرنا بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة، قال: حتّى أنظر ما يأتيني من ربّي، فأنزل الله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون: ١٠٩/١-٦)، إلى آخر السّورة، وأنزل: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾(الزمر: ٣٩/٦٤).وأخرج عبدالرزّاق عن وهبٍ قال: قالت قريش للنبي ﷺ: إن سرّك أن تتّبعنا عامًا ونرجع إلى دينك عامًا، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون: ١٠٩/١-٦). وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن ميناء قال: لقي الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلّب وأميّة بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد هلمّ فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كلّه، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون:١٠٩/١-٦) إلى آخر السّورة[2].

وحاولوا أن يخضعوا الدّين الجديد للتجربة، استدراجًا للرسول ﷺ فرفض عرضهم، وأدرك قصدهم، ذكر الواحدي في سبب نزول سورة " الكافرون ": أنّها نزلت في رهط من قريش، قالوا: يا محمّد هلمّ اتّبع ديننا ونتّبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيرًا ممّا بأيدينا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا ممّا في يدك قد شركت في أمرنا وأخذت بحظّك، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون: ١٠٩/١-٦) إلى آخر السّورة، فغدا

---

1 – ابن كثير: م.س، ج٤، ص ٦٣

2 – السيوطي: م.س، ص ٣٤٢

رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتّى فرغ من السّورة، فأيسوا منه عند ذلك"[1].

وفي ذلك يقول ابن كثير: "وأنّهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسول الله ﷺ فيها أن يتبرّأ من دينهم بالكلية"[2].

وتستمرّ محاولة قريش في استدراج الرسول ﷺ، ولو أن يتمسّح بآلهتهم، إنّهم يعتبرون ذلك انتصارًا لهم، لكنّه لم يفعل شيئا من ذلك، كيف يفعله وعين الله ترعاه، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٧/٧٣-٧٥) ، نقل السيوطي: "عن ابن عبّاس قال: خرج أمّية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد تعال تمسّح بآلهتنا وندخل معك في دينك، وكان يحبّ إسلام قومه فرقّ لهم، فأنزل الله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ" إلى "نَصِيرًا ﴾.

وعن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر فقالوا: لا ندعك تستلم حتّى تلم آلهتنا، فقال رسول الله ﷺ: وما عليّ لو فعلت والله يعلم منّي خلافه فنزلت"[3].

ونقل الواحدي: "عن ابن عبّاس قال: نزلت في وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فسألوا شططا وقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكّة، شجرها وطيرها ووحوشها، فأبى ذلك رسول الله ﷺ ولم يجبهم، فأقبلوا يكثرون مسألتهم، وقالوا: إنّا نحبٌّ أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول، وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر: أما

---

1 – الواحدي: م.س، ص ٢٦١

2 – ابن كثير: م.س، ج٤، ص ٥٦٤-٥٦٥

3 – السيوطي: م.س، ص ١٧١-١٧٢

ترون رسول الله ﷺ عليهم أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون به، وقد همّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله هذه الآيات"[1].

وقد سألوا على ما يبدو بتوجيه من اليهود، عن نسب الله، لأنّ اليهود عادوا وطرحوا نفس السؤال على الرسول ﷺ كما سيأتي لاحقًا، فقد ذكر الواحدي: "عن أبيّ بن كعب أنّ المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: انسب لنا ربّك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ (الإخلاص:١١٢/ ١–٣) لأنّه ليس شيء يولد إلاّ سيموت، وليس شيء يموت إلاّ سيورث، وأنّ الله تعالى لا يموت ولا يورث، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء"[2].

ولم تكن قريش المبادرة دائماً إلى الحوار، بل الرسول ﷺ كان يحاورهم ويرغب في إيمانهم، ويغتنم كلّ فرصة لتحقيق ذلك، فقد ذكر الواحدي عن ابن عبّاس قال: وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم وعلّقوا عليها بيض النّعام، وجعلوا في آذانها الشنوف، وهم يسجدون لها، فقال: يا معشر قريش لقد خالفتم ملّة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام، فقالت قريش: يا محمّد إنّما نعبد هذه حبّاً لله ليقرّبونا إلى الله زُلفى، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ (آل عمران: ٣١/٣) وتعبدون الأصنام لتقرّبكم إليه ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(آل عمران: ٣١/٣)، فأنا رسول الله إليكم وحجّته عليكم، وإنا أولى بالتعظيم من أصنامكم"[3].

ولمّا أحسّت قريش دنوّ أجل أبي طالب، استغلّوها فرصة من أجل الضغط على الرســـول ﷺ، وحتّى يكون لقريش العذر في شتمه وإيذائه، فقد ذهبوا إلى أبي طالب يشكونه، وفي ذلك يقول الواحدي وغيره: "مرض أبو طالب، فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ، وعند رأس أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه ذلك، فشكوه إلى أبي طالب

---

[1] – الواحدي: م.س، ص ١٦٧

[2] – الواحدي: م.س، ص ٢٦٢–٢٦٣

[3] – الواحدي: م.س، ص ٥٧

فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: يا عمّ إنّما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب، وتؤدّي إليهم الجزية بها العجم، قال: كلمة واحدة، قال: ما هي؟ قال: لا إله إلاّ الله، فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً، قال: فنزل فيهم القرآن:﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾(ص: ٣٨/١–٧)[1].

وبعد وفاة أبي طالب تحرّكت الحمية في رأس أبي لهب حين رأى تكالب قريش على إيذاء ابن أخيه محمد ﷺ، فجاء إليه قائلاً: اذهب يا ابن أخي، وما كنت تصنعه وأبو طالب حيًّا فاصنعه.

وكان لهذا الموقف وقع الكارثة على قريش التي خطّطت بخبثها لتدمير هذه الحماية، ونجحت أيّما نجاح حين أوعزت لأبي لهب أن يسأل رسول الله ﷺ عن عبد المطلّب، وكان رسول الله ﷺ بين أمرين، فالسؤال واضح ومحدّد: إمّا أن تستمرّ الحماية مقابل مهادنة في كلمة واحدة من دين الإسلام ومساومة فيها، وإمّا أن تنهار الحماية كلّها لو تحدّث عن حكم الله في عبد المطلّب،وما كانت الحماية في يوم من الأيّام على حساب هذه العقيدة، فقال لعمّه أبي لهب: هو في النّار، فقال أبو لهب: ما زلت عدوًّا لك أبدًا وعاد فانضمّ إلى معسكر قريش.

وإذا تساءلنا عن سبب إصرار الرسول ﷺ على إيضاح حكم الله في عبد المطلّب وخسارته مقابل ذلك أضخم حماية تتحقّق له وللمسلمين، لكان الجواب هو: إن عدم إيضاح هذا الحكم يعني أنّ عبد المطلّب على حقّ، وقريش كلّها على ملّة عبد المطلّب، فلا داعي

[1] – الواحدي: م.س، ص ٢٠٩ – السيوطي: م.س، ص ٢٤١ وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص ٢٩.

إذن للمقاطعة بين الفريقين، ويمكن أن يكون اللقاء بين الكفر والإسلام في منتصف الطّريق"[1].

وهكذا نجد أنّ الحوار في التوحيد مع قريش وصل إلى طريق مسدود، ويزداد الأمر وضوحاً، عند الحديث عن الحوار في النبوة والزعامة.

**حوار اليهود مع الرسول ﷺ في التوحيد:**

عجبٌ أمريهود يسألون عن أمور يعرفونها، واضحة في كتابهم، إلاّ إن كان قصدهم الإحراج والتعجيز أو التشكيك، أو التثبّت من موروثهم الدّيني، ومهما يكن من أمر فقد أورد ابن هشام وغيره مجموعة من الأسئلة التّي حاوروا الرسول ﷺ فيها ومن ذلك:

- قال ابن إسحق: "وأتى رسول الله ﷺ النّخام بن زيد، وقردم بن كعب، وبُحرى بن عمرو، فقالوا له: يا محمّد أما تعلم مع الله إلهًا غيره؟.

فقال رسول الله ﷺ : الله لا إله إلاّ هو، بذلك بُعثت، وإلى ذلك أدعو. فأنزل الله فيهم وفي قولهم: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/١٩،٢٠)[2].

- قال ابن إسحق: "وأتى رسول الله سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى أبو أنس، ومحمود ابن دحية، وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف ، فقالوا له: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أنّ عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ

---

[1] – الغضبان، م.س، ص ١٢٧

[2] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٦٨

آخر القصّة"(١).

- قال ابن إسحق: "أتى رهط من يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا: يا محمّد هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ قال: فغضب رسول الله ﷺ حتّى امتقع لونه، ثمّ ساورهم[2] غضباً لربّه، قال: فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه، فقال: خفّض عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(الإخلاص: ١١٢/١)(٤)، قال: فلمّا تلاها عليهم، قالوا: فصف لنا يا محمّد كيف خلقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله ﷺ أشدّ من غضبه الأول، وساورهم، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاء من الله تعالى بجواب ما سألوه، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(الزمر: ٣٩/٦٧)٣.

وفي مناسبة سورة الإخلاص يقول الواحدي: "جاء أناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربّك، فإنّ الله أنزل نعته في التّوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو، أذهب هو أم نحاس أم فضّة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السّورة وهي نسبة الله خاصّة"(٤).

ويقول السيوطي في سبب نزولها: "عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب، وآدم من حمأ مسنون، وإبليس من لهب

---

[1] – ن.م، القسم الأول، ص ٥٧٠

[2] – ساورهم: واثبهم وباطشهم

[3] – ابن هشام: م.س، القسم الأول ، ص ٥٧٢.

[4] – الواحدي: م.س، ص ٢٦٢.

النّار، والسّماء من دخان، والأرض من زبد الماء، فأخبرنا عن ربّك، فلم يجبهم، فأتاه جبريل بهذه السّورة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1].

وبعد، فليس مستغرباً على يهود أن يسألوا مثل هذه الأسئلة التي تكاد لا تخرج ممن لم يسمع بخبر السّماء، فقد سألوا موسى عليه السلام أكثر من ذلك، سألوه أن يجعل لهم آلهة كما لغيرهم آلهة، وقد عبدوا العجل في غيبة موسى عليه السلام، وطلبوا منه أن يروا الله جهرة، فإذا كان هذا حال سلفهم ونبيّهم بين ظهرانيهم، وقد أنعم الله عليهم، بأن خلّصهم من براثن فرعون، ومع ذلك فعلوا ما فعلوا، فليس: مستبعد على خلفهم أن يثيروا مثل تلك الأسئلة في وجه رسول ينقمون منه ويحسدونه.

وإلاّ فكيف لهم أن يسألوا الرسول ﷺ إن كان مع الله إلهًا آخر، أو أن يوافقهم في زعمهم أنّ عزيرًا ابن الله، أو من خلق الله ؟ أو ما وصف الله ؟ يريدون تجسيده كما فعلوا في توراتهم؟

إنّهم بطرحهم مثل هذه الأسئلة الغريبة العجيبة، إنّما يعبّرون عن نفسيّتهم الشاذّة، الّتي لا تستهجن مثل هذه الأسئلة، بالإضافة إلى رغبتهم في إحراج الرسول ﷺ وتعجيزه والتشكيك في نبوّته، وغاب عنهم أنّه مؤيّد من ربّه الذي أرسله، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٥٣/٣، ٤).

## حوار النّصارى مع الرسول ﷺ في التّوحيد:

لم يكن النّصارى أحسن حالاً من يهود، فقد حاولوا هم كذلك أن يمرّروا عقيدتهم في المسيح عليه السلام، إلى الرسول ﷺ، وتجلّى ذلك في حوار وفد نجران معه وقصّة خبرهم كما نقل ابن كثير عن البيهقي في دلائل النبوّة: "أنّ رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس"[2] من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران، وأهل نجران إن أسلمتم، فإنّي أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، أمّا بعد فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة

---

1 – السيوطي: م.س، ص ٣٤٦.

2 – طس: أول آية في سورة النمل. (والله أعلم بمراده من هذه الحروف المقطعة في أوائل السور).

العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم، فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسّلام، فلمّا أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعراً شديداً"[1].

وكان نهاية الأمر أن أرسل وفداً إلى المدينة المنوّرة، ليأتوا بخبر الرسول ﷺ وليعرفوا موقفه منهم، وقد فصّلت كتب السير والتفسير هذا اللقاء، قال ابن إسحق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران، ستّون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلاّ عن رأيه واسمه عبد المسيح، والسيّد ثمالهم[2]، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم، فكلّم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح والأيهم السيّد -وهم من النصرانيّة على دين الملك، مع اختلاف أمرهم- يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، كذلك قول النصرانيّة.

فهم يحتجّون في قولهم: "هو الله" بأنّه كان يحيي الموتى، ويُبرئ الأسقام، ويخبر الغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثمّ ينفخ فيه فيكون طائراً، وذلك كلّه بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾.

ويحتجّون في قولهم: "إنّه ولد الله" بأنّهم يقولون: لم يكن له أب يعلم وقد تكلّم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجّون في قولهم: "أنّه ثالث ثلاثة "بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلاّ فعلت، وقضيت، وأمرت وخلقت، ولكنّه هو وعيسى ومريم، ففي كلّ ذلك من قولهم قد نزل القرآن فلما كلّمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنّكما لم تسلما (فأسلما)، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصّليب، وأكلكما الخنزير، قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما.

---

[1] - البيهقي: م.س، ج٥، ص ٣٨٥.

[2] - ثمال القوم: أصلهم الذي يقصدون إليه، ويقوم بأمرهم وشؤونهم.

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كلّه، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، فقال عزّ وجلّ : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (آل عمران: ٣/١، ٢)، فافتتح السورة بتنزيه نفسه عمّا قالوا، وتوحيده إيّاها بالخلق والأمر، لا شريك له فيه، ردّاً عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجا بقولهم عليهم في صاحبهم، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم، فقال: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ الحي الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصُلب في قولهم، والقيّوم: القائم على مكانه ومن سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به وذهب عنه إلى غيره"[1].

وذكر الرازي هذا الحوار بمزيد من التفصيل فقال: "ثمّ أخذ رسول الله ﷺ يناظر معهم، فقال: ألستم تعلمون أنّ الله حيّ لا يموت، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولد إلاّ ويشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّم على كلّ شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه، فهل يملك عيسى شيئاً من ذلك؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، فهل يعلم عيسى شيئاً من ذلك إلاّ ما علم؟ قالوا: لا، قال: فإنّ ربّنا صوّر عيسى في الرّحم كيف شاء، فهل تعلمون أنّ ربّنا لا يأكل الطّعام ولا يشرب الشّراب ولا يحدث، وتعلمون أنّ عيسى حملته إمرأة كحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة، ثمّ كان يطعم الطّعام ويشرب الشّراب ويحدث الحدث ؟ قالوا: بلى، فقال ﷺ فكيف يكون كما زعمتم، فعرفوا ثمّ أبوا إلاّ جحودًا، ثمّ قالوا: يا محمّد ألست تزعم أنّه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، فقالوا: فحسبنا. فأنزل الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ (آل عمران: ٣/٧).

---

[1] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ابن كثير: م.س، ج١ ص ٣٤٨، ٣٤٩ ، انظر: الواحدي: م.س ، ص ٥٧-٥٩ ، السيوطي: م.س، ص ٥٦ ، البيهقي: م.س، ٥/٣٨٧، ٣٩٢ وابن القيم، زاد المعاد ج٣ ص ٦٢٩.

ثمّ إنّ الله تعالى أمر محمّدًا ﷺ بملاعنتهم[1] إذا ردّوا عليه ذلك، فدعاهم رسول الله إلى الملاعنة، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا، ثمّ نأتيك بما تريد أن تفعل، فانصرفوا ثمّ قال بعض أولئك الثلاثة لبعض: ما ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أنّ محمدًا نبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيّاً قطّ إلاّ وفي كبيرهم وصغيرهم، وأنّه الاستئصال منكم إن فعلتم، وأنتم قد أبيتم إلا دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك، ونرجع نحن على ديننا، فابعث رجلا من أصحابك معنا يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا، فإنّكم عندنا رضىً، فقال ﷺ: إيتوني العشيّة أبعث معكم الحكم القويّ الأمين، وكان عمر يقول: ما أحببت الإمارة قطّ إلاّ يومئذٍ رجاء أن أكون صاحبها، فلمّا صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر سلّم ثمّ نظر عن يمينه وعن يساره، وجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يردّد بصره حتّى رأى أبا عبيدة بن الجرّاح، فدعاه، فقال: اخرج معهم واقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه، قال عمر: فذهب بها أبو عبيـــدة"[2].

أهل الكتاب وحوارهم مع الرسول في التوحيد واختلافهم في إبراهيم عليه السلام:

يلتقي أحبار يهود ونصارى نجران في حضرة الرسول ﷺ ويختلفون في إبراهيم عليه السلام، ويتّفقون في بثّ الشبهات، وعمل ما هو ممكن من أجل صدّ النّاس عن دين الله، ويسألون الرسول ﷺ إن كان يريد أن يعبدوه كما عبدت النّصارى عيسى ابن مريم، وفي ذلك يقول ابن هشام: ودخل رسول الله ﷺ بيت المِدْراس[3] على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد:على أي دين أنت يا محمّد؟

قال: على ملّة إبراهيم ودينه.

---

[1] – الملاعنة: تفسير للمباهلة، وآية المباهلة هي قوله تعالى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران: ٣/٦١).

[2] – الرازي: م.س، ج٧، ص ١٣٤-١٣٥.

[3] – بيت المدراس: أو بيت المَدارِسْ، هو بيت يهود الديني يتدارسون فيه كتابهم.

قالا: فإنّ إبراهيم كان يهودياً.

فقال: فهلّم إلى التّوراة فإنّها بينا وبينكم.

فأبيا عليه، فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (آل عمران: ٣/٢٣-٢٤).

وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا:

فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلاّ يهودياً.

وقالت النصارى: ما كن إبراهيم إلاّ نصرانياً.

فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٣/٦٥-٦٨). وقال عبدالله بن ضيف، وعديّ بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض وهم من يهود: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمّد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشيّة، حتّى نلبس عليهم دينهم لعلّهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينه.

فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى

ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ (آل عمران:٣/٧١-٧٣).

وقال أبو رافع القرظي اليهودي، حين اجتمعت الأحبار من يهود، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد منّا يا محمّد أن نعبدك كما تعبد النّصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصرانيّ يقال له الرّيِّس: أو ذاك تريد منّا يا محمّد وإليه تدعونا؟

فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله ولا أمرني، فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٣/٧٩-٨٠)(١).

---

[1] - ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٥٢-٥٥٤ ، البيهقي: م.س، ج٥ ص ٣٨٤، ابن القيم: زاد المعاد ج٣ ص٦٣٠، ٦٣١.

## الخلاصة

لقد بعث الرسول محمّد ﷺ على فترة انقطاع من الوحي، والأرض كانت متعطّشة لخبر السّماء، فقريش والعرب من خلفها قد ضلّوا الطّريق في توحيد الألوهيّة، وإن كان فيهم بقيّة باقيّة من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، واليهود والنّصارى قد غيّروا وبدّلوا وحرّفوا، فكان لا بدّ من مبعث نبي، وكان المرشّح لذلك محمّد ﷺ النبي الأمّي، فاصطدم بموروثهم الدّيني، فأبى كلّ طرف إلاّ الإبقاء على موروثه، وبدأ الحوار، وبذل كلّ فريق جهده وأفرغ وسعه للإبقاء على دينه وللحفاظ على مكتسباته، ونظر كلّ فريق أحدّ سهم في كنانته، ليرمي به محاوره، عسى أن لا يحتاج إلى معاودته لغيره، والذي نستخلصه من تلك اللقاءات:

١. إنّ قريشاً لم تستوعب مخالفة الرسول ﷺ لموروثها الثقافي، الذي سادت العرب بسببه، والقائم على مبدأ الوساطة بين الخالق والمخلوق، فالرّسول ﷺ يصرّ على رفض الوساطة، وقريش تستثير كلّ طاقاتها الفكريّة والمادّية للحفاظ على موروثها.

٢. إنّ قريشاً لم تقم بمباداة الرسول ﷺ قبل تدخّله في شؤون حياتها وعيبه وسبّه آلهتهم، وهذا منهج الملأ في الأغلب، يعلنها أنّ كلّ إمرئ حرّ أن يعبد الله كما يشاء، طالما أنّ الدّين عقيدة في القلب، وعبادة في المعبد، ولا يتدخّل في شؤون الحياة.

٣. تعامل الرّسول ﷺ مع قريش، ومع سائر أطراف الحوار بالقاسم المشترك، واستدعى التاريخ، وجعل حضوراً لإبراهيم عليه السلام، الذي يجمع الجميع على انتسابهم إليه، فلا ينبغي إذن مخالفة ملّته.

٤. ثبات الرّسول ﷺ على مبدئه، فلم يساوم على عقيدته، ولم يقبل بأنصاف الحلول، ولم يعط الدّنية في دينه.

٥. حاول اليهود مراراً إحراج الرّسول ﷺ وتعجيزه، وتشكيكه ومن تبعه في دينه، بإثارة شبهات، هم يعلمون بطلانها، كسؤالهم، إن كان مع الله إلها آخر، وحاولوا تمرير

عقائدهم في الذّات الإلهيّة، من تشبيه وتجسيد، ممّا أغضب الرّسول ﷺ، لدرجة أن يأتي جبريل عليه السلام فيسكّنه.

٦. خاطبهم الرّسول ﷺ من خلال موروثهم الدّيني، جاعلاً حضوراً لتوراتهم مستشهداً بها، فيقيم عليهم الحجّة برفضهم إحضارها، إنّهم يقصدون الإساءة له ﷺ حسداً من عند أنفسهم.

٧. حاول النّصارى إثبات عقائدهم وتمريرها إلى الرسول ﷺ، فصوّب وصحّح مفهومهم عن المسيح عليه السلام مؤيّدًا في ذلك بالوحي، وأتى بأدلّة عقليّة مفحمة فأقام الحجّة عليهم وأذعنوا له، ورفضوا المباهلة ودفعوا الجزية.

٨. استحضر ﷺ التاريخ في محاورتهم، وسألهم من خلال موروثهم الدّيني وما يعتقدونه في الله من صفات الكمال، وأنّه لا يعتريه النقص، وأنّ المسيح عليه السلام يفتقر إلى ذلك، فأقام الحجّة الدامغة عليهم.

٩. إنّ بقاء اليهود والنّصارى على دينهم بعد قيام الحجّة المقنعة، لا يفهم منه إلاّ الجحود، والتعصّب الأعمى لدينهم، وقد رأينا النّصارى، يدفعون الجزية، وينزلون على حكم الرسول ﷺ ويرفضون المباهلة.

١٠. إنّه لا إكراه في الدّين، فعدم التوصّل إلى نقاط التقاء لا يعني القطيعة، فالتّعاون والتعايش يستمرّان، ولا أدلّ على ذلك من حسن استقبال الرسول ﷺ لنصارى نجران وإكرام وفادتهم والسّماح لهم بالصّلاة في مسجده، وقبوله ﷺ أن يرسل معهم حكمًا قويًّا أمينًا، إنّه أمين هذه الأمّة، أبو عبيدة بن الجرّاح، ليحكم بينهم.

١١. اتّسم منهج الرسول ﷺ في حواره لكافّة الأطراف، بمخاطبة الفطرة والعقل والوجدان، واستحضر التّاريخ، واستخدم المرجعيّة الدّينيّة، كما استخدمها محاوروه، وقد حرص كل فريق على إقامة الحجّة على محاوره، وقد تمثّل الرسول ﷺ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٦/١٢٥).

## الفصل الثاني

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في النبّوة

**تمهيد:**

النبوة تبع للتوحيد، فالذي يؤمن بالله يؤمن برسله عليهم السّلام، فالصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالرّسل والرّسالات وثيقة جدّاً، وما الإيمان بالرّسل من الإيمان بالله إلاّ كالنتائج من المقدّمات.

يقول الدكتور عمر الأشقر: "الذين يقدّرون الله حقّ قدره، ويعلمون صفاته التي اتّصف بها من العلم والحكمة والرحمة، لا بدّ أن يوقنوا بأنّه أرسل الرُسل، وأنزل الكتب لأنّ هذا مقتضى صفاته، فهو لم يخلق الخلق عبثاً"(١).

وليس لأحد يؤمن بالله أن يكفر بأيّ من رسله (عليهم السلام)، فالتّفريق في هذه الحالة غير ممكن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ (النساء: ٤/١٥٠، ١٥١).

فقد نصّت هذه الآية على كفر من كفر بالرّسل عليهم السّلام، وان كان يدّعي الإيمان بالله، ويعلّق القرطبي على هذه الآية فيقول: "فنصّ سبحانه على أنّ التّفريق بين الله ورسله كفر، وإنّما كان كفرًا لأنّ الله سبحانه فرض على النّاس أن يعبدوه، بما شرع لهم على ألسنة الرّسل، فإذا جحدوا الرّسل ردّوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبوديّة التّي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبوديّة، وكذلك التفريق بين الله ورسله في الإيمان بهم كفر"(٢).

---

1 – د. الأشقر،عمر سليمان: م.س، ص ١٦

2 – القرطبي : م.س ج٦ ص ٥

وقد مضت سنّة الله في خلقه أن لا يعذّب أحداً حتّى يقيم الحجّة عليه، فيرسل للناس رسلاً، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء: ١٥/١٧)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: ٢٤/٣٥)، ومعلوم أن حاجة الخلق إلى الرّسل أشدّ من حاجتهم إلى الطّعام والشّراب.

يقول ابن القيّم مبيّنا حاجة العباد إلى الرّسل وتعاليمهم: "ومن هنا نعلم اضطرار العباد فوق كلّ ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنّه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدّنيا ولا في الآخرة إلاّ على أيدي الرّسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيّب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتّة إلاّ على أيديهم، فالطيّب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلاّ هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميّز أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرّسل فوقها بكثير، وما ظنّك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاءه به الرّسول كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسّ بهذا إلا قلب حيّ، وما لجرح بميت إيلام، وإذا كانت سعادة العبد في الدّارين معلّقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كلّ من نصح نفسه وأحبّ نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه وما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والنّاس في هذا بين مستقلّ، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم"[1].

والنّاس يختلفون في تصديقهم أو تكذيبهم للأنبياء، والذين يصدّقونهم يختلفون كذلك في سرعتهم أو إبطائهم، فمن النّاس من يقبل سريعاً على دين الله، ومنهم من يبطىء، ومن النّاس من ينتظر آية ليتأكد من صدق النبي، ومنهم من يؤمن ولا ينتظر آية، ومنهم من لا تنفعه الآيات ولا النذر.

---

1 – ابن القيّم: زاد المعاد، ج١ ص ٦٩، ٧٠.

وفي هذا الفصل نحن على موعد مع الأنبياء في حوارهم لملئهم في النبوة، لنرى من يقبل على دين الله فيؤمن بالنبي، ومن يعرض عنه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## المبحث الأول: حوار موسى عليه السلام مع الملأ في النبوة:

**تمهيد :**

ملأ موسى عليه السلام في النبوة هم ملأه في التوحيد، فرعون ومن معه وبنو إسرائيل، ومصدرنا في حوار موسى عليه السلام مع ملئه في النبوة، العهد القديم والقرآن الكريم، ولا بدّ من الإجابة على سؤالين اثنين، أولاهما: هل كانت النبوة موضع نزاع بين موسى عليه السلام وفرعون في مصدري البحث؟ وثانيهما: هل حوار بني إسرائيل مع موسى عليه السلام من خلال المصدرين في قبول النبوة ورفضها؟

وإن كان الجواب بالإيجاب، فما موضوع حوارهم معه عليه السلام؟

كما مرّ معنا في حواره عليه السلام مع ملئه في التّوحيد من خلال العهد القديم، فقد التقى موسى بفرعون عدّة مرّات، وأبلغه بأمر الله بإطلاق سراح بني إسرائيل، ولم يدخل معه في حوار توحيد، وكذا لم يدخل معه في حوار نبوة، وإنّما كان يكرّر دائمًا عبارة: أطلق سراح بني إسرائيل، وعندما يتحدّث العهد القديم عن موقف فرعون، لا يتحدّث عن إيمانه بالله ونبيّه عليه السلام وعدمه، وإنّما يتحدّث عن رفضه إطلاق سراح بني إسرائيل فحسب، ومن ذلك: "ثمّ قال الربّ: إنّ قلب فرعون قد تصلّب وهو يرفض أن يطلق سراح الشّعب"[1].

وما أتى به عليه السلام من آيات وأعاجيب، لم تكن لإثبات نبوته، وكأنّها لم تكن موضع نزاع، وإنّما أتى بها لتكون ضغوطات وتهديدات لفرعون، من أجل إطلاق سراح بني إسرائيل، وبالتّالي لم يورد العهد القديم، خاصّة سفر الخروج مظنّة البحث، حوارًا مع فرعون في إثبات النبوة، وأوّل التّهديدات ما نصّه: "فامثل أمام فرعون في الغد، عندما يخرج إلى الماء، وقف للقائه عند ضفّة النّهر، وخذ بيدك العصا التي تحوّلت إلى حيّة، وقل له: إنّ الربّ إله العبرانيين قد أرسلني إليك قائلاً: أطلق سراح بني إسرائيل شعبي ليعبدونني في الصحراء، وها أنت حتّى الآن لم تستمع. لهذا إليك ما يقوله الربّ: ستعلم ما أجريه الآن

---

1 - خر ٧: ١٤

إنّني أنا الربّ ها أنا ضارب بهذه العصا التي في يدي على ماء النّهر فيتحوّل دمًا، فيموت السّمك، وينتن النّهر، فيعاف المصريون من الشّرب من مائه"[١].

والضربات التّي أتى بها ﷺ من أجل إطلاق سراح بني إسرائيل عشرة هي:

الضربة الأولى: ضربة الدم، فتحوّلت مياه الأنهار والجداول والسّواقي والخزانات إلى دماء[٢].

الضربة الثانية: صعود الضفادع إلى جميع التخوم والبقاع[٣].

الضربة الثالثة: غزو البعوض كلّ أرجاء مصر[٤].

الضربة الرابعة: إرسال أسراب الذّباب إلى فرعون وشيعته وبيوته خلا بني إسرائيل[٥].

الضربة الخامسة: إهلاك المواشي التي في الحقـــول لفرعـــون وشـــيعته خـــلا مواشـــي بني إسرائيـــل[٦].

الضربة السادسة: إصابة النّاس والبهائم بدمامل متقيّحة[٧].

الضربة السابعة: سقوط البرَد وإهلاك من لم يختبئ في البيوت[٨].

الضربة الثامنة: غزو الجراد والتهامه للأشجار والثمار، فلم يبق شيء أخضر[٩].

الضربة التاسعة: الظلام الكثيف على كلّ أرجاء مصر ثلاثة أيّام[١٠].

الضربة العاشرة: موت أبكار فرعون والمصريين وأبكار بهائمهم جميعاً[١].

---

1 - خر ٧: ١٥-١٨

2 - خر ٧: ١٩-٢٢

3 - خر ٨: ١-٧

4 - خر ٨: ١٦-١٨

5 - خر ٨: ٢٠-٢٤

6 - خر ٩: ١-٦

7 - خر ٩: ٨-١٢

8 - خر ٩: ١٣-٢٦

9- خر ١٠: ١٢-١٥

10 - خر ١٠: ٢١-٢٣

وهذه الضربات الموجعة فقط لإطلاق سراح بني إسرائيل، وليس لها أي هدف آخر، وكان يفترض أن تكون آيات دالّة على صدق النبي ﷺ، فإذا ما صُدّق النبي ﷺ استجيب لمطالبه.

وجاء القرآن الكريم ليضيف هدفًا جديدًا لحوار موسى ﷺ مع فرعون، إنّه يحرص على إيمانه وهدايته، حرصه على إطلاق سراح بني إسرائيل، وعدم تعذيبهم.

وبعيداً عن عدد الآيات ونوعها، فقد أكّد القرآن الكريم على مطالبة فرعون بالإيمان بالله وبنبيّه موسى ﷺ تمامًا بتمامٍ كمطالبته بإطلاق سراح بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: ٧/ ١٣٢-١٣٥).

ونتيجة حتميّة لعدم إيمان فرعون وملئه، وعدم التفاتهم للآيات البيّنات التي أتى بها موسى ﷺ دالّة على صدق نبوته، كانت عاقبتهم الموت غرقاً. وتلخّص سورة الإسراء رفض فرعون لنبوة موسى ﷺ، واتهامه بأنّه يمارس السّحر، وتأكيد موسى ﷺ بأنّ تلك الآيات البيّنات كانت أدلة قاطعة على صدق نبوّته، إلاّ أنه لم يؤمن، وكان هلاكه ومن معه، بالموت غرقاً، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ

1 - خر ١٢: ٢٩-٣٠

إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ (الإسراء: ١٧/ ١٠١-١٠٣).

وتأتي آيات سورة النمل، لتبيّن المرض العضال الذي ابتلي به فرعون وملأُه، إنّه الكبْر الذي يعمي القلوب، فلا ترى الحقّ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل: ٢٧/ ١٣، ١٤). ففرعون وملأُه أنكروا نبوة موسى عليه السلام ظلمًا وعلواً وغطرسةً، ونفوسهم موقنة بها، والذي دفعهم لفعلهم هذا هو الكبْر، فجحدوا نبوّته ولم يعترفوا بها، والجحود لا يكون إلاّ مع اليقين، والكبْر الذي سيطر عليهم واستحوذ على قلوبهم منعهم من رؤية الحقّ والاعتراف والانقياد له. وبالتّالي لم تكن قضيّة إيمان فرعون وملئه بالله ونبيّه موسى عليه السلام أقل أهميّة من إطلاق سراح بني إسرائيل من براثنه.

أمّا بنو إسرائيل فلم يحاوروه عليه السلام في نبوّته، فلا العهد القديم ولا القرآن الكريم سجّلا عليهم شيئاً من هذا القبيل وإنّما تمثّل حوارهم معه في تذمّرهم وعدم صبرهم، واسترسالهم في المطالبِ، ونظراً لإيلافهم حياة العبوديّة في مصر لم يستوعبوا الحريّة بسرعة، ولم يتعايشوا معها، وكانوا كلّما واجهتهم مشكلة تأوّهوا وتمنّوا لو لم يخرجوا من مصر، كما جاء في التّــوراة: "ولمّا اقترب فرعون، نظر بنو إسرائيل، وإذا بالمصريّين يندفعون نحوهم، فارتعبوا واستغاثوا بالربّ، ثمّ قالوا لموسى: هل لافتقار مصر للقبور أخرجتنا إلى الصحراء لنموت فيها؟ ماذا فعلت بنا حتّى أخرجتنا من مصر؟ ألم نقل لك في مصر دعنا وشأننا فنخدم المصريين، إذ كان خيراً لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في الصحراء. قال موسى للشّعب: لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاص الربّ الذي يجريه لكم اليوم، لأنّ المصريين الذين رأيتموهم اليوم، لن تروهم في ما بعد إلى الأبد. فالربّ يحارب عنكم وأنتم تصمتون"[1].

---

1 - خر ١٤: ١٠-١٤

ومثل ذلك جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف:٧/١٢٩) ولجبنهم وتقاعسهم عن دخول الأرض المقدّسة، حرمّها الله عليهم وكتب عليهم التيه في صحراء سيناء أربعين سنة، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٥/٢٠-٢٦).

## حوار موسى لفرعون وملئه من خلال القرآن الكريم:

إنّ المشكلة التي واجهت فرعون وملأه كغيرهم من الأمم هي بشريّة الرّسل، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ (التغابن: ٦٤/٥-٦). قال القرطبي: "أنكروا أن يكون الرّسول من البشر فكفروا بهذا

القول، إذ قالوه استصغاراً، ولم يعلموا أنّ الله يبعث من يشاء إلى عباده"[1]. وقال ابن كثير: "استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم علي يدي بشر مثلهم (فكفروا وتولّوا): أي كذبوا بالحقّ وتولّوا عن العمل (واستغنى الله): أي عنهم[2].

والذي زاد في طغيان فرعون وملئه زيادة على بشريّة موسى وهارون عليهما السّلام مبعثهما من أمّة مضطهدة مستعبدة من قبل فرعون. فكيف لفرعون أن يتّبع رسولاً، هو قد ربّاه وأغدق عليه، وما زال يستعبد أمته، فمنعه الكبْر من ذلك، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٣/٤٥-٤٨).

وهذان نموذجان لحوار موسى عليه السلام مع فرعون، يخبر الله تعالى فيهما عن عبده موسى عليه السلام أنّه بعثه إلى فرعون وأيّده بالآيات البيّنات، ومع ذلك استمرّ على كفره وطغيانه حتّى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ

---

1 – القرطبي: م.س، ج١٨، ص ١٣٥

2 – ابن كثير: م.س، ج٤، ص ٣٧٤.

رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَـٰهًا غَيۡرِى لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَىۡءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعۡبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذًا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ (الشعراء ٢٦: ١٦-٤٨).

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأَيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأَخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ (النازعات ٧٩/١٥-٢٦).

## الخلاصـــة

لم يعط كتبة التوراة النبوة كبير أهميّة، تماماً كما لم يعطوا التوحيد أيّ أهميّة من قبل، وجعلوا جلّ اهتمامهم إضفاء صفة القوميّة على موسى ، فلم يزد على كونه عندهم زعيمًا قوميّاً يريد تحرير شعبه.

فما أتى به من آيات وأعاجيب لم تكن لإثبات نبوته، وإنّما كانت ضغوطات وتهديدات لفرعون من أجل إطلاق سراح بني إسرائيل.

وبالتّالي فلم تورد التّوراة، وخاصّة سفر الخروج، مظنّة البحث، حواراً في النبوة أو التوحيد بين موسى  وفرعون.

وجاء القرآن الكريم، فأضاف هدفًا جديدًا لحواره  مع فرعون، وهو حرصه على هدايته، وإيمانه بالله، ومن ثمّ بنبيّه موسى .

وكان  في حواره مع فرعون ليّنًا هادئًا، كما وجّهه ربّه سبحانه، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه ٢٠/٤٤). ولين موسى  لم يمنعه من مقارعة الحجّة بالحجّة، حيث استطاع أن يبكّت الخصم ويقيم الحجّة عليه، ويفنّد أقواله، وكان  سريع البديهة حاضر القول، فلمّا قال له فرعون ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الشّعراء: ٢٦/١٨-١٩) قال له بقوّة، وبدون تردّد: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشّعراء: ٢٦/٢٠-٢٢). فاعترف بذنبه يوم أن لم يكن نبيًّا، فقتل منهم نفسًا وهرب خوفًا من أن يقتلوه بالقتيل.

وأمّا إنعام فرعون وإغداقه عليه، فليس ذلك منّة لفرعون، وإنّما ذمّ له ، لأنّه وإن كان أنعم عليه إلاّ أنّه اضطهد وأذلّ بني جلدته، فلا فضل له إذن.

وكان منهج موسى عليه السلام فطرياً يخاطب الفطرة، ويذكر بالخلق والإبداع، وعظيم صنع الله، وقد حذّر فرعون من جبروت الله وسرعة انتقامه، وذكّرْ بما حلّ بالأمم الغابرة، فلم يلتفت فرعون لشيء من هذا، واستمرّ في عتوّه وعناده وكبريائه ورفضه لاتّباع الحقّ، وبالغ في تهديده ووعيده للمؤمنين، وتحريضه ضدّهم، وبثّ شبهاته تجاه موسى عليه السلام ورسالته، في حين أغرى وقرّب من سار في ركبه، واعتزل موسى عليه السلام ورسالته، فكانت عاقبتة خسراً، فأماته الله ومن معه غرقاً.

ويعلّق الأستاذ أحمد بهجت على منهج موسى عليه السلام في حواره مع فرعون فيقول: "لفت موسى نظر فرعون إلى آيات الله في الكون، ودار به مع حركة الرياح والمطر والنبات وأوصله مرّة ثانيّة إلى الأرض، وهناك أفهمه أنّ الله خلق الإنسان من الأرض، وسيعيده إليها بالموت، ويخرجه منها بالبعث وسيقف كلّ إنسان يوم القيامة أمام الله تعالى، لا استثناء لأحد، بما في ذلك فرعون. فلم يعجب فرعون هذا النذير، وتصاعد الحوار بينه وبين موسى عليه السلام، كان الحوار يعبّر عن الصّراع بينهما، سخنت حدّة الصراع، فتغيّرت لهجة الحوار، وأقام موسى عليه السلام الحجّة الدامغة على فرعون، أقام عليه الحجّة العقليّة، ولكن فرعون يتفلّت خارجًا من دائرة الحوار الذي بني على المنطق، وبدأ حواراً من نوع جديد، نوع لا يطيق موسى مجاراته فيه، إنّه يهاجم موسى ويهدّده ويحتقره، ويسبّه، أعطى فرعون ظهره للحقّ الذي جاء به موسى وتجاهل ما جاء به وبدأ يهاجمه في شخصه"[1].

1 – بهجت،أحمد: أنبياء الله، دار الشروق، ط ١٠، ١٤٠١هـ ١٩٨٢م، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام في النبوّة:

تمهيد:

إن ملأ عيسى عليه السلام في النبوّة هم اليهود، فما أرسل إلاّ إليهم، وهو الذي يقول: "ما أرسلني الله إلاّ إلى الخراف الضّالة من بني إسرائيل"[١].

وأمّا الحاكم الروماني فما كان يعنيه أمر عيسى عليه السلام، لولا حرصه على تهدئة الأمور، التي كان يثيرها بين الحين والآخر الكتبة والفريسيون من اليهود، ضدّ عيسى عليه السلام.

لقد نشأ وترعرع عيسى عليه السلام في بيئة يهوديّة، كما يقول ول ديورانت "ظلّ المسيح زمناً طويلاً لا يرى في نفسه إلاّ أنّه أحد اليهود، يؤمن بأفكار الأنبياء ويواصل عملهم، ويجري على سنّتهم، فلا يخطب إلاّ في اليهود، ولمّا أرسل أتباعه لينشروا إنجيله لم يرسلهم إلا لمدن اليهود"[٢]. وقد أعلنها للملأ أنّه لا يريد إلغاء الشريعة بل إكمالها، فقال: "لا تظنّوا إنّي جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لألغي بل لأكمل، فالحقّ أقول لكم: "إلى أن تزول الأرض والسماء لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشّريعة حتّى يتمّ كلّ شيء"[٣]. ومع ذلك فقد كثر جدالهم له وحوارهم معه عليه السلام، وكان يجيبهم من خلال موروثهم الدّيني، فيضع أيديهم على ما ورد في العهد القديم، فلا يسعهم عند ذلك إلاّ أن يسلموا ويذعنوا له.

وهذه بعض نماذج لحوارهم معه عليه السلام:

قال مرقس: "وتقدّم إليه واحد من الكتبة كان قد سمعهم يتجادلون، ورأى أنّه أحسن الردّ عليهم، فسأله: أيّة وصيّة هي أولى الوصايا جميعًا؟ فأجابه يسوع: "أولى الوصايا جميعًا هي: اسمع يا إسرائيل، الربّ إلهنا ربّ واحد، فأحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وبكلّ نفسك وبكلّ فكرك وبكلّ قوّتك، هذه هي الوصيّة الأولى. وهناك وصيّة ثانيّة مثلها، وهي أن تحبّ قريبك كنفسك، فما من وصيّة أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: صحيح، يا معلّم. حسب الحقّ تكلّمت، فإنّ الله واحد وليس آخر سواه، ومحبّته بكلّ القلب وبكلّ الفهم، ومحبّة القريب

---

1 – مت ١٥: ٢٥

2 – ول ديورانت: قصة الحضارة: قيصر والمسيح والحضارة الرومانيّة، ج٣ من مج ٣، ص ٢٢٩

3 – مت ٥: ١٧-١٩

كالنّفس، أفضل من جميع المحرقات والذّبائح"، فلمّا رأى يسوع أنّه أجاب بالحكمة، قال له: "لست بعيدا عن ملكوت الله" ولم يجرؤ أحد بعد ذلك أن يوجّه إليه أيّ سؤال"[1]، فأجابهم من التّوراة وبالتّحديد من (سفر التثنية ٦: ٤-٦). ولا يتردّد اليهود في طرح السؤال الواحد أكثر من مرّة، فهاهم يسألونه من جديد عن الوصيّة العظمى، فيجيبهم من خلال توراتهم. قال متّى "ولكن لمّا سمع الفريسيون أنّ يسوع أفحم الصدوقيين، اجتمعوا معا، وسأله واحد منهم، وهو من علماء الشّريعة، يحاول أن يستدرجه: "يا معلّم ما الوصيّة العظمى في الشريعة" فأجابه: "أحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك وكلّ فكرك" هذه هي الوصيّة العظمى الأولى والثانيّة مثلها:

"أحبّ قريبك كنفسك"، بهاتين الوصيّتين تتعلّق الشريعة وكتب الأنبياء[2]. ويسأله واحد من رؤسائهم: "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟ فيوجّهه ويجيبه عن سؤاله ومن توراتهم. قال لوقا: "وسأله واحد من الرؤساء قائلاً: "أيّها المعلّم الصالح، ماذا اعمل لأرث الحياة الأبديّة؟ ولكنّ يسوع قال له: "لماذا تدعوني الصّالح؟ ليس أحد صالحًا إلاّ واحد، وهو الله. أنت تعرف الوصايا: لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزّور، أكرم أباك وأمّك"[3]. وكانت إجابته ﷺ كذلك من التّوراة، فقد ذكّر السائل بالوصايا العشر (التثنية ٥: ١٦-٢١). ويكرّر له نفس السؤال أحد علماء الشّريعة ليجربّه، ولا يكتفي بالإجابة، وإنّما يتبع سؤاله بسؤال آخر، قال لوقا: "وتصدّى له أحد علماء الشّريعة ليجرّبه، فقال: يا معلّم، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟ فقال له: "ماذا كتب في الشّريعة؟ وكيف تقرأها؟ فأجاب: "أحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك، وكلّ قدرتك، وكلّ فكرك، وأحبّ قريبك كنفسك"، فقال له: "جوابك صحيح، فإن عملت بهذا تحيا". لكنّه إذ كان راغباً في تبرير نفسه، سأل يسوع: "ومن هو قريبي؟ فردّ عليه يسوع قائلاً: "كان إنسان نازلاً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بأيدي اللصوص، فانتزعوا ثيابه وماله وجرّحوه، ثمّ مضوا وقد تركوه بين حيّ وميّت، وحدث أنّ كاهنًا كان نازلاً في تلك الطّريق، فرآه ولكنّه جاوزه إلى الجانب الآخر، وكذلك مرّ أيضا

---

1 - مر ١٢: ٢٨-٣٤

2 - مت ٢٢: ٣٤-٤٠

3 - لو ١٨: ١٨-٢٠

واحد من اللاويين" فلمّا وصل إلى ذلك المكان، نظر إليه، ولكنّه جاوزه إلى الجانب الآخر. إلاّ أنّ سامريّاً مسافراً جاء إليه، ولمّا رآه، أخذته الشفقة عليه، فتقدّم إليه وربط جراحه بعدما صبّ عليها زيتاً وخمراً. ثمّ أركبه على دابّته وأوصله إلى الخان واعتنى به، وعند مغادرته الخان في اليوم التالي أخرج دينارين ودفعهما إلى صاحب الخان وقال له: اعتن به ومهما تنفق أكثر فإنّي أفيك ذلك عند رجوعي. فأيّ هؤلاء الثلاثة يبدو لك قريباً للذي وقع بأيدي اللصوص؟ فأجاب: إنّه الذي عامله بالرحمة. فقال له يسوع: اذهب واعمل أنت هكذا"[1].

وما كان يروق ليهود ما أجراه الله على يدي عيسى عليه السلام من أنّه يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ويحيي الموتى بإذن الله، فبدأ الفريسيون يشنّون حملة تشويه ضدّه من أنه لا يطرد الشياطين إلاّ (ببعلزبول) رئيس الشياطين، فردّ عليهم قولهم: قال متى: "ثمّ أُحضر إليه رجل أعمى وأخرس يسكنه شيطان، فشفاه حتّى أبصر وتكلّم، فدُهش الجميع كلّهم، وقالوا: "لعلّ هذا هو ابن داود"، أمّا الفريسيون فلمّا سمعوا بهذا قالوا: "إنّه لا يطرد الشياطين إلاّ ببعلزبول رئيس الشياطين"، وعلم يسوع أفكارهم، فقال لهم: "كلّ مملكة تنقسم على ذاتها تخرب، وكلّ مدينة أو بيت ينقسم على ذاته، لا يصمد، فإن كان الشيطان يطرد الشيطان، يكون قد انقسم على ذاته، فكيف تصمد مملكته؟ وإن كنت أنا أطرد الشياطين ببعلزبول، فأبناؤكم بمن يطردونهم؟ لذلك هم يحكمون عليكم؟ ولكن إن كنت بروح الله أطرد الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله، وإلاّ فكيف يقدر أحد أن يدخل بيت القويّ وينهب أمتعته إذا لم يربط القويّ أوّلاً، وبعدئذ ينهب بيته، من ليس معي، فهو ضدّي، ومن لا يجمع معي فهو يفرّق، لذلك أقول لكم: إنّ كلّ خطيئة وتجديف يُغفر للنّاس، وأمّا التجديف على الروح (القدس)، فلن يُغفر، ومن قال كلمة ضدّ ابن الإنسان يُغفر له، وأمّا من قال كلمة ضدّ الرّوح القدس، فلن يُغفر له، لا في هذا الزّمان، ولا في الزّمان الآتي"[2].

ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا منه مزيداً من الآيات. والذي يدعو للغرابة أن هذه الأسئلة من علمائهم، فلم يكن قصدهم التعلّم وإنّما التفكّه والإحراج، قال متّى: "عندئذ أجابه بعض الكتبة والفريسيين، قائلين: "يا معلّم، نرغب في أن نشاهد آية تجريها، فأجابهم: "جيل شرّير

---

1 - لو ١٠: ٢٥-٣٧

2 - مت ١٢: ٢٢-٣٢ و مر ٣: ٢٠-٣٠ و لو ١١: ١٤-٢٣

خائن يطلب آية، ولن يعطى آية إلاّ آية يونان النبي، فكما بقي يونان في جوف الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليال، هكذا سيبقى ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيّام وثلاث ليال، سيقف أهل نينوى يوم الدّينونة مع هذا الجيل ويدينونه، لأنّهم تابوا لمّا أنذرهم يونان، وها هنا أعظم من يونان. وستقوم مملكة الجنوب يوم الدّينونة مع هذا الجيل وتدينه، لأنّها جاءت من أقصى الأرض لتسمع حكمة سليمان، وها هنا أعظم من سليمان"[١].

ولم يرد الفريسيون لأحد أن يؤمن به، وحرّضوا عليه وهمّوا بقتله عدّة مرّات، ولقد انقسم النّاس في شأنه، إن كان هو النبي حقًّا، أو هو المسيح، واعتبر الفريسيون من يؤمن به ضالاًّ، قال يوحنا: "وفي آخر يوم العيد[٢]، وهو أعظم أيّامه، وقف يسوع وقال بأعلى صوته: "إن عطش أحد فليأت ويشرب، وكما قال الكتاب، فمن آمن بي تجري من داخله أنهار ماء حيّ"، قال يسوع هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به سيقبلونه، ولم يكن الروح قد أعطي بَعد ،لأنّ يسوع لم يكن قد تمجّد بعد". ولمّا سمع الحاضرون هذا الكلام قال بعضهم: "هذا هو النبيّ حقّاً"، وقال آخرون: "هذا هو المسيح"، ولكنّ بعضهم قالوا: "وهل يطلع المسيح من الجليل؟ أما قال الكتاب: إنّ المسيح سيأتي من نسل داود، ومن قرية بيت لحم حيث كان داود، وهكذا حصل بسببه بين الجمع انقسام في الرأي، وأراد بعضهم أن يلقوا القبض عليه، ولكنّ أحدًا لم يلق عليه يداً. ورجع حرّاس الهيكل إلى الفريسيين ورؤساء الكهنة، فسألوهم: "لماذا لم تحضروه، فأجابوا: لم نسمع قطّ إنساناً يتكلّم بمثل كلامه، فردّوا غاضبين: "وهل ضللتم أنتم أيضاً؟ أرأيتم أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به؟ أمّا عامّة الشّعب الذين يجهلـــون الشّريعة، فاللعنة عليهم". ولكنّ واحداً منهم، وهو نيقوديموس الذي كان قد جاء إلى يســـوع ليلاً، قال لهم: "أتسمح شريعتنا بأن يحكم على أحد دون سماع دفاعه أوّلاً لمعرفة ذنبـــه، فأجابوه: "ألعلك أنت أيضًا من الجليل؟ أدرس الكتاب تعلم أنّه لم يطلع قطّ نبيّ من الجليل"[٣].

---

[1] – مت ١٢: ٣٨-٤٢ و مر ٨: ١١-١٢ و لو ١١: ٢٩-٣٢

[2] – عيد المظال

[3] – يو ٧: ٣٧-٥٣

ولمّا اتّضح لعيسى عليه السلام حقيقة الفريسيين والكتبة معلمي الشّريعة حذّر تلاميذه منهم، ووبّخهم في أكثر من مناسبة، قال لوقا: "وفيما كان جميع الشّعب يصغون، قال لتلاميذه: "واحذروا من الكتبة الذين يرغبون التجوّل بالأثواب الفضفاضة، ويحبّون تلقّي التحيّات في الساحات العامّة، وصدور المجالس في المجامع، وأماكن الصّدارة في الولائم، يلتهمون بيوت الأرامل ويتذرّعون بإطالة الصلوات، هؤلاء ستنزل بهم دينونة أقسى"[١].

وأمّا بلدته الناصرة فقد رفضته، ولم تؤمن به، وهكذا الأنبياء يخرجهم أقوامهم ويعادونهم[٢]، قال مرقس: "وغادر يسوع ذلك المكان وعاد إلى بلدته، وتلاميذه يتبعونه، ولمّا حلّ السّبت، أخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثيرون حين سمعوه، وقالوا: "من أين له هذا؟، وما هذه الحكمة الموهوبة له، وهذه المعجزات الجارية على يديه؟ أليس هذا هو ابن النجار ابن مريم، وأخا يعقوب وموسى ويهوذا وسمعان؟ أو ليست أخواته عندنا هنا؟ هكذا كانوا يشكّون فيه، ولكنّ يسوع قال لهم: "لا يكون النبيّ بلا كرامة إلاّ في بلدته، وبين أقربائه، وفي بيته" ولم يقدر أن يعمل هناك أيّة معجزة، غير أنّه لمس بيديه عدداً قليلاً من المرضى، ثمّ أخذ يطوف بالقرى المجاورة وهو يعلّم"[٣].

المسيح وداود عليهما السّلام:

وردت فقرة في الأناجيل الإزائيّة[٤] تتحدّث عن المسيح المنتظر وداود عليهما السّلام، والغريب في الأمر أنّ كلّ فرقة تفسّرها وفق ما يحلو لها وتتّفق مع أهدافها، فاليهود يعادون عيسى عليه السلام ولا يريدونه مسيحاً منتظراً، لأنّه لم يتّفق مع مصالحهم ولأمور أخرى، ستكون موضوع بحثنا في الباب الثالث، وأمّا النصارى فيعتبرونه المسيح المنتظر، وبه ختمت النبّوة (الوحي).

---

1 - لو ٢٠: ٤٥-٤٧ ومت ٢٣: ١-٣٦ ومر ١٢: ٣٨-٤٠

2 - قال ورقة بن نوفل للرسول ﷺ: ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: " أو مخرجيّ هم ؟ " قال: " نعم، لم يأت رجل قطّ بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا" . البخاري: م.س، ١ كتاب بدء الوحي، ١ باب بدء الوحي، ح ٣ - مسلم: م.س، ٢ كتاب الإيمان، ٧٣ باب بدء الوحي، ح ٢٣١.

3 - مر ٦: ١-٦ ومت ١٣: ٥٤-٥٨ ولو٤: ١٤-٣٠.

4 - الإزائيّة: المتشابهة، وهي إنجيل متّى ومرقس ولوقا.

وبنظرة موضوعيّة إلى تلك الفقرة، نجد الأمر يختلف كثيراً عمّا ذهبوا إليه،ولنتأمّل جيّداً، قال متّى: "وفيما كان الفرّيسيون مجتمعين، سألهم يسوع: "ما رأيكم في المسيح، ابن من هو؟ أجابوه: "ابن داود"، فسألهم: "إذن كيف يدعوه داود بالرّوح ربّا له إذ يقول: قال الربّ لربّي: اجلس عن يميني حتّى أضع أعداءك موطئا لقدميك؟[1] فإن كان داود يدعوه ربّه، فكيف يكون ابنه؟، فلم يقدر واحد منهم أن يجيبه ولو بكلمة، ومن ذلك اليوم، لم يجرؤ أحد أن يستدرجه بأيّ سؤال"[2].

ويتّضح لنا من هذه العبارة ما يأتي:

١. إنّ عيسى عليه السلام قال: ما رأيكم في المسيح ولم يقل، ما رأيكم فيّ أنا؟

٢. إنّ عيسى عليه السلام يستغرب أن يكون المسيح ابن داود في حين يناديه داود عليه السلام ربّاً وسيّداً.

٣. إنّ نسب عيسى عليه السلام، ينتهي إلى داود عليه السلام كما ورد في الإنجيل وشروحه.

وعندما أرسل يوحنّا المعمدان اثنين من تلاميذه إلى عيسى عليه السلام ليتوثّق منه، إن كان هو المسيح الآتي؟ لم يجبه بنعم أو لا، وإنّما طلب منهما أن يخبراه بما رأيا من الآيات التي أجراها الله على يديه، قال لوقا: "ونقل تلاميذ يوحنّا إليه خبر هذه كلّها، فدعا يوحنّا اثنين من تلاميذه وأرسلهما إلى الربّ، يسأله: " أأنت هو الآتي، أم ننتظر آخر"، فلمّا جاء الرّجلان إلى الربّ، قالا: "أرسلنا إليك يوحنّا المعمدان، يسأل: "أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر"، وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وعلل وأرواح شريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين، فردّ يسوع إلى المرسلين قائلاً: "اذهبا وأخبرا يوحنّا بما قد رأيتما وسمعتما: أنّ العميان يبصرون، والعرْج يمشون، والبرْص يطهّرون، والصمّ يسمعون، والموتى يُقامون، والمساكين يبشّرون، وطوبى لكلّ من لا يشكّ فيّ"[3].

---

1 – مز ١١٠: ١.

2 – مت ٢٢: ٤١-٤٦ و مر ١٢: ٣٥-٣٧ و لو ٢٠: ٤١-٤٤.

3 – لوقا ٧: ١٨-٢٣

مقدّمات ونتائج، فإن لم يكن المسيح المنتظر ابن داود، وعيسى عليه السلام هو ابن داود، فليس إذن هو النبي المنتظر! ولم يكن كذلك بل مضى وانتهى وتوفّاه الله ورفعه إليه، ولعلّ ما ذهب إليه برنابا أقرب إلى الحقيقة، عندما ذهب إلى أنّ مسيّا هو محمد ﷺ، وهو ليس من نسل داود وإسحق عليهما السّلام بل من نسل إسماعيل عليه السلام، قال برنابا: "ولمّا انتهت الصّلاة قال الكاهن بصوت عالٍ: "قف يايسوع لأنّه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لأمّتنا".

أجاب يسوع: "أنا يسوع بن مريم، من نسل داود، بشر مائت ويخاف الله، وأطلب أن لا يعطى الإكرام والمجد إلاّ الله". أجاب الكاهن: "إنّه مكتوب في كتاب موسى أنّ إلهنا سيرسل لنا مسيّا، الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم رحمة الله، لذلك أرجوك أن تقول لنا الحقّ، هل أنت مسيا الله الذي ننتظره؟

أجاب يسوع: "حقّاً إنّ الله وعد هكذا ولكنّي لست هو لأنّه خلق قبلي وسيأتي بعدي"[1].

قال ابن تيميّة: "إنّه قال لربّي، وهذا يراد به السيّد كما قال يوسف عليه السلام ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَ ﴾ (يوسف:١٢/٢٣)، وقال لغلام الملك ﴿ ٱذۡكُرۡنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ (يوسف: ١٢/٤٢)، وقال تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ (يوسف:١٢/٤٢)، ولمّا ذكر الأول مطلقاً والثاني مقيّدًا، فيكون المعنى: وقال الله لسيّدي، وسمّاه سيّدًا تواضعًا من داود عليه السلام وتعظيمًا له لاعتقاده أنّه أفضل منه"[2].

وبذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون المنتظر هو عيسى عليه السلام، وإنّما ينطبق الوصف على غيره وهو محمد ﷺ لما ذكرت من الأدلّة.

<u>عيسى عليه السلام واليهود في القرآن الكريم:</u>

لقد سجّل الله سبحانه وتعالى، على اليهود لجاجهم وحوارهم وإيذاءهم لعيسى عليه السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ۖ أَنِّىٓ أَخۡلُقُ

---

1 – بر ٩٦: ١-٦

2 – ابن تيميّة: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، مطابع المجد التجاريّة، د.ت، ج٢، ص ٢٣٨.

لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٣/٤٩-٥٤). وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ٥/١١٠)، فجاءهم بالآيات البيّنات الدّالة على نبوّته وجاءهم بالتخفيف والرّحمة، ومع ذلك ما آمن به إلاّ القليل منهم، وجحد الأكثرون نبوّته وكذّبوا رسالته. وقد بالغوا في إيذائه عليه السلام وقذفوا أمّه بالزّنى (والعياذ بالله)، وتبجّحوا، وافتخروا بصلبه وقتله على حدّ زعمهم واعتبروا ذلك نصرًا مؤزراً لهم.

قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾( النساء: ٤/١٥٦-١٥٨).

ولمّا جاءهم عيسى عليه السلام :البيّنات وبالنبوّة، اختلفوا وصاروا فرقًا متناحرة، فلم يستفيدوا من مبعثه شيئا، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٦٣-٦٥). يقول الطبري وكذا ابن كثير إنّ الحكمة هي النبوة، ويقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٦٥)، أي اختلفت الفرق وصاروا شيعًا فيه، منهم من يقرّ بأنّه عبدالله ورسوله وهو الحقّ، ومنهم من يدّعي أنّه ولد الله، ومنهم من يقول أنّه الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٦٥)(١).

وقد طلب الحواريّون -وهم أتباع وتلامذة عيسى عليه السلام- أن يدعو الله أن ينزل عليهم مائدة من السّماء، فنصحهم بالعدول عن مطلبهم، فأصرّوا عليه، وعندها حذّرهم من مغبّة عدم الإيمان به بعد نزول الآية، لأنّه جرت سنّة الله في خلقه إذا طلبوا آية من نبيّهم فاستجاب لهم ولم يؤمنوا أهلكهم، فدعا عيسى عليه السلام ربّه عزّ وجلّ، أن ينزل المائدة عليهم، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ٥/١١٢-١١٥).

---

1 - ابن كثير: م.س، ج٤، ص ١٣٣

وقد كان إنزال المائدة، آية أخرى من الله تعالى دالة على صدق نبوّته عليه السلام، وقد تنبّه الطبري للفتة لطيفة في ذلك فقال معلّقا على قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ٥/١١٥): "وهذا جواب من الله تعالى القومَ فيما سألوا نبيّهم عيسى مسألة ربّهم من إنزاله مائدة عليهم، فقال تعالى ذكْره: إنّي منزّلها عليكم أيّها الحواريون فمطعكموها ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ ﴾ يقول: فمن يجحد بعد إنزالها عليكم، وإطعامكموها منكم رسالتي إليه، وينكر نبوّة نبييّ عيسى عليه السلام، ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته، فإنّي أعذّبه عذابًا لا أعذّبه أحدًا من عالمي زمانه، ففعل القوم، فجحدوا وكفروا بعدما أنزلت عليهم فعذّبوا بأن مسخوا قردة وخنازير"[1].

---

1 - الطبري: م.س، ج ٧، ص ١٣٦

لم يقبل اليهود بعيسى عليه السلام نبيّاً، وبذلوا كلّ ممكن في إيذائه، وأحرجوه بمزيد من الأسئلة واستخدموا موروثهم الدّيني في ذلك، وطلبوا منه مشاهدة الآيات، ولم يكن قصدهم التعلّم ولا الإيمان، وإنّما الإحراج والتفكّه، والذي يدعو للغرابة أنّ الأسئلة كانت تصدر من الكتبة والفريسيين، وليس من عوام اليهود، والأشدّ غرابة من ذلك: أنّهم كانوا يحرّضون عليه عامّة النّاس، ويزهّدونهم في الإيمان به وتصديقه، ولم يتردّدوا في أن ينالوا من شخصه وأمّه عليهما السّلام، فاتّهموه بأنّه يتعامل مع الشياطين، ويجري الآيات بعون منها، ونالوا من أمّه فقذفوها بالزّنا من غير دليل ولا برهان (والعياذ بالله).

وكان عيسى عليه السلام يقارعهم الحُجّة بالحجّة، ويردّ عليهم بقوّة فيبكّتهم ويفحمهم، ويستدعي التّاريخ، ويستخدم موروثهم الدّيني، حتّى أضحى كلامه كاللوحة المطرّزة بفقرات من العهد القديم.

وكان يؤكّد دائماً على توحيد الله، ومحبّة القريب والبعيد، وقد أخذ الجانب الأخلاقي حيّزاً كبيراً من خريطة اهتماماته اليوميّة، وبقي على ذلك حتّى رفعه الله إليه.

ولكن لِمَ فعل ذلك اليهود؟ ولماذا لم يؤمنوا به وناصبوه العِداء؟

والإجابة عن ذلك في الباب الثالث "الحوار الاجتماعي بين الأنبياء والملأ" الفصل الأول، مبحث الحوار بين عيسى عليه السلام والملأ في الزعامة وإثبات الذّات.

## المبحث الثالث: حوار الرسول ﷺ مع الملأ في النبّوة:

### تمهيد:

عجباً لبني البشر قبلوا الألوهيّة للحجر، ولم يقبلوا النبّوة للبشر، ومحمد ﷺ ليس بدعاً من الرّسل، فهو كغيره من إخوانه الأنبياء والمرسلين، رفضت نبوّتهم ابتداء بحجّة بشريّتهم، وهذه شبهة توارثها الأقوام في رفضهم لأنبيائهم.

وأطراف الحوار مع الرسول ﷺ، في النبّوة: قريش حيث بعث فيهم، ومن خلفهم اليهود والنّصارى.

أمّا قريش فلم تقبل وساطة بشريّة بين الربّ والعبد لاسيمَا إذا تزعّمها فقير يتيم، وأمّا اليهود والنّصارى، فهم المرجعيّة في الوحي والنبّوة، فموروثهم الدّيني بين أيديهم، وبإمكانهم أن يفرّقوا بين النبي والمتقّول، فباعهم في ذلك طويل، فحاوروا ووجّهوا، ومنهم من آمن ومنهم من تمسّك بدينه، فما الدّافع للإحجام أو الإقدام تُجاه النبي الجديد؟

### قريش وحوارها للرسول ﷺ في النبّوة:

ما كانت قريش لتصدّق أنّ الله يرسل بشراً، فالمهمّة عندهم أعظم بكثير من ذلك، فرفضوا نبوّة محمّد ﷺ، وطالبوه بمزيد من الآيات ليتوثّقوا من نبوّته، ولمّا أحسّوا بخطورة أمره، وخافوا على مصالحهم أن يسلبها منهم، وظنّوه منافساً لهم يبتغي المال والجاه والسّلطان، ساوموه من هذا الجانب بعيداً عن النبّوة، ولمّا سقط في أيديهم، عملوا كلّ ما في وسعهم للوقوف في وجهه وللحدّ من طريقته، وهذه نماذج من محاورتهم له ﷺ في النبّوة:

قال ابن إسحق: "إنّ عتبة بن ربيعة وكان سيّداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمّد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء، ويكفّ عنّا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقال: يا ابن أخي، إنّك منّا حيث قد علمت من السّطه في العشيرة، والمكان في النسب، وإنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم،

فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها، قال: فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد اسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك أموالنا حتّى نبرئك منه، فإنّه ربّمـــا غلب التابع، على الرجل حتّى يداوى منه أو كما قال، حتّى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منّي، قال: أفعل، فقـــال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ (فصلت: ٤١/١-٥). ثمّ مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلمّا سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، ثمّ انتهى رسول الله ﷺ إلى السّجدة منها، فسجد ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشّعر، ولا بالسّحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرّجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد النّاس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم"[1].

وهكذا لم تقبل قريش نصيحة عتبة وأصرّت على موقفها، وأجمع زعماؤها على أن يرسلوا لمحمّد ﷺ ويجتمعوا به ويعرضوا عليه ما عرض عليه عتبة ثانيّة، فتمّ اللقاء ورفض العرض، وعلّقوا إيمانهم به ﷺ على الاستجابة لقائمة طويلة من طلباتهم التعجيزيّة! نقل ابن إسحق عن ابن عبّاس ﷺ، قال: "اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثمّ قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتّى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فأتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظنّ أنّ قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحبّ رشدهم، ويعزّ عليه عنتهم، حتّى جلس إليهم،

---

1 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص ٦٣-٦٤، ابن هشام م.س،القسم الاول،ص٢٩٣ ،٢٩٤.

فقالوا: يا محمّد، إنّا قد بعثنا إليك لنكلّمك، وإنّا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدّين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلاّ قد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنّما تطلب به الشّرف فينا، فنحن نسوّدك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك -وكانوا يسمون التابع من الجنّ رئيّاً- فربّما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطبّ لك حتّى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشّرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكنّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلّغتكم رسالات ربّي، ونصحت لكم فإن تقبلوا منّي ما جئتكم به، فهو حظّكم في الدّنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتّى يحكم الله بيني وبينكم، أو كما قال ﷺ. قالوا: يا محمّد، فإن كنت غير قابل منّا شيئاً ممّا عرضناه عليك فإنّك قد علمت أنّه ليس من النّاس أحد أضيق بلداً، ولا أقلّ ماءً، ولا أشدّ عيشاً منّا، فسلْ لنا ربّك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيّر عنّا هذه الجبال التي ضيّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجّر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشّام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم قصيّ بن كلاب، فإنّه كان شيخ صدق، فنسألهم عمّا تقول: أحقّ هو أم باطل، فإن صدقّوك وصنعت ما سألناك صدّقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنّه بعثك رسولاً كما تقول، فقال لهم ﷺ: ما بهذا بُعثت إليكم، وإنّما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلّغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظّكم في الدّنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى، حتّى يحكم الله بيني وبينكم، قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، وسلْ ربّك أن يبعث معك ملكاً يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسلْه فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضّة يُغنيك بها عمّا نراك تبتغي، فإنّك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربّك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا الذي يسأل ربّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكنّ الله بعثني بشيراً نذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظّكم في الدّنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتّى يحكم بيني

وبينكم، قالوا: فأسقط السّماء علينا كسفاً كما زعمت أنّ ربّك إن شاء فعل، فإنّا لا نؤمن لك إلاّ أن تفعل، قال: فقال رسول الله ﷺ: ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل، قالوا: يا محمّد، أفما علم ربّك أنّا سنجلس معك ونسألك عمّا سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك فيعلّمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، إنّه قد بلغنا إنّما يعلّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنّا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمّد، وإنّا والله لا نتركك وما بلغت منّا حتّى نهلكك، أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتّى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً. فلمّا قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنهم، وقام معه عبدالله بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم -وهو ابن عمّته، فهو لعاتكة بنت عبد المطلّب- فقال له: يا محمّد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثمّ سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل، ثمّ سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثمّ سألوك أن تعجّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب، فلم تفعل، فوالله لا أومن بك أبداً حتّى تتّخذ إلى السماء سلّماً، ثمّ ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتّى تأتيها، ثمّ تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنّك كما تقول، وأيم الله، لو فعلت ذلك ما ظننت أنّي أصدّقك، ثمّ انصرف عن رسول الله ﷺ. وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته ممّا كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولِما رأى من مباعدتهم إيّاه"[1].

قال ابن إسحق: "وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (الرعد: ٣١/١٣)، أي لا أصنع من ذلك إلاّ ما شئت. وأنزل عليهم في قولهم: خذ لنفسك، ما سألوه أن يأخذ لنفسه، أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً، ويبعث معه

---

1 - ابن هشام: م.س،القسم الأول، ص ٢٩٥-٢٩٨، الواحدي: م.س، ص١٦٨- ١٧٠، السيوطي: م.س، ص ١٧٤، ١٧٥، ابن كثير: مختصر السيرة النبوية، ص ٨٠-٨٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص ٥٠، ٥١.

ملكاً يصدقه بما يقول، ويردّ عنه:﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا" (الفرقان: ٢٥/٧-١٠). وأنزل عليه في ذلك من قولهم: "وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾(الفرقان:٢٥/٢٠) أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا، ولو شئت أن أجعل الدّنيا مع رسلي فلا يخالفوا لفعلت. وأنزل الله عليه فيما قال عبدالله بن أبي أميّة: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء:١٧/٩٠-٩٣)(١).

وفي ذلك يقول الصابوني: "اعترض المشركون على بعثة محمد بن عبد الله ﷺ، كيف يكون من البشر وهو يدّعي النبّوة؟ إنّه بشر مثلهم يأكل، ويشرب، وينام، ويمشي في الأسواق. واتّخذوا من ذلك ذريعه لتكذيبه والطعن في رسالته، وطلبوا أن يكون معه من الملك، والجاه والسّلطان ما يؤهّله للنبوّة، المال الوفير، والكنوز العظيمة، والحدائق الغنّاء، ومن كلّ زهرة الدّنيا ممّا يكون عادة للملوك والعظماء، ثمّ لمّا رأوه فقيراً يتيماً، استبعدوا

---

1 - ابن هشام : م.س، القسم الأول، ص ٣٠٨-٣٠٩.

ذلك على الله جلّ وعلا وأنكروا رسالته، وقالوا إنّه ساحر يسحر النّاس بحلاوة لسانه وطيب كلامه، وإن ما جاء به ما هو إلاّ من أساطير الأولين"[١].

ومع ذلك نرى أنّ تلك المطالب التعجيزيّة جاءت على وجه العناد لا على وجه طلب الهدى والرّشاد، والإجابة إلى طلبهم مهلك لهم إن لم يؤمنوا[٢].

وهكذا مضت سنّة الله في خلقه، قال ابن كثير: "فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ وما تعنّتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد لا على وجه طلب الهدى والرشاد.

فلهذا لم يجابوا إلى كثير ممّا طلبوا ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحقّ سبحانه وتعالى أنّهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلّوا في غيّهم وضلالهم يتردّون.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/١٠٩-١١١). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (يونس:٩٦-٩٧). وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (الإسراء:١٧/٥٩)[٣].

---

1 – الصابوني، محمد بن علي: النبوة والأنبياء، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٥.

2 – قال تعالى: (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) (المائدة: ٥/١١٥)، وقال تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ) ( الأنعام: ٦/٨)

3 – ابن كثير: مختصر السيرة النبوية، ص ٧٩، ٨٠.

وقد استجاب الله لدعاء الرسول ﷺ عليهم بالقحط فكانت آية الدّخان، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: " إنّما كان هذا لأنّ قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ، دعا عليهم بسنين كسنيّ يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتّى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السّماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدّخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الدخان: ٤٤/١٠-١١)(١).

وأجيبت قريش إلى طلبها عندما سألوا الرسول ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر. فعن أنس بن مالك ﷺ "أن أهل مكّة سألوا رسول الله أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر"(٢).

وقد تعنّتت قريش، ووقفت أمام الحقّ بكل صلف وكبرياء، وأبت أن تؤمن، وبلغت الأوج في ذلك عندما صرّحت على لسان أحد زعمائها أبي جهل فيما يرويه أنس بن مالك، قال: "قال أبو جهل: اللهم! إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٨/٣٢-٣٤)(٣).

---

1 - البخاري: م.س، ٤٥ كتاب التفسير، ٢٧٨ باب يغشى الناس هذا عذاب أليم، ح ٤٤٤٧. مسلم: م.س، ٥٢ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ٨ باب الدخان،ح ٥٠٠٧.

2 - البخاري:م.س، ٤٣ كتاب المناقب، ٢٤ باب سؤال المشركين أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر، ح ٣٣٦٥ . مسلم: م.س،٥٢ كتاب صفة القيامة والجنة والنار،٩ باب انشقاق القمر، ح ٥٠١٣.

3 - البخاري: م.س، ٤٥ كتاب التفسير،١٣٩ باب وما كان ليعذّبهم وأنت فيهم، ح ٤٢٨٢ . مسلم: م.س،٥٢ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ٦ باب وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، ح ٥٠٠٤.

وليس المراد نفي مطلق العذاب عنهم، بل هُمْ بصدده إذا هاجرﷺ عنهم، فالعذاب واقع لا محالة بهم، فلمّا خرج الرسول ﷺ من بين أظهرهم، أوقع الله بهم بأسه، يوم بدر، فقتل صناديدهم وأسر سراتهم[1].

يقول العلامة محمد رشيد رضا: "رُوي أنّ النضر بن الحارث لمّا قال إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين"، قال النبي ﷺ: "ويلك إنّه كلام الله"، فقال هو وأبو جهل: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال: ٨/٣٢)، فنزلت الآية: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (الأنفال: ٨/٣٣)[2].

والمعنى: اللهمّ إن كان هذا القرآن وما يدعو إليه هو الحقّ منزّلاً من عندك ليدين به عبادك كما يدّعي محمّد ﷺ فافعل بنا كذا وكذا، أيّ أنّهم لا يتّبعونه، وإن كان هو الحقّ، المنزّل من عند الله لأنّه نزل على محمّد بن عبدالله الذي يلقّبونه بابن أبي كبشة[3] بل يفضّلون الهلاك بحجارة يرجمون بها من السّماء، وبعذاب أليم آخر يأخذهم على اتّباعه.ومن هذا الدّعاء علم أنّ كفرهم عناد وكبرياء وعتوّ وعلوّ في الأرض، لا لأن ما يدعوهم إليه باطل أو قبيح أو ضارّ، روي أنّ معاوية ﷺ قال لرجل من سبأ: "ما أجهل قومك حين ملّكوا عليهم إمرأة؟ فقال أجهل من قومي قومك حين قالوا: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال: ٨/٣٢)، ولم يقولوا فاهدنا إليه"[4].

وبذلك نرى أنّ قريشاً ممثّلة بزعامتها قد أعطت حكماً وقراراً مسبقاً بعدم الإيمان بالنبيﷺ،سواء كان على حقّ أم على باطل، وظهر ذلك واضحاً في كلام عبد الله بن أمّية

---

1 – عبد الباقي، محمد فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشيخان، ج٣، ص ١٣٠.

2 – الواحدي: م.س، ص ١٣٥ – السيوطي: م.س، ص ١٣٠– رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، مج ٩، ص ٦٥٦.

3 – أبو كبشة: كنية أبي النبيﷺ من الرضاع، وهو الحارث بن عبدالعزّى بن رفاعة – ابن هشام: م،س، ص ١٦١ – عبدالباقي: م.س، ج٢، ص ٢٢١.

4 – رضا، محمد رشيد : م.س، مج ٩، ص ٦٥٦.

عندما قال بعد مطالبه التعجيزية: "وأيْم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنّي أصدّقك"، وكلام أبي جهل السالف الذكر يفضّل فيه الهلاك بالحجارة على الإيمان الحقّ. واتّضح لقريش أنّ محمّداً ﷺ نبيٌّ لما أظهره الله على يديه من آيات بيّنات، ولما عرفوه عنه من خصال الصفات، ومع ذلك أصرّت على عدم الإيمان به وصعّدت من مقاومتها له ﷺ، ومن آمن به من الضعفاء، ويفشل أبو جهل في إيذائه، ويتنبّه النضر بن الحارث لتنامي قوّة الرسول ﷺ وسطوع نجمه، ويرشد قريشاً إلى ضرورة الاستعانة باليهود لمقاومته فكريّاً، قال ابن إسحق: "فلمّا أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثمّ جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسول الله ﷺ بمكّة وقبلته إلى الشّام، فكان إذا صلّى، صلّى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشّام، فقام رسول الله ﷺ يصلّي، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلمّا سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثمّ أقبل نحوه، حتّى إذا دنا منه رجع ممتقعاً لونه، مرعوباً قد يبست يداه على حجره، حتّى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلمّا دنوت منه عَرَض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفَحْلٍ قطّ، فهمّ بي أن يأكلني"[1]. قال ابن إسحق: فذكر لي أنّ رسول الله ﷺ، قال: ذلك جبريل علي السّلام، لو دنا لأخذه، فلمّا قال لهم ذلك أبو جهل، قام النضر بن الحارث[2]، فقال: يا معشر قريش، إنّه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، فقد كان محمّد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم،

---

1 – ابن كثير: مختصر السيرة النبوية، ص ٧٣-٧٤.

2 – كان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسبنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا فذكّر فيه بالله، وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثمّ قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلّم إليّ، فأنا أحدّثكم أحسن من حديثه، ثمّ يحدّثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار، ثمّ يقول بماذا محمّد أحسن حديثا مني؟

قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله.

قال ابن إسحق: وكان ابن عبّاس رضي الله عنهما يقول: فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عزّ وجلّ : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ) ( القلم: ٦٨/١٥)، وكلّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن " – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٣٠٠.

وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتّى إذا رأيتم في صدغيه الشّيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السّحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشّعر، وسمعنا أصنافه كلّه، هزجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنّه والله لقد نزل بكم أمر عظيم. فلمّا قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيْط إلى أحبار يهود المدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمّد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأوّل، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتّى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنّكم أهل التّوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرّجل متقوّل، فروْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدّهر الأوّل ما كان أمرهم، فإنّه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الرّوح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه، فإنّه نبيّ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتّى قدما مكّة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمّد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرّجل متقوّل، فروْا فيه رأيكم .فجاؤوا رسول الله ﷺ، فقالوا: "يا محمّد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدّهر الأوّل قد كانت لهم قصّة عجب، وعن رجل كان طوّافًا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الرّوح ما هي؟"[1].

- فأنزل الله في شأن الفتية قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴾(الكهف:٩/١٨).وأنزل في شأن الرجل الطوّاف قوله تعالى:

---

1 – ابن هشام: م.س،القسم الاول، ص ٢٩٨-٣٠١.

2 – ن.م، القسم الأول، ص ٣١١.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ (الكهف:١٨/٨٣). وأنزل في شأن الروح قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء:١٧/٨٥). ولم تستفد قريشاً من الآيات البيّنات والإجابات الواضحات وأصرّت على باطلها ولم تؤمن بالنبي ﷺ رغم قيام الحجّة، فتبيّن أنّ مراءهم لم يكن حبّاً في الحقيقة وبحثاً عنها، وإنّما هو العناد بعينه.

- واستمرّت قريش في حربها الفكريّة، وفي بثّ شُبهاتها وتشكيكها في الرسول والرّسالة، قال ابن إسحق: "وأنزل الله تعالى في قولهم: إنّا بلغنا أنّك إنّما يعلّمك رجل باليمامة، يقال له الرحمن، ولن نؤمن به أبداً: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (الرعد:١٣/٣٠)(١).

هذا، وقد جمعت قريش بين حربها الفكريّة، واعتداءاتها على الرسول ﷺ ومن تبعه من ضعفاء الصحابة رضي الله عنهم، فرموه بالسّحر والجنون والكهانة، واعتدوا عليه مراراً وآذوه[٢]. قال ابن إسحق: "ثمّ إنّ قريشا اشتدّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله ﷺ: سفهاءهم، فكذّبوه وآذوه، ورموه بالشّعر والسّحر والكهانة، والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفى به مبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيّاهم على كفرهم. ويذكر عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أكثر ما رأى قريشاً أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من

---

1 – باستقراء اعتداءات قريش على شخص الرسول ﷺ يتبيّن أنّ الله كان يحميه أحيانًا، فينجو منهم، وفي بعض الأحيان يتعرّض للاعتداء الجسدي، أو النفسي من قريش، والذي نستفيده من ذلك، أن لا يظنّ من آمن بالله أنّه قد أخذ عهدًا على الله بأن لا يبتلى ولا يؤذى، فهذا سيّد الخلق محمد ﷺ أوذي في سبيل الله، وإنّه من الممكن أن يصرف عنه البلاء بقدرة الله، قال تعالى:

"أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ" (سورة البقرة:٢/٢١٤).

عداوته؟ قال: حضرتهم، وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قطّ، سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: فبينا هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتّى استلم الركن، ثمّ مرّ بهم طائفًا بالبيت، فلمّا مرّ بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، قال: ثمّ مضى، فلمّا مرّ بهم الثانيّة غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه رسول الله ﷺ، ثمّ مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، ثمّ قال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذّبح، قال: فأخذت القوم كلمته حتّى مامنهم رجل إلاّ كأنّما على رأسه طائر واقع، حتّى إن أشدّهم فيه وصاة[1]، قبل ذلك ليرفؤه[2] بأحسن ما يجد من القول، حتّى إنّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتّى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتّى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: نعم أنا الذي أقول ذلك، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله؟ ثمّ انصرفوا فإنّ ذلك لأشدّ ما رأيت قريشاً نالوا منه قطّ. قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم: أنّه أشدّ ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنّه خرج يوماً فلم يلقه أحد من النّاس إلاّ كذّبه وآذاه، لا حرّ ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله، فتدثّر من شدّة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (المدثر:٧٤/١-٢)(٣).

وقد ضربت قريش حول رسالة محمد سياجاً شائكًا من الحرب الإعلاميّة، ليس على المقيمين في مكّة فقط بل على أنفسهم وعلى الوافدين كذلك، فسياسة قريش تقتضي عدم

---

1 – وصاة: الوصية.

2 – يرفؤه: يهدّئه ويسكّنه ويرفق به ويدعو له.

3 – ابن هشام: م.س،القسم الاول ، ص ٢٨٩-٢٩١.

الاستماع لمحمّد ﷺ والتشويش عليه، تعليمات وتوجيهات يعاقب مخالفها، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ﴾ (فصلت:٤١/٢٦). قال ابن كثير: "أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا القرآن، ولا ينقادوا لأوامره، وإذا تلي لا يسمعوا له، كما قال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن"[1]. قال الطبري: "وقال مشركو قريش لأوليائهم: لا تسمعوا ولا تصغوا لقارئ هذا القرآن، والغطوا بالباطل عند قراءته كيلا تسمعوه"[2].

ومن نماذج استماعهم خلسة للقرآن الكريم، ومن ثمّ تعاهدهم على عدم العود لذلك ما قاله ابن إسحق: "إنّ أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلّي من الليل في بيته، فأخذ كلّ رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكلّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثمّ انصرفوا، حتّى إذا كانت الليلة الثانيّة، عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطّريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوّل مرّة، ثمّ انصرفوا، حتّى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلّ واحد منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتّى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثمّ تفرّقوا"[3].

وهذه صورة من الحرب الإعلاميّة التي مارستها قريش، في تلقّيها للوفود، وتحذيرهم من الاستماع لمحمّد ﷺ، يقصّها علينا الطفيل بن عمرو الدوسي، في خبر إسلامه، فيما يرويه عنه ابن إسحق قال: "كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدّث أنّه قدم مكّة ورسول الله ﷺ بها فمشى إليه رجال قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: إنّك قدمت

---

1 – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٩٩.

2 – الصابوني، محمد بن علي، ود. صالح أحمد رضا: مختصر تفسير الطبري، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.، مج٢، ص ٤١٨.

3 – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٣١٥.

بلادنا وهذا الرّجل الذي بين أظهرنا فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا، وإنّما قوله كالسّحر يفرّق بين المرء وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلّمه ولا تسمعنّ منه، قال: فوالله مازالوا بي حتّى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلّمه، حتّى حشوت في أذنيّ حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي عند الكعبة، فقمت قريباً منه فأبى الله إلاّ أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي: واثكل أمّاه، والله إنّي لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرّجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت، قال: فمكثت حتّى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فتبعته حتّى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمّد. إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوّفوني أمرك حتّى سددت أذنيّ بكرسف لئلا أسمع قولك، ثمّ أبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً فأعرض عليّ أمرك، فعرض رسول الله ﷺ عليّ الإسلام وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ"[1].

وبذلك تكون قريش قد بذلت جهدها وأفرغت وسعها في صدّ النّاس وإبعادهم عن النبي ﷺ، حيث منعت المقيمين من الاقتراب منه والاستماع له، وحظرت ذلك على زعمائها، ومنعت الوافدين من الالتقاء به والجلوس معه، وكان هدفها واضحًا في عدم تجاوز الإسلام حدود مكّةالمكرمة.

حوار اليهود مع الرسول ﷺ في النبوة:

ليس غريباً أن يكون المبلّغ أوعى من السّامع، فاليهود كانوا يعلمون أن زمان مبعث الرسول ﷺ قد أطلّ، وكانوا يتوعّدون بعضهم بعضاً به، وقد توعّدوا أهل يثرب به كذلك، فلمّا أراد الله إظهار دينه، ألهم وذكّر نفراً من الخزرج مقولة يهود فآمنوا، قال ابن إسحق: "وكان ممّا صنع الله بهم في الإسلام أنّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شركٍ وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان

---

1 - ن.م، القسم الاول،ص ٣٨٢، ٣٨٣ - البيهقي: م.س، ج٥، ص ٣٦٠، ٣٦١.

بينهم شيء قالوا لهم: إنّ نبيّاً مبعوث الآن، قد أطلّ زمانه، نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلمّا كلّم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض، يا قوم، اعلّموا والله إنّه للنبي الذي توعّدكم به يهود فلا تستبقنّكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض من الإسلام"[1].

ونقل ابن إسحق عن ابن عبّاس: أنّ يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلمّا بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتّقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمّد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك قولهم :﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢/٨٩)[2].

قال الواحدي: "قال السدّي: كانت العرب تمرّ بيهود، فتلقى اليهود منهم أذىً، وكانت اليهود تجد نعت محمّد في التّوراة أن الله يبعثه فيقاتلون معه العرب، فلمّا جاءهم محمّد ﷺ كفروا به حسداً، وقالوا: إنّما كانت الرّسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل"[3].

ويقول محمد عزّة دروزة: ومن مواقف اليهود الحجاجيّة، ما كان حول نبوّة محمد ﷺ بسبب عروبته قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ

---

[1] – ن.م، القسم الأول، ص ٤٢٨، ابن تيمية: توحيد الألوهيّة، مج١، ص ٢٩٧.

[2] – ابن هشام: م.س ،القسم الأول، ص ٥٤٧، السيوطي: م.س، ص ١٦

[3] – الواحدي: م.س، ص ١٥

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الجمعة:٦٢/٢-٥)، وروح هذه الآيات الكريمة يلهم بقوّة أنّ اليهود ادّعوا أنّ الله قد اختصّ بني إسرائيل دون سائر الأجناس بالولاية والنبّوة، وأنكروا نبوّة محمّد ﷺ لأنّه ليس من بني إسرائيل، فردّت عليهم هذه الآيات بهذه التّقريرات القويّة، فليس من حرج على فضل الله، وهو مطلق الإرادة يختصّ بفضله من يشاء، وبهذا الفضل مَنَّ على الأميّين، أي العرب، فبعث منهم رسولاً يهديهم ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، واليهود مكابرون في دعواهم وإنكارهم، وهم يعرفون الحقّ ويكتمونه، والتّوراة قد احتوت بشارات بمبعث النبي ﷺ، وإنّ مكابرتهم والحالة هذه تجعلهم ينقضون توراتهم ولا يقومون بما أوجبته عليهم، ولا يعترفون بما فيها من بشارات، ويستحقّون أن يشبّهوا بالحمار الذي يحمل أسفار العلم ولا ينتفع بها"[1].

ومع ذلك كان هناك نماذج طيّبة من يهود انشرحت صدورهم للإسلام، فآمنوا وصدّقوا، ومن أولئك، عبدالله بن سلام، و مخيريق.

أمّا عبدالله بن سلام: فيروي قصّة إسلامه فيما يرويه عنه ابن إسحق: قال: "وكتمت إسلامي من يهود، ثمّ جئت رسول الله ﷺ، فقلت له : يا رسول الله، إنّ يهود قوم بُهْتٌ، وإنّي أحبّ أن تُدخلني في بعض بيوتك، وتغيّبني عنهم، ثمّ تسألهم عنّي، حتّى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنّهم إن علموا به بهتوني وعابوني، قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلّموه وساءلوه، ثمّ قال لهم: أيّ رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيّدنا وابن سيّدنا، وحبرنا وعالمنا، قال: فلمّا فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتّقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنّكم لتعلمون أنّه لرسول الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإنّي أشهد أنّه رسول الله ﷺ، وأومن به وأصدّقه وأعرفه، فقالوا: كذبت ثمّ وقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله: ألم أخبرك يا رسول

---

[1] – دروزة، محمد عزة: اليهود في القرآن الكريم، ص ٧٤

الله ﷺ أنّهم قوم بُهت، أهل غدر وكذب وفجور، قال: "فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمّتي خالدة بنت الحارث، فحسُن إسلامها"(١).

وأمّا مخيريق فكان حبراً عالماً، وكان رجلاً غنيّاً، آمن يوم أحد، وأوصى بأمواله للرسولﷺ، ليصنع فيها ما أراد الله، واستشهد من يومه رحمه الله(٢).

ومن مواقف اليهود الحجاجيّة مع الرّسول ﷺ في النبوّة:

عن أنس رضي الله عنه، قال: "سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف(٣) فأتى النبي ﷺ فقال: إنّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلاّ نبيّ، فما أوّل أشراط السّاعة، وما أوّل طعام أهل الجنّة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمّه؟ قال: أخبرني بهنّ جبريل آنفاً، قال جبريل؟ قال: نعم، قال: ذلك عدوّ اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (البقرة:٢/٩٧) أمّا أوّل أشراط السّاعة فنار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعام أهل الجنّة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّك رسول الله"(٤).

وعن ثوبان رضي الله عنه "أنّ حبراً من أحبار اليهود قال لرسول الله ﷺ: جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض، إلاّ نبيّ أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدّثتك؟ قال: أسمع بأذنيّ، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منيّ المرأة، أذْكرا بإذن الله، وإذا علا منيّ المرأة منيّ الرجل، آنثا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنّك لنبيّ، ثمّ انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتّى أتاني الله به"(٥).

---

1 – ابن هشام: م.س،القسم الأول، ص ٥١٧ – البيهقي: دلائل النبوّة، ج٢، ص ٥٢٧-٥٢٨

2 – ابن هشام: م.س،القسم الأول ص ٥١٨

3 – يخترف: يجتني من ثمارها.

4 – البخاري: م.س ، كتاب التفسير، ح ٤١٢٠.

5 – مسلم: م.س، كتاب الحيض، باب صفة منيّ الرجل والمرأة، ح ٤٧٣.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ، في خَرِب المدينة، وهو يتوكّأ على عسيب معه، فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الرّوح، وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنّه، فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم، ما الرّوح؟ فسكت، فقلت: إنّه يوحى إليه، فلمّا انجلى عنه فقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء:١٧/٨٥)[1].

وقال ابن إسحق: "وقال حييّ بن أخطب، وكعب بن أسد، وأبو رافع، وأشيع، وشمويل ابن زيد، لعبدالله بن سلام حين أسلم: ما تكون النبوّة في العرب ولكنّ صاحبك ملك، ثمّ جاؤوا رسول الله ﷺ فسألوه عن ذي القرنين فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه، ممّا كان قصّ على قريش، وهم كانوا ممّن أمر قريشاً أن يسألوا رسول الله ﷺ، حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط"[2]. وقال ابن إسحق: "عن شهر بن حوشب الأشعريّ، أن نفراً من أحبار يهود جاؤوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ، فإن فعلت ذلك اتّبعناك وصدّقناك، وآمنّا بك، قال: فقال لهم رسول الله ﷺ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أخبرتكم بذلك لتصدّقنني، قالوا: نعم، قال: فاسألوا ما بدا لكم، قالوا: فأخبرنا كيف يشبه الولد أمّه، وإنّما النّطفة من الرجل؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيّهما علت صاحبتها كان لها الشّبه؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: فأخبرنا كيف نومك ؟ فقال: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنّ نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان، فقالوا: اللهم نعم، قال: فكذلك نومي، تنام عيني وقلبي يقظان، قالوا: فأخبرنا عمّا حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنّه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنّه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها، فحرّم على نفسه أحبّ الطعام والشّراب إليه شكراً لله، فحرّم

---

[1] – البخاري: م.س، ٣ كتاب العلم، ٤٧ باب قول الله تعالى ( وما أوتيتم من العلم) ح ١٢٢.
مسلم: م.س، كتاب القيامة والجنة، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، ح ٥٠٠٢.

[2] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٧١

على نفسه لحوم الإبل وألبانها، قالوا: اللهم نعم، قالوا: أخبرنا عن الرّوح؟ قال: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنّه يا محمّد لنا عدوّ، وهو ملك، إنّما يأتي بالشدّة وسفك الدّماء، ولولا ذلك لاتبعناك، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢/٩٧-٩٨)[1].

ويفترض فيمن يسأل أو يجادل أو يحاور، أن يكون موضوعيًّا منصفًا، وأنْ يبتغي الحقيقة في سؤاله وجداله وحواره، لا أن يضيع وقته ووقت غيره دون طائل، ولا بدّ من توفير الاحترام للطّرف الآخر، فكيف يكون القَبول إن لم يكن ثمّة احترام وتقدير، ومتى سيكون اللّقاء والوفاق حينئذٍ. إن اليهود في حوارهم مع الرسول ﷺ، لم يلتزموا بأدب الحوار والمناظرة، بل أساؤوا أدبهم، وسخّروا وتحدّوا وأحرجوا، وبلغ بهم الأمر أن يتّهموا الرسول ﷺ بالطيش والرعونة، مستغلّين في ذلك عدم معرفة المسلمين لمعنى مصطلح سبّ وشتم قبيح يستخدمونه فأكثروا منه.

قال الواحدي: "قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ (البقرة:٢/١٠٤)، قال ابن عبّاس: وذلك أنّ العرب كانوا يتكلّمون بها، فلمّا سمعتهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك، وكان راعنا في كلام اليهود سبّاً قبيحاً، فقالوا: إنا كنّا نسبّ محمّدًا سرّاً، فالآن أعلنوا السبّ لمحمّد، فإنه من كلامه، فكانوا يأتون نبي الله ﷺ فيقولون: يا محمّد راعنا ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة، وكان عارفاً بلغة اليهود قال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفس محمّد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربنّ عنقه، فقالوا: ألستم تقولونها، فأنزل الله تعالى الآية"[2].

---

[1] – ن.م.القسم الأول، ص ٥٤٣، ٥٤٤.

[2] – الواحدي: م.س، ص ١٨

وقال السيوطي: "أخرج ابن المنذر عن السدّي قال: كان رجلان من اليهود مالك بن سيف ورفاعة بن زيد إذا لقيا النبي ﷺ قالا له يكلّمانه: راعنا سمعك واسمع غير مسمع، فظنّ المسلمون أنّ هذا شيء كان أهل الكتاب يعظّمون به أنبياءهم فقالوا للنبي ﷺ ذلك. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ (البقرة: ٢/١٠٤). وعن ابن عبّاس قال: راعنا، بلسان اليهود السبّ القبيح، فلمّا سمعوا أصحابه يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنزلت، فسمعها منهم سعد بن معاذ فقال لليهود: يا أعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لأضربنّ عنقه"[1].

ولمّا ذهب أبوبكر الصدّيق رضي الله عنه إلى محلّة يهوديّة، يطلب منهم معونة ماليّة، تمشياً مع عادة الحلف العربي وتبعاته، ردّوه، وقالوا له قولاً ساخراً، فيه سوء أدب نحو الله تعالى[2]. قال ابن إسحق: "دخل أبوبكر الصدّيق بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له "فنحاص"، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر من أحبارهم، يقال له "أشيع"، فقال أبوبكر لفنحاص: ويحك يا فنحاص. اتّق الله وأسلم، فوالله إنّك لتعلم أنّ محمّداً لَرسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التّوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقرٍ، وإنّه إلينا لَفقيرٌ، وما نتضرّع إليه كما يتضرّع إلينا، وإنّا عنه لأغنياء، وما هوعنّا بغنيّ، ولو كان عنّا غنيّاً ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الرِّبا ويعطيناه، ولو كان عنّا غنيّاً ما أعطانا الرِّبا، قال: فغضب أبوبكر، فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم، لضربت رأسك، أي عدوّ الله، قال: فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد، انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال أبوبكر: يا رسول الله، إنّ عدوّ الله قال قولاً عظيماً، إنّه زعم أنّ الله فقيرٌ وأنّهم أغنياء، فلمّا قال ذلك غضبت لله ممّا قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردّاً عليه، وتصديقاً

---

[1] – السيوطي: م.س، ص ١٩

[2] – دروزة: م.س، ص ٧٥

لأبي بكر:﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ٣/١٨١)(١).

كذلك علّق اليهود إيمانهم على مطالب تعجيزيّة، سواء كانت ممكنة الوقوع أم لا، فلمّا صرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، وجدها اليهود فرصة سانحة ليفتنوه ﷺ عن دينه فساوموه على الإيمان به شريطة أن يعود إلى القبلة التي كان عليها، وقد روى ابن إسحق مقالتهم في ذلك، فقال: "أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فقالوا: يا محمّد، ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنّك على ملّة إبراهيم ودينه؟ ارجع عن قبلتك التّي كنت عليها نتّبعك ونصدّقك، وإنّما يريدون بذلك فتنته عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:٢/١٤٣)(٢).

وقد حذّر الله تعالى رسوله من خطورة متابعتهم فقال: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢/١٤٥).

---

[1] – ابن هشام: م.س،القسم الأول، ص ٥٥٨–٥٥٩ ، الواحدي: م.س، ص ٦٦، السيوطي: م.س، ص ٦٦.

[2] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٥٠.

وهذه بعض مواقف اليهود الحجاجيّة التعجيزيّة:

"قال أبو صلوبا الفطيوني لرسول الله ﷺ: "يا محمّد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية فنتّبعك، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٩٩).

وقال رافع بن حريملة، ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمّد، ائتنا بكتاب تنزّله علينا من السّماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهاراً نتّبعك ونصدّقك، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ٢/١٠٨).

وقال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: يا محمّد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فليكلّمنا حتّى نسمع كلامه، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ٢/١١٨)(1).

وقال ابن إسحق: "وأتى رسول الله ﷺ محمود بن سيْحان، ونعمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وعزير بن أبي عزير، وسلاّم بن مشكم، فقالوا: أحقّ يا محمّد أنّ هذا الذي جئت به لحقّ من عند الله، فإنّا لا نراه متّسقا كما تتّسق التّوراة؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: أما والله إنّكم لتعرفون أنّه من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التّوراة، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به، فقالوا عند ذلك وهم جميع: فنحاص، وعبدالله بن صوريا، وابن صلوبا، وكنانة بن الرّبيع بن أبي الحقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو ابن سكينة: يا محمّد، أما يعلّمك هذا إنس ولا جنّ؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أما والله إنّكم لتعلمون أنّه من عند الله، وإنّي لَرسول الله: تجدون ذلك مكتوباً في التّوراة، فقالوا: فإنّ الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً من

---

1 - ابن هشام ، القسم الأول، ص ٥٤٨-٥٤٩.

السّماء نقرؤه ونعرفه، وإلاّ جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٧/٨٨)[1].

وباستقراء المواقف الحجاجيّة من يهود، وطلباتهم التعجيزيّة من الرسول ﷺ، وما حصل من ردّة فعل لدى الرّسول ﷺ من قبول لطلبهم أو رفضه، يتّضح أنّهم ما كانوا يبحثون عن الحقيقة، وما كانوا بحاجة إلى مزيد أدلّة للتأكّد من صدق نبوته ﷺ، وإنّما أرادوا إحراجه ﷺ وتعجيزه، وعمل كلّ ما يغضبه، ويبعد النّاس عنه، وعندما كانت تتّضح لهم الحقيقة ناصعةالبياض، كان يرفضون نبوّته ﷺ، ويتمسّكون بدينهم ويدعون أنّه الأفضل، أو يتذرعون بأعذار واهية لا وزن لها، كأن يقولوا إن جبريل عليه السلام عدوّ لهم، ولولا ذلك لاتبعوه ﷺ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢/١٤٦).

ولا أدلّ على تصديقهم بنبوته ﷺ من نزولهم على حكمه، ورجوعهم إليه في بعض من الأحيان، حيث إنّهم قد تأكّدوا من نبوته، لكنّهم رفضوا أن يتّبعوه، ومن ذلك رجوعهم إلى النبي ﷺ في حكم الرّجم: قال ابن إسحق: "إنّ أبا هريرة قال: إنّ أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس، حين قدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بإمرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرّجل وهذه المرأة إلى محمّد، فسلوه كيف الحكم فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التّجبية -والتجبيّة: الجلد بحبل من ليف مطليّ بقار، ثمّ تسود وجوههما، ثمّ يحملان على حمارين، ويجعل وجوههما من قِبل أدبار الحمارين- فاتّبعوه، فإنّه ملك، وصدّقوه، وإن هو حكم فيهما بالرّجم فإنّه نبيّ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه، فأتوه فقالوا: يا محمّد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بإمرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما، فقد ولّيناك الحكم فيهما، فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال: يا معشر يهود أخرجوا إليّ علماءكم، فأخرج له عبدالله بن صوريا.

---

[1] - ن.م، القسم الأول، ص ٥٧٠-٥٧١.

فخلا به رسول الله ﷺ، وكان غلاماً شابّاً من أحدثهم سنّاً، فألظّ به رسول الله ﷺ المسألة، يقول له: ياابن صوريا، أنشدك الله وأذكّرك بأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أنّ الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرّجم في التّوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنّهم ليعرفون أنّك نبيّ مرسل ولكنّهم يحسدونك، قال: فخرج رسول الله ﷺ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجّار، ثمّ كفر بعد ذلك ابن صوريا، وجحد نبوة رسول الله ﷺ. وقال ابن إسحق: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ (المائدة:٥/٤١)، أي الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلّفوا، وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه، ثم قال: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ (المائدة:٥/٤١)، أي الرّجم "فَٱحْذَرُواْ" (المائدة: ٥/٤١) إلى آخر القصّة[1].

ولم يكفوا عن مساومته ﷺ أبداً، وظنّوا أنّ القضيّة مادّية قابلة للرّبح والخسارة، فعرضوا عليه أن يؤمنوا شريطة محاباتهم، فأبى رسول الله ﷺ. قال البيهقي: "وقال كعب بن أسيد، وابن صلوبا، وعبدالله بن صوريا، وشاس بن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمّد لعلّنا نفتنه عن دينه، فإنّما هو بشرٌ، فأتوه فقالوا: يا محمّد إنّك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وإنّا إن اتبعناك اتّبعك يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدّقك، فأبى ذلك ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ

---

[1] – ابن هشام: م.س،القسم الأول، ص ٥٦٤، ٥٦٥، انظر: الواحدي: م.س، ص ١١١، ١١٢، السيوطي: م.س، ١٠٥، ١٠٦.

لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥/٤٩-٥٠)[1].

وبلغ بهم الحقد والكراهية أن دسّوا السمّ في شاة قدّموها هديّة للرّسول ﷺ ليتخلّصوا منه، وعندما استجوبهم تذرّعوا بأنّهم أرادوا أن يتوثّقوا من نبوّته، فإن كان نبيّاً لا يمسّه سوء، وإن كان متقوّلاً يصيبه السمّ فيموت، ساق ذلك البيهقي وغيره في الشاة التي سمّت للنبي ﷺ بخيبر، وما ظهر من عصمة الله جلّ ثناؤه رسوله ﷺ من ضرر ما أكل منه حتّى بلغ أمره، وإخبار ذراعها إيّاه بذلك حتّى أمسك عن البقيّة، قال أبو هريرة: "لمّا فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمّ، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا من كان ههنا من اليهود فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ إنّي سائلكم عن شيء أنتم صادقي عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال رسول الله ﷺ من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، قال: كذبتم بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت وبررت، قال لهم: هل أنتم صادقي عن شيء إلاّ سألتكم عنه، قالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في آبائنا، فقال رسول الله من أهل النّار؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثمّ تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: اخسأوا فيها أبداً، ثمّ قال: هل أنتم صادقي عن شيء إلاّ سألتكم عنه؟ قالوا: نعم، قال: أجعلتم في هذه الشّاة سمّاً؟ قالوا: نعم، قال: فما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وأن كنت نبيّاً لم يضرّك"[2].

وماذا بعد أن تأكّدوا من نبوّته، هل آمنوا به؟ إنّه الحقد والكراهيّة والضغينة!!

وكان قد سبق هذه المحاولة الغادرة أن همّت بنو النضير بقتله ﷺ فلم يمكّنهم الله منه، ونجّاه من غدرهم، قال ابن إسحق: "وخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريّين اللّذين قتل عمرو بن أمية الضّمري، فلمّا خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمّداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى رسول الله ﷺ الخبر، فانصرف عنهم، فأنزل الله تعالى فيه، وفيما أراد هو وقومه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن

---

[1] – البيهقي: م.س، ج٢ ص ٥٣٦

[2] – البخاري: م.س: كتاب الجزية والموادعة، ح ٢٩٣٣. البيهقي: م.س، ج٤ ، ص ٢٥٦.

يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة:٥/١١) (١).

وبعد، فهذا غيض من فيض من حجاجهم ولجاجهم للرسول ﷺ، ومؤمراتهم المتواصلة على الإسلام ورسوله ﷺ.

<u>حوار النّصارى مع الرسول ﷺ في النبوّة:</u>

انتهى بنا الحديث في الفصل السّابق عند اعتراف نصارى نجران الضمنيّ بنبوّة محمد ﷺ، وذلك عندما عدلوا عن المباهلة وقبلوا بدفع الجزية وطلبوا من الرّسول ﷺ أن يرسل معهم حكماً أميناً يحكم بينهم، وقد كان كلّ هذا، مع أنّهم لم يسلموا، ولم يعلنوا إيمانهم بمحمّد ﷺ نبيّاً ورسولاً.

ولم يكن للنصارى وجود في مكّة والمدينة، يشكّل تجمّعاً يحسب له حساب، ولعلّ هجرة المسلمين إلى الحبشة، جعلت للإسلام قاعدة جديدة وإحتياطيّة للإنطلاق، وساهمت في شيوع وذيوع خبر الإسلام في الأرض، وأقبل وفد إلى مكّة يسترشد الهدى مظنته، والتقوا بالرسول ﷺ، وتعرّفوا إليه، فآمنوا به وصدّقوه، ولم يلتفتوا لجهالات قريش وتحريضاتهم فثبتوا على إيمانهم.

قال ابن إسحق: "ثمّ قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكّة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النّصارى، حين بلغهم خبره في الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلمّا فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ إلى الله عزّ وجلّ وتلا عليهم القرآن، فلمّا سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدّمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلمّا قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيّبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنه، حتّى فارقتم دينكم

[1] – ابن هشام: م.س، ص ٥٦٢.

وصدّقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم ، فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً.

ويقال فيهم نزلت هـذه الآيـات: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ (القصص: ٢٨/٥٢-٥٥)[١]. وقد أقبل هذا الوفد على دين الله، ولم يوجد ما يمنعه من إعلان إيمانه، من تعلّق بالدّنيا أو ارتباط ببشر، بل صادف عنده سلامة فطرة، وخلوّه من المعوقات الإيمانيّة، التي تحول دون الإيمان، على النقيض من نصارى نجران الذين عرفوا الحقّ وحادوا عنه لتعلّقاتهم الدّنيوية.

وقد وجّه الرسول ﷺ عمرو بن أميّة الضمري بكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة، وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدّوس المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطّيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتّبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإنّي رسول الله، وإنّي أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ، وقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسّلام على من اتّبع الهُدى"[٢].

ولمّا وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام، وقال لعمرو: إنّي أعلم والله أنّ عيسى بَشّر به ولكن أعواني بالحبشة قليل، فانظروني حتّى أكثّر الأعوان وألّين القلوب. هذا والنجاشي لقب

---

[1] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٣٩١، ٣٩٢

[2] – ابن القيم، محمد بن أبي بكر: زاد المعاد، ج٣، ص ٥٨٩

الخضري بك، محمد: نور اليقين في سيرة المرسلين، ص ١٤٣-١٤٤

لكلّ من حكم الحبشة، واسم النجاشي هذا أصحمه، أسلم في عهد النبي ﷺ وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، توفّي ببلاده قبل فتح مكّة، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب[1].

وذهب كثير من المفسّرين وعلماء أسباب النّزول، إلى أنّ آيات سورة المائدة، التي مدحت النّصارى، إنّما نزلت في النّجاشي وأصحابه، الذين أذعنوا للحقّ وآمنوا به، قال الواحدي: قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (المائدة: ٥/٨٢-٨٤)، نزلت في النجاشي وأصحابه، قال ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ وهو بمكّة يخاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود في رهط من أصحابه إلى النّجاشي، وقال إنّه ملك صالح لا يظلم عنده أحد، فأخرجوا إليه حتّى يجعل الله للمسلمين فرجاً، فلمّا وردوا عليه أكرمهم، وقال لهم: تعرفون شيئا ممّا أنزل عليكم؟

قالوا: نعم

قال: اقرأوا فقرأوا، وحوله القسّيسون والرهبان، فكلّما قرأوا آية انحدرت دموعهم ممّا عرفوا من الحقّ، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ (المائدة:٥/٨٢-٨٣). وعن عروة بن الزّبير قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميّة الضمري بكتاب معه إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ثمّ دعا جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ سورة مريم ، فآمنوا بالقرآن، وأفاضت أعينهم من الدّمع، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ

---

[1] – الخضري: م.س ، ص ١٤٤

﴿ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ (المائدة:٥/٨٢-٨٣). وقال آخرون: قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة، هو وأصحابه، ومعهم سبعون رجلاً بعثهم النجاشي وفدًا إلى رسول الله ﷺ عليهم ثياب الصّوف، اثنان وستّون من الحبشة وثمانيّة من أهل الشّام، وهم بحيرا الراهب، وابرهليه، وادريس، وأشرف وتمام، وقثم، وذر، وأيمن، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يـس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن، وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات"[1].

ومهما تعدّدت الروايات، فيمن نزلت فيهم هذه الآيات الكريمة، فالذي نفهمه أنّه ليس غريباً، أن نجد من أهل الكتاب من زكت نفوسهم، وسلمت فطرتهم، يقبلون على دين الله، ولا أدلّ على ذلك من دخول النصارى في دين الله أفواجًا من عهد الرّسول ﷺ إلى يومنا هذا، ولا يعني ذلك أنّ هذه سنّة مطّردة عندهم، فقد التقى أحبار يهود ونصارى نجران في حضرة الرسول ﷺ، في مسجده، وتنازعوا فيما بينهم، وجحدوا نبوّة بعضهم، واتّهموا بعضهم بأنّهم ليسوا على شيء، وبالتّالي يكونون قد رفضوا نبوّة محمّد ﷺ تبعاً لذلك.

قال ابن إسحق: "لمّا قدم أهل نجران من النّصارى على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوّة موسى وكفر بالتّوراة، فأنزل الله تعالى من قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة:٢/١١٣). أي: كلّ يتلو في كتابه تصديق ما كفر به، أي يكفر اليهود بعيسى، وعندهم التّوراة فيها ما أخذ الله عليهم

---

[1] – الواحدي: م.س، ص ١١٦، انظر: السيوطي: م.س، ص ١١٠، ١١١ ، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٨١.

على لسان موسى عليه السلام بالتّصديق بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام، من تصديق موسى عليه السلام، وما جاء به من التّوراة من عند الله، وكلّ يكفر بما في يد صاحبه[1].

وما ورد من حوار النّصارى مع الرّسول ﷺ في التوحيد في الفصل السّابق يغني عن تكراره، ويكفي هنا أن نورد حواراً في النبوّة والتوحيد أجراه الرازي مع نصراني يدّعي التحقيق والتعمّق في مذهبهم، قال الرازي: "اتّفق أنّي حين كنت بخوارزم، أخبرت أنّه جاء نصراني يدّعي التّحقيق والتعمّق في مذهبهم، فذهبت إليه وشرعنا في الحديث وقال لي: ما الدّليل على نبوّة محمّد ﷺ ؟ فقلت: له كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السّلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمّد ﷺ، فإن رددنا التّواتر أو قبلناه، لكن قلنا: إنّ المعجزة لا تدلّ على الصّدق، فحينئذٍ بطلت نبوّة سائر الأنبياء عليهم السّلام، وإن اعترفنا بصحّة التّواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصّدق، ثمّ أنّهما حاصلان في حقّ محمّد وجب الاعتراف قطعاً بنبوّة محمّد عليه السلام ضرورة أنّ عند الاستواء في الدّليل لا بدّ من الاستواء في حصول المدلول، فقال النصراني: أنا لا أقول في عيسى عليه السلام إنّه كان نبيّاً بل أقول إنّه كان إلهاً، فقلت له الكلام في النبوّة لا بدّ وأن يكون مسبوقا بمعرفة الإله، وهذا الذي نقوله باطل ويدلّ عليه أنّ الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسماً ولا متحيّزاً ولا عرضاً، وعيسى عبارة عن هذا الشّخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوماً وقتل بعد أن كان حيّاً على قولكم وكان طفلاً أوّلاً، ثمّ صار مترعرعاً، ثمّ صار شابّاً، وكان يأكل ويشرب ويُحدث وينام ويستيقظ، وقد تقرّر في بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً، والمحتاج لا يكون غنّياً، والممكن لا يكون واجباً، والمتغيّر لا يكون دائماً.

الوجه الثاني في إبطال هذه المقالة: إنّكم تعترفون بأنّ اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حيّاً على الخشبة، وقد مزّقوا ضلعه، وأنّه كان يحتال في الهرب منه، وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد، فإن كان إلهاً أو كان الإله حالاً فيه أو كان جزءاً من الإله حالّ فيه، فلم لم يدفعهم عن نفس؟ ولم لم يهلكهم بالكلية؟ وأيّ حاجة به إلى إظهار الجزع منهم

---

[1] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٤٩

والاحتيال في الفرار منهم، وبالله إنّني لأتعجّب جداً أنّ العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول ويعتقد بصحته، فتكاد أن تكون بديهة العقل شاهدة بفساده.

الوجه الثالث: وهو أنّه إمّا أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حلّ الإله بكلّيته فيه، أو حلّ بعض الإله و جزء منه فيه والأقسام الثلاثة باطلة. أمّا الأول: فلأنّ إله العالم لو كان هو ذلك الجسم، فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأنّ اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله. ثمّ أنّ أشدّ النّاس ذلاً ودناءة اليهود، فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز أمّا الثاني: وهو أنّ الإله بكليته حلّ في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد، لأنّ الإله لما لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً، فحينئذ كون حلوله في جسم عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرّق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحلّ، وكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكلّ ذلك سخف، وأمّا الثالث: وهو أنّه حل فيه بعض من أبعاض الإله، وجزء من أجزائه، فذلك أيضاً محال لأنّ ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهيّة، فعند انفصاله عن الإله، وجب أن لا يبقى الإله إلهاً وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهيّة، لم يكن جزء من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصارى باطلاً.

الوجه الرابع في بطلان قول النصارى: ما ثبت بالتواتر: أنّ عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطّاعة لله تعالى، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك، لأنّ الإله لا يعبد نفسه، فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور، دالّة على فساد قولهم، ثمّ قلت للنصراني: وما الذي دلّك على كونه إلهاً؟ فقال: الذي دلّ عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلاّ بقدرة الإله تعالى، فقلت له: هل تسلم أنّه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا؟ فإنّ لم تسلّم لزمك من نفي العالم في الأزل نفي الصانع، وإن سلّمت لا يلزم من عدم الدّليل عدم المدلول، فأقول: لما جوّزت حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام، فكيف عرفت أنّ الإله ما حل في بدني وبدنك وفي بدن كلّ حيوان ونبات وجماد؟ فقال: الفرق ظاهر، وذلك لأنّي إنّما حكمت بذلك الحلول، لأنّه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدي ولا علِى يدك، فعلمنا أنّ ذلك الحلول مفقود ههنا، فقلت له: تبين الآن أنك ما عرفت معنى قولي إنّه لا يلزم من عدم الدّليل عدم المدلول، وذلك لأنّ ظهور تلك الخوارق دالّة على حلول

الإله في بدن عيسى، فعدم ظهور تلك الخوارق منّي ومنك ليس فيه إلاّ أنّه لم يوجد ذلك الدّليل، فإذا ثبت أنّه لا يلزم من عدم الدّليل عدم المدلول لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق منّي ومنك عدم الحلول في حقّي وفي حقّك، وفي حقّ الكلب والسنّور والفأر، ثمّ قلت: إنّ مذهباً يؤدّي القول به إلى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسّة والركاكة.

الوجه الخامس: إنّ قلب العصا حيّة، أبعد من العقل من إعادة الميّت حيّاً، لأنّ المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميّت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حيّة كون موسى إلهاً ولا ابناً للإله، فبأن لا يدلّ إحياء الموتى على الإلهيّة كان ذلك أولى، وعند هذا انقطع النصراني ولم يبق له كلام، والله أعلم"[1].

---

[1] - الرازي: م.س ، مج ٤، ج٨، ص ٦٩-٧١

## الخلاصـــة

النبوّة تأتي في المرتبة الثانية بعد التوحيد في الأهميّة، وأطراف الحوار في النبوّة مع الرسول ﷺ هم قريش واليهود والنّصارى، والمعضلة في حوار النبوّة تكمن في أنّ قريشاً قبلت الألوهيّة لحجر ولم تقبل النبوّة لبشر ورضيت بذلك لها ديناً، واليهود انتهت النبوّة عندهم بملاخي (٤٥٠-٤٢٥ ق.م) وينتظرون مخلّصاً[1] من بني إسرائيل يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، ولا يريدونه من العرب، والنصارى يرون أنّ النبوّة انتهت بالمسيح عليه السلام الذي هو الوحي، وبذلك أصبح الالتقاء بين أطراف الحوار كالالتقاء بين الليل والنّهار، وتبعًا لذلك تشنّجت الأطراف المحاورة للنبي ﷺ ورفضت نبوّته، وعملت كلّ ممكن لتكذيبه وتحجيمه وصدّ النّاس عنه، فحاوروه وجادلوه وكذّبوه وبثّوا الشّبهات حوله واعتدوا عليه وآذوه جسديّاً ونفسيّاً، وأغروا به سفهاءهم، وحاولوا تصفيته جسديّاً، ولكنّ الله لم يمكّنهم منه، ولا يعني هذا عدم وجود حالات فرديّة، أقبلت بفطرتها على دين الله وبما عندها من علم استلهمته من موروثها الدّيني، فآمنت بالنبي ﷺ وصدّقته بما جاء به، ولما أميطت العقبات التي تحول دون حريّة التديّن أقبل النّاس على دين الله ودخلوا فيه أفواجاً عرباً وعجماً يهوداً ونصارى.

وقد عملت قريش في حوارها مع النبي ﷺ في النبوّة على التشكيك في مصدر الوحي وتمسّكت بموروثها الدّيني بشدّة، وبذلت قصارى جهدها في صدّ النبي ﷺ عمّا جاء به، ووضعت كلّ ما تملك من مغريات ماديّة بين يديه ﷺ لتثنيه عن عزيمته، وليكفّ عن التعرّض لموروثهم الدّيني، وقدّموا له قائمة طويلة من الطلبات التعجيزيّة وأعلنوا مسبقاً عدم رغبتهم الإيمان به ولو جاء بكلّ ما طُلب منه، كما صرّح بذلك عبدالله بن أميّة وأبو جهل، ورسول الله ﷺ ثابت لا يتزعزع يؤكّد على بشريّته وأنّه بعث بشيراً ونذيراً، ومنهجه كإخوانه المرسلين (عليهم السّلام) ذبٌّ ودفع للنّاس عن النّار، وفي ذلك يقول ﷺ: "مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبّهنّ عنها، فأنا آخذ بحجزتكم عن النّار وأنتم تفلتون من يدي"[2].

---

1 – انظر: ص ٦٩ من هذه الرسالة.

2 – مسلم : م.س، ٤٣ كتاب الفضائل، ١٩ باب شفقته على أمته، ح ١٧٩٠.

وعندما تحرّكت الفطرة عند عتبة بن ربيعة واستيقظت واقتنع بأنّ محمّداً ﷺ نبيٌّ لم يستطع أن يستمرّ على ذلك أمام المجتمع الوثني، فوجد نفسه مكبّلاً بالأغلال، فأغمض عينيه عن قناعاته وراح يحيك مع زعماء قريش مؤامرات ودسائس جديدة ضدّ نبي الإسلام ﷺ.

لقد فرضت قريش سياجاً شائكاً من الحرب الإعلاميّة ضدّ الإسلام ونبيّه ﷺ وحاصرت الإسلام وخنقته في مكّة، وكمّمت الأفواه، وحالت دون تعرّض النبي ﷺ للوفود القادمة، وقامت بتضليل الوفود وتحذيرهم منه ﷺ، وبالغت في إكرامهم مخافة أن تبلغ كلمات محمّد ﷺ قلوبهم، ومع ذلك فقد فقدت قريش سيطرتها على نفسها وعلى المقيمين داخل مكّة والوافدين عليها، فكانوا يخدعون أنفسهم ويذهبون خلسة ليستمعوا له. ومن الوافدين من تحرّر من قبضتهم وذهب واستمع وآمن كالطفيل بن عمرو الدَوْسي، كما أقامت قريشٌ تحالفاً وثنيّاً يهوديّاً لمقاومة النبي ﷺ فكريّاً.

وقد تميّز الرسول ﷺ في منهجه في حوارهم بتأكيده على القواسم المشتركة معهم، بتذكيرهم بتاريخ إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، فجعل حضوراً لهما وللكعبة، فاستعان بموروثهم الدّيني والمعطيات التاريخيّة ووظّفها في حوارهم، وذكّرهم بخالقهم، وما يستحقّه وحده لا شريك له من إخلاص في العبادة وصدق في التوجّه، وحذّرهم من عاقبة عصيانهم، أن يحلّ بهم ما حلّ بعاد وثمود، وذكّرهم بالآخرة والمعاد، وأطنب في الحديث عن عظيم قدرة الله وفريد صنعه، فخاطب فِطرهم وأثار وجدانهم فرغّبهم ورهّبهم، وأقام الحجّة عليهم، ودعاهم للتعقّل، واستخدم المنهج الأخلاقي، فتلطّف معهم، وامتثل لقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (النحل:١٦/١٢٥).

ومن رحمته ﷺ بهم أنّه لم يستجب لكثير من مطالبهم مخافة أن يعمّهم الله بعذاب، وهكذا مضت سنّة الله في خلقه، إذا طلبوا آية، فحضرت ولم يؤمنوا.

وقد حظي النبي ﷺ برعاية وعناية ربّه عز وجل، فأيّده بوحي منه وعزّره بجبريل عليه السلام يدعمه ويؤيّده ويذود عنه ويسكّنه، ومع ذلك وقع عليه من الأذى ما جعله أعظم العالمين أجراً، فاشتمل جهاده على جميع أنواع الجهاد، فكان قدوة لأتباعه من بعده إلى يوم الدين.

وأمّا اليهود في حوارهم للرّسول ﷺ فلم يقبلوا بالنبوّة لغيرهم، بغضاً حسداً من عند أنفسهم وحفاظاً على مكانتهم الماليّة والعلميّة المتميّزة، فرفضوا الإسلام ولم يقبلوا التعايش معه، وتميّز حوارهم معه ﷺ بالحقد والكراهيّة والبغضاء، فاستهزأوا وسخروا وكذّبوا وآذوا، وحاولوا تصفيته وقتله ﷺ فنجاه الله منهم.

لقد تحالف يهود مع قريش، وقدّموا لها كلّ المعلومات والتسهيلات لإحراجه ﷺ ولإقامة الحجّة عليه، وكان الأولى بأهل الكتاب، أن يقفوا صفّاً واحداً ضدّ عبدة الأوثان. لقد حاوروه وجادلوه واستخدموا موروثهم الدّيني، وسألوه أسئلة محرجة لا يعرفها إلاّ نبيّ كما قالوا، ومع ذلك لم يؤمنوا رغم قناعتهم بنبوّته ﷺ، كما اعترفوا بذلك، ولا أدلّ على قناعتهم بنبوّته من نزولهم على حكمه بطلب منهم في كثير من الأحيان، كسؤاله ﷺ عن حكم الزنى، ومن ثمّ تمكينه من تطبيق الحدّ على من زنى منهم، ورسول الله ﷺ يستخدم موروثهم الدّيني في ذلك ويحرجهم بالسؤال عنه، وهم يحاولون إخفاءه.

فاليهود كانوا على معرفة بكلّ ما سألوه عنه، وإنّما أرادوا إحراجه وتعجيزه، ومقارنة ما عندهم بما جاء به ﷺ، فلم يؤمن منهم إلاّ من طهرت نفسه واستيقظت فطرته، وأبى كثير منهم إلاّ بغضه ومعاداته، وظهرذلك جليّاً واضحاً على لسان حيي بن أخطب زعيم بني قريظة عندما سيق إلى القتل، فكانت آخر كلماته: "أما والله ما لمت نفسي في معاداتك، ولكن من يغالب الله يغلب، ثمّ قال أيّها النّاس، لا بأس قدر الله وملحمة كتبت على بني إسرائيل"(١).

وأمّا النّصارى فمنهم من استمع له ﷺ وآمن به، ولم يلتفت لتحريض قريش عليه، ومنهم من أصرّ على ثوابته، ولم يقبل الدّخول في الإسلام حفاظاً على تميّزه ومصالحه الدّينويّة، واستخدموا موروثهم الدّيني في حوارهم مع النبي ﷺ، وأحرجوه بأسئلة عن هويّة المسيح عليه السلام فأمدّه الله بوحي من عنده وأقام الحجّة عليهم واستخدم موروثهم الدّيني في ذلك، ومع قناعتهم بصدق نبوّته لم يؤمنوا به، للسبب الذي ذكرت، وتخوّفوا من الملاعنة، فأذعنوا لحكمه ودفعوا له الجزية، وطلبوا منه حكماً أميناً يرسله معهم ليحكم بينهم وقد كان ذلك. وكانوا في حوارهم معه ﷺ مسالمين وأقلّ عداءً من يهود. ووجدها الرسول ﷺ فرصة سانحة ليصحّح عقيدتهم في

---

[1] – ابن القيم: زاد المعاد، ج٣ ، ص ١٣٥.

المسيح عليه السلام وأنّه بشر ورسول، فأبطل بالحجّة الدامغة عقيدة التثليث والتجسيد والتشبيه عندهم، وأنزل الله سورة آل عمران في ذلك، فصدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران من النصارى[1].

وأجمل ما تميّز به الرسول ﷺ مع مخالفيه، سعة صدره، وبعد أُفقه ورحمته بهم وقدرته الفائقة على استيعابهم وحسن التعامل والتّعاون معهم. وفي ذلك تقول الباحثة نسرية كحلول: "إنّ الحوار مع الأطراف المجادلة تركّز أساساً على قضايا العقيدة والاختلاف في وجهات النظر بين الرّسول ومحاوريه، ولم يمنعه ذلك من التّعامل معهم في الميادين الحياتيّة، فتعامل معهم كطرف كامل الحقوق وطبق عليهم قوانين شرعهم، كما حدث مع اليهود الذين بحثوا معه حدّ الزّنى، وهذا يكشف عن شموليّة الحوار النبوي الذي فصـــل فيه الخلاف العقائدي والضرورة الحياتيّة، لأنّ سماحة الإسلام تؤكّد حقّ العقيدة وحقّ الحيـــاة، وللفصل بينهما في حقّ غير المسلم دلالة على نجاح المنهج النبوي في تحقيق مقاصد الإسلام"[2].

---

1 – ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٣٢٤.

2 – نسرية كحلول: م.س، ص ٩٠.

## الفصل الثاني

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في البعث

### تمهيد:

الموت هادم اللّذات، ومشتّت الجماعات،و نهاية كلّ حيّ.

قد ينكر الناس الألوهية، وقد ينكرون النبوة والرسالة، وأكثر من ذلك ينكرون البعث والنشور وكل ما هو غيب، أما الموت، فلم يختلف في وقوعه اثنان، ولم تنتطح في ذلك عنزان، كيف يختلفون فيه، وهو مصير كلّ حيّ، يتربص بهم هنا وهناك، في الأزقة وفي الطرقات، في البيوت وفي الساحات، وفي كل مكان، يصطاد من انتهى أجله المسمّى، لا ينتظر معذرة ولا رجاء.

بعيداً عن تلك الفذلكات و الفلسفات، هل الموت يقع على الروح؟ أم على الجسد؟ أم على الإثنين معاً؟ الموت حقٌّ، ففي كل يوم يودّع الناس ويشيعون أحبابهم إلى المقابر، يزفّونهم إلى هناك، ويحثون عليهم التراب دون رحمة ويهون عليهم هذا ولا يتّعظون بما حلّ في الآباء والأبناء والأحباب.

أما البعث، وعلى مرّ العصور، فكم من الناس فيه مختلفون، في ثبوته وفي وقوعه، وفيمن يحظى بالبعث من الخلق أو من أجزائهم، ترى أيشمل الروح؟ أم الجسد؟ أم الإثنين؟ من سيحظى بالنعيم والجنان؟ ومن سيخلّد في النيران؟ ومن سيبقى في الظلمة والرطوبة إلى الأبد.

وإن جاز لأحد أن ينكر أو يرتاب في البعث فليس هذا لأهل الكتاب، وإلاّ فما قيمة خبر السماء، وإن طمس الخبر عندهم أو غاب، فالمسألة بحاجة إلى وقفة ومراجعة حساب، والذين يؤمنون بالبعث يؤمنون بالغيب، وهو من مفردات الإيمان، عند أهل الكتاب.

وفي هذا الفصل سننظر في الحوار والحجاج، الذي وقع من الملأ في حق أنبيائهم في مسألة البعث والنشور والجزاء، وما الدافع وراء ذلك؟ أجهل وعدم القدرة على الاستيعاب؟

أم تمويه للدلائل وتزيين للجدال؟ أم أقوال إقناعية جارية على وفق ضعيفي الوعي والأفهام من العوام؟

## المبحث الأول - البعث في اليهوديّة:

على الرّغم من أنّ الأصل الثالث من الأصول التي اتّفقت عليها الرّسل والشرائع كلّها، هي التوحيد والرّسالة، وأمر المعاد وحشر العباد[١]، إلاّ أنّنا نجد التّوراة بأسفارها الخمسة أغفلت الحديث عن البعث والنشور.

يقول الدكتور فرج الله أبو عطا الله: "بالتأمّل في أسفار موسى الحالية والتي يطلق عليها اليهود اسم التّوراة وجدنا أنّها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنّة والنّار، يقول الدكتور محمد عبدالله درّاز: لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده أيّة إشارة في أي مكان إلى حياة بعد الموت، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان في أديانهم"[٢].

وهذا ما يثير الاستهجان والاستغراب، فالإقدام والإحجام مرتبط بالثّواب والعقاب، والرّسل الكرام يأمرون العباد بالطّاعات، ويحذّرونهم من الانحرافات، ويعِدون بالجنّات للمطيعين، وبالنيران للعاصين، وهذا ما أتت به جميع الشّرائع والسموات، وأكثر من ذلك، فإن الشّعوب القديمة تملك تصوّرات عن حياة أبديّة بعد الموت، ولعلّ هذا تسرّب إليهم من الرسالات.

يقول الدكتور حسن مزيو: "إنّ فكرة البعث يوم القيامة والحياة بعد الموت، ليست وقفاً على الشرائع السماويّة الثلاثة، فالشّعوب القديمة مجملها تمتلك تصوّرات مختلفة عن الحياة الأبديّة التي تلي الموت، إذ كان من الصّعب على النّاس في مختلف الحقب ومختلف الأمكنة، تصوّر فكرة العدم المطلق، بمجرّد معاودة الحياة، وربّما كان الأصعب بالنسبة للقطاعات المظلومة والمقهورة عبر التّاريخ، وهي التّي تشكّل الأغلبيّة السّاحقة في جميع حقب التّاريخ أن تتصوّر نهاية الظالمين دونما عقاب، ونهاية المظلومين دونما تعويض أو مكافأة من نوع ما، فجاء الاعتقاد بوجود حياة أخرى كشكل من أشكال التّصالح مع تاريخ القهر الوضيع الذي عانته البشريّة من جهة، ودعماً لهاجس الخلود الذي انتاب البشريّة منذ فجر التّاريخ من

---

1 - السّعدي، عبدالرحمن بن ناصر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، ج٨، ص ٢٨

2- أبو عطاء الله، فرج الله: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ط.٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٣٨

جانب آخر. لذلك لم يكن صعباً على الشرائع السماويّة إقناع البشر بوجود يوم القيامة وخضوع النّـــاس جميعاً ظالمين ومظلومين، لعمليّة الحساب الإلهي الذي يناط به وحده تحقيق العدالة المطلقة"(١).

ويقول الدكتور حرّاث بوعلاقي: "إنّ الفكر البشري قد انشغل منذ القديم بمسألة حياة بعد الموت من أجل الاطمئنان على المصير، ولتشبّث الإنسان بالحياة فهو لم يقتنع بأنّ حياته تنتهي بالموت، لهذا ظلّ السؤال إلى أين؟ يشغل تفكيره، وصحب اهتمامه بهذا الموضوع ممارسة عمليّة، عبّر من خلالها عن كيفيّة تصوّره للحياة بعد الموت. والبعث بمفهومه العام، كما تصوّره الفكر القديم هو: الاعتراف بوجود حياة بعد الموت لنيل الجزاء، إلاّ أنّ نوع هذه الحياة، وكيفيّة الجزاء بقيَ محلَّ اختلاف، لأنّه يحمل معنى "فوطبيعيّا" لا قدرة للعقل البشري على معرفته"٢.

ويقول أحمد فائز مؤكّداً على ضرورة وجود يوم فصل: "إنّ الحكمة تقتضي أن يكون هناك يوم يُفصل فيه بين الخلائق، ويحكم فيه بين الهدى والضلال، ويكرم فيه الخير ويهان فيه الشرّ، ويتجرّد النّاس من كلّ سندٍ لهم في الأرض ومن كلّ قربى وآصرة، ويعودون إلى خالقهم فرادى كما خلقهم﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٠/٤٤) هناك يتلقوّن جزاء ما عملت أيديهم، لا ينصرهم أحد ولا يرحمهم أحد، إلاّ من ينال رحمة ربّه العزيز، الذين خرجوا من يده ليعملوا، وعادوا إلى يده ليتسلّموا الجزاء"(٣).

ولمّا كان ذلك كذلك، فلماذا أغفلت التوراة بأسفارها الخمسة الحديث عن البعث والنشور؟ يحاول ابن كمونة اليهودي أن يفلسف خلوّها من ذلك بقوله: "إنّ خلوّ التّوراة من التّصريح بذلك لا يضرّ، إذا كان قد أنزل على موسى عامّة وخاطب به بني إسرائيل، واستفاض منهم، فإن قيل: فلِمَ لم يكتبه في التّوراة مصرّحاً؟. قيل: إنّ الأمور الإلهيّة لا

---

[1] – د. مزيو، حسن: المواقيت في القرآن الكريم، ص١٧٢، ١٧٣

[2] – د. بوعلاقي، حرّاث: البعث في الفكر الدّيني قبل الإسلام، ص ٢

[3] – فائز، أحمد: اليوم الآخر، ص ١٤٧

يجوز المعارضة فيها، ثمّ ولا السؤال عنها، بل فربّما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها. ثمّ أنّ الأنبياء أطبّاء النفوس، وكما أنّ طبيب الأبدان إنّما يعالج على حسب ما يجده في زمانه، وأهل زمان موسى عامّة لم يكونوا من المنكرين لثواب الآخرة وعقابها، بل كان مرضهم عبادة الأصنام وغيرها.

ويبيّن معتقد اليهود في الآخرة بما فيها من ثواب وعقاب، فيقول: "واعتقدت اليهود أنّ ثواب الطاعة هو الخلود في نعيم الجنّة الآتي، وعقاب المعصية هو العقاب في جهنّم من غير خلود لمعتقد هذه الشّريعة، وإذا كان عاصياً. ولم يبيّن شيء من ذلك في التّوراة مبيّناً مصرّحاً، للسبب الذي سنذكره، ولكنّ أحبار اليهود وعلماءهم ونقلة شرعهم، ذكروا صفة الجنّة وجهنّم، ووضّحوا النعيم والعذاب بأشدّ استقصاء.

وأوجبوا ذلك الإيمان بإحياء الأموات في كلّ صلاة، وحكموا بأنّه لا تصحّ صلاة أخل فيها بذلك، وأوجبوا ذكره أيضاً في كلّ يوم في غير الصلاة، وأوجبوه أيضاً عند رؤية مقابر هذه الأمّة، ولقّنوا من وجب قتله عندهم، قتل قتلة، أن يسأل أن يكون قتلته تلك كفّارة عن ذنبه. ومنهم من اعتقد أن بعث الأموات يحصل مرّتين، مرّة في زمن المسيح المنتظر عندهم، وذلك البعث مختصّ بالصالحين من الأمّة، على وجه المعجز للمسيح وكرامة لأولئك الصالحين، وتارة ببعث الموتى في القيامة العامّة لكافّة النّاس، الصالحين منهم والطالحين للجزاء بالثواب الأبديّ على الطاعة و بالعقاب على المعصية، واعتقدوا أيضاً ببقاء الأنفس بعد فساد الأجساد وأنّها لا تعدم أبداً لورود ذلك في كتب الأنبياء بعد موسى، ولنقل أحبارهم وعلمائهم الصادقين له.

وأنّه يريد بذلك أن يثبت أنّ موسى عليه السلام كان على علم بالآخرة، والقضيّة ليست أنّ موسى على علم بها أم لا، بل لِمَ أغفلت التّوراة ذكر ذلك؟

وهذه الفلسفة وهذا الاعتذار لا تطمئن إليها النّفس، والنّاس بفطرتهم يعبدون الله خوفاً وطمعاً، فلا يعقل كما أسلفت أن تخلو ديانة سماويّة من الحديث عن البعث والجزاء، والترغيب والترهيب.

وتقول الباحثة نسرية كحلول: "لعلّ عدم ورود عقيدة البعث في أسفار موسى يعود إلى سببين: إمّا أنّها قد وردت وحذفت من طرف النسّاخ، لأنّ اليهود هم أكثر الشّعوب تمسّكاً بالحياة الدّنيا، وإمّا يعود كما قال ابن كمونة إلى أنّ البعث لم يكن يمثّل إشكالاً في عهد موسى عليه السلام"[1].

والسبب الأوّل أكثر وجاهة، والذي أريد أن أقوله بكلّ موضوعيّة، وهو أنّ ناقوس خطر ينذر أهل الكتاب ويحذّر أهل الإسلام كذلك إن لم يتمسّكوا بإيمانهن، عقيدة ومنهج حياة، قولاً وعملاً، يوشك أن يسلب منهم، ويحلّ بهم ما حلّ بالأمم الماضية، فقد قال الله في وصف اليهود ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (المائدة:٥/١٣)، وقال تعالى في حقّ النصارى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (المائدة:٥/١٤) ، فنتيجة للنقض وعدم الإلتزام مع عهد الله كانت العقوبة النسيان، إلاّ أنّ النصارى كانوا أسرع للنّسيان من اليهود، كما يظهر من الآيتين، لأنّ الواو في الآية الأولى تفيد الترتيب مع التّراخي، بينما تفيد الفاء في الآية الثانيّة الترتيب مع التّعقيب.

أمّا بالنسبة للمسلمين، فقد ورد في الحثّ على تعلّم الفرائض عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم قال: "تعلّموا الفرائض وعلّموها النّاس، فإنّي امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتّى يختلف الإثنان في الفريضة، فلا يجدان من يفصل بينهما"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "تعلّموا الفرائض فإنّها نصف العلم، وإنّه أوّل علم ينزع من أمّتي" وقال عقبة بن عامر: تعلّموا قبل الظّانين، يعني الذين يتكلّمون بالظنّ، وقيل: مراده اندراس العلم، وحدوث من يتكلّم بمقتضى ظنّه غير مستند إلى علم[2].

---

[1] – كحلول، نسرية: حوار الأديان من خلال الصحيحين، ص ٧٦

[2] – ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري، مج ١٢، ص ٤، ٥

والقرآن كذلك سيأتي يوم في آخر الزّمان، يسلب من المؤمنين فلا يبقى منه شيء، لا في السطور، ولا في الصدور، وممّا نقل عن عمرو بن دينار، قال: "أدركت النّاس منذ سبعين عامًا، يقولون: الله خالق وما سواه مخلوق، إلاّ القرآن فإنّه كلام الله، منه بدأ وإليه يعـــود"، وأمّا معناه: فإنّ قولهم منه بدأ، أي هو المتكلّم به، وهو الذي أنزله من لدنه، وأمّا إليه يعود: فإنّه يسري به في آخر الزّمان، ومن المصاحف والصّدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف[1].

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وسرده لسيرة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، لوجدنا الحديث عن البعث والنّشور والجنّة والنّار، موجودًا على وجه الإجمال و التّفصيل، فما الذي ذهب به وطمسه وأخفاه من الأسفار الخمسة؟ قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ (الأعراف:٧/١٤٥). والبعث شيء من الأشياء، ومن قال إنّ الألواح صغيرة. وتضيق عن الحديث عن البعث. وما دار الفاسقين؟ قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء:١٧/١٠٤)، ويقول تعالى على لسان موسى وهو يحاور فرعون: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه:٢٠/٥٥). ويقول تعالى على لسان سحرة فرعون في حوارهم معه بعد إيمانهم وتهديده لهم: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (طه:٢٠/٧٤-٧٦)، ولمّا كنّا نتعامل مع الشرائع السماوية كوحدة واحدة فليس لأحد بعد هذا التوضيح أن يقول إنّ التّوراة ابتداء لم تتعرّض للحديث عن البعث والجزاء واليوم الآخر.

---

[1] – ابن تيميّة: أحمد بن عبد الحليم: مجمل اعتقاد السّلف، مج٣، ص ١٧٤، ١٧٥

ومهما يكن من أمر فإنّ الأسفار الخمسة قد خلت من الحديث عن البعث والنشور، أمّا كتب الأنبياء ففيها إشارات ضعيفة، تتحدّث عن ذلك، إلاّ أنّ نظرة اليهود لذلك اليوم الرهيب، ليست على أدنى شبه بما استعمله النصارى أو المسلمون.

لقد فهم اليهود من ذلك اليوم العظيم الذي ينتظرونه أنّه يحمل لهم انتصار شعب الله المختار من الأمم الأخرى، وربّما يفهمونه أنّه يكون في الحياة الدنيا.

يقول الدكتور حسن ظاظا: "بالرّغم من كلّ ما يبدو في العالم من دنسٍ، وما يبدو من شعب الله المختار من إصرار على التفريط في عهده مع الربّ، فإنّ الربّ أخيراً سيكون له مع الدّنيا يوم عظيم، يذكره النبي عاموس في القرن الثامن قبل الميلاد للمرّة الأولى بقولــــــه: "ويل للمتمنين يوم الربّ، لم ذلك؟ إنّ يوم الربّ لكم ظلمة لا نور، كما إذا هرب إنسان من وجه الأسد فلقيه الربّ، أو دخل البيت وأسند يده إلى الحائط فلسعته حيّة، أليس يوم الربّ ظلمة لا نوراً؟ بل هو ديجور لا ضياء له"[١]. ويبدو من فحوى هذا الكلام أنّ عاموس لم يخترع عبارة "يوم الربّ" بل وجدها عقيدة بين قومه.

ويقول الباحث الفرنسي جينيبير: "إنّ اليهود خلطوا بين قضيّتهم وقضيّة الله فهم ينتظرون يوم الربّ ليحمل لهم انتصاراً على الأمم الأخرى التي ستخضع لهم، أمّا عاموس فواضح أنّه يرى يوم الربّ سوف يمتاز بانتصار العدالة الإلهيّة الّتي سيرتعد منها الشعب الإسرائيلي رعباً بسبب ما اقترفه من جرائم وآثامٍ"[٢].

يقول النبي أشعياء: "ولولوا فإنّ يوم الربّ قريب قادم، من لدن القدير قدوم اجتياح، لذلك تسترخي كل يد ويذوب كل قلب لإنسان فيفزعون ويأخذهم الطلق والمخاض ويتضوّرون كالتي تلد، ويحملق بعضهم إلى بعض ووجوههم مثل اللهيب، هو ذا يوم الربّ قد حضر، يوم قاس فيه سخط وغضب مضطرم، ليجعل الأرض خراباً، ويبيد منها مذنبيها"[٣].

---

[1] – عا ٥: ١٨–٢٠

[2] – ظاظا، حسن : م.س ، ص ٩٦

[3] – أش ١٣: ٦–٩

ويهاجم حزقيال عقليّة اليهود المتشبّعة بطول الأمل، فيقول: "وكان إليّ كلام الربّ قائلاً، يا ابن آدم ما هذا المثل السائر بينكم على أرض إسرائيل إذ تقولون ستطول الأيّام، وتخيب كلّ رؤيا لذلك قل لهم، هكذا السيّد الربّ: إنّي مبطل هذا المثل فلا يعودون يتمثّلون به في إسرائيل، بل قل لهم قد اقتربت الأيّام، وكلام كلّ رؤيا، لأنّه لن تكون من بعد رؤيا باطلة، ولا عرافة مشتبهة في وسط بني إسرائيل، لأنّي أنا الربّ أتكلّم والكلمة التي أتكلّم بها تتـــمّ ولا تؤخّر من بعد، بل في أيّامكم يا أيّها الجنس المتمرّد، أتكلّم بالكلمة و أتمّها، يقول السيّد الربّ"[1].

ويقول أشعياء: "هو ذا الربّ يخلي الأرض ويفرغها ويقلّب وجهها ويبدّد مكانها"[2].

ويقول: ويكون أنّ الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخّ لأنّ ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت، انسحقت الأرض انسحاقاً، تشقّقت الأرض تشقّقاً، تزعزعت الأرض تزعزعاً، ترنّحت الأرض ترنّحاً كالسّكران وتولولت كالعرزال، وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم"[3].

ويقول: "ويكون في ذلك اليوم أنّ الربّ يطالب جند العلاء في العلاء، وملوك الأرض على الأرض، ويجمعون جميعاً كأسرى في سجن ويغلق عليهم في حبس ثمّ بعد أيّام كثيرة يتعبّدون، ويخجل القمر وتخزى الشمس لأنّ ربّ الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم وقدام شيوخه مجّد"[4].

ويقول متابعاً: "ويقال في ذلك اليوم: هو ذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا، هذا هو الربّ انتظرناه نبتهج ونفرح بخلاصه، لأنّ يد الربّ تستقرّ على هذا الجبل، ويداس مؤآب في مكانه كما يداس التين في ماء المزبلة، فيبسط يديه كما يبسط السّابح ليسبح فيصنع كبرياءه مع مكابد يديه، وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه يضعه يلصقه بالأرض إلى التّراب"[5].

---

1 - حز ١٢: ٢١

2 - أش ٢٤: ١-٢

3 - أش ٢٤: ١٨-٢٠

4 - أش ٢٤: ٢١-٢٣

5 - أش ٢٥: ٩-١٢

ويقول أشعياء: "تحيا أمواتنا، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنّموا يا سكّان التّراب"[١].

وجاء في سفر أيّوب: أما أنا فإنّي موقن أنّ فاديّ حيّ، وأنّه لا بدّ في النهاية أن يقوم على الأرض وبعد أن يفنى جلدي، فإنّي بذاتي أعاين الله، الذي أشاهده لنفسي فتنظره عيناي، وليس عينًا آخر قد فنيت كليتاي شوقاً في داخلي"[٢].

ومع دلالة هذا النصّ القويّة، إلاّ أنّ الصّورة غير واضحة تماماً زماناً ومكاناً، فهل سيكون هذا في القبر؟ أم في الحياة البرزخيّة؟ أم يوم الحساب؟

وجاء في حزقيال: "أيتّها العظام اليابسة اسمعي كلمة الربّ هكذا قال السيّد الربّ لهذه العظام، هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً، وأكسيكم لحماً، وأبسط عليكم جلداً، وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أنّي أنا الربّ"[٣].

وجاء في ملاخي: "انظروا ها يوم القضاء مقبل، لاهب كتنّور يكون فيه جميع المستكبرين وفاعلي الإثم عصافة، فيحرقهم ذلك اليوم ولا يبقي لهم أصلاً ولا فرعاً، يقول الربّ القدير: أما أنتم أيّها المتّقون اسمي فتشرق عليكم شمس البّر حاملة في أجنحتها الشّفاء، فتنطلقون متواثبين كعجول المعلف، وتطأون الأشراب، إذ يكونون رماداً تحت بطون أقدامكــــم"[٤].

وجاء في تلمود اليهود حديث عن الحياة الأبديّة، وأنّهم يؤمنون بتناسخ الأرواح، وانتقالهم من جسد إلى جسد، وفي ذلك يقول التلمود: "أمّا اليهود الذين يرتدّون عن دينهم بقتلهم يهوديّاً، فإنّ أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات، ثمّ تذهب إلى الجحيم، وتعذّب عذاباً أليماً مدّة اثني عشر شهراً، ثمّ تعود ثانياً وتدخل في الجمادات، ثمّ في الحيوانات، ثم في الوثنيين، ثمّ ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها".

---

1 - أش ٢٦: ١٩

2 - أي ١٩ : ٢٥-٢٧

3 - حز ٧٣: ٤-٧

4 - ملا ٤: ١-٣

أما هذا التناسخ فقد فعله الله رحمة باليهود، لأنّه سبحانه وتعالى أراد أن يكون لكلّ يهودي نصيب في الحياة الأبدية"[1].

أمّا أهل النعيم وطعامهم وأهل الجحيم وسعتها، ففي ذلك يقول التلمود: "النعيم مأوى الأرواح الزكيّة، ومأكل المؤمنين في النعيم هو لحم زوجة الحوت المملحة، ويقدّم لهم أيضاً على المائدة لحم ثور برّيّ كبير جدّاً، كان يتغذّى بالعشب الذي ينبت في مائة جبل.

ويأكلون أيضاً لحم طير كبير لذيذ الطّعم جدّاً، ولحم أوزّ سمين للغاية، أمّا الشّراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم المعصور ثاني يوم خليقة العالم.

ولا يدخل الجنّة إلاّ اليهود، أمّا الجحيم فهو مأوى الكفّار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء، لما فيه من الظّلام والعفونة والطّين.

والجحيم أوسع من النّعيم ستّين مرّة لأنّ الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين، والذين لا يختشون كالمسيحيين، الذين يحرّكون أصابعهم (يفعلون إشارة الصّليب) يبقون هناك خالدين"[2].

وبذلك نرى أنّ صورة اليوم الآخر غير واضحة في أذهان اليهود، ومجهولة الزّمان والمكان، وإن كانوا حاولوا جاهدين أن يجعلوا من ذاك اليوم يوم غلبة لهم على غيرهم، فينتصر ربّهم القومي الخاص من أعدائهم. وإن من ضيق أفقهم ونظرتهم العنصريّة أنهم جعلوا الجنّة لهم وحدهم والنّار لغيرهم، وقد ردّ القرآن عليهم قولهم، وطلب منهم الدّليل وأنّى لهم ذلك، يقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٢/١١١).

<u>الفرق اليهوديّة واليوم الآخر:</u>

تباينت وِجهات نظر اليهود في العقيدة اليوم الآخر، وهل هو يوم جزاء في الدّنيا أم في الآخرة، وهل يقع العذاب على الرّوح أم على الجسد، أم على الإثنين؟ ولعلّ الذي أوجد

---

1 – د. نصر الله، يوسف: م.س، ص ٦٧

2 – ن.م ، ص ٦٨، ٦٩

الخلاف وأجّه هو خلوّ الأسفار الخمسة من الحديث عن اليوم الآخر، وكذلك نظرة اليهود إلى الدّنيا، وتمسّكهم المفرط فيها، ولذلك كان منهم مؤمن باليوم الآخر وغير مؤمن به. وكان ممّن آمن باليوم الآخر، الفرّيسيّون[1]، فقد جاء في أعمال الرّسل: "وأمّا الفرّيسيّون فيؤمنون بهذا كلّه"[2] وأمّا الصدّيقيّون "الصاديكيميّون"[3] فلا يعترفون بقيام الموتى وينكرون وجود الأرواح مطلقاً ملائكة وشياطين، ولا يقولون بخلود النّفس. جاء في أعمال الرّسل: "وجاء إليه بعض الصدّوقيين وهم الذين ينكرون القيامة"[4] و "لأنّ الصدّوقيين لا يؤمنون بقيامة الأموات وبوجود الملائكة والأرواح"[5]، وأمّا السامرة[6] فقد افترقوا إلى دوستانيّة وهم الألفائيّة، وإلى كوسانيّة، والدوستانية معناها الفرقة المتقربّة الكاذبة، والكوسانيّة معناها الجماعة الصادقة، وهم يقرّون بالآخرة والثّواب والعقاب والدستانيّة تزعم أنّ الثواب والعقاب في الدّنيا"[7].

---

[1] - الفرّيسيّون: فرقة يهوديّة دينيّة، متشدّدة في التمسّك بفروض الدّين وأحكام الشّريعة والتقاليد، كان أتباعها كثيرين بين معلمي الشريعة، وكان بولس واحداً منهم قبل دخوله النصرانيّة، آمنت بالملائكة وبقيامة الأموات وقاومت المسيح عليه السلام وحاولت قتله. (جدول الشروح، ص ٤٢٨) وقد دفعتهم ممارستهم الاعتزاليّة وادعاؤهم أنّهم أقدس من غيرهم إلى احتقار غيرهم، وكان تأثيرهم في اليهود عظيماً رغم قلّة عددهم، وتمتّعوا باحترام باقي اليهود لهم ( فرانس، ريتشارد: الخلفيّة الدينية للعهد الجديد، ضمن كتاب المرشد المقدّس، ص ٤٩٥).

[2] - اع ٢٣: ٨.

[3] - الصدّيقيّون: فرقة يهوديّة، أكثر أعضائها من الكهنة، و كان منها رؤساء الكهنة في زمن المسيح وهي تنكر الإيمان بالملائكة، وقيامة الأموات، كانوا يوالون الرومان، وعلى خلاف دائم مع الفريسيين، ولكنّهم اتّفقوا على مقاومة المسيح عليه السلام ومحاربته (جدول الشروح، ص ٤٢٦-٤٢٨) وزعم بعض مؤرّخي اليهود أنّهم تسموّا بذلك نسبة إلى رئيسهم " صادق الكاهن " الذي كان موجودا سنة ١٨٠ق.م ( الثعالبي، عبدالعزيز: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ص ١١٦).

[4] - مر ١٢: ١٨ ، لو ٢٠: ٢٧

[5] - اع ٢٣: ٨

[6] - السامريون: هم من بني إسرائيل من آل يوسف عليه السلام ،كانوا وما زالوا يسكنون نابلس ( طعيمة، صابر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، م.س، ص٣٧)، وقيل: هم خليط من اليهود والآشوريين الذين استولوا على السامرة في القرن الثامن ق.م، وأخذوا من اليهود الأسفار الخمسة فقط، وبنوا لهم هيكلاً على جبل جرزيم بنابلس، لكي يكرّس الانشقاق ويضع الختم على الرفض اليهودي للسامريّن كهراطقة، وقام الملك هيركانوس اليهودي بتدميره سنة ١٢٨ ق.م، وهم في عداوة شديدة مع اليهود الذين اعتبروهم كفّاراً ( جدول الشّروح، ص ٤٢٥، فرانس، ريتشارد: الخلفية الدينية للعهد الجديد، ضمن كتاب المرشد إلى الكتاب المقدّس، ص ٤٩٧).

[7] - الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم: الملل والنحل، ج٢، ص ٢٤٢

يقول حسن الباش: إنّ السامريين يرون أنّ في توراة موسى عليه السلام نصّاً على يوم القيامة، وإنّ العبرانيين حرّفوه إلى يوم جزاء، قد يكون يوم القيامة وقد يكون يوماً من أيّام هذه الحيـــاة الدّنيا[1]، ولا أدري من أين جاء بهذه المعلومة غير الموثّقة، والنصّ هو "أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني في النقمة والجزاء في وقت تزلّ أقدامهم"[2] وأمّا الأسينيون[3] فإنّهم يؤمنون بالسّعادة الأبديّة بعد الموت ويرتابون في القيامة[4].

هذه أهمّ فرق اليهود التي لها موقف من البعث واليوم الآخر، وأمّا علماؤهم فمن بين الذين انتصروا للبعث والنشور: موسى بن ميمون، وسعد بن منصور بن كمونة، الذي جعل الأصل الثالث عشر من أركان الإيمان اليهودي، خاصّا بقيامة الموتى، وأنّه يؤمن بذلك إيماناً كاملاً، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الآبدين[5].

وقد نصّ ابن كمونة في كتابه تنقيح الأبحاث للملل الثلاث على أنّ الله سيجازي المطيع ويعاقب العاصي يوم المعاد، وذكر أنّ النصارى لا يمكنهم جحود أنّ اليهود يقرّون بالقيامة والبعث بعد الموت[6]، فانبرى له ابن المحرومة وجاء في حواشيه على كتاب ابن كمونـــه: "نعم إنّ النّصارى لا يجحدون إقرار اليهود بالقيامة والمعاد بعد الموت، لكنّهم يقولون مع ذلك إنّ اليهود سرقوا هذ المقالة من غير ملّتهم، ولا وجود لها في توراتهم، ومع ذلك لهم أن يسألوا اليهود قائلين: هل الإقرار بالقيامة والمعاد بعد الموت من أركان الشرائع الحقّة أم لا؟ فإن اعترفوا أنّه من أركانها فيقال لهم: فإذن كيف خلت توراتكم عن ذكره وأنتم تعتقدون أنّ شريعتكم حقّة، وإن أنكروا أنّه من أركانها، فيقال لهم: فأنتم لماذا زدتموه على شريعتكم مع

---

[1] – الباش، حسن: القرآن والتوراة: أين يتّفقان وأين يفترقان، ص ٢٥٢

[2] – تث ٣٢: ٣٤

[3] – الأسينيون: فرقة يهوديّة انفصلت عن الفريسيين سنة ٢٠٠ ق.م، تميل إلى الزهد والبعد عـــن مظـــاهر التـــرف، يكرّرون الغسل والنظافة، ومن تقاليدهم الامتناع عن الزواج وتبنّي أبناء الفقراء، ويحتقرون المال، ويـــشتركون في المتاع، ويمتازون بخضعوهم للحكّام ( الثعالبي: عبدالعزيز: م.س، ص ١١٧، ١١٨).

[4] – الثعالبي، عبدالعزيز: م.س ، ص ١١٨

[5] – Selection from the Arabic Waitongs of Maimonides, Leiden, 1909. مختارات مـــن الكتابـــات العربية لابن ميمون بحروف عبريّة ، ص ٣٨ ، ظاظا، حسن: الفكر اليهودي، ص ١٣٥

[6] – ابن كمونه، ص ٤٨

زعمكم أنّها شريعة تامّة. ولا شكّ أنّ زيادتكم عليها هذه الزيادة وغيرها تخالف زعمكم الذي تزعمون"[١].

ويؤكّد ابن كمونة على عقيدة اليهود في البعث، وإن خالفهم في ذلك الصدّيقيون، ويستشهد بقول بولس الذي أصبح نصرانيّاً، فيقول: "فإنّ في الشلحين (الرّسل) أنّ بولس الذي كان اسمه شاؤول، كان يقول أنّه من الفرّيسيين الذين يقولون بالرجاء والقيامة والملائكة والروح، بخلاف الصدوقيين المتزندقة في اليهود في ذلك الزّمان، وهم أتباع رجل يقال له صدوق، فإنّهم لا يقولون بذلك كلّه، والفرّيسيّيون هم جمهور اليهود من قبل، والآن يسمّون بالربّانيين، وأمّا أتباع صدوق فكانوا قلائل، وانقرضوا عن آخرهم واضمحلّ مذهبهم.

وفي الإناجيل عدّة مواضع تدلّ على قول اليهود بالمجازاة بعد الموت تظهر لمن يتأمّلها، لكنّهم يدعون أنّ شريعة التّوراة نسخها السيّد المسيح عليه السلام. هذا مع أنّ في الإنجيل أنّي لم أجيء لأنقض توراة موسى ولكن جئت أتمّمها بعمل الحقّ[٢]. ويفنّد ابن المحرومة كلامه بقوله: "ما نقله المصنّف ههنا عن الإنجيل ليس كما هو مسطور فيه وأظنّ أنّه حرّف الكلام متابعة للمغالطين، فإنّ بالتحريف يتيسّر له تغليظ الخصم وإقامة دعاويهم الفاسدة"[٣]. وأحبار اليهود على عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم سألوه عن البعث والساعة وطعام أهل الجنّة، ممّا يدلّ على علمهم بذلك، ومكان هذا الحوار في المبحث الثالث من هذا الباب بإذن الله.

---

[1] – ابن المحرومة: حواشي على كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونه، تحقيق المطران حبيب باشا، ص ١٨١.

[2] – ابن كمونة، ص ٤٨

[3] – ابن المحرومة،ص ١٨١، ١٨٢

## الخلاصـــة

وخلاصة القول في عقيدة اليهود في البعث والنشور: إنّ الأسفار الخمسة قد أغفلت الحديث عن ذلك، وجاءت كتب الأنبياء بإشارات لا يستطيع المرء أن يتعرّف على دلالاتها الزمانيّة ولا المكانيّة، وجاء خلط كتبة التوراة ما بين يوم القيامة ويوم يتجلّى فيه ربّهم الخاصّ ويوم على جبل صهيون. وذهب كتبة التلمود إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى احتكار الجنان، وزجّ غيرهم في النيران، أمّا علماؤهم كابن ميمون وابن كمونه فلا يخفى على ذي لبّ تأثّرهما بالفكر الإسلامي ومحاكاتهما له، كما ثبت في باب المقدّمات، أمّا حوار موسى عليه السلام مع الملأ في البعث والنشور، فلم يكن ثمّة حوار، ناهيك عن خلوّ الأسفار الخمسة من الحديث عن ذلك، كما أسلفت مراراً، وبذلك وجدت نفسي مضطرّاً أن أجعل عنوان هذا المبحث: "البعث في اليهوديّة"، بدلاً من "حوار موسى عليه السلام مع الملأ في البعث".

## المبحث الثاني: حوار المسيح ﷺ مع الملأ في البعث:

### يوم الربّ في ذلك اليوم:

جاء في جدول الشّروح : إنّ ذلك اليوم هو نهاية العالم حين يدين[1] الله البشر أجمعين، ويوم الدينونة حيث يحلّ غضب الله على الأشرار، وينال فيه الأبرار الخلاص والفداء، وذلك اليوم عبارة مرادفة لعبارة يوم الربّ"[2].

وجاء في قاموس الكتاب المقدّس: "وفي العهد الجديد هو يوم المسيح، يوم مجيئه لمجد الأب، هو يوم الغضب، يوم الدّين أو الدينونة، اليوم العظيم، ويدعى أيضا " ذلك اليوم".

ويتكلّم بولس الرسول في رسالته عن استعلان مجد يسوع المسيح ﷺ ويذكر بالترتيب الأحداث العظيمة التي ستجري يوم مجيء المسيح كقيامة الأموات، وإبطال كل رياسة أرضيّة، ودحر العدو الأخير، أي الموت، وإخضاع كلّ شيء للأب الذي أخضع كلّ شيء لمسيحه، وسيحلّ يوم الربّ عند مجيء يسوع المسيح للدينونة، وسيكون ذلك بصورة فجائيّة مباغتة، وبغير انتظار، ولا يعرف الوقت إلاّ الأب في السّماء، وفي ذلك اليوم ستحلّ جميع العناصر وتذوب، ويقوم الأموات، إمّا لقيامة الحياة، أو لقيامة الدينونة، والراقدون في المسيح سوف يسبقون الجميع، وستتغيّر الأرض قبل كلّ شيء، وسيقدم جميع النّاس حساباً عن أعمالهم، ولولا هذا الحساب لما عرف النّاس معنى المسؤوليّة في هذا العالم"[3].

### يوم الربّ في العقليّة النصرانيّة:

قلت عند الحديث عن النبوة والوحي، إنه قد تتشابه المصطلحات لفظاً بينما تختلف في مفهومها من منهج لمنهج، ومن عقيدة لعقيدة، فيوم الربّ أو يوم القيامة، لفظ مشترك بين الرسالات الثلاث، ومع ذلك فالمفهوم منها ليس واحداً، في ذهن المسلم والنصرانيّ واليهوديّ، فماذا يفهم النّصارى من يوم الربّ؟

---

1 – يدين ودينونة بمعنى المجازاة والمحاسبة، وذلك يوم القيامة.

2 – جدول الشروح، ص ٤٣٣.

3– قاموس الكتاب المقدّس، ص ١١٢٣.

يوم الربّ هو جائزة لمن آمن بالمسيح عليه السلام، فله الحياة الأبديّة، والسّعادة والهناء، أمّا الذين لم يؤمنوا فعقاب الموت والهلاك الأبدي ينتظرهم، فلا بعث لهم ولا نشور وإنّما إلى الأبد في الظلمة والموت[1].

وهذا ما أكّدت عليه الأناجيل "لينال كلّ من آمن به الحياة الأبديّة"[2]، وأمّا الذي لا يؤمن "فلا يرى الحياة بل يحلّ عليه غضب الربّ"[3].

ويقول الخوري بولس الفغالي شارحاً العديد من هذه النصوص: "ويشدّد الإنجيل على عامل آخر في مصيرنا النهائي، لن يرى الحياة ولن يقوم إلاّ الذي آمن بيسوع (يو ٣: ١٥ و ١٦ و٣٦، ٥: ٢٤-٢٥، ٦: ٤٠ و ٤٧، ١١: ٢٥-٢٦) إلاّ الذي عمل الصّالحات (يو ٥: ٢٩) وبأنّ عقاب الموت والهلاك الأبدي ينتظرهم (يو ٣: ٣٦، ٨: ٢١ و ٥١)، بالإضافة إلى ذلك أنّ الإنسان يقرّر مصيره في لقائه بالمسيح خلال حياته على الأرض: فمن قبله نعم مسبقاً بالحياة الأبديّة، ومن رفض النّور وفضّل عليه الظلمة قد دين وحكم عليه، وهو باق إلى الأبد في دنيا الظلمة والموت (يو٣: ١٨-٢١، ١٢: ٤٦-٤٨) لقد قطع عمّن هو الحياة (يو١٥: ٦)[4].

ولذلك يعزّي النصارى أنفسهم عند الموت بهذه العبارة "أنا هو القيامة من آمن بي يحيا وإن مات، وكلّ من يحيا مؤمناً بي لا يموت أبداً"[5]. ويفلسف الفغالي الموت والحياة فيقول: "الحياة هي الخلاص الإلهي الذي يصيب الإنسان كلّه، نفساً وجسداً وروحاً، والموت هو خسارة الخلاص الإلهي، خسارة الحياة الأبديّة في الله"[6].

---

1 – لو حظي الكافر بالموت الأبدي دون البعث لنجّي من العقاب، وهذا ما يتمنّاه الكافر أن يعامل معاملة الحيوانات، التّي تكون تراباً بعد محاسبتها يوم القيامة، وفي ذلك يقول تعالى:(ويَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) ( النبأ: ٧٨/٤٠).

2 – يو ٣: ١٥.

3 – يو ٣: ٣٦.

4 – الفغالي، الخوري بولس: إنجيل يوحنّا، دراسات وتأمّلات، ص ٥٦٦.

5 – يو ١١: ٢٥-٢٦.

6 – الفغالي: م.س ، ص ٥٦٠-٥٦١.

مشاهد من يوم الدينونة في الأناجيل:

١. "وعندما يعود ابن الإنسان في مجده، ومعه جميع ملائكته، فإنّه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشّعوب كلّها، فيفصل بعضهم عن بعض، مثلما يفرز الراعي الخراف عن الجداء، فيجعل الخراف عن يمينه، والجداء عن شماله، ويقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا، يا من باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي هيّأه لكم منذ إنشاء العالم... ثمّ يقول للذين عن شماله: ابتعدوا عنّي يا ملاعين إلى النّار الأبديّة المهيّأة لإبليس وأعوانه"[١].

٢. "وينادي رئيس ملائكته، ويبوق في بوق إلهي، عندئذٍ يقوم الأموات في المسيح أوّلاً، ثمّ إنّنا نحن الباقين أحياء، نختطف جميعاً في السّحاب للاجتماع بالربّ في الهواء، وهكذا نبقى مع الربّ على الدّوام"[٢].

٣. "الحقّ أقول لكم إنّ كثيرين سيقولون لله يوم الدّينونة: يا ربّ لقد بشّرنا وعملنا بشريعتك، ولكنّ الحجارة نفسها تصرخ ضدّهم قائلة: لما كنتم قد بشّرتم الآخرين فبلسانكم قد أدنتم أنفسكم يا فاعلي الإثم"[٣].

٤. "عندئذٍ يبوق الملاك مرّة أخرى فيقوم الجميع بصوت بوقه قائلاً: "تعالوا للدينونة أيتّها الخلائق لأنّ خالقك يريد أن يدينك"[٤].

٥. "هكذا يحدث في نهاية المزمار: يأتي الملائكة فيخرجون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم في أتون النّار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان"[٥].

---

[1] - مت ٢٥: ٣١-٤١

[2] - اتس ٤: ١٦-١٧

[3] - بر ٧٧: ١، ٢

[4] - بر ٥٤: ١٨

[5] - مت ١٣: ٤٩-٥٠

حوار في البعث:

١. "ثمّ جاء إليه قوم من الصدوقيّين الذين ينكرون القيامة وسألوه قائلين يا معلم قد كتب لنا موسى إن مات رجل متزوّج بغير ولد، فليأخذ أخوه زوجته لتقيم نسلاً لأخيه، وقد كان ثمّة سبعة إخوة، فتزوّج الأوّل ثمّ مات بغير ولد، فتزوّجها الثاني ثمّ مات بغير ولد... وهكذا السّبعة ولم يخلّفوا نسلاً وماتوا، ثمّ آخر الكلّ ماتت الزوجة أيضاً، ففي القيامة لمن منهم تكون زوجة لأنّ السّبعة قد تزوّجوها؟ فأجاب يسوع، وقال لهم: "إنّ أبناء هذا الدهر يتزوّجون ويتزوّجن، أمّا الذين استحقّوا أن ينعموا بالدهر الآتي وبالقيامة من بين الأموات فلا الرجال يتزوّجون ولا النساء يتزوّجن ذلك أنّهم لا يمكن أن يموتوا ثانيّة لأنّهم يساوون الملائكة، وهم أبناء الله لكونهم أبناء القيامة، أمّا أنّ الموتى يقومون فقد دلّ عليه موسى في كلامه عن العليقة[١]، إذ يقول : إنّ الربّ هو إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، الله ليس إله أموات بل هو إله أحياء، لأنّ الجميع لديه أحياء، فأجاب قوم من الكتبة قائلين: يا معلم حسناً قلت "ولم يجرؤوا بعد ذلك على أن يسألوه عن أي شيء"[٢].

ولعلّ الصدوقيّون أنّما قصدوا إحراج المسيح عليه السلام والاستهزاء به، بهذا السؤال، فهم لا يؤمنون بالقيامة، فأجابهم إجابة مفحمة لهم، وأكّد في إجابته على إقامة الموتى، مستدعيّاً في ذلك التّاريخ، ومستحضراً مشاهد من التّوراة التي يؤمن بها السائلون.

٢. "وسأله واحد من الرؤساء قائلاً: "يا أيّها المعلّم الصّالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة، ولكنّ يسوع قال له: "لماذا تدعوني الصّالح؟ ليس أحدٌ صالح إلاّ واحد، وهو الله. أنت تعرف الوصايا: لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمّك" فقال: "هذه كلّها عملت بها منذ صغري" فلمّا سمع يسوع هذا، قال له: "ينقصك شيء واحد: بع كل ما عندك، ووزّع على الفقراء، فيكون لك كنز في السّماوات، ثمّ تعال اتبعني" ولكنّه لما سمع ذلك، حزن حزناً شديداً، لأنّه كان غنيّا جدّاً ، فلمّا رأى

---

[1] – **العليقة: لمّا اقترب موسى عليه السلام من جبل الطور، آنس ناراً، يقولون إنّها كانت في أغصان نبات شائك يثمر ثمراً كنبات التوت. السّقا، أحمد حجازي: نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، ص ١٨.**

[2] – **لو ٢٠: ٢٧-٤٠، مت ٢٢: ٢٢-٣٣، مر ١٢: ١٨-٢٧**

يسوع منه، قال: "ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت الله، فإنّ مرور جمل في ثقب إبرة أسهل من دخول غنيّ" ، فقال الذين سمعوا ذلك: "إذن من يقدر أن يخلص؟"، فقال: "إنّ المستحيل عند النّاس مستطاع عند الله"، فقال بطرس: "ها نحن قد تركنا كلّ شيء وتبعناك"، فقال لهم: "الحقّ أقول لكم: ما من أحد يترك بيتاً، أو زوجة، أو إخوة، أو والدين، أو أولاداً، من أجل ملكوت الله إلاّ وينال أضعاف ذلك في هذا الزّمان، وينال في الزّمان الآني الحياة الأبدية"(١).

وفي كلّ مرّة يجعل المسيح عليه السلام حضوراً للعهد القديم في خطابه، ولعلّ هذا سبب تعظيم النصارى لكتاب موسى عليه السلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه كان يحاول التعامل بالقواسم المشتركة بينه وبين اليهود، يظهر ذلك من تذكيرهم بالأحكام، وبالوصايا الواردة في التّوراة.

٣. وجاء إليه واحد قائلاً: "أيّها المعلّم الصالح، إنّك تعلّم حسناً وحقّاً لذلك قل لي: ما هو الجزاء الذي يعطينا إيّاه الله في الجنّة؟"، أجاب يسوع: "إنّك تدعوني صالحاً وأنت تعلم أن لا صالح إلاّ الله وحده كما، قال أيّوب خليل الله: "الطّفل الذي عمره يوم ليس نقيّاً بل إن الملائكة ليست منزّهة عن الخطأ أمام الله"(٢).

ويجيب عن سؤال السائل بعد إصحاحيْن فيقول: "سألتني أن أخبرك ما يعطينا الله في الجنّة، الحقّ أقول لكم إنّ الذين يهتمّون بالأجرة لا يحبّون صاحب العمل"(٣).

وكان عيسى عليه السلام يحذّر تلامذنه من مغبّة التأثّر بلوثة الصدوقيّين، المتمثّلة في إنكار القيامة والبعث، جاء في إنجيل برنابا:

٤. "قال بطرس: "أيذهب جسدنا الذي لنا الآن إلى الجنّة؟

فأجاب يسوع: "احذر يا بطرس من أن تصير صدوقيّاً، فإنّ الصدوقيّين يقولون إنّ الجسد لا يقوم، وإنّه لا توجد ملائكة، لذلك حرّم على جسدهم وروحهم دخول الجنّة، وهم

---

[1] - لو ١٨: ١٨-٣٠، مت ١٩: ١٦-٣٠، مر ١٠: ١٧-٣١

[2] - بر ٦٦: ١-٤

[3] - بر ٦٨: ١-٢

محرومون من كلّ خدمة الملائكة في هذا العالم، أنسيتم أيّوب النبي وخليل الله كيف يقول: "إعلم أنّ إلهي حيّ وأنّي سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلّصي"(١).

٥. "ولكنّك تخطئ يا بطرس في ظنّك أنّ طعاماً كهذا يبرز نجاسة، لأنّ هذا الجسم في الوقت الحاضر يأكل أطعمة قابلة للفساد، ولهذا يحصل الفساد، ولكنّ الجسم يكون في الجنّة غير قابل للفساد، وغير قابل للألم وخالياً من كلّ شقاء والأطعمة التي لا عيب فيها لا تحدث أدنى فساد"(٢).

ونجده أحياناً دون أن يتعرّض لسؤال، يتحدّث عن الحياة الأبديّة، ينذر ويخوّف، يرغّب ويرهّب، وهذا منهج الأنبياء الذي افتقرت إليها الأسفار الخمسة، جاء في إنجيل يوحنّا:

٦. "الحقّ أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني تكون له الحياة الأبديّة، ولا يحاكم في اليوم الآخر، لأنّه فيه انتقل من الموت إلى الحياة الحقّ، الحقّ أقول لكم: إنّ السّاعة التي يسمع فيها الأموات صوت ابن الله ستأتي -بل هي الآن- والذين يسمعون يحيون، لأنّه كما أنّ للأب حياة في ذاته، فقد أعطى الإبن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطة أن يدين، لأنّه ابن الإنسان، لا تتعجبّوا من هذا، فسوف تأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوته، فيخرجون منها، فالذين عملوا الصالحات يخرجون في القيامة المؤدّية إلى الحياة، وأمّا الذين عملوا السيئات ففي القيامة المؤدّية إلى الدينونة، وأنا لا يمكن أن أفعل شيئاً من تلقاء ذاتي، بل أحكم حسبما أسمع، وحكمي عادل، لأنّي لا أسعى لتحقيق إرادتي بل إرادة الذي أرسلني"(٣).

ويتّضح من خلال حوار المسيح عليه السلام مع مرثا أخت لعازر أن النّاس كانوا يؤمنون بالبعث والقيامة، جاء في إنجيل يوحنّا: "وقالت مرثا ليسوع: يا سيّدي لو كنت هنا، لما مات أخي، فأنا واثقة تماماً بأنّ الله يعطيك كلّ ما تطلب منه، فأجاب يسوع: "سيقوم أخوك" ، قالت

---

[1] - بر ١٧٣: ٧-١٠

[2] - بر ١٧٤: ٨-١١

[3] - يو ٥: ٢٤-٣٠

مرثا: أعرف أنّه سيقوم في القيامة، في اليوم الأخير، فردّ يسوع: "أنا هـو القيامة والحياة، من آمن بي، وإن مات فسيحيا، ومن كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد"[١].

وبذلك تكون القيامة في التصوّر النصراني، قيامة خاصّة، وقيامة عامّة، أمّا القيامة الخاصّة: فتتمثّل في قيامة المسيح عليه السلام بعد صلبه –حسب زعمهم– بثلاثة أيّام، وقيام أجساد كثير من القدّيسين الراقدين، وخروجهم من القبـور ودخلوهم المدينة المقدّسـة على حدِّ زعمهم[٢] وإحيائه عليه السلام لبضعة أناس بعد موتهم بإذن الله[٣].

وأمّا القيامة العامّة: فهي تعني بعث الأجساد يوم الدينونة، وفي ذلك يقول الدكتور حرّاث بوعلاقي: "وبهذا يكون البعث عامّة في التصوّر النصراني هو عودة الرّوح إلى الجسد سواء كان في عالمنا هذا أو يوم الحساب، والبعث الخاصّ كذلك نوعان: بعث يتبعه موت، كما حصل مع الذين أعاد إليهم السيّد المسيح عليه السلام الحياة، وبعث أبديّ، مثل بعث السيّد المسيح بعد عمليّة الصّلب –حسب زعمهم– كما نصّ على ذلك العهد الجديد"...[٤].

إنّ مفهوم البعث والقيامة تطوّر في المفهوم النصراني من البعث الآخروي الذي كان معروفاً في الكتب السماويّة إلى البعث من الموت في هذه الدنيا بهدف إقامة الدّليل على صدق المسيح عليه السلام فيما جاء به، ولعلّ هذه الإضافة في مفهوم البعث عند النّصارى كانت مقصودة من السيّد المسيح عليه السلام ليؤكّد بها القدرة التامّة لله تعالى، فالذي قدر على إحياء الموتى في عالم الشهادة قادر على إحيائهم في عالم الدّينونة"[٥].

---

1 – يو ١١: ٢١-٢٦

2 –أنظر أسطورة الصّلب والقيامة في:( مت ٢٧: ٤٦-٥٣)، مر١٥: ٣٣-٤١، لو ٢٣: ٤٤-٤٩، يو ١٩: ٢٨-٣٠.

3 – إحياء كلّ من ابنة " بابرس " رئيس المجمع، أنظر: ( مت ٩: ١٨-٢٦، مـر ٥: ٣٩-٤٢، لـو ٨: ٤٠-٥٦) ، وابن وحيد أرملة في : بايين "، أنظر: ( لو ٧: ١١-١٧)، والعازر، أنظر: ( لو ١١: ١-٥٤).

4 – يقول المسيح عليه السلام في إنجيل متّى بعد قيامته: " وها أنا معكم طوال الأيّام، إلى انقضاء الدهر، آمين " ( مـت ٢٨: ٢٠ وانظر: مر١٦: ١٤-١٨، لو ٢٤: ٣٦-٤٩، يو ٢٠: ١٩-٢٣، أع ١: ٦-٨ )

5 – د. بوعلاقي، حرّاث: م.س ، ص ٢٤-٢٥

## الخلاصـــة

إنّ أهمّ ما تميّز به المسيح عليه السلام في حواره مع الملأ في البعث والقيامة حرصه على جعل حضور للتّوراة في خطابه، وفي ذلك يتعامل بالقواسم المشتركة، ويقيم الحجّة عليهم ويفحمهم.

ويتّضح لنا أنّ مسألة القيامة لم تمثّل إشكالاً كبيراً في حواره مع الملأ، ولم تكن من القضايا المركزيّة التي أجّجت النّزاع بينه وبينهم، ولذلك كانت الأسئلة المطروحة عليه في البعث غير مباشرة، ولكنّه عمل من تلقاء نفسه على تحذير تلامذته وغيرهم من خطورة إنكار القيامة، فهو يعيش بين اليهود، ويعرف فرقهم ومخالفاتهم.

أمّا بالنسبة لعقيدة البعث في الأناجيل، فالتناقض حاصل بين نصوصها، فمنها ما يجعل غير المؤمن بالمسيح عليه السلام في عدم وظلمة إلى الأبد، ومنها ما يجعله في النّار الأبديّة مع إبليس وأعوانه.

## المبحث الثالث: حوار الرسول ﷺ مع الملأ في البعث:

### البعث لغة:

يقول الراغب الأصبهاني: "أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، فبعثت البعير أثرته وسيّرته، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (الأنعام:٦/٣٦) أي: يخرجهم ويسيّرهم إلى القيامة.

فالبعث ضربان: بشريٌّ كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة.

وإلهيٌّ: وذلك ضربان، أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس (أي من العدم) وذلك يختصّ به الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحد، والثاني: إحياء الموتى، وقد خصّ بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه السلام وأمثاله، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠/٥٦). أي: يوم الحشر[1].

وذكر الدامغاني: أنّ البعث في اللغة على سبعة أوجه: الإلهام، والإحياء في الدنيا، واليقظة من النوم، والتسليط، والإرسال، والنصب، والبيان، والنشور من القبور، والذي يهمّنا في رسالتنا هذه قوله: (البعث: الإحياء في الدنيا) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:٢/٥٦).

والبعث: اليقظة من النوم "ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى" (الأنعام: ٦/٦٠)، أي: من النوم.

والبعث: يعني النشور من القبور[2]. يقول السجستاني: بعثناهم: أحييناهم"[1].

---

[1] – الراغب الأصبهاني: م.س، ص ٦٨-٦٩.

[2] – الدامغاني: الحسين بن محمد: م.س، ص ٧٥.

وفي لسان العرب: "البعث والجمع أبعاث، وفي التنزيل: ﴿ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ (يس ٥٢/٣٦)، وهو قول المشركين يوم النشور، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس: ٥٢/٣٦) قول المؤمنين. والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الإرسال، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ (الأعراف: ١٠٣/٧) أي: أرسلنا.

والبعث: إثارة بارك وقاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث، أي: أثرته فثار.

والبعث أيضاً: الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ (البقرة:٥٦/٢) أي أحييناكم. وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث، وبعث الله الخلق يبعثهم بعثاً، نشرهم من ذلك. ومن أسمائه عزّ وجلّ: "الباعث"، وهو الذي: يبعث الخلق أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة"[2].

وفي القاموس المحيط: "بعثه كمنعه، أرسله، كابتعثه فانبعث، وبعث الناقة أثارها، وبعث فلاناً من منامه أهبه"[3].

والبعث شرعاً:

البعث شرعاً كما ذهب إلى ذلك محمد حسن بخيت هو: "إحياء الله الموتى من قبورهم يوم القيامة، بعد النفخة الثانية، روحاً وجسداً، ليساقوا إلى موقف الحساب، بعد جمع أجزائهم الأصليّة، لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (النبأ: ١٨/٧٨).

فهذا التعريف يشتمل على أهمّ عناصر عقيدة البعث، فيتضمّن إحياء الله تعالى للنّاس، من قبورهم بأجسادهم وأرواحهم، وتحديد زمن البعث، وكذلك سوق النّاس للحساب"[4].

---

1 – السجستاني، محمد بن عزيز: م.س، ص ١٢٥.

2 – ابن منظور، محمد بن مكرم: م.س، مج ١ ص ٢٣٠

3 – الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ج١ ص ١٦٨

4 – بخيت، محمد حسن رباح: عقيدة البعث بين المثبتين والمنكرين، ص ٦

وذكر الدامغاني: أنّ لفظ "الآخرة" في القرآن الكريم يأتي على خمسة أوجه: القيامة والجنّة، والنّار، والآخرة، والقبر.

فوجه منها: الآخرة بمعنى القيامة، فذلك قوله تعالى في سورة المؤمنون ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ (المؤمنون: ٧٤/٢٣) يعني البعث بعد الموت، وقال في سورة الليل: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ (الليل: ١٣/٩٢) أي: الدنيا والآخرة.

الثاني: الآخرة يعني النّار، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ" ﴾ ( البقرة: ١٠٢/٢) أي: في الجنّة من نصيب.

الثالث: الآخرة يعني النّار، كقوله تعالى: ﴿ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ (الزمر: ٩/٣٩) أي: النّار، ﴿ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ (الزمر: ٩/٣٩) أي: الجنّة.

الرابع: الآخرة: يعني الأخيرة، كقوله تعالى: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (ص ٧/٣٨) أي: الملّة الأخيرة وهي ملّة كانت قبل ملّته، ولكن المعنى: أنّها كانت آخر الملل قبل النبي ﷺ، وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (الإسراء: ٧/١٧) أي: وعد الأخير من العذابين.

الخامس: الآخرة، أي: القبر، كقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (ابراهيم: ٢٧/١٤)، أي: القبر عند مساءلة منكر ونكير"[1].

## موقف الملأ من البعث:

وقفت البشريّة في أجيالها المختلفة موقفاً عجيباً من قضيّة البعث والدّار الآخرة، على بساطتها وضرورتها، فكان أعجب ما تدهش له أن ينبئّها رسول أنّ هناك بعثاً بعد الموت

---

[1] – الدامغاني، الحسين بن محمد : م.س، ص ٢٣-٢٤

وحياة بعد الدثور ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (النمل: ٢٧/٦٧-٦٨) .

نعم لقد وقف الإنسان منذ بدء الخليقة أمام ستر الغيب المحجوب، لا ينفذ إليه علمه ولا يعرف ما وراء الستر المسدل، إلاّ بقدر ما يكشف له منه علاّم الغيوب، وإن موعد البعث غيب، فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقيناً، ولا يشعرون به حين يقترب شعوراً بذلك من الغيب الذي يقرّر أنّ لا أحد يعلمه في السّموات ولا في الأرض"(١).

وأطراف الحوار في مسألة البعث مع الرسول ﷺ كانت تشمل معظم فئات الملأ، قريشاً بجهلها وعدم استيعابها للبعث والنشور، واليهود الذين يثيرون ويطرحون الأسئلة التعجيزيّة، ليطعنوا في النبوة والرّسالة، والمنافقين الذين يجمعون ما بين الجهل والتشكيك.

يقول الشهرستاني: "واعلم أنّ العرب أصناف شتّى فمنهم معطّلة ومنهم نوع تحصيل، فمعطّلة[2] العرب أصناف، فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ (الجاثية: ٤٥/٢٤)، وصنف منهم أقرّ بالخالق وابتداء الخلق، ونوع من الإعادة، وأنكروا الرّسل وعبدوا الأصنام، وزعموا أنّهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة.

---

[1] – فائز، أحمد: اليوم الآخر، ص ١٣-١٤

[2] – المعطّلة: هم الدهريون، طائفة من الأقدمين، جحدوا الخالق المدبّر، العالم القادر، وزعموا أنّ العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع، وهؤلاء هم الزنادقة، والطبيعيون قوم أكثروا بحثهم في عالم الطبيعة، وعجائب الحيوان والنبات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله ما اضطروا معه إلى الاعتراف بقادر حكيم، وظنّوا أنّ القوّة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ، ثمّ إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا، فذهبوا إلى أنّ النّفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنّة والنّار والحشر والمعاد والقيامة والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فانحلّ عنهم اللّجام، وانهمكوا في الشّهوات انهماك الأنعام، وهؤلاء أيضا زنادقة، لأنّ الإيمان بالله واليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن آمنوا بالله وصفاته. الغزالي، محمد بن محمد: المنقذ من الضلال، ص ١٨-١٩.

فشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين: إنكار البعث بعث الأجساد، وجحد بعث الرّسل[١].

مظاهر الحوار في مسألة البعث ومنطق الملأ:

في أكثر من مناسبة وقف الملأ بمختلف مشاربه واتّجاهاته ليعرب لمحمد ﷺ عن رفضه لفكرة البعث والنشور، وفي بعض الأحيان كان يصل الملأ لدرجة الاستهزاء والسخرية، واحضار العظام وهي رميم وذرّها في الهواء في حضرة الرسول ﷺ.

وليس بغريب على عقول بني البشر، إنّهم لا يصدّقون ولا يؤمنون إلاّ بالمحسوس الملموس، أما ما خفي وغاب، فهم فيه في ارتياب.

والذين آمنوا بالغيب يتفاوتون في قدرتهم على تصديق الغيب غير المألوف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثمّ أقبل على النّاس، فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنّا لم نخلق لهذا، إنّما خلقنا للحرث" فقال النّاس: سبحان الله. بقرة تتكلّم؟ فقال: فإنّي أؤمن بهذا، أنا وأبوبكر وعمر"وما هما ثمّ" وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتّى كأنّه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا، استنقذتها منّي، فمن لها يوم السّبع، يوم لا راعي لها غيري؟" فقال النّاس: سبحان الله. ذئب يتكلّم؟ قال: فإنّي أومن بهذا أنا وأبوبكر وعمر" وما هما ثمّ"[٢]. فليس لأحد أن يرفض شيئا لعدم معرفته به، وإلاّ لجاز لمن لم يعلم أنّه تخلّق في بطن أمّه ولبث تسعة أشهر أن ينكر ذلك، فكيف له أن يصدّق أنّ إنساناً يعيش في ظلمات، وكلّ مقوّمات الحياة المعروفة غير متوفّرة في بطن أمّه، وكيف لمن لم يعرف المخلوقات البحريّة ولم يسمع عنها أن يصدّق أنّها تعيش في الماء، وتموت إذا فارقته، وكيف لمن لم ير الأفعى أن يصدّق أنّها تسير مسرعة كالبرق زحفاً على بطنها، وغير ذلك كثير من الغرائب والأعاجيب؟! وقد قيل في

---

[1] – الشهرستاني، محمد بن مكرم ( ت٥٤٨هـ): الملل والنحل، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ت]

[2] – البخاري: م.س. ٦٠، كتاب الأنبياء، ٥٤، باب حدّثنا أبو اليمان، ج٣ ص ٣٤٧

الأمثال: من جهل شيئا عاداه، فالجاهل لا يستوعب، فكيف يصدّق؟ والمعاند إن قامت عليه الحجّة واتّضح له الخبر، لبس ثوب الجهل والكِبر وقال سحر مبين!

وقد سجّل القرآن الكريم عديداً من المواقف، من رفض الملأ واستهجانه للبعث والنشور، نذكر جملة منها، ومن ثمّ نتعرّض لآية أو آيتين فلعلّ التّكرار يدلّ على إصرار الملأ على موقفه، لتشابه القصص وتبادل الأدوار، يقول الله تعالى:

١. ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (الأنعام: ٦/٢٩).

٢. ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴾ (النحل: ١٦/٣٨-٣٩).

٣. ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (الإسراء: ١٧/٤٩-٥١).

٤. ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (الإسراء:١٧/٩٧-٩٨).

٥. ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا

كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المؤمنون:٢٣/٣٥-٤٠).

٦. ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٣٦/٧٧-٨٢).

٧. ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ (الصافات: ٣٧/١٦-١٨).

٨. ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الواقعة: ٥٦/٤٧-٥٠).

٩. ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٦٤/٧).

وبعد عرض هذه المواقف الحجاجيّة من الملأ -التي يظهر منها استبعادهم للبعث والنشور- يأتي التأكيد على وقوعه في القرآن الكريم، وحثّهم على التعقّل والنظر، والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانيّة وتخويف المعاندين من عاقبة إصرارهم على موقفهم.

وتكاد خواتيم سورة يس تلخّص موقف الملأ من البعث وفي الوقت ذاته، تبيّن الردود النقليّة العقليّة المفحمة على كلّ من تسوّل له نفسه التنكّر للبعث وعدم الإيمان به.

أمّا مناسبة الآيات: فقد جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتّه فقال: يا محمد أيبعث هذا بعد ما رمّ؟ قال: نعم يبعث الله هذا، ثمّ يميتك ثمّ يحييك ثمّ يدخلك نار جهنّم، فنزلت الآيات: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (يس: ٣٦/٧٧) إلى آخر السّورة[1].

ويذكر الواحدي: أنّ الإنسان في هذه الآية هو: أبيّ بن خلف، وذكر ذلك السيوطي وابن كثير وغيرهما في رواية عن طريق مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدّي[2].

وذكر ابن كثير في رواية عن ابن عبّاس، وكذلك الطبري وغيرهما[3] أنّ الإنسان هو عبدالله بن أبيّ، وان كان ابن كثير ينكر ذلك لأنّ السّورة مكّية وعبدالله بن سلول إنّما كان بالمدينة، ومع ذلك يوفّق بين الاختلافين في تحديد اسم الإنسان الذي قام بالمخاصمة، بوحدة المبدأ عند الملأ من إنكار البعث فيقول: "وعلى كلّ تقدير فهي عامّة في كلّ من أنكر البعث، والألف واللام في (الإنسان) للجنس، وهو يعمّ كلّ منكر للبعث[4].

وفي ذلك يقول ابن عاشور: "قيل: أريد بالإنسان أبو جهل، وقيل: أُريد به العاص بن وائل، وفي ذلك روايات بأسانيد ولعلّ ذلك تكرّر مرّات، تولّى كلّ واحد من هؤلاء بعضها[5].

ويقول الرّازي: "وقد ثبت في أصول الفقه أنّ الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ألا ترى أن قوله ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ (المجادلة: ٥٨/١) نزلت

---

1 – السيوطي، جلال الدّين: م.س ، ص ٢٥٣

2 – ن.م ، ص ٢٥٣ ، الواحدي: م.س، ص ١٦٠، ٢٠٩ ، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٥٥٨-٥٥٩.

3 – الطبري: م.س، مج ١٢ ج ٢٣ ، ص ٣٠، ٣١ ، ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٥٥٨، ٥٥٩

4 – ن.م، ص ٦٥٨

5 – ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير، ج ٢٣ ص ٧٣

في واحدة وأراد الكلّ في الحكم، فكذلك كلّ إنسان ينكر الله أو الحشر، فهذه الآية ردّ عليه إذا علمت عمومها"[1].

قراءة المفسّرين لعقليّة الملأ في البعث والردّ عليهم:

يقول الزمخشري: "قبّح الله عزّ وجلّ إنكارهم البعث تقبيحاً لا نرى أعجب منه وأبلغ وأدلّ على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النِعم، وعقوق الأيادي، وتوغّله في الخسّة، وتغلغله في القحّة، حيث قرّر بأنّ عنصره الذي خلقه منه هو أخسّ شيء وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة، ثمّ عجّب من حاله بأن يتصدّى مثله على مهانة أصله، ودناءة أوله لمخاصمة الجبّار، وشزر صفحته لمجادلته، ويركب متن الباطل ويلج ويمحك، ويقول من يقدر على إحياء الميّت، بعدما رمت عظامه، ثمّ يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاء من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها"[2].

ويقول الرّازي: "المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادّعى النبوة وهم الأكثرون، ويدلّ عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد، فكذلك ههنا قال: (قال من يحي العظام وهي رميم) على طريق الاستبعاد، فبدأ أوّلاً بإبطال استبعادهم بقوله: (ونسي خلقه) أي: نسي إنّا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء، ثمّ جعلنا لهم من النواصي إلى الأقدام، أعضاء مختلفة الصور والقوام، وما اكتفينا بذلك، حتّى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل، الذين استحقوا الإكرام، فإن كانوا مقتنعين بمجرّد الاستبعاد، فهلّا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلّ الحياة أصلاً، ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محلّ كانا فيه، ثمّ إنّ استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من التفتّت والتفرّق حيث قالوا (من يحي العظام وهي رميم) اختاروا العظم للذكر، لأنّه أبعد عن الحياة لعدم الإحساس فيه، ووصفوه بما يقوي

---

1 – الرازي: م.س، ج ٢٦، ص ٩٤

2 – الزمخشري، محمود بن عمر ( ٤٦٧–٥٣٨هـ): تفسير الكشاف/ دار الفكر ط.١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. ج٣، ص ٣٣١

جانب الاستبعاد من البلى والتفتّت، والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعيد من القدرة والعلم، فقال: (وضرب لنا مثلاً) أي: جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب، وبدأه الغريب، ومنهم من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود إلى مجرّد الاستبعاد وهي على وجهين:

أحدهما: أنّه بعد العدم لم يبق شيئاً، فكيف يصحّ على العدم الحكم بالوجود، وأجاب عن هذه الشّبهة بقوله: (قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة) يعني: كما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، كذلك يعيده وإن لم يبق شيئاً مذكوراً.

**ثانيهما:** أنّ من تفرّقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه، وصار بعضه في أبدان السّباع وبعضه في جدران الرباع، كيف يجمع؟ وأبعد من هذا هو أنّ إنساناً إذا أكل إنساناً وصار أجزاء المأكول في أجزاء الآكل، فإن أعيد فأجزاء المأكول إمّا أن تعاد إلى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول أجزاء تخلق منها أعضاؤه: وإمّا أن تعاد إلى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل أجزاء. فقال تعالى في إبطال هذه الشّبهة: (وهو بكلّ خلقٍ عليم). ووجهه هو أنّ في الآكل أجزاء أصليّة وأجزاء فضلية، وفي المأكول كذلك، فإذا أكل إنسان إنساناً صار الأصليّ من أجزاء المأكول فضلياً من أجزاء الآكل، والأجزاء الأصليّة للآكل هي ما كان له قبل الأكل (والله بكلّ خلق عليم) يعلم الأصليّ من الفضليّ، يجمع الأجزاء الأصليّة للمأكول وينفخ فيها من روحه، وكذلك يجمع الأجزاء المتفرّقة في البقاع المبدّدة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة.

ثمّ إنّه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدّم من دفع استبعادهم وإبطال إنكارهم فقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ ووجهه هو أنّ الإنسان مشتمل على جسم يحسّ به، وحياة سارية فيه، وهي كحرارة جارية فيه، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه، فلا تستبعدوه، فإنّ الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب

وأنتم تحضرون حيث توقدون، وإذا استبعدتم خلق جسمه، فخلق السّماوات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فإنّ الله خلق السّماوات والأرض"[1].

ويقول القرطبي معلّقاً على قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾: "أي: ونسي أنّا أنشأناه من نطفة ميّتة، فركّبنا فيه الحياة، أي: جوابه من نفسه، ولهذا قال: نعم ويبعثك الله، ويدخلك النّار" ففي هذا دليل على صحّة القياس، لأنّ الله جلّ وعز احتجّ على منكري البعث بالنشأة الأولى من غير شيء، فهو قادر على إعادتها في النشأة الثانيّة من شيء وهو عَجْم الذنب، ويقال عَجْب الذنب بالباء[2] العصعص .

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ (الصافات:٣٧/١٥-١٨) ، يقول الرازي معلّقاً على هذه الآيات: "إعلم أنّه تعالى لما قرّر الدليل القاطع في إثبات إمكان البعث والقيامة، حكى عن المنكرين أشياءً أولها: أنّ النبي ﷺ يعجب من إصرارهم على الإنكار وهم يسخرون منه في إصراره على الإثبات، وهذا يدلّ على أنّه مع أولئك الأقوام كانوا في غاية التباعد، وفي طرفي النقيض، وثانيهما: قوله: ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ﴾ (الصافات:٣٧/١٣)، وثالثهما قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (الصافات:٣٧/١٤)

والقوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة، وبلغوا في هذا الاستبعاد إلى حيث كانوا يسخرون ممن يذهب إلى هذا المذهب، ولا طريق إلى إزالة هذا الاستبعاد إلاّ من وجهين، أحدهما: أن يذكر لهم الدّليل الدّالّ على صحّة الحشر والنشر، مثل أن يقال لهم: هل تعلمون أنّ خلق السماوات والأرض أشدّ وأصعب من إعادة الإنسان بعد موته؟ وهل تعلمون أنّ القادر على الأصعب الأشقّ يجب أن يكون قادراً على الأسهل الأيسر؟ فهذا الدّليل وإن كان جليّاً قويّاً إلاّ أنّ أولئك المنكرين إذا عرض على عقولهم هذه المقدّمات لا يفهمونها، ولا يقفون عليها، وإذا ذكّروا لم يذكروها لشدّة بلادتهم، وجهلهم، فلا جرم لم ينتفعوا بهذا النوع من البيان.

---

[1] - الرازي: م.س، ج ٢٦، ص ٩٥-٩٦

[2] - القرطبي: م.س، ج ١٥، ص ٥٨

الطريق الثاني: أن يثبت الرسول ﷺ جهة رسالته بالمعجزات ثمّ يقول كما ثبت بالمعجز كوني رسولاً صادقاً من عند الله، فأنا أخبركم بأنّ البعث والقيامة حقّ، ثمّ إنّ أولئك المنكرين لا ينتفعون بهذا الطّريق أيضاً لأنّهم إذا رأوا معجزة قاهرة وآية باهرة حملوها على كونها سحراً، وسخروا منها"[1].

ويضع ابن عاشور يده على مقصد الملأ من قريش، في إصرارهم على إنكار البعث والنشور فيقول: "لمّا أبطلت شبه المشركين في إشراكهم بعبادة الله وإحالتهم قدرته على البعث، وتكذيبهم محمّداً ﷺ في إنبائه بذلك إبطالاً كليّاً، عطف الكلام إلى جانب تسفيه أقوال جزئيّة للزعماء المكذّبين بالبعث توبيخاً لهم على وقاحتهم وكفرهم بنعمة ربّهم، وهم رجال من أهل مكّة، أحسب أنّهم كانوا يموّهون الدّلائل ويزيّنون الجدال للنّاس ويأتون لهم بأقوال إقناعيّة جارية على وفق أفهام العامّة"[2].

حجاج اليهود الرّسول ﷺ في البعث:

اليهود هم المرجعيّة الدّينية لمشركي قريش، في تزويدهم بالأسئلة التعجيزيّة في البعث وغيره، وعندما حلّ الرّسول ﷺ في المدينة المنوّرة، بادر اليهود إلى مساءلته في البعث على قصد التعجيز والإحراج، أو التّفاخر بما لديهم من علم يستخدمونه من موروثهم الدّيني، ومن ذلك:

أنّ ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: "كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السّلام عليك يا محمّد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله. فقال اليهودي: إنّما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: "إنّ اسمي محمّداً الذي سمّاني به أهلي" فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدّثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: "سل"، فقال اليهودي: أين يكون النّاس يوم

---

1 - الرازي: م.س، ج٢٦، ١١١-١١٢

2 - ابن عاشور: م.س، ج ٧٣/٢٣

تبدّل الأرض غير الأرض والسّماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: "هم في الظلمة دون الجسر"، قال: فمن أوّل النّاس إجـــازة؟[1] قال: "فقراء المهاجرين"، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلهم الجنّة؟ قال: "زيادة كبد النون"[2]، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: "ينحر لهم ثور الجنّة الذي كان يأكل من أطرافها"، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: "من عين فيها تسمّى سلسبيلا"، قال: صدقت"[3].

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ : قال: "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبّار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنّة "فأتى رجـــل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم. ألا أخبرك بنزل أهل الجنّة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: "تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا، ثمّ ضحك، حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال: "ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً"[4].

حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد، إنّا نجد أنّ الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشّجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر:٣٩/٦٧)(٥).

---

1 - إجازة: الجواز هوالعبور.

2 - النون: الحوت

3 - مسلم: م.س، ٣ كتاب الحيض، ٨ باب صفة مني الرجل والمرأة، ح ٣٤.

4 - البخاري: م.س، 81 كتاب الرقاق، 44 باب يقبض الله الأرض، ح ٦٠٣٩.

5 - البخاري: م.س، ٦٥ كتاب التفسير، ٣٩ تفسير سورة الزمر، ٢ باب وما قدروا الله حقّ قدره، ح ٤٤٣٧.

## الخلاصــــة

الذي نقرأه من حوار الملأ لأنبيائهم في هذا الفصل، يتلخّص في النقاط الآتية:

١. لم يكن ثمّة حوار بين موسى عليه السلام وملئه، في البعث والنشور، فقد خلت الأسفار الخمسة من ذكر ذلك أصلاً، فمن أين يأتي الحوار؟ هذا إن لم يكن قد طمس أو غاب، فلم ينقل إلينا خبره، وقد ظهر علم أحبارهم بقضايا البعث والساعة في حوارهم مع الرسول محمد ﷺ.

٢. لم تمثّل مسألة البعث والنشور إشكالاً ذا بال، ولم تكن من القضايا المركزيّة في عهد عيسى عليه السلام، بالرّغم من وجود فرق يهوديّة تنكر البعث والنشور، لذا لم يتعرّض عليه السلام لأسئلة محرجة أو مباشرة في ذات الموضوع، وإن كان هو قد أخذ على عاتقه تحذير تلامذته والنّاس من إنكار البعث وعدم الإيمان به. وقد استخدم عليه السلام المنهج التاريخي الاستدلالي في إقامة الحجّة على اليهود، فكثيراً ما كان يرجع بهم إلى موروثهم الدّيني من العهد القديم كما استخدم المنهج الوعظي الإرشادي.

٣. تعرض الرسول محمد ﷺ لهجمة شديدة، من جميع المحاور في مسألة البعث والنشور، فزعماء قريش ووجهاؤها من جهة، واليهود والمنافقون من جهة أخرى، وكلّ فرقة يدفعها قصد أو مراد، فقريش لبست ثوب الجهل تارة، وثوب الكبر تارة أخرى، واليهود يضيّقون على النبي ﷺ، ويتبجّحون بعلمهم ويظهرون فضلهم ويتوثّقون ممّا بقي عندهم من علم أو خبر، والمنافقون يردّدون خلفهم يدفعهم الحقد والكراهيّة والتشكيك في النبي ﷺ وفي معظم الأحوال، المصالح المادّية هي التّي كانت تتحكّم في هذا الملأ أو ذلك.

وبالجملة فقد شكّلت قضيّة البعث والنشور إشكالاً كبيراً، وكانت من القضايا المركزيّة في حوار محمد ﷺ مع ملئه، وأخذت حيّزاً كبيراً من خريطة اهتماماته اليوميّة، ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الحديث عن البعث والنشور واليوم الآخر.

فالبعث من أركان الإيمان، وفي الحديث المتّفق عليه: "الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ "[1].

وقد استخدم ﷺ في إقامة الحجّة على ملئه، كلّ من المنهج الفطري والتاريخي الاستدلالي، والوعظي الإرشادي، كما أكثر من استخدام المنهج العقلي، وكانت الآيات القرآنيّة صريحة في مخاطبة العقل البشري، وحثّه على التدبّر والتعقّل، من خلال العديد من الأمثلة المحسوسة، وقد سار علماء الإسلام، على هذا المنهج في إقامة الحجّة على المنكرين للبعث والنشور، وأكثر من تميّز في ذلك الإمام الرازي في تفسيره .

---

[1] – البخاري: م.س، ٢ كتاب الإيمان، ٣٧ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان في الإسلام، ح ٤٨.

# الباب الثالث

## الحوار الاجتماعي بين الأنبياء عليهم السلام والملأ

### الفصل الأول

### حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات

- المبحث الأول: حوار موسى ﷺ في الملأ في الزعامة وإثبات الذّات
- المبحث الثاني: حوار عيسى ﷺ في الملأ في الزعامة وإثبات الذّات
- المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ في الملأ في الزعامة وإثبات الذّات

### الفصل الثاني

### حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في العادات والتقاليد

- المبحث الأول: حوار موسى ﷺ مع الملأ في العادات والتقاليد
- المبحث الثاني: حوار عيسى ﷺ مع الملأ في العادات والتقاليد
- المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ مع الملأ في العادات والتقاليد

### الفصل الثالث

### الحوار التربوي والأخلاقي بين الأنبياء والملأ

- المبحث الأول: الحوار التربوي والأخلاقي بين موسى ﷺ والملأ
- المبحث الثاني: الحوار التربوي والأخلاقي بين عيسى ﷺ والملأ
- المبحث الثالث: الحوار التربوي والأخلاقي بين الرسول محمد ﷺ والملأ

## الفصل الأول

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات

تمهيـد:

تأخذ المرء الدّهشة والحيرة، عندما يرى الملأ يقفون في وجه أنبيائهم، يناصبونهم العِداء، يشوّهون صورتهم، ويشكّكون فيهم، ويقلبون الحقائق، ويضلّلون العامّة، ويزيّنون الأباطيل، ويؤذون الأنبياء جسديّاً ومعنويّاً، ويثبتونهم أو يقتلونهم أو يخرجونهم من أرضهم.

ما الدّافع وراء ذلك؟ وما سبب هذا العِداء؟

لا يكاد المرء يصدّق أنّ أحداً يفكّر في إيذاء نبيّ، دعاؤه مستجاب، يناجي ربّ العباد، فينبيء بالغيب، ويأتي بخبر السّماء، يبرئ ويعافي من الأمراض والأسقام، ويحيي الموتى بإذن الله. أمثال هؤلاء العظماء، ويُشار إليهم بالبنان، ويكنّ لهم كلّ تقدير واحترام، وبهم تعانق الأرض السّماء.

لكنّ الملأ في كثير من الأحيان، لم يلتفتوا إلى مكانة الأنبياء، ولِما جاؤوا به من خير وإحسان، بل شاقّوهم وضربوا لهم ظهر المِجنّ، ورأوا فيهم خصوماً وأعداءً.

إذن والحالة كذلك، فالقضيّة ليست قضيّة استجابة دعاء، أو مناجاة لربّ العباد، أو إنباء عن الغيب، أو نقل لأخبار السّماء، أو إبراء ومعافاة من الأمراض والأسقام، أو إحياء للأموات، بل هناك أمور أخرى أكثر من هذا وذاك، فليست هذه جميعًا موضع صراع أو نزاع.

فأين يكمن موضع النّزاع والصّراع بين الملأ والأنبياء؟ لماذا يعادي الملأ الأنبياء ويقفون لهم بالمرصاد؟ وكيف تكون منهجيّتهم في التعامل مع الأنبياء ومع أقوامهم؟ وأي قرار يتّخذون؟ وما الدّافع لذلك؟ وهل يطوّرون من أساليبهم أم يثبتون على أنماط محدّدة؟ وهل يتنازلون عن بعض مبادئهم في سبيل الإبقاء

على الممكن من زعامتهم وسيادتهم؟ لماذا يقبل جمهور وعامّة النّاس على دين الله دون إبطاء؟ لماذا يتأثّر جمهور وعامّة النّاس أحياناً بالملأ، يسيرون في ركبهم، ويعرضون عن دين الله؟

هذه الأسئلة وغيرها موضوع حديثنا في هذا الفصل "حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات".

وغني عن القول أنّنا تناولنا جزءاً كبيراً من حوار الملأ لأنبيائهم في التوحيد، وفي النبوّة، ونحن الآن بصدد الوقوف على الأسباب الحقيقيّة في حوارهم ورفضهم لأنبيائهم، ولسنا بحاجة لإعادة ما جرى بينهم من حوار وجدال، فالموضوع تراكميّ ومتكامل، وكلّ حلقة أساس لما بعدها، وما تجزئة البحث وتقسيمه إلاّ للتمكّن من النظر إلى الموضوع من عدّة زوايا، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

## المبحث الأوّل

## حوار موسى عليه السلام مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات

### تمهيـــد:

إنّ ملأ موسى عليه السلام في الزعامة وإثبات الذّات هم فرعون ومن معه، أولئك الّذين تولوا كبْر مقاومته عليه السلام، فما الدّافع لذلك؟ ولماذا لم يستطع فرعون أن يستوعبه وضاق به ذرعاً، مع أنه ربّاه في بيته وليداً، ولبث عنده من عمره سنين؟ هل اختلفت الأفهام والرؤى؟ وهل فهم فرعون أنّ موسى عليه السلام ينازعه ملكه وسلطانه؟ أم هل فهم أنّ موسى عليه السلام يفسد عليه خدمه وحاشيته وأعوانه؟ أم استكثر على نفسه أن يؤمن لبشر من أمّة مستعبدة له ذليلة مهانة؟ أم هل الملك عقيم لا يُنجب، فلا يلتفت لوالد ولا ولد، فهمّه دوماً عرشه وسلطانه؟ فأيّ شيء من ذلك أجّج الخصومة، وأوجد الأزمة بينهما؟

### قراءة في عقليّة فرعون وملئه:

وللإجابة على هذه التساؤلات، لا مناص من العودة إلى مصدري البحث العهد القديم والقرآن الكريم- أمّا العهد القديم فقد تناول المسألة ببساطة متناهية، فاكتفى بأن ذكّر استعباد فرعون بني إسرائيل وإذلالهم، وتقتيل بنيهم مخافة أن يتكاثروا، ثمّ تحدّث عن مبعثه عليه السلام، ومحاولته إطلاق سراح بني إسرائيل من العبوديّة ورفض فرعون ذلك، واتّهامه له عليه السلام بأنّه يفسد عليه خدمه وعمّاله. وهذه مقتطفات من العهد القديم تبيّن ذلك:

١. استعباد بني إسرائيل وإذلالهم وتقتيل أبنائهم: تقول التوراة "ثمّ مات يوسف وإخوانه جميعاً وكذلك سائر ذلك الجيل، ونما بنو إسرائيل، وتوالدوا وتكاثروا وعظموا جدّاً حتّى اكتظت بهم الأرض، وما لبث أن قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: ها بنو إسرائيل أكثر منّا وأعظم قوّة، فلنتآمر عليهم لكيلا يتكاثروا وينضمّوا إلى أعدائنا إذا نشب قتال ويحاربونا ثمّ يخرجوا من الأرض، فعهدوا بهم إلى مشرفين عتاة ليسخّروهم بالأعمال الشاقّة، فبنوا مدينتَيْ فيثوم

ورعمسيس لتكونا مخازن لفرعون، ولكن كلّما زادوا من إذلالهم، ازداد تكاثرهم ونموّهم، فتخوّفوا من بني إسرائيل، فتفاقم عنف استعباد المصريين لبني إسرائيل، وأتْعسوا حياتهم بالأعمال الشّاقة في الطّين واللبن كادحين في الحقول، وسخّرهم المصريون بعنف في كلّ أعمالهم الشّاقة. ثمّ قال ملك مصر للقابلتين العبرانيتين المدعوتين شفرة وفوعة: عندما تشرفان على توليد النّساء العبرانيات راقباهنّ، على كرسيّ الولادة، فإن كان المولود صبيّاً فاقتلاه، وإن كان بنتاً فاتركاها تحيا"(١).

٢. **<u>مقابلته ﷺ لفرعون ورفضه إطلاق سراح بني إسرائيل</u>**: تقول التوراة "وبعد ذلك ذهب موسى وهارون وقالا لفرعون: هذا ما يعلنه الربّ إله إسرائيل: أطلق شعبي ليحتفل لي في البريّة، فقال فرعون: من هو الربّ حتّى أطيع أمره وأطلق بني إسرائيل؟ أنا لا أعرف الربّ ولن أطلق بني إسرائيل، ثمّ قالا: إنّ إله العبرانيين قد التقانا، فدعنا نذهب مسيرة ثلاثة أيّام في الصحراء لنقدّم ذبائح للربّ إلهنا لئلا يعاقبنا بوبأ أو سيف، فقال لهما ملك مصر: يا موسى وهارون، لماذا تعطّلان الشعب عن أعماله؟ ارجعوا إلى أعمالكم الشّاقة، ثمّ قال فرعون: هوذا شعب الأرض قد كثر الآن، وأنتما تريدان أن تريحاهم من الأعمال الشّاقة(٢).

وأمّا القرآن الكريم فقد تناول المسألة بمزيد من العمق، ولعظمها ورفعة شأنها أودعت في عديد من سوره. وقد اتضح أن فرعون قد فُتِن بما لديه من مال وجاه وسلطان، وظنّ أنّ تلك الأمور تعطيه الأحقّية في الحكم والسلطان، واستعباد بني الإنسان، فهي مقوّمات الزّعامة لديه، وليس لأحد أن ينافسه في ذلك، لاسيما إن كان لا يملك شيئاً من تلك المقوّمات، قال تعالى متحدّثا عن تبجّح فرعون وغروره وتضخّم مفهوم الذّات عنده: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا

---

[1]- خر ١: ٦-١٦.

[2]- خر ٥: ١-٥.

فَسِقِينَ ﴾ (الزخرف:٤٣/٥١-٥٤). فاستنكف أن يكون تبعاً لموسى، وقد قامت عليه الحجّة، عندما غلب السّحرة[1]، وما منعه إلاّ الكبْر، أما نفسه فقد كانت موقنة بصدق موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل:٢٧/١٤). فاجتمع لفرعون حبّ الرياسة والجاه والكبر، وهذا حال الملأ عامّة، يقول الدّكتور عبد الكريم زيدان:"يحبّون الرياسة والجاه، والتسلّط على رقاب العباد، ولذلك هم يعارضون كلّ دعوة تسلبهم مكانتهم بين النّاس، وتجعلهم تابعين كبقيّة النّاس، وهم يتصوّرون أنّ قبولهم الدّعوة إلى الله، يسلبهم جاههم وسلطانهم، ولذلك يقاومونها ويعادونها، ويأتون بالأباطيل لتبرير عدوانهم"[2].

ومن قبل برّر قوم نوح عليه السلام عدم إيمانهم به ببشريّته، وأوهموا النّاس أنّه يريد بما جاء به التفضّل والترفّع على الخلق، وأن يحظى بمكاسب وامتيازات، والحقيقة أنّ الملأ فهموا أنّ النبوّة منافسة لهم في الحصول على الفضل. قال تعالى:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون:٢٣/٢٤). قال الدكتور عبد الكريم زيدان: "فالملأ دفاعاً عن رياستهم على النّاس، وتسلّطهم عليهم يقولون لقومهم: إنّ نوحاً بدعوته هذه يريد أن يتفضّل عليكم، أي يترفّع ويتعاظم عليكم ويترأس عليكم، ويريد الملأ بهذا الادّعاء، صرف النّاس عن نوح عليه السلام، لتبقى سيطرتهم ورياستهم عليهم، والحقيقة أنّ رسل الله لا يريدون علواً في الأرض، ولا فساداً، ولا رياسة، ولا تعاظماً، وإنّما هم بطبيعة دعوتهم يصيرون أئمة للنّاس، وتصير لهم الرياسة، ولكن ليست هي مثل رياسة أولئك الملأ المتكبّرين على الله"[3].

---

[1]- أنظر: حوار موسى عليه السلام مع فرعون في التوحيد والنبوّة.

[2]- د. زيدان، عبدالكريم: أصول الدّعوة، ص ٣٨٥.

[3]- ن.م، ص ٣٨٥.

وقد كانت سياسة فرعون في مقاومته لموسى ﷺ تسير في ثلاثة محاور: الإغراءات، والتّشكيكات، وبثّ الشّبهات، والتّهديدات، فهذه جميعًا آلة الحرب، يملكها ويتحكّم بها، وبيان ذلك:

أوّلا: الإغراءات: فقد دأب الملأ على التلويح بالمال، لإغراء النّاس ليسيروا في ركبهم وليوافقوهم على باطلهم، دعا فرعون السّحرة، لمقاومة موسى ﷺ، وأعلمهم أنه لن يكتفي بإعطائهم الأجرة، بل سيكونون من ندمائه المقرّبين إليه، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الشّعراء:٢٦/ ٤١-٤٢).

وفي آيات الزخرف ٤٣/٥١-٥٤ سالفة الذّكر لوّح فرعون بما لديه من أموال، ويقصد بذلك إغراء النّاس بها، وأنّه يعطي من يطيعه، ويوافقه على باطله. وقد شكا موسى ﷺ إلى ربّه فتنة فرعون وملئه بالزّينة والمال، وإضلالهم النّاس عن سبيل الله، ودعا عليهم، قال تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (يونس:١٠/٨٨). ومن قبل شكا نوح ﷺ إلى ربّه، بأنّ قومه اتّبعوا من يملك آلة الحرب من المال والرّجال، قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا ﴾ (نوح:٧١/٢١).

ثانيًا: التّشكيكات وبثّ الشّبهات:

وهو ما يُعرف في العصر الحاضر بالغزو الفكري[1]، والهدف منه صدّ النّاس وإبعادهم عن النبيّ وما أتى به، ومن الشّبهات التي استخدمها فرعون وجهازه الإعلامي،

1 – الغزو الفكري: عنوان أُطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للثلث الثالث من القرن العشرين الميلادي، على المخطّطات والأعمال الفكريّة، والتثقيفيّة، والتدريسيّة، والتربويّة، والتوجيهيّة، وسائر وسائل التأثير

اتّهام موسى عليه السلام بالسّحر تارة، وبالجنون تارة أخرى، وتبديله للدّين وإظهاره للفساد في البلاد، واستخفافه به عليه السلام ومن تبعه، زيادة على ما بثّه في روع العامّة من استحقاقه للحكم والسيادة والزعامة، لقوّته وثروته، وغناه، وهذا بيان ذلك:

١. اتّهامه عليه السلام بالسّحر:

إنّ أوّل شبهة وجّهها فرعون لموسى عليه السلام، اتّهامه بالسّحر، رغبة في الملك والرياسة، وإخراج المصريين من أرضهم، وما لبث أن ردّد ملأه من خلفه هذه الشّبهة، قال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الشّعراء: ٢٦/٣٤-٣٥)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٠٩-١١٠)، قال الزمخشري: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾: أي: عالم بالسّحر ماهر فيه، قد أخذ عيون النّاس بخدعة من خدعه، حتّى خيّل إليه العصا حيّة، والآدم أبيض، فإن قلت: قد عزى هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشّعراء وأنّه قال للملأ، وعزى ههنا إليهم، قلت: قد قاله هو وقالوه هم، فحكى قوله ثمّ قولهم ههنا، أو قاله، ابتداء فتلقّفه منه الملأ فقالوه لأعقابهم، وقالوه عنه للنّاس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلّم به من يليه من الخاصّة، ثمّ تبلّغه الخاصّة العامّة، والدّليل عليه أنّهم أجابوه في قولهم:قَالُوٓاْ ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (الأعراف: ٧/١١١-١١٢)(١). وقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ مستشيرًا ملأه على غير عادته، ولعلّه قد أحسّ بتصدّع في ملكه وسلطانه، فبدأ يغازل الشّارع ويوسّع دائرة حكومته، فقد شعر أنّه في

---

النفسي والخلقي، والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي التي تقوم بها المنظمات والمؤسّسات الدولية والشعبيّة من أعداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كليًا أو جزئيًا، وتجـزئتهم وتمزيـق وحـدتهم، وتقطيع روابطهم الاجتماعيّة وإضعاف قوّتهم، لاستعمارهم فكرياً ونفسياً، ثمّ استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً استعماراً مباشراً أو غير مباشر. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط ٧ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٢٥.

(١) - الزمخشري: م.س، ج٢، ص ١٠٢.

ورطة، لا يستطيع وحده أن يسيّر الأمور، ويواجه الحدث، فأشاروا عليه: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (الأعراف:٧/١١١-١١٢).

وكانت بداية النهاية عندما غلب السّحرة فآمنوا: ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٢٠-١٢٢). فلم يتّعظ فرعون ولم يبادر للإيمان وإنّما أتى بشبهة جديدة.

٢. اتّهامه لموسى عليه السلام وللسّحرة بالتآمر لتفريغ الأرض من أهلها:

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٢٣). فظنّ لغفلته وغطرسته أنّ الإيمان بحاجة إلى استئذان، وظنّ في نفسه أنّه في ذلك صاحب السّلطان، ولم يتفطّن إلى أنّ الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يفارقها أبداً، فأتى بهذه الشّبهة الجديدة، ليخدع العامّة، ويوهمهم أنّ الذي حصل من غلبة موسى عليه السلام للسّحرة إنّما تمّ بمؤامرة بينهم، وبتواطؤ من السّحرة لتفريغ الأرض من المصريين، ومن ثمّ إسكان بني إسرائيل مكانهم.

قال ابن كثير: "وهو يعلم وكلّ من له لبٌّ أنّ هذا الذي قاله من أبطل الباطل فإنّ موسى عليه السلام بمجرّد ما جاء من مدين دعا فرعون إلى الله وأظهر المعجزات والحجج القاطعة على صدق ما جاء به، فعند ذلك، أرسل فرعون في مدائن ملكه، فجمع سحرة متفرّقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر، ممن اختار هو والملأ من قومه، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل، ولهذا كانوا من أحرص النّاس على ذلك، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدّم عند فرعون، وموسى عليه السلام لا يعرف أحداً منهم ولا رآه، ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنّما قال ذلك تستّراً وتدليساً على رعاع دولته وجهلتهم، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٥٤) فإن قوماً صدقّوه في قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ (النازعات: ٧٩/٢٤) من أجهل خلق الله وأضلّهم"[1].

---

[1]- ابن كثير: م.س، ج٢، ص ٢٢٨.

### ٣. اتّهامه لموسى عليه السلام بالكبرياء:

قال تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠/٧٨)، ففرعون وملأه فهموا أنّ النبوّة تعني الكبرياء والعظمة والرياسة في الأرض، ولذلك وقفوا في وجه موسى عليه السلام واتّهموه بأبشع الأوصاف، وأسقطوا عليه ما يعانون منه من نهم بالزعامة والرياسة، ومن قصور وإجحافٍ في حقّ قومهم، وهذا قلب للحقائق وخداع للنّاس، وتزيين للباطل. وهل هناك من سوء وخداع أكثر من أن يدّعي فرعون أنّه يحافظ على دين الآباء والأجداد، يقاوم موسى ويرفض الإيمان به والتسليم له، إنّه باسم الدّين يحارب أهله. قال ابن كثير: "﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾ أي: تثنينا ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ أي: الدين الّذي كانوا عليه ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا﴾ ، أي: لك ولهارون ﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ أي: العظمة والرياسة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾، فجاءه برسالة الله وليس له وزير سوى أخيه هارون عليه السلام، فتمرّد فرعون واستكبر، وأخذته الحمية، والنّفس الخبيثة الأبية، ولوى رأسه وتولّى بركنه، وادّعى ما ليس له، وعتا وبغى، وأهان حزب الإيمان من بني إسرائيل"[1].

### ٤. اتّهامه لموسى عليه السلام بالجنون:

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ (الشعراء: ٢٦/٢٧). قال الطبري: "قال فرعون: إنّ رسولكم هذا، الّذي يزعم أنّه أرسل إليكم لمغلوب على عقله، لأنّه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، وإنّما قال ذلك ونسب موسى إلى الجنون، لأنّه كان عنده وعند قومه، أنّه لا ربّ غيره يعبده، وأنّ الذي يدعوه إليه موسى باطل ليس له حقيقة"[2]. قال النّسفي: "قال: أي: فرعون: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ (الشعراء:٢٦/٢٧)

---

1- ن.م، ج٢، ص ٤٠٨.

2- الطبري: م.س، مج ١١، ج ١٩، ص ٧٠.

حيث يزعم أنّ في الوجود إلهًا غيري، وكان فرعون ينكر إلهيّة غيره ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٦/٢٨).

وهكذا دائماً يقلب الملأ الحقائق، فلم يجد فرعون ما يلصق بموسى عليه السلام، غير شبهة الجنون لينفر النّاس منه.

٥. اتّهامه لموسى عليه السلام بتبديل الدّين وإظهار الفساد في الأرض:

قال تعالى﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (غافر: ٤٠/٢٦)، قال ابن كثير: "وهذا عزم من فرعون على قتل موسى عليه السلام، أي قال لقومه، دعوني حتّى أقتل لكم هذا ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أي لا أبالي منه، وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد، وقوله ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ يعني موسى، يخشى فرعون أن يضلّ موسى النّاس ويغيّر رسومهم وعاداتهم، وهذا كما يقال في المثل على سبيل التهكّم صار فرعون مذكّراً، واعظاً، يشفق على النّاس من موسى عليه السلام، ويخاف أن يضلّهم"[1]. وهكذا عندما يضعف الملأ ويخشى على ملكه وسلطانه يستجدي الشّارع، ويشاور في الأمور الجِسام، ويحاول مشاركتهم في صنع القرار، وكأنّه يمارس لعبة الدّيمقراطيّة لإضفاء صفة الشرعيّة على ممارساته التعسّفية، وإلاّ فكيف لمن كان يدّعي الربوبيّة ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٧٩/٢٤)، والألوهيّة ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٢٨/٣٨) أن يستشير غيره، ويستأذن في إنزال حكم خارج عن دين الآباء والأجداد، مفارق للجماعة، وقد رماه من قبل بالسّحر والجنون. قال أحمد بهجت: "إنّ فرعون يرتدي مسوح الدّاعين إلى الحقّ، إنّه يختلس لنفسه مهام الأنبياء ويخاف على النّاس أن يضلّهم موسى... والمفهوم الطبيعي أنّه لن يقتل موسى بيده، وإنّما هو يطرح فكرة قتله أمامهم، لتقوم سلطات الدّولة بتنفيذها، ونعتقد أنّ هامان حبذ الفكرة، وتكوّنت جبهة من المنافقين الذين يؤيّدون فكرة فرعون...

---

[1]- ابن كثير: م.س، ج٤، ص ٧٨. ابن كثير: قصص الأنبياء، دار ومكتبة الهلال، ط.٢، ١٩٨٧م. ص ٢٩٥.

كادت الفكرة تحصل على التّصديق لولا رجل من آل فرعون من رجال الدّولـة الكبـار، كان يكتم إيمانه، تحدّث في الاجتماع الّذي طرحت فيه فكرة قتل موسى، وأثبت عقم الفكرة وسطحيتها، وقال: إنّ موسى لم يقل أكثر من أنّ الله ربّه، وجاء بعد ذلك بالأدلّة الواضحة على كونه رسولاً، وهناك احتمالان لا ثالث لهما، أن يكون موسى كاذباً، أو يكون صادقاً، فإذا كان كاذباً فعليه كذبه، وهو لم يقل ولم يفعل ما يستوجب قتله، وإذا كان صادقاً وقتلناه، فما هو الضمان من نجاتنا من العذاب الذي يعدنا... إنّه رجل لـيس متّهمـاً فـي ولائـه لفرعون...وهو ليس من أتباع موسى... والمفروض أنّه يتكلّم بواقع الحرص على عـرش فرعون.. ولا شيء يسقط العروش كالكذب والإسراف وقتل الأبرياء.

ومع ذلك قال فرعون كلمته التاريخيّة التي ذهبت مثلاً بعده لكلّ الطغـاة: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩/٤٠)[١]. وبذلك يكـون لفرعـون وزر السّبق، في حمل لواء محاربة الدّين باسمه، حتّى أصبح ذلك عادة وسجيّة للملأ مـن بعده.

٦. الاستخفاف بموسى عليه السلام ومن معه والانتقاص من أمرهم:

حاول فرعون أن يبثّ في روع النّاس، أنّ موسى عليه السلام ومن معه فئة قليلـة لا قيمـة لها، لكنّه لم يستطع إخفاء غيظه من هذه الفئة، وتظاهر بحذره الشّديد منهم، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ (الـشعراء: ٢٦/٥٤-٥٦). قال النّسفـي: "﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ الشرذمة: الطائفة القليلة ذكـرهم بالاسم الدّال على القلّة ثمّ جعلهم قليلاً بالوصف ثمّ جمع القليل فجعل كلّ حزب منهم قلـيلاً واختار جمع السلامة الذي هو القلّة، أو أراد بالقلّة القلّة لا قلّة العدد، أي أنّهـم لقلّـتهم لا يبالي بهم، ولا تَتوقّع غلبتهم وإنّما استقلّ قوم موسى لكثرة من معه ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ أي أنّهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا وهي خروجهم من مصرنا وحملهم حليّنـا وقتلهم أبكارنا ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ يعني: ونحن قوم مـن عادتنـا التـيقّظ والحـذر

---

[1]- بهجت، أحمد: م.س، دار الشروق، ط.العاشرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢١٨.

واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظنّ به العجز والفتور"[1].

وقال الدكتور عادل أبو العلاء: "﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ لما يأتينا بسببهم ممّا قد يوحي بعجزنا أمامهم، وهذا أسلوب تحريض، قصد به إيغار صدور جنوده على بني إسرائيل، ومحاولة تجنيبهم التفكير فيما يمكن أن يلحقهم من عذاب إلهي بدعوة موسى عليه السلام عليهم، وكأنّ فرعون يقول لقومه: ليس خروجكم بهذه الكثافة وحشركم من كلّ مدينة، لخوف من قوّة بنيِ إسرائيل، بل لأنّنا قوم (حاذرون) أي يقِظون، مجدّدون حذرنا باستمرار، لا نسمح أن نؤخذ على غرّة، وفي ذلك من الكبر والغرور ما لا يخفى"[2].

وبلغ من احتقار فرعون واستخفافه بموسى عليه السلام أن استهجن على نفسه أن يتبعه وهو بشر مثله، وينتمي إلى أمّة مهانة ذليلة مستعبدة له، قال تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴾ (المؤمنون:٢٣/٤٧). أمّا قارون صديق فرعون فقد شاركه في ازدرائه واحتقاره لبني جلدته، قال تعالى:﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِى ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأَخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِى ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِىٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾

---

[1]- النسفي: م.س، ج٣، ص ١٨٥.

[2]- د، أبو العلاء، عادل محمد صالح: الصراع بين الحقّ والباطل كما جاء في سورة الأعراف، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، بالرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.، ص٤٢٤.

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

(القصص:٢٨/٧٦-٧٩). يقول أحمد بهجت: "هكذا اتّفق قارون مع فرعون في نظرته إلى موسى، وكان فرعون يحكم على الأفراد من واقع ثرائهم المادّي، كدأب الجاهلين: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٥٢)، كانت هذه كلمة فرعون عن موسى... اتّفق رأي فرعون وقارون بالنسبة لموسى... وكان قارون بحكم مركزه وثرائه صديقاً لفرعون ونظام حكمه... ويبدو أنّ قارون وفرعون وهامان لم يكونوا وحدهم سجناء هذا الوهم، كان قوم فرعون... أي المصريون ينظرون إلى موسى نظرتهم إلى ساحر هزم سحرتهم... ولا يعني هذا أنّ مصر أجدبت أو خلت من الفضل، كان في المصريين من يؤمن بموسى، ويخفي إيمانه خشية بطش فرعون، وكان في قوم موسى من ينظر إلى موسى وقارون ويقارن بينهما، وكان هناك من يتساءل ببلادة، إذا كان الله يحبّ موسى حقّاً فلماذا جعله فقيراً، ويبدو أنّ قارون كان فتنة لقومه، وللمصريين على السّواء، كان إذا خرج في زينته قال الّذين يريدون الحياة الدّنيا: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (القصص: ٢٨/٧٩)[1].

ثالثا: التّهديدات:

عندما لا يفلح الملأ في صدّ النّاس عن دين الله، بإغرائهم لهم بأموالهم أو بتشكيكهم لهم في دينهم فإنهم يلجؤون إلى أسلوب التّهديد والوعيد، وعندها يفقد الملأ السّيطرة على صوابه، فيضع المسمار الأوّل في نعش زواله واندثاره، فهذا فرعون توعّد موسى عليه السلام، إن لم يتبع دينه أن يكون من المسجونين، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشّعراء:٢٦/٢٩).

---

[1]- بهجت، أحمد: م.س، ص ٢١٦.

قال النّسفي: " فلمّا تحيّر فرعون ولم يتهيّأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي ﴾، أي: غيري إلهاً ﴿ لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾، أي: لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوّة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق، فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشدّ من القتل ولو قيل: **لأسجننك** لم يؤدّ هذا المعنى"[1].

وبعد ذلك همّ بقتله كما ذكرنا ذلك آنفاً، قال تعالى:﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ (غافر: ٢٦/٤٠)، وعندما لامس الإيمان شغاف قلوب سحرة فرعون، أسرعوا إلى الإيمان، ولم ينتظروا أذونات وترخيصات من فرعون، هدّدهم وتوعّدهم بأبشع أنواع القتل، إلاّ أنّهم لم يلتفتوا لتهديداته، وثبتوا على إيمانهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ (طه: ٢٠/٧١-٧٣).

ولمّا كانت بطانة فرعون منتفعة من استمرار نظامه، وحكمه وسلطانه، حرّضته على موسى عليه السلام ومن آمن به، فكانوا سبب شقائه لأنّهم لم يقدّموا له النّصح، ولم يدلّوه على الخير، قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ (الأعراف:٧/١٢٧).

---

[1]- **النسفي**: م.س، ج٣، ص ١٨٢.

يقول الدكتور عادل أبو العلاء: "إنّ ممّا يشقّ على أصحاب الجاه والسّلطان انجراف النّاس عنهم إلى غيرهم، وهو تهييج آخر، أرادوا به إثارة فرعون على موسى وقومه"[١].

سلامة الفطرة والخوف من الملأ:

صحيح أنّ جمهور وعامّة النّاس، يُقبلون على دين الله بسرعة، لخلوّهم من المعوّقات الإيمانيّة، إلاّ أنّهم قد يتأثّرون بالملأ فتستهويهم أمواله ومغرياته، وقد تجري عليهم أكاذيبه وتضليلاته، وقد ترعبهم سياطه وتهديداته، فيفتتون في دينهم ويحيدون عن الحقّ.

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: "وتعليل سرعة استجابة الجمهور للحقّ، وقبول الدّعوة إلى الله أنّهم خالون من موانع القبول الموجودة في (الملأ) كحبّ الرياسة والتسلّط، والأنفة من الانقياد لغيرهم لكبرهم النفسي، وبالتّالي يكونون أسرع إلى الإجابة للحقّ والانقياد له من غيرهم، وهذا التّعليل أشار إليه القرطبي في تفسيره، والواقع أن الكبر وحبّ الرياسة والانغماس في التَّرف ونحو ذلك ممّا لا ينفكّ عنه (الملأ) غالباً، يجعل انفكاكهم عن هذه الموانع صعباً، وبالتّالي تكون قلوبهم في أكنّة لا تتأثّر بالحقّ، وعلى عيونهم غشاوة لا ترى الحقّ واضحاً جليّاً فتندفع إلى معاداته عن جهل وبدافع الحرص على مكانتهم.

ومع أنّ الجمهور مهيأ للاستجابة السريعة أكثر من غيره، وأن فرص الإيمان أمامه كثيرة وأنّ فطرته سليمة، فإن هناك احتمال تأثّر الجمهور بمكائد (الملأ)، والسير وراء تضليلهم وأكاذيبه كما حصل لقوم فرعون، فقد تابعوه على باطله، وناصروه عليه، قال تعالى﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (الزخرف:٤٣/٥٤) وفي تفسير ابن كثير: استخفّ عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له[٢]. والظّاهر أنّ فتنة فرعون كانت عظيمة فقد جمع بين الملك والرئاسة والأعوان والأموال، مع فراغ قلوب قومه من العلم النّافع والهدى العاصم والعقل الراجح فوقعوا في فتنته وأباطيله التي كان يحتجّ بها في ردّ دعوة موسى عليه السلام: ﴿ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (هود:١١/٩٧). كما

---

1- د. أبو العلاء، عادل محمد صالح: م.س، ص٣٩٧.

2- ابن كثير: م.س، ج٤، ص ١٣٢.

أخبر الله عنهم[1]. وقال أيضاً: "لا شكّ أنّ الملأ الكافر وبيده القوّة والنفوذ والمال يستطيع أن يرهب الجمهور ويخوّفهم إن خرجوا عن الكفر الذي هم فيه، وهذا الخوف يثبّط الهمم والعزائم عند أكثر الجمهور طلباً لسلامة أنفسهم من الأذى، قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (يونس: ١٠/٨٣)، فالخوف من بطش فرعون وملئه منع أكثر الجمهور من الإيمان به ولم يؤمن به إلاّ قلّة وهم خائفون أن يصيبهم بطش فرعون، صحيح أنّ قلّة من الجمهور لا يخيفهم التّهديد والوعيد بإنزال العذاب الشّديد إن آمنوا بالحقّ فيعلنوا إيمانهم غير هيّابين ولا وجلين كما حصل لسحرة موسى عندما أعلنوا إيمانهم بموسى وبدعوته الحقّ وبربّهم سبحانه وتعالى، ولم يلتفتوا إلى تهديد فرعون لهم بالصلب والقتل، وقالوا له:﴿ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٦/٥٠-٥١)، وكذلك أصحاب الأخدود آمنوا بالرّغم من العذاب الشّديد، ولكنّ هؤلاء قلّة من الجمهور، والكثير منهم يتأثّرون بالخوف من الملأ فلا يقدمون على الإيمان، ثمّ يطول عليهم الأمد ويألفون الكفر فيرضونه طائعين بعد أن كانوا له كارهين فيعمّهم العذاب"[2].

وكذلك أهل الكهف الذين فرّوا بدينهم خوفا من سطوة الملأ ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ (الكهف:١٨/٢٥)، ولمّا بعثهم الله، قاموا وهم يخشون الفتنة، وتواصوا بينهم أن لا يطّلع عليهم أحد ﴿ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴾ (الكهف:١٨/١٩)، قال ابن كثير: "﴿ وَلۡيَتَلَطَّفۡ ﴾، أي: في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه، يقولون وليخف كلّ ما يقدر عليه ﴿ وَلَا يُشۡعِرَنَّ ﴾ أي: لا يعلمنّ ﴿ بِكُمۡ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ ﴾ يَرۡجُمُوكُمۡ (الكهف:١٨/١٩-٢٠) أي: إن علموا بمكانكم ﴿ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن

1- د. زيدان، عبد الكريم: م.س، ص٣٩١، ٣٩٢.

2- ن.م، ص٣٩٣.

تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف:١٨/٢٠) يعنون: أصحاب دقيانوس، يخافون منهم، أن يطلعوا على مكانهم، فلا يزالون يعذّبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم في ملّتهم التي هم عليها أو يموتوا، وإن وافقتموهم على العودة في الدّين فلا فلاح لكم في الدّنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال ﴿ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾[1].

ودائمًا يضطهد الملأ الأنبياء وأتباعهم، ويهيّجون وليّ الأمر ويخوّفونه عاقبة التّهاون في أمره، من ضياع الهيبة والسّلطان، فتراه يخيف ويرعب، ويفتن النّاس في دينهم.

---

1 – ابن كثير: م.س، ج٣، ص٧٦، ٧٧.

## الخلاصـــة

لم تعطِ التّوراة مسألة الزّعامة وإثبات الذّات الحجم الذي تستحقّه، فلم تزدْ على أنّ موسى عليه السلام اجتمع بفرعون عدّة مرّات، وطلب منه إطلاق سراح بني إسرائيل ليعبدوا الله في البريّة، ولكنّه رفض ذلك، واتّهم موسى بأنّه يعمل على إفساد العمّال ويعرقل العمل.

وأمّا القرآن الكريم فقد جمع بين سرد القصّة وبيان الحدث وبين قراءة عقليّة الملأ في كلّ زمان ومكان، وإن كان الحوار مع فرعون إلا أنه يمثّل عقليّة الملأ عامة في حرصه على العظمة والسّلطان، وتخوّفه من منافسة غيره له، وشعوره أنّ ما وصل إليه أصبح حقّاً شرعيّاً مكتسباً له لا ينبغي أن ينافسه فيه أحد.

ومع أنّ عامّة النّاس يتّبعون الأنبياء، لسلامة فطرتهم وخلوّهم من المعوقات الإيمانيّة الّتي يعاني منها الملأ، إلاّ أنّهم قد يتأثّرون بإملاءاته، فيسيرون في ركبه ويجارونه، طمعًا وخوفاً، فقد تفتنهم أمواله، وتخدعهم عباراته وكلماته، وتخيفهم وتُرهبهم سياطه وتهديداته.

وقد استخدم فرعون هذه الأسلحة جميعاً، وبطش وتجبّر واستكبر، وشعر بتضخّم في مفهوم الذّات، وادّعى الربوبيّة والألوهيّة معاً، واستخفّ بأمّته وشعبه، وبالنّـــاس أجمعـــين. وكان إيمان السّحرة كوقع الصاعقة عليه، فهدّد وتوعّد، بعد أن كان قد أغرى ورغّب، إلاّ أنّ إيمان السّحرة كان أقوى من إغراءاته وسياطه. أمّا موسى عليه السلام، فقد هدي إلى الطيّـــب من القول، فلاطفه في الحديث وتكلّم معه كلاماً ليّناً هادئاً، كما علّمـــه ربّـــه: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنَا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٢٠/٤٤)، واستخدم معه المنهج العقلي وقارعـــه الحجّـــة بالحجّةِ، وعرفه بربّ السماوات والأرض، والآباء الأوّلين، حتّى ضاق به ذرعـــاً واتّهمـــه بالسّحر والجنون.

كان بإمكان فرعون أن يحتضن موسى عليه السلام فهو ليس غريباً عنه، وبذلك يحافظ على ملكه وسلطانه، فما جاء موسى ينافسه في شيء من ذلك، إلاّ أنّه لم يقوَ على استيعاب الفكرة، ففقد عقله وصوابه، وراح يهدّد ويتوعّد حتّى كان من الهالكين.

والّذي يلفت النظر: أنّه ومع غطرسة فرعون وجبروته، إلاّ أنّ نظامه يبـــدو تقليـــديّاً بسيطاً، فمقابلته وِفق ما جاء في التّوراة والقرآن الكريم، ممكنة ولا تحتـــاج لمزيـــد مـــن

الترتيبات، ولم نسمع أنّ فرعون أرسل شـــرطيّاً لإحــضار موســـى (عليه السلام)، لاســـتجوابه أو اعتقاله، وإن كنّا نسلّم أنّ عناية الله كانت ترعاه (عليه السلام) دائماً، والله الذي أرسله طمّنه قـــائلاً: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طـــه: ٢٠/٤٦)، وهذا لا يتعارض مع ملاحظتنا بدائيّة النظام وبساطته.

## المبحث الثاني: حوار عيسى ﷺ مع الملأ في الزّعامة وإثبات الذّات:

تمهيـــد:

إنّ ملأ عيسى ﷺ في الزّعامة وإثبات الذّات هم اليهود، وعلى رأسهم الكتبة والكهنة والفرّيسيّون، ومن خلفهم الحاكم الرّوماني وولاته في فلسطين، أولئك الـذين تولـوا كبـر مقاومة عيسى ﷺ، فما الدّافع لذلك؟ ولماذا كانت العلاقة متوتّرة بينه وبينهم؟ وما الّـذي أجّج الخصومة وأوجد النّـــزاع؟ لماذا يعادونه وهم ينتظرون مـسيحاً مخلّـصاً صـباح مساء؟ وما الذي أقحم الحاكم الرّوماني وولاّته في الصّراع؟

كان يفترض أن يتلقّفه اليهود بكلّ شوق ومحبّة، وأن يلتمسوا فيه ضـالّتهم، فمـسألة المسيح المنتظر شغلهم الشّاغل وأملهم المنشود، حتّى أصبح جزءاً من عقيدتهم، لقد عاشوا قروناً عديدة ينتظرون مخلّصاً، يحرّرهم ممّا هم فيه من ظلم واستعباد، جاء فـي قـاموس الكتاب المقدّس: "كان العبرانيون ينتظرون مجيء المسيح من جيل إلى جيل، وتجدّد الوعد لإبراهيم وليعقوب، ولبلعام ولموسى ولناثان، وتكرّر الوعد به فـي المزاميـر والأنبيـاء، لاسيما أشعياء، إلى أن أتى يوحنا المعمدان[1] ليبشّر بقدومه، وقد أعلنت في العهد القـديم أسماء بعض أسلاف المسيح، ومسقط رأسه، ووقت ظهوره، أمّا اليهود فلم يفهمـوا هـذه النبوّات، فظنّوا أنّ المسيح يكون ملكًا زمنيّاً يخلّصهم من ظالميهم، ويـرقّيهم إلـى أعلـى درجات المجد والرفاهة، حسب معنى النبوّات الحرفي، فلمّا ظهر المسيح لم يعرفوه، بـل عثروا فسقطوا في ضلال مبين، حينما فسّر لهم المسيح والرّسل هذه النبوّات علـى غيـر

---

1- هو يحيى ﷺ، أراد هيرودس الروماني تطليق زوجته ومن ثمّ اغتصاب زوجة " لفليب " أخيه غير الشّقيق، واسـمها "هيروديا س" فلم يسمح له يحيى ﷺ بذلك، فأودعه سجناً، وحصل أن رقصت ابنة زوجة أخيه " سالوم " في عيد له، فأعجب بها، وأقسم لها أن يعطيها أي شيء تطلبه، فطلبت بالتّنسيق مع أمّها رأس يحيى ﷺ، فقدّمه لها على طبق، فحملته إلى أمّها. انظر: مت ١٤: ٣-١٢ و مر ٦: ١٤-٢٩ و لو ٩: ٧-٩. ول ديورانت: قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانيّة، مج٣، ج٣، ص ٢١٦.

معناها الحرفي، غير أنّ البعض من اليهود في أيّام ظهور المسيح، كانوا ينتظرون مجيئه وخلاصه الروحي، منهم سمعان وحنّه"[١].

وقال ول ديورانت: "وكان الهواء الذي يتنفّسه مشحوناً بالحماسة الدّينية، وكان الآلاف من اليهود ينتظرون على أحرّ من الجمر مجيء مُنقذ إسرائيل"[٢]. إلاّ أنهم لم يقبلوه إذ جاءهم، وكانت العلاقة معهم متوتّرة دائماً والأزمة تتفاقم تباعاً، وحتّى نعرف لماذا ومتى وكيف وأين حطّت الرِّحال؟ لابدّ من الوقوف على هذه العلاقة من خلال تلك الرّحلة القصيرة، من البداية وحتّى المحطّة الأخيرة، فكيف كانت البداية؟ وماذا كانت النهاية؟

## حوار عيسى عليه السلام مع اليهود في الزعامة وإثبات الذّات:

كانت البداية يوم التحق عليه السلام بالهيكل منذ نعومة أظفاره، يناقش ويسأل ويجيب، ممّا أذهل من حوله، ممّن استمع إليه، قال لوقا: "وكان أبواه[٣] يذهبان كلّ سنة إلى أورشليم كالعادة في العيد، وبعد انتهاء أيّام العيد، رجعا، وبقي الصبي يسوع في أورشليم وهما لا يعلمان... وبعد ثلاثة أيّام وجداه في الهيكل، جالساً وسط المعلمين، يستمع إليهم ويطرح عليهم الأسئلة وجميع الذين سمعوه ذهلوا من فهمه وأجوبته"[٤]. وبدأ يعلّم علناً في الهيكل، ولم يرق ذلك للفرّيسيّين ورؤساء الكتبة، فبدأ الحوار، ونما الحقد والحسد إلى قلوبهم، ولم يتردّد عليه السلام في كشف حقيقتهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد، وتوبيخهم وتحذير النّاس منهم، قال يوحنا:" وبعدما ذهب إخوته إلى العيد (عيد المظالّ)، ذهب هو أيضاً كما لو كان متخفيّاً، لا ظاهراً، فأخذ اليهود يبحثون عنه في العيد، ويسألون: أين ذلك الرّجل، وثارت بين الجموع مناقشات كثيرة حوله، فقال بعضهم: إنّه صالح، وقال آخرون: لا بل إنّه يضلّل الشّعب، ولكن لم يجرؤ أحد أن يتكلّم عنه علناً، خوفاً من اليهود. ولمّا مضى من العيد نصفه، صعد يسوع إلى الهيكل وبدأ يعلّم النّاس، فدهش اليهود وتساءلوا: كيف يعرف

---

1- د. عبد الملك بطرس ومن معه: م.س، ص ٨٦٠.

2- ول ديورانت: م.س، مج٣، ج٣، ص ٢١٥.

١- من المعلوم : أن عيسى ( عليه السلام ) خلق من أم بدون أب !

4- لو ٢: ٤١-٤٧.

هذه الكتب وهو لم يتعلّم؟ فأجابهم يسوع: ليس تعليمي من عندي، بل من عند الذي أرسلني، ومن أراد أن يعلم مشيئة الله يعرف ما إذا كان تعليمي من عند الله، أو أنّني أتكلّم من عندي، من يتكلّم من عنده يطلب المجد لنفسه، أمّا الذي يطلب المجد لمن أرسله فهو صادق لا إثم فيه، أما أعطاكم موسى الشّريعة، ولكن ما من أحد منكم يعمل بالشّريعة. لماذا تَسْعون إلى قتلي؟ عند ذلك قال بعض أهل أورشليم: أليس هذا هو الذي يريدون أن يقتلوه؟ ها هو يتكلّم علناً ولا أحد يعترضه بشيء، ترى هل تأكّد رؤساؤنا أنّه هو المسيح حقّاً؟ إنّ المسيح عندما يأتي لن يعرف أحد من أين جاء، أمّا هذا فإنّنا نعرف أصله. فرفع يسوع صوته، وهو يعلّم في الهيكل، قائلاً: "أنتم تعرفونني وتعرفون من أين أنا. وأنا لم آت من عند ذاتي، ولكنّ الذي أرسلني هو الحقّ وأنتم لا تعرفونه، أمّا أنا فأعرفه، لأنّي منه وهو الذي أرسلني، فسعى اليهود للقبض عليه، ولكنّ أحداً لم يلقِ عليه أبداً، لأنّ ساعته لم تكن قد حانت، على أنّ كثيرين من الجمع آمنوا به، وقالوا: ألعلّ المسيح، عندما يأتي، يُجري آيات أكثر من هذه التي يُجريها هذا الرّجل؟ وسمع الفريسيون ما يتهامس به الجمع عنه، فأرسلوا هم ورؤساء الكهنة بعض الحرّاس ليلقوا القبض عليه"[1].

وقال محذّراً تلاميذه من متابعة الفرّيسيّين في ريائهم ونفاقهم: "احذروا لأنفسكم من خمير الفرّيسيّين الذي هو الرّياء، فما من مستور لن يكشف، ولا من سرّ لن يُعرف، لذلك كلّ ما قلتموه في الظّلام سوف يسمع في النّور، وما تحدّثتم به همساً في الغرف الداخليّة سوف يُذاع على سطوح البيوت"[2]. ووصفهم بالتّفاخر وحبّ الظهور وأكل الحرام فقال في تعليمه: "خذوا حذركم من الكتبة الذين يحبّون التجوّل بالأثواب الفضفاضة، وتلقّي التحيّات في الساحات العامّة، وصدور المقاعد في المجامع، وأماكن الصّدارة في الولائم، يلتهمون بيوت الأرامل، ويتذرّعون بإطالة الصّلوات، هؤلاء ستنزل بهم دينونة أقسى"[3]. وحذّر تلاميذه من متابعتهم في أفعالهم فقال: "اعتلى الكتبة والفريسيون كرسيّ موسى فافعلوا كلّ ما يقولونه لكم واعملوا به، ولكن لا تعملوا مثل ما يعملون، لأنّهم يقولون ولا

---

[1]-يو ٧: ١٠-٣٢.

[2]- لو ١٢: ١-٣.

[3]- مر ١٢: ٣٨-٤٠ ومت ٢٣: ١-٣٦ ولو ٢٠: ٤٥-٤٧.

يفعلون، بل يحزمون أحمالاً ثقيلة لا تطاق ويضعونها على أكتاف النّاس، ولكنّهم هم لا يريدون أن يحرّكوها بطرف الإصبع، وكلّ ما يعملونه، فإنّما يعملونه لكي يلفتوا نظر النّاس إليهم"[١].

ولمّا احتجّ عليه أحد علماء الشّريعة، لكثرة إهانته لهم، استمرّ في تعريتهم وكشف سوء أفعالهم ولم يلتفت لاحتجاجه، قال لوقا: "وتكلّم أحد علماء الشّريعة، قائلاً له: يا معلّم، إنّك بقولك هذا تُهيننا نحن أيضا، فقال: "والويلُ أيضاً لكم يا علماء الشّريعة، فإنّكم تُحَمّلون النّاس أحمالاً مرهقة، وأنتم لا تمسّونها بإصبع من أصابعكم، الويل لكم فإنّكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم، فأنتم إذن تشهدون موافقين على أعمال آبائكم: فهم قتلوا الأنبياء، وأنتم تبنون قبورهم، لهذا السبب أيضاً قالت حكمة الله: سأرسل إليهم أنبياء ورسلاً، فيقتلون منهم ويضطهدون، حتّى إنّ دماء جميع الأنبياء المسفوكة منذ تأسيس العالم، يطالب بها هذا الجيل، من دم هابيل إلى دم زكريّا الذي قتل بين المذبح والقدس، أقول لكم: نعم إنّ تلك الدّماء يُطالب بها هذا الجيل. الويلُ لكم يا علماء الشّريعة، فإنّكم خطفتم مفتاح المعرفة، فلا أنتم دخلتم ولا تركتم الدّاخلين يدخلون".

وفيما هو خارج من هناك، بدأ الكتبة والفرّيسيّون يضيّقون عليه كثيراً، وأخذوا يستدرجونه إلى الكلام في أمور كثيرة، وهم يراقبونه سعياً إلى اصطياده بكلام يقوله"[٢].

ولم يعجبه استهتار علماء الشّريعة بالهيكل، وعدم اهتمامهم به، وتركِهم للنّاس يبيعون ويشترون فيه، ويمرّون عبره وهم يحملون أمتعتهم، قال مرقس: "ووصلوا إلى أورشليم، فدخل يسوع الهيكل وأخذ يطرد الذين كانوا يبيعون والذين كانوا يشترون في الهيكل، وقلّب موائد الصيارفة ومقاعد باعة الحمامِ. ولم يدع أحداً يمرّ عبر الهيكل وهو يحمل متاعاً، وعلّمهم قائلاً: أما كُتب: إنّ بيتي بيتاً للصّلاة يُدعى عند جميع الأمم؟ أمّا أنتم فقد جعلتموه مغارة لصوص، وسمع بذلك رؤساء الكهنة والكتبة، فأخذوا يبحثون كيف يقتلونه،

---

1- مت ٢٣: ١-٥.

2- لو ١١: ٤٥-٥٤.

فإنّهم خافوه، لأنّ الجمع كلّه كان مذهولاً من تعليمه. ولمّا حلّ المساء، انطلقوا إلى خارج المدينة"[1].

ولمّا احتجّ عليه علماء الشّريعة بأيّة سلطة يفعل هذا، سألهم سؤالاً محرجاً، فأسكتهم وأفحمهم، قال مرقس: "ثمّ عادوا إلى أورشليم مرّة أخرى، وبينما كان يتجوّل في الهيكل، تقدّم إليه رؤساء الكهنة، والكتبة، والشيوخ، وسألوه: بأيّة سلطة تفعل ما فعلته؟ ومن منحك هذه السّلطة لتفعل ذلك؟ فأجابهم يسوع قائلاً: وأنا أيضا أسألكم أمراً واحداً، فأقول لكم بأيّة سلطة أفعل تلك الأمور: أمن السّماء كانت معموديّة يوحنا أم من النّاس؟ أجيبوني. فتشاوروا فيما بينهم قائلين: إن قلنا: من السّماء، يقول: إذن لماذا لم تؤمنوا به؟ فهل نقول: من النّاس؟ فإنّهم كانوا يخافون الشّعب لأنّهم كانوا جميعاً يعتبرون أنّ يوحنا نبي حقّاً، فأجابوا يسوع قائلين: لا ندري، فقال لهم يسوع: ولا أنا أقول لكم بأيّة سلطة أفعل تلك الأمور"[2].

وبدأ اليهود يلتمسون له عليه السلام المحاذير، ويحاولين جاهدين أن يوقعوه في الشّرك، ولم يرضوا له بأقلّ من الموت، وبذلوا كلّ ممكن لاستدراجه وتوريطه، يراقبونه تارة، ويطرحون عليه أسئلة محرجة تارة أخرى. جاء في تفسير إنجيل لوقا: "وإذا واحدٌ من النّاموسيّين وهم علماء النّاموس، أي الشّريعة اليهوديّة، قام ليحرجه، لأنّ النّاموسيّين والكتبة والفرّيسيّين وكلّ فقهاء الدّين اليهودي كانوا يناصبونه العِداء، غيرة منه وحسداً له وحقداً عليه، لأنّه كان يندّد بشرورهم، ويهدّد ما كان لهم من مكانة عظيمة في المجتمع اليهودي، إذ استأثر بحبّ الشّعب له والتفافهم حوله وإجلالهم إيّاه، ومن ثمّ كانوا لا يفتأون يحاربونه، ويراقبونه ليمسكوا عليه تهمة يتّهمونه بها ليهلكوه، وكانوا لا يفتأون ينصبون له الفخاخ، مستخدمين في ذلك ما يعرفونه من خفايا شريعتهم وخباياها، بأنّهم يسألونه في مسائل تلك الشّريعة ومعضلاتها ليستفيدوا من إجابته ويستنيروا برأيه وحكمته، في حين أنّهم كانوا في الحقيقة يتصيّدون من إجابته ما يعتبرونه مخالفة للشّريعة تستوجب الحكم عليه بالموت، ومن ثمّ سأله ذلك النّاموسيّ قائلاً: يا معلّم ماذا أعمل لكي أرث الحياة

---

[1]- مر ١١: ١٥-١٩ ومت ٢١: ١٢-١٧ ولو ١٩: ٤٥-٤٨ وبر ٢: ١٣-٢٢.

[2]- مر ١١: ٢٧-٣٣ ومت ٢١: ٢٣-٢٧ ولو ٢٠: ١-٨ وبر ٣١: ١-٦.

الأبديّة؟ بيد أنّه كان يعلم ما ينطوي عليه هذا السؤال من مكر وما يهدف إليه من غدر ومن إيقاع به في حبائل الشّريعة اليهوديّة، كما كان اليهود يفهمونها ويفسّرونها، فكانت إجابته عنه مأخوذة من شريعتهم ذاتها، إذ سأل بدوره ذلك النّاموسيّ قائلاً: ما المكتوب في الشريعة؟ ماذا تقرأ فيها؟ فأجاب النّاموسيّ قائلاً: تحبّ الربّ إلهك من كلّ نفسك، ومن كلّ قدرتك، ومن كلّ فكرك، وتحبّ قريبك حبّك لنفسك، فقال له: بالصواب أجبت، افعل هذا فتحيا، وقــد أفحمه بتلك الإجابة التي لم يكن ليستطيع أن يجد فيها أيّ تهمة يوجّهها إليه، بَيْد أنّ الرّجل أراد لكي يخفي هزيمته أن يتظاهر بمزيد من علمه، كما أراد أن ينتقل به إلى معضلة أخرى، يدّعي أنّه يريد منه إجابته عنها، عسى أن يعثر في تلك الإجابة على تهمة يتّهمه بها فسأله قائلاً: ومن هو قريبي؟ وعندئذٍ ضرب له مثلاً يدفعه به إلى أن يصل إلى الإجابة عن سؤاله بنفسه"[١].

وبلغ بهم الحِقد، أن تآمروا مع أصحاب هيرودس للإيقاع بالمسيح ﷺ، فوجّهوا له سؤالاً محرجاً إن كان يجوز دفع الجِزية لقيصر أم لا؟ فإنْ أجاب بنعم، أوقعوا بينه وبين الشّعب، وإن أجاب بلا أوقعوا بينه وبين العدوّ، وزجّوا به في السّجن فبم أجاب؟ قال مرقس: "ثمّ أرسلوا إليه بعض الفرّيسيّين وأعضاء حزب هيرودس، لكي يوقعوه بكلمة يقولها، فجاؤوا وقالوا له: يا معلّم، نحن نعلَم أنّك صادقٌ، ولا نبالي بأحدٍ، لأنّك لا تراعي مقامات النّاس، بل تُعلِّم طريق الله بالحقّ: أَيَحِلُّ أن تُدفع الجزية للقيصر أم لا؟ أَنَدْفعها أم لا ندفع؟ ولكنّه إذ علم رياءهم قال لهم: لماذا تجرّبونني؟ أَحْضِروا إليّ ديناراً لأراه. فأَحْضَروا إليه ديناراً، فسألهم: لمن هذه الصّورة وهذا النّقش؟ فقالوا له: للقيصر، فردّ عليهم قائلاً: أعطوا ما لِلْقَيْصَرِ لِلْقَيْصَرِ، وما للهِ للهِ، فذهلوا منه"[٢]. وقال الخوري بولس الفغالي معلّقاً على هذا الحدث: حين طرح الخصوم هذا السؤال على يسوع، أملوا أنّهم يسجنونه فلا يمكنه أن يفلت: فمهما كان جوابه، سيجتذب عليه غضب هذا الفريق أو ذاك، إن قبل بدفع الجزية، أفهموا الشّعب أنّه يتعامل مع العدوّ، وإن رفض دفع الجزية، يشتكون عليه لدى الوالي الرّوماني، وقد كانوا يستشفّون الخيار الثاني، كما تدلّ عليه بداية الكلام

---

1- الأنبا غريغورس: الإنجيل للقدّيس لوقا وتفسيره، دار المعارف، القاهرة، رقم الإيداع ١٩٧٨/١٧٠٥، ص٢٨٧،٢٨٨.

2- مر ١٢: ١٣-١٧ ومت ٢٢: ١٥-٢٢ ولو ٢٠: ٢٠-٢٦.

الّذي وجّهوه إلى يسوع"[١]. وقال أيضاً: "جاء الفرّيسيّون وجاء معهم الشّهود من جماعة هيرودس، أترى يسوع سيجاري الشّعب الحاضر، ويدعوه إلى رفض الجزية؟ حينئذٍ يعتبر داعيّاً إلى الثّورة، غير أنّ جواب يسوع جاء حقيقيّاً وحكيماً، تحلّى جوابه بالفطنة فلم يقع في فخّ خصومه"[٢]. ويقول الملوحي ومن معه: "خوفاً من أن يأتوا عملاً من تلقاء أنفسهم، رجا رؤساء الدّين الحصول على بعض التصريحات من سيّدنا المسيح تثير المسؤولين الرّومان فيبعدونه عن الاتّصال بالشّعب، كانت الضرائب مفروضة على كلّ شخص بالغ يدفعها سنويّاً، وكانت الضريبة موضع جدل حامي الوطيس في فلسطين كلّها، وصارت سبباً لعدد من الثّورات الدّاخلية، كانت نقطة الخلاف في نظر اليهود المتعصّبين ادّعاءهم أن لا ملك يسود عليهم غير الله، وكان دفع الجزية لأيّ امرئ خطأً كبيراً لا يغتفر، لذا صيغ هذا السّؤال ليسقطه في الفخّ، فإذا قال لا يجب دفع الجزية، فسيبلّغون بيلاطس حالاً، وسوف يعتقل، وإذا قال: يجب أن تدفع، فسينفّر من الجواب وفرةً من مؤيّديه. عرف سيّدنا المسيح ما تخفيه قلوب النّاس فلم يترك ردّه مكاناً للاتّهام بخيانة الدّولة، وإنّما ثبت على ولائه لله، كانت علامة الملكية في قديم الزّمان إصدار عملة، وكان حقّ إصدارها معترفاً به عالميّاً، وكان هذا الامتياز يحمل في طيّاته حقّ فرض الجزية، لذا قال المسيح: إذا قبلتم عملة قيصر واستعملتموها، فأنتم ملزمون بقبول حقّ قيصر في فرض الجزية، ثمّ تابع قوله، ولكن ثمّة ملك يعود إلى الله كليّاً، ولا تطاع فيه أوامر قيصر"[٣].

وأورد متّى في إنجيله: أنّ المسيح ﷺ دفع ضريبة الهيكل، فقال: "ولمّا وصلوا إلى كفر ناحوم، جاء جباة ضريبة الدّرهمين للهيكل إلى بطرس، وقالوا: ألا يؤدّي معلّمكم الدّرهمين؟ فأجاب: بلى، وما أن دخل بطرس البيت، حتّى بادره يسوع بالسؤال: ما رأيك يا سمعان: ممن يستوفي ملوك الأرض الجزية أو الضريبة؟ أمن أبناء بلادهم، أم من الأجانب؟ أجاب بطرس: من الأجانب، فقال له يسوع: إذن الأبناء أحرار ولكن لكي لا

---

1- الفغالي، الخوري بولس: إنجيل مرقس، يسوع ابن الله ( والعياذ بالله )، المكتبة البوليسيّة، بيروت، ط.١، ١٩٩٦، ج٢، ص ٢٩٣.

2- ن.م، ص ٢٩٦.

3 - الملوحي، ومن معه: م.س، ص٦٦٥،٦٦٦.

نضع لهم عثرة، اذهب إلى البحيْرة، وألق صنّارة الصيد، وأمسك السّمكة الّتي تطلع أولاً، ثمّ افتح فمها، تجد فيه قطعة نقد بقيمة أربعة دراهم، فخذها وأدّ الضّريبة عنّي وعنك"[1].

ومن خلال النّصين السّابقين يتّضح أنّ المسيح ﷺ لم يرد أن يصطدم مع النظام الحاكم، أو ربّما لم يكن بمقدوره أن يفعل ذلك، ومن حوله من أبناء جِلدته يأتمرون به، ويحيكون المؤمرات ضدّه، وأمّا تبريرات الفغالي والملوحي ومن معه، فلم تكن بأقوى من عبارة المسيح ﷺ.

ويرى ول ديورانت أنّ المسيح ﷺ، كان محقّاً في حكمه على الفرّيسيّين، وحاول أن يضع يده على سبب الخصومة بينه وبينهم، فجانبه الصّواب، ووقع في بعض المغالطات، وهذه أقواله: "ترى هل كان المسيح عادلاً في حكمه على الفرّيسيّين؟ أكبر الظنّ أنّه كان من بينهم من يستحقّون هذا التقريع، وأنّ منهم كثيراً كانوا يفعلون ما فعله المسيحيّون بعد بضعة قرون من ذلك الوقت فيستبدلون بطهارة النّفس مظاهر التُّقى الخارجيّة، غير أنّه كان من بين الفرّيسيّين كثيرون يرَوْن أنّ الشريعة يجب أن تخفّف وأن تكون أكثر إنسانيّة ممّا هي. ولعلّ عدداً كبيراً من هذه الطّائفة كانوا رجالاً مخلصين، وأشرافاً ظرفاء إلى حدٍّ كبير، يشعرون بأنّ القواعد الشكليّة التي أغفلها يسوع يجب ألاّ يحكم عليها مستقلّة عن غيرها من القواعد، بل يجب أن تؤخذ على أنّها جزء من الشّرائع التي ساعدت على جمع كلمة اليهود، وبعثت فيهم العزّة والأدب وسط عالم يبغضهم ويعاديهم، وكان بعض الفرّيسيّين يعطفون على عيسى، وقد جاؤوه ليحذّروه من المؤامرات التي كانت تدبّر لاغتياله. ولقد كان نقوميدس Nicomedus أحد المدافعين عنه من أغنياء الفرّيسيّين. وحلّت القطيعة الأخيرة بين عيسى وبينهم حين بدأ يعتقد أنّه هو المسيح المنتظر، ويعلن هذا في صراحة ووضوح، لقد كان أتباعه ينظرون إليه في أوّل الأمر على أنّه خليفة يوحنا المعمدان، ثمّ أخذوا يعتقدون شيئاً فشيئاً أنّه هو المنقذ الذي سيرفع نير الرومان عن إسرائيل، ويبسط حكم الله على الأرض، ولمّا أن سألوه: "قائلين يا ربّ: هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل؟ "لم يجبهم إلاّ بقوله: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي

---

[1]- مت ١٧: ٢٤-٢٧.

جعلها الربّ في سلطانه، وأجاب جواباً شبيهاً بهذا الجواب في غموضه حين سأله رسل من عند المعمدان، هل هو المسيح المنتظر، وأراد أن يخرج من عقول أتباعه أنّه مسيح سياسيّ فأنكر كلّ ادّعاء بأنّه من نسل داود. ولكن يلوح أن ترقّب أتباعه وآمالهم القويّة، وما تبيّنه من قواه النفسيّة غير العادية، قد أقنعاه تدريجيًّا بأنّه رسول من عند الله جاء ليعدّ النّاس لحكم الله في الأرض لا ليعيد سيادة اليهوديّة"[١].

ويمضي ول ديورانت قائلاً: "ولمّا اقترب من أورشليم في آخر يوم اثنين قبل وفاته ليوجّه آخر دعوة إلى النّاس، حيّاه جمهور التلاميذ، قائلين مبارك الملك الآتي باسم الربّ، ولمّا طلب إليه بعض الفريسيين أن ينتهر تلاميذه من أجل هذه التحيّة ردّ عليهم بقوله: "إنّه لو سكت هؤلاء، فالحجارة تصرخ"[٢]. وقد جاء في الإنجيل الرابع: أنّ الجماهير حيّته بقولها إنّه" ملك إسرائيل[٣]. ويبدو أنّ أتباعه كانوا لا يزالون يعتقدون أنّه مسيح سياسيّ سيقضي على سلطان الرومان ويجعل الكلمة العليا لليهودية، وكانت هذه الأصوات والتحيّات هي التي قضت على المسيح بأن يموت ميتة الثّوار"[٤].

إنّ المغالطات التي وقع فيها ول ديورانت، تتمثّل في أنّه لا يتعامل مع المسيح عليه السلام، كرسول من ربّ العالمين، وكأنّه يجتهد في تكميله وتصحيحه لليهوديّة، من تلقاء نفسه، وجعل القطيعة بينه عليه السلام وبين اليهود بسبب اعتقاده أنّه المسيح المنتظر، وليس الأمر كذلك، فلم يدّع ذلك أبداً، ولم يقل إنّه ليس من نسل داود، بل نفى أن يكون المسيح المنتظر (النبي الموعود) من نسل داود[٥]، وجعل من قواه النفسيّة غير العادية، دليلاً على أنّه رسول من ربّ العالمين، وما هكذا الرّسل يكتشفون أنفسهم، وإنّما هو الوحي والنّاموس، يبلّغ من اصطفاه الله واختاره بأنّه رسول لله ربّ العالمين.

**السّعي لقتل عيسى عليه السلام:**

---

1- ول ديورانت: م.س، مج٣، ج ٣، ص٢٣١، ٢٣٢.

2- لو ١٩: ٣٨، ٣٩.

3- يو ١٢: ١٣.

4 - ول ديورانت: م.س، مج٣، ج٣، ص ٢٣٣.

5- انظر: ص١٣٩-١٤١ من هذه الرسالة.

ازداد تخوّف الفئة المستفيدة من يهود، من تعاظم قوّة المسيح ﷺ فعزموا على قتله والتخلّص منه، حفاظاً على مصالحهم الحياتيّة، ولمّا خرجت جموع أورشليم لاستقباله، بلغ الحقد والحسد عندهم مبلغاً عظيماً، قال يوحنا: "فقال الفرّيسيّون بعضهم لبعض: "أرأيتم كيف أنّكم لم تستفيدوا شيئاً؟ ها قد انطلق العالم كلّه وراءه"[1].

أمّا برنابا فيبيّن مدى تخوّفهم من ظهور المسيح وسطوع نجمه، وكشف مؤامراتهم مع العدوّ من أجل قتله والتخلّص منه فيقول: "فتشاور الكتبة والفرّيسيّون مع رئيس الكهنة قائلين:ماذا نفعل لو صار هذا الرّجل ملكاً، حقّاً إنّ ذلك يكون وبالاً علينا فإنّه يريد أن يصلح عبادة الله على حسب السنّة القديمة لأنّه لا يقدر أن يُبطل تقاليدنا، فكيف يكون مصيرنا تحت سلطان رجل هكذا؟ حقّاً إنّنا نهلك نحن وأولادنا، لأننا إذا طردنا من وظيفتنا اضطررنا أن نستعطي خبزنا. وأمّا الآن فالحمد لله لنا ملك ووالٍ أجنبيان عن شريعتنا ولا يباليان بشريعتنا كما لا نبالي نحن بشريعتهم، ولذلك نقدر أن نفعل كل ما نريد، فإن أخطأنا فإنّ إلهنا رحيم يمكن استرضاؤه بالضحيّة والصوم، ولكن إذا صار هذا الرجل ملكاً فلن يسترضى إلاّ إذا رأى عبادة الله كما كتب موسى، وأنكى من ذلك أنّه يقول إن (مسيا) لا يأتي من نسل داود (كما قال لنا أحد تلاميذه)، بل يقول إنّه يأتي من نسل إسماعيل، وإنّ الموعد صنع بإسماعيل لا بإسحق. فماذا يكون الثمن إذا تركنا هذا الإنسان يعيش، من المؤكّد أنّ الإسماعيليّين يصيرون ذوي وجاهة عند الرومانيين فيعطونهم بلادنا ملكاً، وهكذا يصير إسرائيل عرضة للعبوديّة كما كان قديمًا، فلمّا سمع رئيس الكهنة هذا الرأي أجاب: إنّه يجب أن يتّفق مع هيرودس والوالي، لأنّ الشعب كثير الميل إليه حتّى إنّه لا يمكننا إجراء شيء بدون الجند، وإن شاء الله نتمكّن بواسطة الجند من القيام بهذا العمل" وبعد أن تشاوروا فيما بينهم ائتمروا على إمساكه ليلاً متى رضي الوالي وهيرودس بذلك"[2].

يقول ول ديوارنت: "وكان عمّال الحكومة المدنيّون منهم والدّينيون، الرومان، واليهود يراقبونه، وأكبر الظنّ أنّ هذه المراقبة قد بدأت من يوم أن خلف يوحنا المعمدان

---

1- يو ١٢: ١٩.

2- بر ١٤٢: ٨-٢٤.

في دعوته، وكان عجزه عن أن يضمّ إليه عدداً كبيراً من الأتباع ممّا جعلهم يهملون أمره، ولكن يبدو أن الاستقبال الحماسي الذي استقبل به في أورشليم، حيّر زعماء اليهود فصاروا يخشون أن تلتهب حماسة هذه الجماعات التي اجتمعت في عيد فصح، فتدفعها عواطفها الثائرة ونزعتها الوطنيّة إلى الثورة على السّلطة الرومانية ثورة طائشة عقيمة لم يحن موعدها بعد، فتكون عاقبتها القضاء على كلّ ما تستمتع به اليهوديّة من حكم ذاتي وحريّة دينيّة، ومن أجل هذا دعا الحاخام الأكبر السهندريم إلى الاجتماع، وقال له: "إنّه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشّعب ولا تهلك الأمّة كلّها". ووافقته غالبيّة الحاضرين على رأيه وأمر المجلس بإلقاء القبض على المسيح"[1].

---

[1]- ول ديورانت: م.س، مج٣، ج٣، ص ٢٣٤،٢٣٥ .

## القبض على عيسى عليه السلام ومحاكمته أمام المجلس اليهودي:

يسوق متّى قصّة القبض عليه، بالتّواطؤ مع أحد تلامذته؛ يهوذا الإسخريوطي، فيقول: "وفيما هو يتكلّم، إذا يهوذا، أحد الإثني عشر، قد وصل ومعه جمع عظيم يحملون السّيوف والعِصيّ، وقد أرسلهم رؤساء الكهنة وشيوخ الشّعب، وكان مسلّمه قد أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبله فهو هو "فاقبضوا عليه"، فتقدّم في الحال إلى يسوع وقال: سلام يا سيّدي، وقبّله، فقال له يسوع: لماذا أنت هنا؟ فتقدّم الجمع وألقوا القبض على يسوع، وإذا واحد من الذين كانوا مع يسوع قد مدّ يده واستلّ سيفه، وضرب عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه، فقال يسوع له: ردَّ سيفك إلى غمده، فإنّ الّذين يلجأون إلى السّيف، بالسّيف يهلكون، أم تظنّ أنّي لا أقدر الآن أن أطلب إلى أبي فيرسل لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟ ولكن كيف يتمّ الكتاب حيث يقول إنّ ما يحدث الآن لابدّ أن يحدث". ثمّ وجّه يسوع كلامه إلى الجموع قائلاً: "أكما على لصٍّ خرجتم بالسّيوف والعصيّ لتقبضوا عليَّ؟ كنت كلّ يوم بينكم أعلّم في الهيكل، ولم تقبضوا عليّ، ولكن قد حدث هذا كلّه لتتمّ كتابات الأنبياء". عندئذٍ تركه التلاميذ كلّهم وهربوا. وأمّا الذين قبضوا على يسوع، فساقوه إلى قيافا رئيس الكهنة، وقد اجتمع عنده الكتبة والشيوخ. وانعقد المجلس من رؤساء الكهنة والشيوخ كلّهم، وبحثوا عن شهادة زور على يسوع، ليحكموا عليه بالموت، ولكنّهم لم يجدوا، مع أنّه حضر شهود زور كثيرون، أخيراً تقدّم اثنان، وقالا: هذا قال: إنّي أقدر أن أهدم هيكل الله وأبنيه في ثلاثة أيّام، فوقف رئيس الكهنة وسأله: أما تجيب بشيء على ما يشهد به هذان عليك؟ ولكنّ يسوع ظلّ صامتاً، فعاد رئيس الكهنة يسأله: قال: استحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ فأجابه يسوع: أنت قلت، وأقول لكم أيضاً إنّكم منذ الآن سوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة ثمّ آتياً على سحب السّماء، فشقّ رئيس الكهنة ثيابه وصرخ: قد جدّف[1]. لا حاجة بنا بعد إلى شهود، وها أنتم قد

---

1- **جدّف، تجديف: (Blaspheme) كل إهانة توجه إلى إنسان يستحق العقاب (مت ٥: ٢٥) فما أشدّ التجديف الموجّه إلى الله نفسه ! فالتجديف نقيض السجود والتسبيح، الواجبين على الإنسان نحو الله. د. سمعان، أرنست ومن معه، م.س. ص١٨٦. فالتجديف تعني سبّ أو شتيمة أو انتقاص.**

سمعتم تجديفه، فما رأيكم، أجابوا: يستحقّ عقوبة الموت، فبصقوا في وجهه، وضربوه، ولطمه بعضهم قائلين: تنبّأ لنا أيّها المسيح، من ضربك؟"[1].

[1]- مت ٢٦: ٤٧-٦٨ ومر ١٤: ٤٣-٦٥ ولو ٢٢: ٤٧-٥٤ ويو ١٨: ٣-٢٤.

## تسليمه عليه السلام لبيلاطس والحكم عليه:

يقول متّى: "ولمّا طلع الصبّاح، عقد رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب اجتماعياً آخر، وتآمروا على يسوع لينزلوا به عقوبة الموت، ثمّ قيّدوه وساقوه فسلّموه إلى بيلاطس الحاكم"[١].

وتكون النهاية، والحكم عليه بالموت، عندما أصرّ رؤساء الكهنة والشيوخ على قتله وإطلاق سراح لصّ اسمه "باراباس"، قال متّى: "ووقف يسوع أمام الحاكم، فسأله الحاكم: " أأنت ملك اليهود:، أجابه: أنت قلت، وكان رؤساء الكهنة والشيوخ يوجّهون ضدّه الاتّهامات، وهو صامت لا يردّ، فقال له بيلاطس: أما تسمع ما يشهدون به عليك؟ لكنّ يسوع لم يجب الحاكم ولو بكلمة، حتّى تعجّب الحاكم كثيراً.

وكان من عادة الحاكم في كلّ عيد أن يطلق لجمهور الشّعب أيّ سجين يريدونه، وكان عندهم وقتئذٍ سجين مشهور اسمه "باراباس"، ففيما هم مجتمعون، سألهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم: "باراباس"، أم يسوع الذي يدعى المسيح؟ إذ كان يعلم أنّهم سلّموه عن حسد، وفيما هو جالس على منصّة القضاء، أرسلت إليه زوجته تقول: إيّاك وذلك البارّ، فقد تضايقت اليوم كثيراً في حلم بسببه، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع أن يطالبوا بإطلاق "باراباس" وقتل يسوع، فسألهم بيلاطس: أي الإثنين تريدون أن أطلق لكم، أجابوا: "باراباس"، فعاد يسأل: فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ أجابوا جميعاً: ليُصلَبْ، فسأل الحاكم: وأي شرّ فعل؟ فازدادوا صراخاً ليُصلَبْ، فلمّا رأى بيلاطس أنّه لا فائدة، وأنّ فتنة تكاد تنشب بالأحرى، أخذ ماءً وغسل يديه أمام الجمع، وقال: أنا بريء من دم هذا البارّ، فانظروا أنتم في الأمر، فأجاب الشّعب بأجمعه: ليكن دمه علينا وعلى أولادنا، فأطلق لهم باراباس، وأمّا يسوع فجلده، ثمّ سلّمه إلى الصلب"[٢].

ويذكر الفغالي الاتّهامات التي قضت على يسوع بالموت، فيقول متسائلاً: "ما الجرم الذي به اتّهم عظماء الكهنة يسوع أمام بيلاطس؟ لا يقول متى ولا مرقس شيئا، وأورد

---

[1]- مت ٢٧: ١-٢ ومر ١٥: ١.

[2]- مت ٢٧: ١١-٢٦ ومر ١٥: ٢-٢٠ ولو ٢٣: ١-٢٥ ويو ١٨: ٢٨-٤٠ ويو ١٩: ١-١٦

يوحنا (١٨: ٣٠) جواب اليهود: لو لم يكن فاعل سوء لما أسلمناه إليك"، أمّا لوقا (٢٣: ٢) فهو واضح كلّ الوضوح: لقد وجدنا هذا الرّجل يثير أمّتنا، ويمنع من أداء الجزية لقيصر، ويدّعي أنّه المسيح الملك، هذا ما يشير إليه خبر مرقس ويؤكّده خبرا متّى ويوحنا. فاستجواب بيلاطس يبدأ فجأة في الأناجيل الأربعة بهذا السؤال: "هل أنت ملك اليهود؟" هكذا بدأ الحدث، ولكنّه يفترض معلومة سابقة قد نكتشف مضمونها. منذ موت هيرودس الكبير سنة ٤ ق.م. كانت قلاقل على رأسها أشخاص ادّعى كلّ واحد منهم أنّه المسيح، هناك يهوذا بن حزقيا، وسمعان عبد هيرودس القديم، ومناحيم الجليلي... وهكذا حين سلّم عظماء الكهنة يسوع إلى بيلاطس صوّروه على أنّه مفتن يتطلّع إلى المُلك. هكذا بدأ الملك الاستجواب وكتب "ملك اليهود" ( مر ١٥: ٢٦). إنّ اللقب المعروض هنا يعني أنّ يسوع عذّب لأنّه اعتبر نفسه ملكاً على شعبه، مثل هذا الادّعاء يمسّ بالإمبراطوريّة الرومانيّة وسيادتها، ولهذا حُكم على يسوع بالموت بجرم التعدّي على سيادة الشّعب الروماني. تأثّر بيلاطس بهذا الاتّهام فرأى ضرورة الحكم بالإعدام، اتّخذ إجراءً احتياطيّاً، وهو يحاول أن يرضي سلطة دينيّة خاضعة كلّ الخضوع للحكم الروماني.

إذا عدنا الآن إلى سبب توقيف يسوع وقلنا إنّه "انتقاد للهيكل"، نرى في الاتّهام أمام بيلاطس تحوّلاً جوهريّاً أطلق القضيّة في هذا الاتّجاه، أجل، إنّ بيلاطس حكم على يسوع بسبب طموحاته السياسيّة"[1].

وليس للفغالي ولا غيره أن يبالغ في الأمر كثيراً أو أن يحمل الأمور أكثر ممّا تحتمل، فإنّ بيلاطس حاول جاهداً أن يطلق سراح المسيح عليه السلام، لكنّه لم يستطع، فغسل يديه أمام الشّعب بأجمعه، وأعلن براءته من دمه عليه السلام، وعمل على إخماد الفتنة، وإرضاء سلطة دينيّة خاضعة كلّ الخضوع للحكم الرّوماني، فكان ألعوبة في يد اليهود، ينفّذ رغباتهم، فلا خصومة بينه وبين المسيح عليه السلام. ومهما يكن من أمر فقد كانت نهاية حقد يهود على نبي الله عيسى عليه السلام، أن يكون صلباً وفق ما جاء في الأناجيل الأربعة، أمّا إنجيل برنابا فقد جعل النهاية أن رفعه الله إليه، وألقى شبهه على التلميذ الخائن: يهوذا

---

[1]- الفغالي، الخوري بطرس: إنجيل لوقا، يسوع في أورشليم، الآلام والقيامة، المكتبة البوليسية،بيروت، ط.١، ١٩٩٦، ج٣، ص ٤٠٢،٤٠٣ .

الإسخريوطي، ليُصلب مكانه، وأن يشرب من الكأس التي أراد لمعلّمه أن يشربها، قال برنابا: "ولمّا دنت الجنود مع يهوذا من المحلّ الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنوّ جمع غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلمّا رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النّافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السّماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبّح الله إلى الأبد"[١].

ويلتقي إنجيل برنابا، مع ما جاء في القرآن الكريم، من نهاية مشرّفة لنبي الله عيسى عليه السلام، إذ أماته الله نائماً ثمّ رفعه إليه معزّزاً مكرّماً، ونجّاه من كيد يهود، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء:٤/١٥٧-١٥٨). قال ابن كثير: "فأخبر الله تعالى أنّه رفعه إلى السّماء بعدما توفّاه بالنّوم على الصحيح المقطوع به، وخلّصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزّمان"[٢].

ويقول الدكتور جمعة شيخة: "إنّ ما يرفضه القرآن رفضاً قطعيّاً هو أنّ يكون المسيح قد قُتل وصُلب، وبالتّالي فالحقيقة هي أنّ اليهود دبّروا قتل المسيح، لكنّ الله أفسد تدبيرهم، ورفعه إلى السّماء وألقى شبهاً به على من خانه من أتباعه ووشى به فقتل مكانه"[٣]. (وهذا هو الحق والحق يقال)!

ويقول محمد عزّة دروزة: "وممّا يخطر بالبال أنّ انتصار اليهود على المسيح عليه السلام في هذه الحقبة قد أثار فيهم اعتداداً وحيويّة في مجال إحياء الشّرائع الموسويّة، فدفعهم ذلك إلى هذه المواقف وغيرها من المواقف المماثلة"[٤]. ويقول: "وتتملّك المرء الدّهشة والعجب

---

[1]- بر ٢١٥: ١-٦.

[2]- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٥٢٨.

[3]- د. شيخة، جمعة: م.س، ص ٣٩.

[4]- دروزة، محمد عزّة: تاريخ بني إسرائيل من خلال أسفارهم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٣٥٤.

بل الاشمئزاز وهو يطّلع على ما جاء في الكتب التي يقدّسها النصارى مما كان من اليهود جميعهم زعماء وشعباً نحو السيّد المسيح وخلفائه الأوّلين من تكذيب وتسفيه وإهانات وطعن وقذف وتأليب وكيد ومكر وسفك دم الأنبياء والصدّيقيين، وما كان من تنديد شديد من السيّد المسيح وخلفائه الأوّلين بأخلاقهم وأفعالهم وانحرافاتهم، ثمّ يرى أنّ ضغط اليهوديّة العالميّة ومكرها في عام ١٩٦٤م استطاع أن يؤثّر على كثير من آباء الكنيسة الكاثوليكيّة ويدفعهم إلى محاولة إصدار قرار من مجمعهم المسكوني العظيم بتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام"[1].

---

1- ن.م، ص٣٧٢.

## الخلاصـــة

إنّ اليهود لم يقبلوا بالمسيح ﷺ مخلّصاً، أما هو فلم يعجبه مسلكهم فشنّع عليهم، وحذّر تلامذته من الكتبة والكهنة والفرّيسيّين، لما اتّصفوا به من رياء ونفاق وكبْر، وادّعائهم البرّ كذباً، ومخالفة أفعالهم لأقوالهم ولأكلهم الحرام، فواجههم بقوّة وأقام عليهم الحجّة، وخاطبهم من خلال موروثهم الدّيني، وكان دائماً متنبّهاً لأسئلتهم المحرجة، ويعرف مقاصدهم، فيجيبهم على خلاف ما يريدون، أمّا هم فقد ناصبوه العِداء، وحقدوا عليه وحسدوه، حتّى تآمروا عليه وسلّموه للحاكم الروماني ليقتله فيتخلّصوا منه، إلاّ أنّ الله نجّاه من كيدهم، والذي دفعهم إلى عدائه الأسباب الآتيّة:

١. خصوصيّة نظام الكهنوت اليهودي بسبط لاوي: جاء في الرسالة إلى العبرانيين "إنّ شريعة موسى كلّها كانت تدور حول الكهنوت الذي قام بنو لاوي بتأدية واجباته، إلاّ أنّ ذلك النظام لم يوصل إلى الكمال أولئك الذين كانوا يعبدون الله على أساسه. فالمسيح لم يكن من سبط لاوي، الذي كان كهنة اليهود ينحدرون منه، إذ من الواضح تاريخيّاً أنّه يرجع بأصله البشريّ إلى يهوذا. وشريعة موسى لا تذكر أيّة علاقة لنسل يهوذا بنظام الكهنوت"[1]. فلم يقبل اليهود به ﷺ لأنّه ليس من سبط لاوي، وهذا سبب كافٍ لرفضه وعدم قبوله.

٢. الحسد والحقد والكراهيّة: قال ابن القيّم: "وهذا الدّاء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ﷺ، وقد علموا علماً لا شكّ فيه، أنّه رسول الله جاء بالبيّنات والهدى، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه، وهم أمّة فيهم الأحبار والعلماء والزّهاد والقضاة والملوك والأمراء"[2].

٣. نقده لعلمائهم: الكتبة والكهنة والفرّيسيّين، وتعرّضه لمصالحهم الحياتيّة، وتخوّفهم من سلطته المستقبليّة الّتي تقلّص وتحدّ من صلاحياتهم.

---

[1]- عب ٧: ١١-١٤.

[2]- ابن القيّم: هداية الحيارى، ص ١٦.

٤. نفيه لخصوصيّتهم: فقد أرادوه مخلصاً قوميّاً، فلم يكن كذلك، ولم يخصّهم دون غيرهم من البشر، فكان يحدّثهم كغيرهم، فلم يؤكّد على خصوصيّتهم، ونفى حضورهم المتميّز، ومركزيّتهم، فكان كما قال: "ابن الإنسان".

٥. تخوّفهم من نشاطه على نظامهم الاجتماعي: قال ول ديورانت: "وكان كهنة الهيكل وأعضاء السهندريم[١] يرقبون نشاطه بعيْن الريبة، ويرون في هذا النشاط ما كان يراه هيرودس في نشاط يوحنا، وهو أنّه ستار يخفي تحته ثورة سياسيّة، وكانوا يخشون أن يتهمهم الحاكم الروماني بأنّهم يتحلّلون ممّا هو مفروض عليهم من تبعات ليحافظوا على النظام الاجتماعي"[٢].

---

[1]- السنهدريم: مجلس شيوخ اليهود وحكمتهم العليا، ويمارس سلطات قضائيّة ودينيّة في الوقت نفسه، وكان يمثّل الشّعب اليهودي أمام الرومان، ويتكوّن من واحد وسبعين عضواً، والعضو الواحد والسبعون هو رئيس الكهنة، وقد توقّف عمل السنهدريم بعد عام ٧٠م.، وذلك بعد خراب أورشليم" - د. عبدالملك، بطرس ومن معه: م.س، ص٤٨٩.

[2]- ول ديورانت: م.س، مج ٣، ج٣، ص ٢٣٠

## المبحث الثالث: حوار محمد ﷺ مع الملأ في الزعامة وإثبات الذّات

تمهيد:

ملأ الرسول محمد ﷺ في الزعامة وإثبات الذّات هم قريش ومن حولها من القبائل العربية وأهل الكتاب من اليهود والنصارى. فما الدافع لهؤلاء في قبولهم للإسلام أو رفضهم له؟ وهل العداء لا ينفك أبداً بين الملأ والأنبياء أم هناك استثناءات؟ وهل المصالح الدنيوية هي التي تحول دون الالتقاء بين الملأ والأنبياء أم الجهل وعدم الاستيعاب؟ وهل الكِبْر وحُبّ الرياسة يمنعانه من الإسلام؟ وما منهجية الرسول ﷺ في التعامل معهم جميعا؟

### الوثنية في العقلية العربية وأثرها في المكانة الاجتماعية:

حتّى لا نتشبّث بسبب واحد نعوّل عليه في عدم إيمان قريش بمحمد ﷺ، فلا بدّ من أن نقف على تغلغل الوثنية في العقلية العربية، حتّى أصبحت جزءاً من ذاتها، والله سبحانه وتعالى أرسله ﷺ على فترة من الرسل، وكان الناس قد ابتعدوا عن التوحيد وغيّروا وبدّلوا ونسوا العهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم في حديث الذرّ، إذ أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم أنه ربّهم، فأقروا بذلك، وحذّرهم من الشرك والغفلة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (الأعراف/٧/١٧٢، ١٧٣). وبذلك فإنّ كلّ مولود يولد على الفطرة، وإنّما أبواه والبيئة المحيطة يصرفانه عن اتّباع الحق، قال ﷺ: "ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه"[1]. قال ابن حجر:"وأشهر الأقوال أنّ المراد بالفطرة: الإسلام"[2]. فالله سبحانه

---

[1] البخاري: م.س، ١٢ كتاب الجنائز، ٧٨ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ح١٢٧١. مسلم: م.س، ٤٧ كتاب القدر، ٦ باب كل مولود يولد على الفطرة، ح٤٨٠٣.

[2] ابن حجر العسقلاني: م.س، ج٣، ص٢٤٨.

وتعالى خلق الناس موحّدين ومن ثمّ أن انحرفوا عن الجادّة، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (البقرة ٢/٢١٣). نقل ابن كثير: "عن ابن عباس قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلّهم على شريعة من الحقّ فاختلفوا فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾"[1]. قال ابن عبد الوهاب: "فلما مات آدم عليه السلام بقي أولاده بعده عشرة قرون على دين أبيهم، دين الإسلام ثم كفروا بعد ذلك، وسبب كفرهم الغلوّ في الصالحين كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح ٧١/٢٣). قال هشام الكلبي: "كان ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر أقواماً صالحين، ماتوا في شهر واحد فجزع عليهم ذوو أقاربهم. وقال رجل من بني قابيل: يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا أقدر أن أجعل فيهم أرواحاً؟ قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظّمه ويسعى حوله حتّى ذهب ذلك القرن الأول. ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عظّم هؤلاء إلاّ وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فعبدوهم، وعظم أمرهم، واشتدّ كفرهم، فبعث الله إليهم إدريس عليه السلام نبيّاً فدعاهم فكذّبوه، فرفعه الله إليه مكاناً عليّا. ولم يزل أمرهم يشتدّ. ونقل ابن الكلبي[2] عن ابن عباس: حتّى أدرك نوح، فبعثه الله نبياً فعصوه وكذّبوه"[3]. وأول من غيّر دين إسماعيل عليه السلام عمرو بن ربيعة، وربيعة هو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي وهو أبو خزاعة[4]. وقال الكلبي: "كان عمرو بن لحي كاهناً، وكان له رئي من الجنّ، وكان يكنى أبا ثمامة، فقال له: عجّل بالمسير والظعن

---

[1]- ابن كثير: م.س، ج١، ص ٢٣٧.

[2]- ابن الكلبي هو محمد بن السائب الكلبي، والد مؤلف كتاب الأصنام.

[3]- الكلبي، هشام بن محمد السائب: الأصنام، (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، إحياء الآداب العربية، ط٢، القاهرة١٣٤٢هـ-١٩٢٤م. ص ٥١-٥٣.

[4]) ن.م: ص٨. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والمحل(ت٥٤٨هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص ٦٤٨.

من تهامة بالسعد والسلامة، إئت شطّ جدّة تجد فيها أصنام معدّة، أوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب، فأتى شطّ جدة فاستثارها ثم حملها، حتّى ورد تهامة وحضر الحج ودعا العرب إلى عبادتها قاطبة، ولقد أجيب إلى طلبه(١). قال ابن عبد الوهاب:" إنه سافر إلى الشامّ فرآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وظنه حقّاً... فرجع إلى مكة وقدم معه بهبل، وجعله في جوف الكعبة ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه، وأهل الحجاز في دينهم تبع لأهل مكة لأنّهم ولاة البيت وأهل الحرم، فتبعهم أهل الحجاز على ذلك ظنّاً أنه الحقّ. فلم يزالوا على ذلك حتّى بعث الله محمداً ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام وإبطال ما أحدثه عمرو بن لحي. وكانت الجاهلية على ذلك وفيهم بقايا من دين إبراهيم عليه السلام لم يتركوه كلّهم، وأيضاً كانوا يظنون أنّ ما هم عليه، وأنّ ما أحدثه عمرو بدعة حسنة لا تغاير دين إبراهيم عليه السلام"(٢).

وقد تجذّرت عبادة الأصنام في قريش حتّى أصبحت ديناً يدنون به، ويموتون من أجله، ويحملون همه في حياتهم وبعد مماتهم، فهذا "أبو أحيحة" -شمس بن عبد مناف- لا يبكي نفسه في مرض موته، وإنما يبكي العزّى(٣)، قال الكلبي: "فلم تزل "العزّى" كذلك حتّى بعث الله نبيه ﷺ فعابها وغيرها من الأصنام، ونهاهم عن عبادتها، ونزل القرآن فيها. فاشتدّ ذلك على قريش. ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه أبو لهب يعوده، فوجده يبكي. فقال: ما يبكيك يا أبا أحيحة؟ أمن الموت تبكي. ولا بدّ منه! قال: لا، ولكني أخاف أن لا تعبد العزى بعدي. قال أبو لهب: والله ما عبدت في حياتك [لأجلك]، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك ! فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لي خليفة! وأعجبه شدّة نصبه في عبادتها. فلما كان عام الفتح، دعا النبيّ ﷺ خالد بن الوليد، فقال: "انطلق إلى شجرة ببطن نخلة فاعضدها"، فانطلق فأخذ "دبيّة" فقتله، وكان سادنها"(٤).

---

1) الكلبي: م.س، ص٥٤-٥٨. الشهرستاني: م.س، ص ٦٤٨، ٦٤٩. ابن عبد الوهاب، محمد: م.س، ص ٧٣، ٧٤.

2- ابن عبد الوهاب، محمد: م.س، ص٢٢، ٢٣.

3- العزّى: أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون لها عند الذبح.

4- الكلبي: م.س، ص٢٣، ٢٤.

لقد أعطت قريش نفسها مكانة فوق الناس كافة، وما لبث الناس أن دانوا لها بذلك، وأسموا أنفسهم بالحمس[1]، قال ابن إسحق: "وقد كانت قريش ابتدعت رأي الحمس رأيا رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقطّان مكة وساكنها، فليس للعرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثلما تعرف لنا، فلا تعظّموا شيئا من الحلّ كما تعظّمون الحرم، فإنّكم إن فعلتم ذلك استخفّ العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظّموا من الحلّ مثلما عظّموا من الحرم..."[2].

قال ابن إسحق وكذا الكلبي: "فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص ٣٨/٥). وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظّمها كتعظّيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدي لها كما تهدي للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها. وهي تعرف فضل الكعبة عليها، لأنّها كانت قد عرفت أنّها بيت إبراهيم الخليل ومسجده"[3].

نظرة قريش للإسلام:

جاء الإسلام برسالة عالمية لكل البشر، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف٧/١٥٨)، وجعل الإسلام التقوى ميزاناً للتفاضل بين الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (الحجرات ٤٩/١٣)، وهذا ما أقلق الجاهلية وأرّقها وجعلها تقف موقفاً معادياً للإسلام يمتدّ حتّى بعد أن دخل بعضهم فيه، وظهر ذلك على ألسنتهم. قال منير محمد الغضبان: "وكان لهاتين القضيتين أكبر الخطر على المجتمع الجاهلي:

---

[1]- الحمس: أصله من التحمس، وهو التشدد في الدين بقصد الترفع والتعالي على غيرهم، وسميت قريش " حمساً " لتشدّدهم وتنطعهم فيما ابتدعوه من الدين الذي خالفوا به الناس، يريدون الشرف عليهم والعلو في الأرض.

[2]- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص١٩٩.

[3]- ن.م، القسم الأول، ص٨٣. الكلبي: م.س، ص٣٠.

**القضية الأولى:** قضية الوحدانية -لا إله إلاّ الله- وهي تعني نقض عقيدة المجتمع الجاهلي كلّه.

**القضية الثانية:** قضية المساواة في الأصل البشري، وهي تعني نقض أكبر قيم هذا المجتمع.

ولو كانت القضية ذات منطق سياسي، لكان آخر ما يجب طرحه هو هاتان القضيتان، لتجنب المواجهة مع قريش. وفي الساحة عناصر كثيرة مشتركة يمكن أن تجمع بين محمد ﷺ وقريش من محاولات التحرير، والتخلص من الطغيان الفارسي والرومي، وتقديس البيت، وبناء التجارة، وإصلاح ذات البين العربي، ووحدة هذا الصفّ تحت قيادة واحدة. إن أكبر ما صدم به الملأ من قريش وغيرها حسب التعبير القرآني هو هاتان القضيتان: أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وأن يعتقدوا بأنّ مواليهم وعبيدهم من الممكن أن يكونوا خيراً منهم. وحتّى نعرف مدى تغلغل هذه العقيدة في نفوسهم، ومدى تأصّل العصّبية الجاهليّة في قلوبهم نقفز عشرين عاماً إلى الأمام إلى فتح مكة، ونشهد بلالاً الحبشي ؓ يصعد على ظهر الكعبة، ويعلن كلمة التوحيد فيها، فماذا يكون الموقف وقد تحطمت كلّ المقاومة المكية"[1].

وينقل المقريزي صورة هذه الوقائع الحيّة، المعبّرة عمّا يدور في نفوس مسلمة الفتح فيقول:" فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذّن فوق ظهر الكعبة، وكانت قريش فوق رؤوس الجبال، وقد فرّ وجوههم وتغيّبوا خوفاً أن يقتلوا، فلما أذّن بلال ورفع صوته كأشدّ ما يكون وقال: أشهد أنّ محمداً رسول الله – قالت جُويرِية بنت أبي جهل: قد لعمري رفع لك ذكرك! أمّا الصلاة فسنصلّي، والله لا نحبّ من قتل الأحبّة أبداً، ولقد جاء أبي الذي جاء محمداً من النبوة فردّها، وكره خلاف قومه. وقال خالد بن الأسِيد: الحمد لله الّذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم! وقال الحارث بن هشام: واثُكلاه! ليتني متّ قبل هذا اليوم! قبل أن أسمع بلالاً يَنْهَقُ فوق الكعبة! وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث العظيم، أن يصبح عبد بني جُمَحْ على بَنِيَّةِ أبي طلحة! وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سَخَطاً لله

---

1- الغضبان، منير محمد، م.س، ص٤٦، ٤٧.

سيغيّره، وإن كان لله رضىً فسيقره، وقال أبو سفيان بن حرب: أمّا أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم"[1].

نعم لقد تنكرت قريش للإسلام ورسوله ﷺ من اليوم الأول الذي جهر فيه بعالميّة الرسالة، فعن ابن عباس رضي الله عنه: "قال لمّا نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء26:214). أي: ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتّى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإنّي نذير لكم بين يديْ عذاب شديد، قال أبو لهب: تبّاً لك! ما جمعتنا إلاّ لهذا؟ ثمّ قام فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد 111/1)"[2]. فكان اعتراض أبي لهب وإقرار قريش له لسان حالهم جميعاً، فلم يقبلوا الإسلام ولم يستوعبوه، وبدأوا يفكرون في مقاومته وتحجيمه.

قراءة في عقلية قريش ومنهجيتها في حوار الرسول ﷺ:

حينما أحسّت قريش بخطر الرسالة الجديدة ومخالفتها لموروثها الدّينيّ، لم تجد بدّاً من حواره الرسل ﷺ بشكل مباشر أو غير مباشر، للحيلولة دون استماع الناس له، سواء من أهل مكة زعامة وعامة، أو من الوافدين. ومع ذلك لم تفلح قريش في ثني الرسول ﷺ عما أمره الله به، فلجأت إلى إغرائه بالمال والجاه والسلطان، فلم تنجح في ذلك، فاستخدمت سلاح التشويه وإثارة الشبهات لإبعاد الناس عنه ﷺ، ولما لم تفلح في شيء من ذلك، لجأت إلى أسلوب التهديد والوعيد، واعتدت على المستضعفين من المسلمين، ونالت من شخص الرسول ﷺ نفسياً وجسدياً، وفرضت على المسلمين ومن تبعهم من قريش حصاراً اقتصادياً واجتماعياً جائراً، ثلاث سنين في شعب بني هاشم، نظّم بموجب صحيفة

---

[1]- المقريزي، تقيّ الدين أحمد بن علي: إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، الشؤون الدينية بقطر، ط2، [د.ت]، ج1، 390، 391.

[2]- البخاري: م.س، 45 كتاب التفسير، 111 سورة تبت يد أبي لهب وتبّ: 1 باب حدثنا يوسف، ح 4589. مسلم: م.س، 2 كتاب الأيمان، 89، باب قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، ح307.

ظالمة[١]، وقد همّت بقتله ﷺ وتصفيته في مكّة عدّة مرات، آخرها يوم أذن له بالهجرة[٢]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال ٣٠/٨). قال ابن إسحق: "وكان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومنعة، أنّبه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهنّ حلمك ولنفلينّ رأيك (لنقبحنّه)، ولنضعنّ شرفك. وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدنّ تجارتك ولنهلكنّ مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به"[٣]. وقد أجمعت قريش أمرها أن تصف محمداً ﷺ بالساحر بعد أن اختلفوا في أمره[٤]، وأعيتهم الحجّة في صرفه عمّا جاء به. وما هذه الشبهة إلاّ قناع تتستّر به قريش، وتخفي خلفه تخوّفها على سيادتها وزعامتها، ومكانتها الرياديّة بين العرب، وقد صرّحت بذلك بلسان أحد زعمائها. قال الواحدي: "قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص ٥٧/٢٨)، نزلت في الحرث بن عثمان بن عبد مناف، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنّا لنعلم أن الّذي تقول حقّ، ولكن يمنعنا من اتّباعك أنّ العرب تخطفنا من أرضنا. لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٥]. وقريش لم تقبل النبوة لفقير يتيم، وفهمت وبثت في روع الناس –على عادة الملأ والجاهلية– أنّ صاحب الأحقيّة في الحكم والسلطان: الأغنياء العظماء الذين ينحدرون من عائلات عريقة، ويملكون الأموال الطوال والأكثر في عدد الرجال. إنّها آلة الحرب – المال والرجال – ذلك السلاح الذي جعل من القوة أساساً للحقّ، يضلّل بها الملأ عامة الناس، فيخدعونهم، وإنه لفنّ أتقنه الكبراء واتخذوه

---

[1]- أنظر: ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٣٥٠، ٣٥١ و٣٧٤-٣٧٧. ابن عبد الوهاب، محمد، م.س، ص١٠٠-١٠٢. المباركفوري، صفيّ الدين: الرحيق المختوم، ط٢، الرباط، المغرب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٣١-١٣٤.

[2]- أنظر: ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٤٨٠-٤٨٢. ابن القيّم: زاد المعاد، ج٣، ص٥٠. ابن عبد الوهاب، محمد: م.س، ص١٢٨، ١٢٩.

[3]- ابن هشام، م.س، القسم الأول، ص٣٢٠.

[4]- ن.م، القسم الثاني، ص٢٧٠، ٢٧١. ابن كثير : السيرة النبوية، دار المعرفة بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٦م، ج١، ص ٤٩٩، ٥٠٠.

[5]- الواحدي: م.س، ص١٩٤.

سبيلاً لحماية أنفسهم ومراكزهم من خطر الحقّ، الّذي يزلزل قيمهم الزائفة، وينسف عروشهم المتداعية، إنها الحرب الدعائية التي استخدمتها قريش في صدّ الناس وإبعادهم عن الرسول ﷺ وعن الرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (سبأ ٣٤/٣٥)، إنه الترف الذي غلّظ قلوب الملأ وأفسد فطرهم، فاستكبروا عن رؤية الحق وانخدعوا بالمناظر الزائفة، وجعلوها أساساً يعطيهم الأحقيّة في بسط سيطرتهم على غيرهم. قال ابن كثير: "﴿ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾، وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة، قال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم... وقال تبارك وتعالى إخباراً عن المترفين المكذّبين: ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾، أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أنّ ذلك دليل محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم، وأنّه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذّبهم في الآخرة"[1]. وقال ابن عاشور: "قفوا على صريح كفرهم بالقرآن وغيره من الشرائع بكلام كنّوا به عن إبطال حقيقة الإسلام، بدليل سفسطائي، فجعلوا كثرة أموالهم وأولادهم حجّة على أنهم أهل حظّ عند الله تعالى، وهذا تمويه الحقائق بما يحفّ بها من العوارض فجعلوا ما حفّ بحالهم في كفرهم من وفرة المال والولد حجة على أنهم مظنّة العناية عند الله وأن ما هم عليه هو الحقّ. وهذا تعريض منهم بعكس حال المسلمين، لأنّ حال ضعفهم وقلّة عددهم، وشظف عيشهم حجّة على أنهم غير محظوظين عند الله، ولم يتفطنوا إلى أنّ أحوال الدنيا مسببة على أسباب دنيوية لا علاقة لها بأحوال الأولاد. وهذا المبدأ السفسطائي خطير في العقائد الضّالة التي كانت لأهل الجاهلية، والمنتشرة عند غير المسلمين، ولا يخلو المسلمون من قريب منها في تصرفاتهم في الدّين، ومرجعها إلى قياس الغائب على الشاهد، وهو قياس يصادف الصواب تارة، ويخطئه تارات"[2]. وقال محمد سرور: "إنّ غاية ما يتطلع إليه المترفون أن يكونوا سادة أقوامهم وأهل الحلّ والعقد فيهم... ومن أجل ذلك يتحاربون ويتنافسون،

---

[1]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٥١٨، ٥١٩.

[2]- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٢، ص٢١٢، ٢١٣.

ويحسبون أن المال والجاه هما كلّ ما في هذه الدنيا، ولهذا فهم لا يتصوّرون معاني إنكــار الذات والانقياد التام لله"[1].

ويؤكد أحمد المشرقي على حتمية نشوء الأزمة بين النبيّ والملأ فيقول: "وتعود سمة التوتّر هذه بين النبيّ ومحيطه إلى جوانب مرتبطة بمبررات وجود النبوّة ذاتها، إذ تبيّن أن ظهور النبوّة في مجتمع من المجتمعات كان يؤثّر دائماً على وجود أزمة في ذلك المجتمع. وكان من الطبيعي أن يحكم منطق الأزمة علاقات النبيّ بالأطراف التي كانت تستفيد من ثبات الواقع المتأزم، وأبرز من كان يمثّل تلك الأطراف: الأثرياء (المترفون) والمقلّدون(المحافظون) وأصحاب النفوذ الديني والسياسي"[2].

فهذا حال قريش، وحال كلّ ملأ لا يريد لأحد أن يستهدف زعامتهم، ولذلك نراهم يلصقون بالنبيّ ومن معه تهماً لا حصر لها، فقريش التي قبلت الألوهية للحجر ولــم تقبــل النبّــوة لبشر – في لحظة من اللحظات، ولما سقط في أيديهم –لم يعودوا يناقــشون فــي بــشرية الرسول ﷺ، وإنما في أهليّته، وهل يستحقّ الرسالة أم لا؟ لأنهم رأوه يفتقر إلى مقوّمــات الزعامة –المال والرجال– وهو يتــيم فقيــر، وغــاب عــنهم أنّ ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام ٦/١٢٤)، وغاب عنهم أنه ﷺ من ذؤابة قريش، ثم من ذؤابة بني هاشم، وهم في العلية من العرب، وهو معروف بسموّ الخلق، وهو الصادق الأمين، فقالوا: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف ٤٣/٣١)، نقل السيوطي: "عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر ذلك مــنهم، فقــالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً. فأنزل الله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ (يونس ١٠/٢)، وأنــزل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً ﴾ (يوسف ١٢/١٠٩)، فلما كرّر الله عليهم الحجج قــالوا: وإذا كان بشراً غير محمد كان أحقّ بالرسالة: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ

---

[1]- زين العابدين، محمد سرور: م.س، ج١، ص٦١، ٦٢.

[2]- المشرقي، أحمد: م.س، ص١٠٠.

عَظِيمٍ ﴾، يقولون: أشرف من محمّد ﷺ، يعنون الوليد بن المغيرة من مكّة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فانزل الله ردّاً عليهم: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (الزخرف٤٣/٣٢)(١). وقال ابن عاشور: "والقريتان هما مكة والطائف لأنهما أكبر قرى تهامة، بلد القائلين، وأمّا يثرب وتيماء ونحوهما فهي من بلد الحجاز، فالتعريف فيه "القريتين" للعهد، جعلوا عماد التأهيل لسيادة الأقوام أمرين: عظمة المسود، وعظمة قريته، فهم لا يدينون إلاّ من هو من أشهر القبائل في أشهر القرى، لأنّ القرى هي مأوى شؤون القبائل، وتموينهم وتجارتهم، والعظيم: مستعار لصاحب السؤدد في قومه، وكأنه عظيم الذات"(٢).
وبلغ من تخوّف سادة قريش ورؤسائهم وكبرائهم من محمد ﷺ ورسالته أن أعلنوا لجمهورهم في نواديهم عبر وسائل إعلامهم المتاحة، أنّ المنطقة بأكملها تتعرّض لمؤامرة قد تعصف بهم جميعاً، تذهب بدين الآباء والأجداد وبكل المكتسبات، وجاء التعبير القرآني يبيّن مدى تخوفهم، قال تعالى:﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص٣٨/٦)، قال القرطبي: "﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾: كلمة تحذير، أي: إنما يريد محمد ﷺ بما يقول الانقياد له ليعلو علينا، ونكون له أتباعاً فيتحكّم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه"(٣). وقال ابن كثير:" في قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ قال ابن جرير: إنّ هذا الّذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع، ولسنا نجيبه إليه"(٤).
ويبذل الملأ جهده، ويستفرغ وسعه، في صدّ الناس عن دين الله، والهجمة الإعلامية الشرسة على دين الله وأهله –في هذه الأيام– آية من كتاب الله، ما كانت لتفهم من قبل كما تفهم الآن، في ضوء تطور العصر، وتقدّم وسائل الإعلام. حتّى أضحى العالم قرية صغيرة! قال تعالى على لسان المستضعفين.

---

1- السيوطي: م.س، ص١٥٥. الطبري: م.س، مج١٣، ج٢٥، ص٦٥، ٦٦. القرطبي: م.س، ص٨٣.
2- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٥، ص١٩٩، ٢٠٠.
3- القرطبي: م.س، ج١٥، ص١٥٢
4- ابن كثير: م.س، ج٤، ص٢٨.

– لذين أضلّهم ساستهم وزعماؤهم عبر وسائل إعلامهم المختلفة التي لا تتوقف ليلاً أو نهاراً، بل تعمل على مدار الساعة تبثّ سمومها وتزيّن باطلها، وتصرف قلوب وعيون بني البشر عن الحقّ–:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ (سبأ ٣٣/٣٤).

إنّ هذه الشبهات التي يبثها الملأ، قد تنطلي على عامة الناس فيصدّقونها، لا سيما أنه يملك آلة الحرب، ويستخدم كلّ ما أوتي من قوّة، في تزيين باطله وعرضه للناس، والناس بين الخوف والجهل يبتعدون عن الحقّ ويغازلون الباطل الذي لا شوكة فيه، يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "فهم يستدلون بما أعطاهم الله من أولاد وأموال على صلاحهم ونجاتهم من العذاب، وجهلوا سنّة الله في العطاء والمنع، فالله تعالى يعطي المال لمن يحبّ ولمن لا يحبّ، فلا يكون المال دليلاً على صلاح الشخص ورضى الله عنه، وهذه الشبهات على بطلانها تؤثر في الجمهور لأنّ الملأ يلقيها بأسلوب ناعم مزخرف ليزيد من تضليله وإغرائه للجمهور بالمال وإخافته لهم بالقوة، والإنسان يحبّ الحياة ويتمتع فيها، ويخاف الأذى والحرمان، فتتجمّع الشبهات مع هذه الغرائز الإنسانيّة، فيقع التأثير في أكثر الجمهور ولا ينجو منه إلاّ القليل منهم، ومع هذا يبقى أكثر أتباع الرسل عليهم السلام من الجمهور لا من الملأ"(١).

ولم تيأس قريش من محاورة الرسول ﷺ ومساومته، ورأت في مرض موت أبي طالب فرصة مواتية لذلك، تحقّق فيه أمرين اثنين، أولاهما: التوصل مع الرسول ﷺ إلى حلّ يحفظ لها ماء الوجه. وثانيهما: التخوّف من أن تعيرهم العرب إن نالوا منه ﷺ بعد وفاة عمه(٢)، فتوجّهوا إليه بوفد كان آخر وفد قريش إلى أبي طالب، قال ابن إسحق:

---

[1]– د. زيدان، عبد الكريم: م.س، ص٣٩٥.

[2]– كان ثمة أعراف جاهلية، هي بمثابة خطوط حمراء لا يتجاوزها العربي، فإن ضرب عنها صفحاً أوتنكرّ لها عيّرته العرب، ولهذا لم تتجرأ قريش على أن يقتحموا بيت رسول الله ﷺ، وهم يريدون قتله مخافة أن يطّلعوا على بنات العمّ، قال السهيلي:" وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحّم عليه في الدار مع قصر الدار، وأنهم إنما جاؤوا لقتله، فذكر في الخبر انهم همّوا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنهاّ للسبّة

"فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوّفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ لنا منه وخذ له منّا ليكفّ عنّا ولنكفّ عنه، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه. فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال: يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك، قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عمّ كلمة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم"[1].

لقد أدركت قريش معنى (لا إله إلاّ الله)، فلم تلتزم بها وهي تعرف تبعياتها، فهي ليست كلمة تقال بلا مضمون، بل هي منهاج حياة؛ الحاكمية فيه لله، ولهذا يكرهها الملوك، قال الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس: "ولقد أدرك الطواغيت من أول يوم أثر هذا الدين على نفوذهم وسلطانهم حين سمعوا كلمة التوحيد التي جاء بها الرسل عليهم السلام، بل لقد أدرك هذه الحقيقة عامة الناس وبسطاؤهم، لقد قال الرجل العربي- بفطرته وسليقته حين سمع رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله- هذا أمر تكرهه الملوك، لأنه يؤثر على سلطانهم ونفوذهم، وقال رجل إذن تحاربك العرب والعجم، وكان مفهوماً لدى الناس أنّ شهادة أن لا إله إلاّ الله ثورة على الحاكمين بغير شرع الله عرباً أم عجماً، فما كان أحد منهم يفهم أنه يمكن أن يجتمع في قلب واحد ولا في أرض واحدة، شهادة أن لا إله إلاّ الله مع الحكم بغير شرع الله"[2].

واجتمع لدى أبي طالب عاطفتان اثنتان متناقضتان، الدفاع عن الرسول ﷺ لقرابته، وعدم النطق بالشهادتين، ومردّ الاثنتين للحميّة الجاهليّة. قال ابن تيمية: "وأبو طالب إنما كانت محبته للنبي ﷺ لقرابته منه لا لله، وإنما نصره وذبّ عنه لحميّة النسب والقرابة، فلهذا لم يتقبّل الله ذلك منه، وإلاّ فلو كان ذلك عن إيمان في القلب لتكلّم بالشهادتين ضرورة، والسبب الذي أوجب نصره للنبي ﷺ وهو الحمِيّة، هو الذي أوجب امتناعه من

---

في العرب أن يتحدّث عنا أنّ تسوّرنا الحيطان على بنات العمّ، وهتكنا ستر حرمتنا، فهذا هو الذي أقامهم بالباب، وأصبحوا ينتظرون خروجه، ثمّ طمست أبصارهم على من خرج " ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٤٨٣

[1]- ن.م، ص٤١٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص١٢٣. المباركفوري: م.س، ص١٣٥، ١٣٦.

[2]- د. أبو فارس، محمد عبد القادر: النظام السياسي في الإسلام، الجامعة الأردنية عمان، ١٩٨٠م، ص٢٨، ٢٩.

الشهادتين"[1]. ولقد حرص الرسول ﷺ على إيمانه، وحرصت زعامة قريش على إضلاله وغلبت الحميّة الجاهليّة القناعات الداخلية، فمات على كفره. عن المسيّب بن حَزْن قال:"لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عمّ قل لا إله إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتّى قال أبو طالب، آخر ما كلّمهم، هو على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إلاّ الله، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾ (التوبة ٩/١١٣)"[2]. ولم يكتف أبو جهل بتحريضه على الكفر بل كان يزاحم الرسول ﷺ ويحول دون اقترابه من عمه، مخافة أن يحنو عليه، ويعلنها مدوية لا إله إلاّ الله، ولو في اللحظات الأخيرة، لكنّ الحميّة الجاهليّة كانت أقوى من حرص الرسول ﷺ على إيمانه، فمات ولم يتلفظ بها، عن ابن عباس ﷺ قال: "مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ وعند رأس أبي طالب، مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه ذلك... "[3].

## أسباب رفض قريش والعرب لرسالة محمد ﷺ:

أدرك بعض العرب معنى لا إله إلاّ الله، ورأوها فرصة سانحة لميراث مستقبلي، فعرضوا إيمانهم وحمايتهم على الرسول ﷺ، شريطة أن يكون لهم الأمر من بعده فأعرض عنهم ولم يلتفت لحمايتهم، وأفهمهم أن الأمر لله يضعه حيث يشاء، قال ابن إسحق: "وحدثني الزهريّ أنه أتى بني عامر بن صَعْصَعَة، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بَيْحَرَة بن فراس: والله لو أنّي أخذت هذا

---

1- ابن تيمية: الإيمان، ص٥٥٣، ٥٥٤.

2- البخاري: م.س، ١٢ كتاب الجنائز، ٧٩ باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلاّ الله، ح١٢٧٢. مسلم: م.س، ٢ كتاب الإيمان، ٩ باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت في النزع وهو الغرغرة، ح٣٥.

3- الواحدي: م.س، ص٢٠٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص١٢٤.

الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثمّ قال: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك. قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال فقال له: أَفَتُهْدَفُ نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه"(١). وبذلك نرى أنّ عدم الإيمان ليس بالضرورة ناتج عن عدم القناعة وإنما لتعارضه مع تعلقات شخصية أو اجتماعية، ومن قال إنّ قريشا وزعماءها تشكّكوا يوماً في صدق محمد ﷺ، وأنه نبي مبعوث من ربّ العاملين؟ قال ابن إسحق: "إنّ أبا جهل وجماعة معه وفيهم الأخنس بن شريق، استمعوا قراءة رسول الله ﷺ في الليل، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا. حتّى إذا تجاثينا على الركب وكنّا كفرسيْ رهان، قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقّه" وفي رواية: إني لأعلم أنّ ما يقول حق، ولكنّ بني قصي قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، قالوا: وفينا الحجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم، وذكر نحوه"(٢). ونقل ابن القيّم: "قول المسور بن مخرمة – وهو ابن أخت أبي جهل– لأبي جهل، يا خالي هل كنتم تتّهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يابن أختي! والله لقد كان محمد فينا وهو شاب يدعى الأمين، فما جرّبنا فيه الكذب قطّ. قال: يا خال ! فما لكم لا تتبعونه؟ قال: يا ابن أختي تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتّى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسيْ رهان، قالوا: منّا نبيّ، فمتى ندرك مثل هذه؟ وقال الأخنس ابن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إنّ محمداً لصادق

---

1- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٤٢٤، ٤٢٥.

2- ن.م، ص٣١٦. ابن كثير: م.س، ج٢، ص١٢٣. ابن عبد الوهاب، محمد: م.س، ص١٠٣.

وما كذب محمد قطّ، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوّة فماذا يكون لسائر قريش؟! "[١].

وقال الدكتور إبراهيم الكيلاني: "إنّ سبب كفرهم راجع إلى فساد فطرهم وتعطيل عقولهم من التفكير الصحيح، وليس راجع إلى ضعف الدليل أو قلة الآيات...، ومن أسباب تكذيبهم بنبوة محمدﷺ أيضاً حسدهم له ﷺ، ظهر هذا الحسد في كلمات أبي جهل: يا محمد هل أنت منته عن سبّ آلهتنا؟ هل تريد أن نشهد أن قد بلغت؟ فنحن نشهد أنّ قد بلغت! فوالله لو أني أعلم ما تقول حقّ لاتبعتك. ثمّ قال: والله إني لأعلم أن ما تقول حقّ ولكنّ بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا نعم، قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم، قالوا فينا اللواء، قلنا: نعم، قالوا: فينا السقاية، قلنا: نعم، ثمّ أطعموا فأطعمنا، حتّى إذا تحاكّت الركب، قالوا: منا نبيّ والله لا أفعل"[٢].

حوار اليهود للرسول ﷺ في الزعامة وإثبات الذات:

انتهينا في الباب الثاني من حوار اليهود للرسول ﷺ في التوحيد وفي النبوة، في قضايا أثاروها ليزرعوا الشكّ في النفوس، والآن نريد أن نتلمس الأسباب الحقيقية التي دفعت اليهود لأن ينحوا هذا المنحى وهم من أهل الكتاب، وأعلم الناس بقرب مبعث محمد ﷺ، ومما ورد من خبر معرفتهم بإظلال زمانه، ومعرفتهم بعينه وصفته نذكر:

١- حديث سلمة بن عبد الأشهل الأنصاري، وهو من أصحاب بدر، عن اليهودي الذي بشّر بالرسول ﷺ، وذكّر بالقيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال ابن إسحق: "فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده إلى مكّة واليمن، فقالوا ومتى تراه؟ قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سنّاً. فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمه: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتّى بعث الله

---

[1]- ابن القيّم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى، مؤسسة مكة للطباعة والإعلان، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص١٧. الصابوني: النبوة والأنبياء، ص٤٧.

[2]- د. الكيلاني، إبراهيم زيد: معركة النّبوة مع المشركين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، [د.ت]، ص٦٦.

محمداً رسوله ﷺ، وهو حيّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً. قال: فقلنا له: ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى، ولكن ليس به"[١].

٢- إسلام ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسد بن عبيد: قال ابن إسحق:"عن شيخ من بني قريظة، قال لي: هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسد بن عبيد، نفر من بني هدّل، إخوة بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم في الإسلام، قال: قلت: لا والله، قال: فإن رجلاً من يهود أهل الشام، يقال له: ابن الهيّبان، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين، فحلّ بين أظهرنا،... ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميّت، قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم، قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكّف خروج نبيّ قد أظلّ زمانه، وهذه البلدة مهاجرة، فكنت أرجو أن يبعث فأتّبعه، وقد أظلّكم زمانه، فلا تسبقنّ إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء، وسبي الذّراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه، فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة، قال هؤلاء الفتيه، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قريظة، والله إنه للنبيّ الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيّبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم"[٢].

٣- استفتاح (استنصار) اليهود بمحمد ﷺ قبل مبعثه على الأوس والخزرج: نقل ابن إسحق: عن ابن عباس: أنّ يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتّقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم، أحد بني النّضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

---

1- ابن هشام، م.س، القسم الأول، ص ٢١٢.

2- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٢١٣،٢١٤.

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة ٢/٨٩) (١).

٤- سبق الأنصار للإيمان به ﷺ: قال المقريزيّ: "وكان ممّا صنع الله للأنصار، وهم الأوس والخزرج، أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم بني قريظة والنّضير - يهود المدينة - أنّ نبيّاً مبعوث في هذا الزمان، ويتوعّدون الأوس والخزرج به إذا حاربوهم فيقولون: إنّا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم. وكانت الأنصار - وهم الأوس والخزرج- تحجّ البيت فيمن يحجّه من العرب، فلما رأوا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله رأوا أمارات الصدق عليه لائحة، فقالوا: والله هذا الذي توعّدكم يهود به فلا يسبِقُنَّكم إليه"(٢).

٥- معرفة ابني أخطب له ﷺ بصفته، وكفرهما به ومتابعة قومهم لهما: قال البيهقي: "وعمد أبو ياسر بن أخطب أخو حيي بن أخطب، وهو أبو صفية زوج النبي ﷺ فجلس إلى النبي ﷺ، فسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه، وذلك قبل أن تصرف القبلة نحو المسجد الحرام، فقال أبو ياسر: يا قوم أطيعوني، فإنّ الله عزّ وجلّ قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون، فاتّبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حييّ حين سمع ذلك وهو سيّد اليهود يومئذٍ وهما من بني النضير، فأتى النبي ﷺ، فجلس إليه وسمع منه فرجع إلى قومه وكان فيهم مطاعاً، فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوّاً أبداً. فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أمّ أطعني في هذا الأمر ثم اعصني فيما شئت بعده لا تَهْلِك. قال: لا والله لا أطيعك واستحوذ عليه الشيطان فاتّبعه قومه على رأيه"(٣).

٦- شهادة صفية بنت حييّ بن أخطب: نقل ابن إسحق عن صفية بنت حييّ قولها: "لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحبّ إليهما مني، لم ألقهما قطّ مع ولد لهما أهشّ إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء نزل قرية بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلّسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا

---

[1]- ن.م: ص ٥٤٧، ابن كثير: م.س،ج١، ص ١١٩.

[2]- ن.م، ص٢١١. المقريزي: م.س، ج١، ص ٣١.

[3]- البيهقيّ: م.س، ح٢، ص ٥٣٢،٥٣١، ابن القيّم، هداية الحيارى، ص٤١.

فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليّ واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر، يقول لأبي:أهو هو؟ قال: نعم. قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت"(١).

٧- إصرار حييّ بن أخطب على عداوته ﷺ: قال المقريزيّ: "ولمّا جيء بعدوّ الله حييّ ابن أخطب، قال له رسول الله ﷺ: ألم يمكّن الله منك يا عدو الله؟ فقال: بلى! والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولقد التمست العزّ في مظانّه، وأبى الله إلا أن يمكّنك مني، ولقد قلقلت(٢) كل مقاتل، ولكنّه من يخذل الله يخذل. ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس! لا بأس بأمر الله، قدر وكتاب، ملحمة كتبت على بني إسرائيل! فأمر فضربت عنقه"(٣).

٨- تغيير صفة النبيّ ﷺ في كتبهم: نقل البيهقيّ، عن ابن عباس قال: "وصف الله عزّ وجلّ محمداً ﷺ في التوراة في كتب بني إسرائيل، فلما قدم رسول الله ﷺ حسده أحبار اليهود، فغيّروا صفته في كتابهم وقالوا: لا نجد نعته عندنا، وقالوا للسفلة: ليس هذا نعت النبيّ الذي يخرج كذا وكذا، كما كتبوه وغيّروا، ونعت هذا كذا كما وصف، فلبسوا بذلك على الناس. قال: وإنما فعلوا ذلك لأنّ الأحبار كانت لهم مأكلة تطعمهم إياها السفلة لقيامهم على التوراة، فخافوا أن يؤمن السفلة فتنقطع تلك المأكلة"(٤).

أسباب عداوة اليهود للرسول ﷺ:

إنّ عداء يهود للرسول ﷺ غير مبرّر، وإنّما هو الحقد والحسد الذي أعمى قلوبهم، قال ابن إسحق: "ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوة، بغياً وحسداً وضغناً، لما خصّ الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم"(٥).

---

1- ابن هشام:م.س، القسم الأول، ص ٥١٨، ٥١٩.البيهقي م.س، ج٢، ص٥٣٣.ابن كثير:البداية والنهاية، ج٣، ص٢١٢ابن القيّم:هداية الحيارى،ص٤١.

2- قلقل: سعى وتحرك.

3- المقريزيّ: م.س، ج١، ص٢٤٧، ٢٤٨. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٣٩.

4- البيهقيّ: م.س، ج٢، ص٥٣٧.

5- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٥١٣.

ويذهب الدكتور أحمد حجازي السقا إلى أعماق التاريخ، ليقف على حقيقة عداوتهم للرسول ﷺ فيقول:" ثمّ إنّ شرذمة منهم جروت على كتاب الله، فأعادوا كتابته من جديد وبدّلوه تبديلاً، ولبّسوا الحق بالباطل. والسبب في ذلك: أنّ "نبوخذ نصر" لما ساق وجهاءهم وأعيانهم أسرى إلى بابل ظنّوا أنّ العرب بني إسماعيل عليه السلام كان في استطاعتهم مساعدتهم ليخلصوا من الهزيمة. واعتقدوا أنّ النبيّ المنتظر الذي سيأتي منهم قد اقترب زمنه، وإذا أتى سوف تكون لبني إسماعيل الغلبة عليهم، وإذا ما غلبوا على أمرهم، فإنّهم سيذوبون في المجتمع العالمي الجديد، مجتمع نبيّ الإسلام والذين معه، لذلك عمدوا إلى صياغة التوراة بحيث تكون شريعة لهم وحدهم، مستبعدين الأمم من الدخول في دينهم ليحافظوا على كيانهم أبد الدهر. وقد اعترف أنبياؤهم بذلك التحريف المتعمد فقد كتب أرمياء في سفره:" قد حرّفتم كلام الإله الحيّ "(ارمياء ٢٣: ٣٦) وكتب: "من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق من كلّ الأرض "(ارمياء ٢٣: ١٥)"[١]. ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة رأى لزاماً أن يكتب كتاباً ينظم الحياة داخل المدينة بموجبه، فكانت الصحيفة[٢]. إلاّ أنّ ذلك لم يرق لهم وأرادوا أن يستمرّوا في سياستهم السابقة بما فيها من هيمنة واستغلال، وكانوا يظنّون أن القادمين الجدد سيكونون آلة طيّعة لهم، يدفعون عجلتهم الاقتصادية، فلم يتمّ لهم ذلك. يقول الدكتور محسن عبد الناظر: "لقد طبّقت البنود الخاصة بالمهاجرين والأنصار تطبيقاً سليماً لم يزد المجموعتين إلاّ إيماناً ووحدة وقوة. أمّا التي تعود إلى اليهود فلم يكن لها أن تأتي أكلها، ذلك أنّ اليهود وأحبارهم ناصبوا الرسول ﷺ والمسلمين العداوة، وأدركوا الخطأ الذي وقعوا فيه لما لم يقاوموا الإسلام منذ الهجرة. لقد كانوا يمنّون أنفسهم بكثرة اليد العاملة عند قدوم المسلمين المهاجرين، وكانوا يتوقعون أن تصبح المجموعة التي حلّت في المدينة عنصراً من عناصر التوتر الذي يعتمده يهود المدينة للسيطرة على الثروة ولتصريف إنتاجهم، ولتحقيق السيولة المالية، ولكنهم لما لاحظوا الوحدة التي تجمع بين المسلمين، ولما أدركوا أنّ الإسلام يدعو إلى العمل والبذل

---

[1]- د. السقا، أحمد حجازي: نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، ص١٤.

[2]- أنظر: ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٥٠١-٥٠٤. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٢، ص٣٢١-٣٢٣.

والابتكار والمساهمة في استثمار نعم الله الظاهرة والباطنة بطريقة تختلف اختلافاً جذرياً عن طريقة اليهود الأنانية، شرعوا في الدسّ والتشكيك وإثارة الأحقاد"[١].

ولما شعر اليهود أنهم ليسوا أكثر من مواطنين عاديين، وأنهم لا يملكون شيئاً من السيادة والزعامة، سعوا إلى أن تكون العلاقات متوترة في المجتمع المدني ولم يتعايشوا مع هذا المجتمع، ولما عجزوا من أن ينالوا من الرسول ﷺ، ودولة الإسلام الناشئة، لجأوا إلى أساليب ملتوية من السبّ والشتم والدعاء، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السّامّ عليك ففهمتها، فقلت: عليكم السامّ واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: "مهلاً يا عائشة! فإنّ الله يحبّ الرفق في الأمر كلّه" فقلت: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: "فقد قلت: وعليكم"[٢].

وبلغ من حقدهم على الإسلام وأهله، أن فضّلوا عبادة الأوثان على عبادة الواحد الديان، قال المقريزيّ: "ثم قال أبو سفيان: يا معشر يهود أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمّد، أديننا خير أم دين محمّد؟ فنحن عمّار البيت وننحر الكُومَ ونسقي الحجيج ونعبد الأصنام! فقالت يهود: اللهم أنتم أولى بالحقّ منه، إنكم لتعظّمون هذا البيت، وتقومون على السقاية، وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحقّ منه. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾ (النساء ٤/٥١)، وبذلك نرى أن حقدهم وحسدهم للرسول ﷺ ناشئ عن كونه من العرب بني إسماعيل وليس من ذرية بني إسرائيل، و﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام ٦/١٢٤)"[٣].

---

[1]- د. عبد الناظر، محسن بن محمد: حوار الرسول ﷺ مع اليهود، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٩، ١٠.

[2]- البخاري: م.س، ٧٩ كتاب الاستئذان، ٢٢ باب كيف يرد على أهل الذمة السلام، ح٥٧٨٦. مسلم: م.س، ٤٠ كتاب السلام، ٤ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، ح٤٠٢٧.

[3]- المقريزيّ: م.س، ج١، ص٢١٧.

ونرى أنّهم عاطفيون في ردّهم لنبوة محمد ﷺ، فلم يذكروا آنذاك أنّ رسالتهم كاملة ليست بحاجة إلى إضافة جديدة[1]، وإنّما تفاخروا وادّعوا العلم ولم يقبلوا أن يوصفوا بخلاف ذلك، قال الطبري وكذا ابن إسحق:" لمّا هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء، ٨٥/١٧)، أفعنيتنا أم قومك؟ قال كُلاً قد عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنّا أوتينا التوراة وفيها تبيان كلّ شيء، فقال الرسول ﷺ: هي في علم الله قليل، قد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، فأنزل الله ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان ٢٧/٣١)"[2].

## حوار النصارى مع الرسول ﷺ في الزعامة وإثبات الذات:

لم يكن للنصارى وجود يعتدّ به في مكة أو المدينة، وحوار الرسول ﷺ معهم كان يتمّ عن طريق وفودهم إليه ﷺ أو مكاتبته لهم، ولقد ذكرنا في الباب الأول أمر وفد النصارى الذين أسلموا[3]، أمّا نصارى نجران: فقد انتهى أمرهم إلى المباهلة ثم إلى دفع الجزية، والذي حال دون إسلامهم بعدما قامت الحجّة عليهم هو: الشرف والزعامة وحطام الدنيا، ويعترف بذلك أسقفهم وحبرهم وإمامهم: أبو حارثة في حديثه مع أخيه، قال ابن إسحق: "وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم، ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرّفوه وموّلوه، وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم. فلما توجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له يقال له: "كرز بن علقمة" يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال له كرز: تعس الأبعد يريد رسول الله ﷺ،

---

[1]- في عصور متأخرة أصبح اليهود يجارون المسلمين في أنّ رسالتهم خاتمة، كما ذهب إلى ذلك فيلسوفهم موسى بن ميمون، فقد جعل الركن التاسع من أركان الإيمان اليهودي: أنّ التوراة غير قابلة للتغيير، وأنه لن تكون شريعة أخرى سواها. انظر ص١٣ من هذه الرسالة وذهب إلى ذلك ابن كمونة حيث قال:"واعتقدوا أنّ الشريعة لا تنسخ ولا تبدّل بغيرها، لنصوص كثيرة جاءت في التوراة دالّة على ذلك" ابن كمونة: م.س، ص٢٧.

[2]- الطبري: م.س، مج٩، ج١٥، ص١٥٧. ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٣٠٨.

[3]- أنظر ص١٦٧ من هذه الرسالة.

فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست، فقال: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنه النبيّ الأمي الذي كنا ننتظره، فقال له كرز: فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم: شرّفونا، وموّلونا، وأكرمونا، وقد أبوا إلاّ خلافه، ولو فعلت نزعوا منّا كلّ ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتّى أسلم بعد ذلك"[١].

وكان من أمرهم في نهاية المطاف أن وادعوا الرسول ﷺ، ودفعوا الجزية وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلا أميناً، وكان ذلك، قال ابن كثير: "قال العاقب عبد المسيح: يا معشر النصارى لقد علمتم أنّ محمداً نبيّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قطّ فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلاّ إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أميناً، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح"[٢].

أمّا هرقل فما منعه من الإيمان بعد اقتناعه به إلاّ حب الرياسة والجاه، وخوفه من قومه على ملكه وسلطانه، فكان من أمره أن قرأ على من حوله كتاب رسول الله ﷺ، الذي دفعه إليه دحية الكلبي إلى أن قال: "هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له بروميّة، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتّى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبيّ ﷺ وأنه نبيّ. فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلّقت ثم اطّلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبيّ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلّقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردّوهم عليّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدّتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل"[٣]. وكذلك المقوقس، ملك مصر ما منعه من

---

[1]- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٥٧٣، ٥٧٤. ابن القيّم: زاد المعاد، ج٣، ص٦٢٧، ٦٢٨. ابن القيّم: هداية الحيارى، ص٢٧.

[2]- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص٤٩٨.

[3]- البخاري: م.س، ١ كتاب بدء الوحي، ١ باب بدء الوحي، ح٦.

الإيمان إلاّ أنّ ضنّ بملكه، قال ابن القيّم: وقال المقوقس لحاطب: "القبط لا يطاوعونني في اتّباعه، ولا أحبّ أن تعلم بمحاورتي إياك، وأنا أضنّ بملكي أن أفارقه، وسيظهر على بلادي، وينزل بساحتي هذه أصحابه من بعده، فارجع إلى صاحبك، وكتب كتاباً جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط سلام عليك، أمّا بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه وقد علمت أنّ نبيّاً بقي، وكنت أظنّ أنه يخرج من الشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك، ولم يزد. والجاريتان "ماريا وسيرين" والبغلة "دلدل"، قال حاطب: فذكرت قوله لرسول الله ﷺ قال: ضنّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه"[١].

وبذلك نرى أنّ الذي منع نصارى نجران وهرقل والمقوقس من الإيمان الرياسة والمأكلة. وفي ذلك يقول ابن القيّم: "فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمأكلة من اختيار الهدى، وآثروا دين قومهم، وإذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علماؤهم وأحبارهم، كان بقيتهم تبعاً لهم، وليس بمستنكر أن تمنع الرياسة والمناصب والمآكل الرؤساء، ويمنع الأتباع تقليدهم بل هذا هو الواقع، والعقل لا يستشكله"[٢]. وأمّا من لا رياسة له ولا مأكلة فقد آمنوا بالرسول ﷺ لا سيما إذا لم يوجد معوّقات إيمانية تحول دون إيمانهم. قال ابن القيّم: "إنّ أكثر من لا رياسة له ولا مأكلة قد آمن بالرسول ﷺ وصدّقه اختياراً لا اضطراراً، وأكثرهم أولو العقول والأحلام والعلوم ممن لا يحصيهم إلاّ الله، فرقعة الإسلام إنما انتشرت في الشرق والغرب بإسلام أكثر الطوائف، فدخلوا في دين الله أفواجاً حتّى صار الكفار معهم تحت الذلّة والصّغار، وإنّ الذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا، وأنه إنما بقي منهم أقلّ القليل، وقد دخل في دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله ﷺ خلق كثير، وهذا ملك النصارى على إقليم الحبشة في زمن النبيّ ﷺ لما تبيّن له أنه رسول الله

---

[1]- ابن القيّم: هداية الحيارى، ص٣٥، ٣٦.

[2]- ن.م، ص٢٧.

آمن به ودخل في دينه، ولما مات أعلم رسول الله ﷺ أصحابه في الساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر، ثمّ خرج بهم إلى المُصَلَّى وصلّى عليه "[١].

## الأسباب المانعة من قبول الحقّ:

ويلخص الإمام ابن تيمية الأسباب المانعة من قبول الحق فيقول: "فإنّ الإنسان قد يعرف أنّ الحقّ مع غيره، ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه، أو لطلب علوّه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه ويردّ ما يقول بكل طريقة، وهو في قلبه يعلم أنّ الحقّ معه، وعامة من كذّب الرّسل علموا أنّ الحقّ معهم وأنهم صادقون، لكن إمّا لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبّهم دينهم الذي كانوا عليه، وما يحصل لهم به من الأعراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتّباع الرّسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم، أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذّبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرّسل على الحقّ، ولهذا لا يذكر الكفار حجّة صحيحة تقدح في صدق الرسل وإنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم، كقولهم لنوح: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ (الشعراء ٢٦/١١١)، ومعلوم أنّ اتّباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه، ولكنْ كرهوا مشاركة هؤلاء، كما طلب المشركون من النبيّ ﷺ إبعاد الضعفاء كسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وخبّاب بن الأرت، وعمّار بن ياسر، وبلال ونحوهم"[٢]. ويقول ابن القيّم: "الأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً فمنها الجهل، وهذا هو السبب الغالب على أكثر النفوس، فإنّ من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإنْ انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحقّ ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى. وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل... ازداد المانع من قبول الحقّ قوّة، فإنّ هرقل عرف الحق وهمّ بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد أن تبين له الهدى. ومن أعظم هذه الأسباب الحسد،

---

[1]- ن.م، ص٢٣.

[2]- ابن تيمية: الإيمان، مج:٧، ص١٩١، ١٩٢.

فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضّل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد ينقاد له ويكون من أتباعه"[1].

## من الملأ الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا الأنبياء عليهم السلام:

إنّ الهدى والضلال بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس١٠/٩٩)، والعبد يبذل جهده لهداية الناس ووعظهم وإرشادهم، إلاّ أنه لا يستطيع إلزامهم وإجبارهم على الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى ٤٢/٥٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (القصص٢٨/٥٦).

والله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان القدرة على الاختيار: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد ٩٠/١٠)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان ٧٦/٣)، وبذلك ليس لأحد أن يقطع بعدم إيمان أحد، سواء كان من الملأ أو العامة، وأريد هنا أن أنتزع فكرة تأصلت في النفوس، وأصبحت من المسلّمات عند بعض الناس، وهي أن العداء لا ينفك أبداً بين الملأ والأنبياء وأتباعهم، فليس هذا الأمر على الإطلاق، ومع تسليمنا بوجود معوّقات إيمانية تحول دون دخول الملأ في دين الله، إلاّ أننا نجد ثمّة إستثناءات، ومن أجل ذلك أسجل وأسطر قائمة بأسماء بعض الملأ الذين آمنوا بالله وصدّقوا الأنبياء (عليهم السلام) على مرّ الزمان، ليُعْلَمَ أنّ القلوب إذا شرحت للإيمان، فلن يقف أمامها قوة ولا يمنعها شهوة ولا سلطان، ولذلك لا ينبغي لنا أن نقطع الأمل من إيمان أحد، ولنستمرّ في الحوار، وفي إقامة الحجّة على الدوام، وما أنبياء الله (عليهم السلام) إلاّ رسل من ربّ العالمين يبلّغون ما أنزل إليهم، ويحرصون على هداية أقوامهم، لكنّ بعض الملأ لم يستوعبوا الأمر، وظنّوا أن الإيمان يتعارض مع الحكم والسلطان، وهذا فهم خاطئ. وهذه قائمة بأسماء طائفة من الملأ الذين آمنوا بالله وصدّقوا الأنبياء (عليهم السلام):

---

[1]- ابن القيّم: هداية الحيارى، م.س، ص ١٦،١٧.

١- آل فرعون والأقباط: قال ابن كثير: "ولم يؤمن منهم إلاّ القليل، قيل ثلاثة: وهم امرأة فرعون، ولا علم لأهل الكتاب بخبرها، ومؤمن آل فرعون، الرجل الناصح الذي جاء يسعى من أقصى المدينة فقال: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (القصص ٢٨/٢٠)، قاله ابن عباس، ومراده غير السحرة فإنهم كانوا من القبط، وقيل: بل آمن به طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلّهم، وجميع شعب بني إسرائيل، ويدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ (يونس ١٠/٨٣)، فالضمير في قوله ﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ عائد إلى فرعون لأنّ السياق يدل عليه"[1].

٢- بلقيس ملكة سبأ: قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (النمل ٢٧/٤٤)، قال الدكتور صلاح الخالدي:" إنّ سبأ في زمن ملكتهم وصلوا مرحلة متقدمة من القوّة والغنى والرفاهة والنّعم ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (النمل ٢٧/٢٣)، بهذا العموم والشمول، وأنّ ملكتهم كانت تشاورهم في حكمها، ولكنّ القوم كانوا أتباعاً لها منفّذين لتوجيهاتها، وأنّ سليمان لما علم بها عن طريق الهدهد دعاها إلى الإيمان، وأعدّ لها مفاجآت عرفت منها ضعفها وعجزها وخللها، وأيقنت قوّته وتقدّمه، وعزَتْ هذا إلى دينه الصحيح، فدخلت فيه وأسلمت لله ربّ العالمين"[2].

٣- النجاشي (ملك الحبشة): قال الدكتور سعيد رمضان البوطي:" بعث الرسول ﷺ عمرو بن أميّة الضمري إلى النّجاشيّ، فأخذ كتاب رسول ﷺ فوضعه على عينيه ونزل من سريره، فجلس على الأرض تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته"[3]. وقال ابن القيّم: "ولما عرف النّجاشيّ أنّ عبّاد الصليب لا

---

[1]- ابن كثير: قصص الأنبياء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص٣٠٧. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٤٠٩.

[2]- د.الخالدي، صلاح عبد الفتاح: من قصص السابقين في القرآن، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، [د.م]، ج٣، ص٢٠٠،٢٠١.

[3]- د.البوطي، سعيد رمضان: فقه السيرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، [د.م]، ص ٣٣٩،٣٤٠.

يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده أسلم سراً، وكان يكتم إسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم... وقال النّجاشيّ: "أشهد بالله أنّه للنّبيّ الأمّيّ الذي ينتظره أهل الكتاب، وأنّ بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعياء براكب الجمل، وأنّ العيان ليس بأشفى من الخبر"(١).

٤- قيادات الأوس والخزرج: قال منير الغضبان:"واستطاع الدّبلوماسي الإسلامي الأول "مصعب بن عمير" ﷺ بحكمته وحصافته وذكائه السياسي بعد توفيق الله له أن يجرّ أكبر قيادات الأوس إلى الإسلام، أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وذلك خلال العام الجديد، ولم يبق في بني عبد الأشهل – رؤساء الأوس- رجل ولا امرأة ولا طفل إلاّ ودخل في الإسلام"(٢).

٥- المنذر بن ساوى (ملك البحرين): قال ابن إسحق: "وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدي، فأسلم وحسن إسلامه"(٣).

٦- جيفر وعمار صاحبي عُمان: قال ابن إسحق: "وبعث العلاء بن الحضرميّ إلى ابني الجلندي ملكي عمان فأسلما"(٤).

٧- ملوك حمير: قال ابن إسحق: "وقدم على رسول الله ﷺ ملوك حمير مَقْدَمَهُ من تبوك، ورسولهم إليه بإسلامهم، وهم الحارث بن كُلاّل، ونعيم بن عبد كُلاّل، والنعمان قيْل ذي رُعين، ومَعافر وهمدان، وبعث إليه زرعة ذو يزن: مالك بن مرة الرّهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله"(٥).

٨- طيء مع زيد الخيل: قال ابن إسحق: "وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء وفيهم زيد الخيل وهو سيّدهم، فلما انتهوا إليه كلّموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسموا وحسن إسلامهم"(٦).

٩- باذام عامل كسرى على اليمن: قال ابن كثير: "فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام، قال: إنّ هذا الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس، من كان منهم باليمن"(١).

---

[1]- ابن القيّم: هداية الحيارى، ص ٣٤.

[2]- الغضبان، منير محمد: م.س، ج١، ص ١٥٨.

[3]- ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص٥٧٦. الخضري بك، محمد: م.س، ص ١٤٤.

[4]- ابن كثير: السيرة النبوية، ج٣، ص٥١٥. ابن القيم: هداية الحيارى، ص٣٦. الخضري بك، محمد: م.س، ص ١٤٥

[5]- ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص٥٨٨. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٤، ص١٤٥.

[6]- ابن هشام م.س، القسم الثاني، ص٥٧٧. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٣، ص ١٢١،١٢٢.

١٠- فروة بن عمرو الجذامي (صاحب بلاد معان): قال ابن إسحق: "وبعث إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى إليه بغلة بيضاء، وكان عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتّى أخذوه فحبسوه عندهم، وضربوا عنقه وصلبوه رحمه الله"[٢].

١١- صرد بن عبد الله الأزدي: قال ابن إسحق: "وقدم على رسول الله ﷺ في وفد من الأزد، فأسلم وحسن إسلامه"[٣].

١٢- جرير بن عبد الله البجلي: قال ابن كثير: "عن جرير بن عبد الله، قال: بعث إلي رسول الله ﷺ، فقال: يا جرير لأي شيء جئت؟ قلت: أسلم، وعلى يديك يا رسول الله"[٤].

١٣- عديّ بن حاتم الطّائيّ: قال ابن القيّم: "وكان من رؤساء النصارى الّذين دخلوا الإسلام لما تبيّن له أنّه الحق، الرئيس المطاع في قومه "عديّ بن حاتم""[٥].

١٤- مالك بن عوف النضريّ: قال ابن إسحق: "وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف فقال: أخبروه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل، فلما بلغ ذلك مالكاً إنسلّ من ثقيف حتّى أتى رسول الله ﷺ، وهو بالجعرانة أو بمكة، فأسلم وحسن إسلامه، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل"[٦].

١٥- فروة بن مسيك المراديّ: وهو أحد رؤساء قومه، قال ابن إسحق: "وقدم فروة بن مسيك المراديّ، مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم إلى رسول الله ﷺ"[٧].

وبعد، فهذا غيض من فيض ممّن ملأ أقبلوا على دين الله، ولم يمنعهم الملك والسلطان من الإيمان، ومن أجل ذلك وللسبب الّذي ذكرت سجلت وسطرت هذه القائمة.

---

[1]- ابن كثير: السيرة النبوية، ج٣، ص ٥١٠.

[2]- ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص ٥٩١. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٤، ص ١٦٧، ١٦٨.

[3]- ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص ٥٨٧. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٤، ص ١١٤.

[4]- ن.م، ج٤، ص ١٥١.

[5]- ابن القيّم: هداية الحيارى، ص ٢٧. أنظر ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص ٥٨٠، ٥٨١.

[6]- ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص ٤٩١. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٣، ص ٦٨٣.

[7]- ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص ٥٨١. ابن كثير: السيرة النبوية، ج٤، ص ١٣٦.

## الخلاصــة

الملأ هم الملأ في أي زمان ومكان، يتولّون في الأغلب كبر مقاومة الأنبيــاء علــيهم السلام، ويستخدمون ذات الأساليب، من ترغيب وترهيب وبثّ للشّبهات، وصدّ عن ســبيل الله، والأنبياء وأتباعهم دوماً يلتزمون بثوابتهم، ويبلّغون رسالة ربّهم، والتاريخ يعيد نفسه، وكأنّ الأنبياء والملأ على مسرح يتعاقبون الأدوار، وكلما هلك جيــل، أتــى مــن يخلفــه وهكذا!!

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: "والملأ بأوصافهم وأخلاقهم، التي بيّنها القرآن الكريم، يوجدون في كل مجتمع، وفي كل زمان ومكان، ولهذا فهم يقفون غالباً في وجه كل دعوة إلى الله تعالى، ويحاربونها بدافع من الكبْر الذي يغشى نفوسهم، وبدافع حبّ الرياسة على الناس، وخوفهم من أن تسلبهم الدعوة الإصلاحية مركزهم ومكانتهم وترفهم، ومما يدلّ على بقاء الملأ في كل زمان ومكان، معارضين لكل دعوة طيّبة خيّرة، تريد الإصلاح وإيصال الناس إلى خالقهم. إنّ الدوافع التي دفعت الملأ من الأقوام الماضية إلى محاربة رسل الله والدعوة إليه، هي نفسها توجد في نفوس الكبراء والمترفين، فالكبْر يعلق في النفوس المريضة، والحرص على الرياسة والجاه والمنزلة موجود في النفوس، وإنما ينقمع بالإيمان، والجهل يخيّم على مثل هذه النفوس، التي تعشق العلوّ في الأرض والترف في الحياة "[1] وليس هذا الكلام على الإطلاق، فلا بد من استثناءات، كما دللت على ذلك بعديد من الأمثلة، وبيّنت كيف أقبل جمّ غفير من الملأ على دين الله، واتّضح لنا أنّ الأسباب المانعة للإيمان كثيرة ومتعددة، ومنها الحسد والكبْر وحبّ الرياسة والجاه، وطلب العلوّ وهوى النفس والحمية الجاهلية، والجهل، والخوف على النفس وعلى المصالح الحياتية.

وأمّا عامة الناس فإنّهم يقبلون على دين الله، لسلامة فطرتهم، ولخلوّهم من المعوّقات الإيمانية، التي تحول دون إيمانهم، كالكبْر وحبّ الرياسة والجاه والتسلّط،

---

1- د. زيدان عبد الكريم: م.س، ص٣٨٨، ٣٨٩.

والأنفة من الانقياد لغيرهم، شريطة أن تتوفر لهم البيئة الطيّبة، وأن يعطوا الحريّة الكافية للتديّن، بعيداً عن الإكراه، والتخويف، والتهديد، والترغيب، ومكر الليل والنهار، وحملات التشكيك التي تشوّه صورة الرسول والرسالة.

# الفصل الثاني

## حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ في العادات والتقاليد

**تمهيـــد:**

الأنبياء مبعوثون من الله جلّ في علاه للثقلين، يبلّغونهم رسالة ربهم، ويعلّمونهم ويـــدلّونهم على الخير، ويبشّرونهم وينذرونهم، ويقرّون الحــقّ ويباركونـــه، ويـــصحّحون المعـــوجّ ويقوّمونه. وإنّ المعضلة الكبرى التي واجهت الأنبياء (علـــيهم الـــسلام)، فـــي حـــوارهم لأقوامهم على مرّ الزمان، هي الممارسات الاجتماعية والعادات والتقاليد التي ورثوها عن آبائهم، وتعوّدوا عليها وألفوها، حتّى أصبحت جزءاً من حياتهم، وكأنّها دين يـــدينون بـــه ويصعب عليهم أن يتنازلوا عنه.

وإنّ أوّل ما تشبّث به الملأ، وسَهُلَ عليهم أن يخدعوا به شعوبهم هو: التظاهر بالتخوّف على العادات والتقاليد دين الآباء والأجداد، وما من نبيّ إلاّ واجهه قومه بهذه الشبهة، ولذلك نرى الفئات المستفيدة من ثبات الوضع، تتشبث بما هي عليه وتعتبر الدين الحقّ ثورة على دين الآباء والأجداد.

وفي هذا الفصل سنرى مدى تشبّث الملأ وأقوامهم من خلفهم بالعادات والتقاليد ومدى تغلغلها وتجذّرها فيهم، وسنرى منهجيّة الرسالات في التعامل معها، هل قاومتها وحاربتها؟ أم هل أعرضت عنها ولم تعبأ بها؟ وهل قامت الشرائع بتجسيد عادات وتقاليد جديدة؟

وسأقتصر على بضعة نماذج من ممارسات اجتماعية وعادات وتقاليد قامت الديانة بمعارضتها ومقاومتها، أو عملت هي على تجذيرها، وبذلك فلن أقوم باستقصائها جميعاً وإنما آتي بما يتّضح به الأمر وتقوم به الحجّة، وبالله المستعان وعليه التّكلان.

**تمهيـد:**

إنّ ملأ موسى عليه السلام في العادات والتقاليد فرعون وبنو إسرائيل، فبم تشبّث فرعون؟ وبم تشبّث بنو إسرائيل؟ وماذا جسّدت التوراة من عادات وتقاليد في بني إسرائيل؟

إنّ التوراة تفتقر إلى وجود حوار ديني بين موسى عليه السلام وفرعون، فلا نجد مادّة تشكّل حواراً في العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية وإنّما جاءت التوراة لتجسّد عادات وتقاليد جديدة سنقف على بعض منها. فلا بدّ إذاً من إكمال هذه الثغرة من خلال القرآن الكريم.

**حوار موسى عليه السلام في العادات والتقاليد من خلال القرآن الكريم:**

لمّا بعث الله موسى وهارون (عليهما السلام) إلى فرعون وملئه، ما كان منهم إلاّ أن ردّوا الرسالة ورفضوها، واتهموهما بالسّحر، ثم تظاهروا بالحفاظ على المكتسبات والموروثات الدينية، والتمسّك بدين الآباء والأجداد، واتّهموا موسى وهارون (عليهما السلام) بأنهما ينشدان الكبرياء والزعامة والرياسة، فأسقطوا ما يعانون منه عليهما، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ١٠/٧٥-٧٨). قال السعدي: "قالوا لموسى، رادّين لقوله بما لا يردّ بـه: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ أيّ: أجئتنا لتصدنا عمّا وجدنا عليه آباءنا من الشرك وعبادة غير الله، وتأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له؟ فجعلوا قول آبائهم الضالّين حجّة يردّون

بها الحقّ الذي جاءهم به موسى عليه السلام. وقوله: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: وجئتمونا لتكونوا أنتم الرؤساء ولتخرجونا من أراضينا.

وهذا تمويه منهم، وترويج على جهّالهم، وتهييج لعوامّهم، على معاداة موسى عليه السلام وعدم الإيمان به. وهذا لا يحتجّ به من عرف الحقائق، وميّز بين الأمور، فإنّ الحجج لا تدفع إلاّ بالحجج والبراهين. وأمّا ما جاء بالحقّ فردّ قوله بأمثال هذه الأمور، فإنّها تدلّ على عجز موردها عن الإتيان بما لا يردّ القول الذي جاء خصمه، لأنّه لو كان له حجّة لأوردها ولم يلجأ إلى قوله: قصدك كذا، أو مرادك كذا، سواء كان صادقاً في قوله وإخباره عن قصد خصمه أم كاذباً. مع أنّ كلّ من عرف حال موسى عليه السلام وما يدعو إليه عرف أنّه ليس له قصد في العلوّ في الأرض، وإنّما قصده كقصد إخوانه المرسلين، هداية الخلق وإرشادهم لما فيه نفعهم. ولكنّ حقيقة الأمر كما نطقوا به بقولهم: ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: تكبّراً وعناداً، لا لبطلان ما جاء به موسى وهارون ولا لاشتباهٍ فيه، ولا لغير ذلك من المعاني سوى الظلم والعدوان، وإرادة العلوّ الذي رموا به موسى وهارون (عليهما السلام)[1].

وفي موضع آخر من سورة طه: يدفع فرعون وملأه ما جاء به موسى وهارون (عليهما السلام) بأنهما ساحران يريدان بسحرهما أن يذهبا بما هم عليه من طريقةٍ وصفوها بأنها مثلى، ليس لشيء إلاّ لأنهم بسببها يرتزقون، ويأكلون، ويستعبدون غيرهم، قال تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ (طه ٢٠/٦٣). قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾: قال مجاهد: أولي العقل والشرف والأنساب. وقال آخرون: ويغيّروا سننكم ودينكم الذي أنتم عليه، من قولهم: فلان حسن الطريقة. وقال ابن زيد: يذهب الذي أنتم عليه: يغيّرا ما أنتم عليه، وقرأ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (غافر ٤٠/٢٦). قال: هذا قوله:﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾

[1]- السعدي، م.س، ج٣، ص٣٧٨، ٣٧٩ .

وقال: يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة فإذا غيّرت ذهبت هذه الطريقة[1]، وفي سورة القصص: أضافوا لدفوعهم السابقة دفعاً جديداً، وذكروا أنّ ما أتى به موسى عليه السلام سابقة جديدة لا مثال لها يشهد لصحتها في آبائهم الأولين مرجعيتهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(القصص٢٨/٣٦). قال السعدي: ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (القصص٢٨/٣٦). وقد كذبوا في ذلك، فإنّ الله أرسل يوسف قبل موسى كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (غافر٤٠/٣٤)[2]. وفي سورة غافر بلغت الحمية في فرعون فاستشار من حوله في مشروع استصدار قرار بقتل موسى عليه السلام، دفعاً للفساد، وحفاظاً على دين الآباء والأجداد، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (غافر٤٠/٢٦).

التوراة والعادات والتقاليد:

لقد تجذّرت عادة عبادة الأصنام في بني إسرائيل وأحبوها من كلّ قلوبهم، حتّى بلغ بهم الأمر أن أُشربوا في قلوبهم حبّ العجل، وقد ملئت صفحات التوراة بتحذير بني إسرائيل من عبادة الأصنام أو اتخاذ آلهة أخرى، وما ذكرناه في المبحث الأول من الفصل الأول من الباب الثاني في حوار موسى عليه السلام مع الملأ في التوحيد يغني عن إعادة ذكره.

وبعيداً عن عبادة الأصنام التي حاربتها التوراة بشدّة، نجد أنّ التوراة أصّلت عديداً من العادات والتقاليد في بني إسرائيل حتّى أصبحت نمطاً اجتماعياً يتميّز به اليهود ويحافظون بموجبه على نظامهم الاجتماعي. يقول ريتشارد فرانس: "وجدت الشريعة

---

1- الطبري، م.س. مج٩، ج١٦، ص١٨٢، ١٨٣.

2- السعدي، م.س، ج٣، ص٣٧٨، ٣٧٩.

والتقاليد في إسرائيل منذ زمن موسى، لكنّ التشديد على دراستها ابتدأ مع (عزرا) في القرن الخامس قبل الميلاد بعد سبي بابل الذي رأى فيه الأنبياء دينونة على عصيان الشعب لله، وصار الشعب يعرف فيما بعد (بشعب الكتاب)، وقد نتج عن هذه الدراسة المكثفة للشريعة مجموعة متزايدة من التقاليد صارت فيما بعد إلزامية كالشريعة عينها، وبرز دور الكتبة المتخصصين في دراسة الشريعة وتفسيرها، وصار الناس يلجأون إليهم للاستفسار عن القوانين المرتبطة بكل ظرف، فكان هناك مثلاً تسعة وثلاثون نوعاً من النشاطات الممنوع ممارستها يوم السبت، فالحصاد ودرس الحبوب كانا ممنوعين، وهذا يشمل قطف سنابل القمح وفركها باليدين (لوقا ٦: ١،٢) أما المسافة المسموح اجتيازها يوم السبت فلا تزيد على كيلومتر واحد (أعمال ١: ١٢) ومن المؤسف أنّ الكتبة في سعيهم المفرط للحفاظ على التقاليد بكل تفاصيلها نسوا تعاليم الشريعة الأساسية (مرقس ١:٧-١٣، ٣: ٤،٥، متى ٢٣: ٢٣)[1]، وهذه بعض النماذج من العادات والتقاليد اليهودية:

١. <u>قدسية يوم السبت:</u>

جاء في قاموس الكتاب المقدس:" سبت كلمة عبرانية معناه راحة، وقد بدأ التفكير في يوم السبت على أنه اليوم الذي يترك فيه الإنسان أشغاله المادية حتّى يستريح، وذلك تذكاراً لليوم السابع من الخليقة، لذلك بارك الله يوم السبت وقدّسه لأنّه فيه استراح الربّ من جميع أعماله والعياذ بالله"!!

(تكوين ٢: ١-٣). وجاء في سفر "الخروج ٢٠: ٨-١١": "يجب أن نستريح في اليوم السابع لأن الله استراح فيه من الخليقة، وقد منع الله نزول المنّ لإسرائيل في اليوم السابع حتّى يستريحوا"، (خروج ١٦: ٢٢-٣٠)، ثم تطّور التفكير في يوم السبت حين أمر الله في الوصية الرابعة بحفظ السبت ( لأنّ الله بارك يوم السبت وقدّسه )، وأمر الله أن يستريح الإنسان والحيوان ونزيل البيت في السبت لا لأنه استراح فيه فحسب، بل لأنه باركه وقدّسه أيضاً، وعلى هذا فإنّه عندما كسر أحد اليهود السبت قتلوه بدون رحمة

[1]- ريتشارد، فرانس، م.س. ص٤٩٤.

(عدد١٥: ٣٢-٣٦). ومن هنا نرى أن يوم السبت كان يوماً واضح المعالم، مرعباً في إسرائيل من الجانب الديني للعبادة، ومن الجانب الاجتماعي لإراحة المشتغلين والعبيد (تثنية ٥: ١٢-١٥ ).

وقد بقي اليهود يحفظون حرقة يوم السبت بمواظبة حتّى تطّرفوا في ذلك فحفظوه حفظاً حرفياً أحياناً وخلطوه بعبادة الأوثان أحياناً أخرى، فأرسل لهم الله الأنبياء ليرشدوهم إلى حفظ السبت حفظاً روحياً، حسب رغبة الله (٢ ملوك ٤: ٢٣ وعاموس ٨: ٥ وهوشع٢: ١١ وأشعياء ١: ١٣ وحزقيال ٤٦: ٣) وفي فترة السبي التي قضاها اليهود في بابل نسوا حفظ السبت، فبدأ رجال الله يشدّدون على حفظه بعد العودة إلى كنعان، وجاهد (نحميا) جهاد الأبطال ليعيد إلى يوم السبت مكانته القديمة (نحميا ١٠: ٣١ و١٣: ١٥-٢٢). وفي فترة ما بين العهدين انتشرت مجامع اليهود، فكانوا يقضون يوم السبت في دراسة الناموس، وفي الراحة من أشغالهم العالمية، وقد شدّدوا في حفظ يوم السبت حتّى أنهم لم يرفعوا سلاحاً ضدّ مهاجميهم في اليوم المقدس، فأهلك المهاجمون كثيراً منهم (١ مكابيين ٢: ٢٩-٣٨). ولكنهم عادوا وتجاوزوا عن الحرب يوم السبت للدفاع عن النفس في حالة الهجوم عليهم (١ مكابيين ٢: ٣٩-٤١). وفي الفترة الواقعة بين (عزرا) والمسيح زاد اليهود عدداً من القوانين التقليدية التي يجب حفظها يوم السبت، تاركين الرحمة والحقّ التي هي الأمور الرئيسة الواجبة فيه"[١].

وفي حفظ السبت وعقوبة من يقوم فيه بعمل، جاء في الخروج:" وخاطب الربّ موسى: قل لبني إسرائيل: احفظوا أيام سبوتي لأنها علامة العهد الذي بيني وبينكم، على مرّ الأجيال، لتعلموا أني أنا الربّ الذي يقدّسكم. احفظوا يوم السبت لأنه مقدّس لكم. من يدنّسه حتماً يمت. فكل من يقوم فيه بعمل تستأصل تلك النفس من بين قومها. في ستة أيام تعملون، أما يوم السبت فهو يوم عطلة مقدّسة للربّ. كل من يقوم بعمل في يوم السبت يقتل حتماً. ليحفظ بنو إسرائيل السبت ويحتفلوا به في كل أجيالهم عهداً أبدياً. هو بيني

[1]- د. عبد الملك، بطرس ومن معه: م.س، ٤٥٣، ٤٥٤.

وبين بني إسرائيل علامة عهد إلى الأبد، لأنه في ستة أيام صنع الربّ السماء والأرض، وفي اليوم السابع فرغ من العمل واستراح"[1].

وفي شرائع يوم السبت جاء في سفر الخروج: "وعقد موسى اجتماعاً لكل شعب إسرائيل وقال لهم: هذه هي الأمور التي أوصى الربّ أن تطيعوها ستة أيام تصرفون إلى أعمالكم. أما السابع فيكون يوم الراحة لكم مقدساً لعبادة الربّ. كل من يقوم فيه بأي عمل يقتل. لا توقد ناراً في بيوتكم في يوم السبت"[2].

وجاء القرآن الكريم فكذّبهم فيما قالوا من أن الله استراح في اليوم السابع، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (ق ٥٠/٣٨)، قال ابن كثير في قوله تعالى﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾: أي من إعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ (الأحقاف ٤٦/٣٣)"[3]. وقال الواحدي: "قال الحسن وقتادة: قالت اليهود: إنّ الله خلق الخلق في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى هذه الآية[4]. ونقل الواحدي" عن ابن عباس: أنّ اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وما فيهنّ من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة الآجال حتّى يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كلّ شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم، وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى

---

1- خر ٣١: ١٢-١٧.

2- خر ٣٥: ١-٣.

3- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٣٠.

4- الواحدي، م.س، ص٢٢٦.

على العرش، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فنزلت ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ. . .﴾ الآية.

الختان والسبت:

استثنت اليهودية الختان من المنع يوم السبت، بحجّة أنه فرض قبل تحريم العمل فيه، وقد فتح هذا الاستثناء باباً للإعتراض عليهم، وقد أورد هذا الاعتراض ابن كمونة فقال: "الاعتراض الخامس: إنّ التوراة تنطق بإيجاب الختان في اليوم الثامن من الولادة، وبتحريم الصنائع العملية في يوم السبت، وأحد الفرضين ينسخ الآخر إذا اتفق ثامن الولادة يوم السبت"[١]. قال: وجوابه: وأما فريضة الختان والسبت فالختان إيجابه أسبق من إيجاب السبت، فعلم من ذلك أنه حيث حرّمت الأعمال الصناعية في السبت كان الختان مستثنى، فلا نسخ، وحلّ أمثاله من التوراة لا يخفى على ذي بصيرة"[٢]، فإن كانت العقلية اليهودية تقبل الاستثناءات وما عدمت المبررات، فهل ستجدها لعيسى عليه السلام، عندما عالج المرضى يوم السبت وشفاهم، وعندما فرك تلامذته السنابل وأكلوها، وقد كانوا جياعاً؟ وفي المبحث التالي نرى ردّة فعل اليهود عندما قام عيسى عليه السلام وتلامذته بتلك الاستثناءات.

٢. *تقديم القرابين واللحم المشوي:*

ملئت صفحات التوراة بالحديث عن القرابين والمحرقات، وحبّ الله لها، وبيان أحكامها ونصيب الكهنة منها، جاء في سفر التكوين: "وبنى نوح مذبحاً للربّ، ثم اختار بعضاً من جميع البهائم والطيور الطاهرة، وقرّبها محرقات على المذبح، فتقبّلها الربّ برضى، وقال في نفسه: لن ألعن الأرض مرّة أخرى من أجل الإنسان"[٣]. ثمّ رتّبت التوراة ذبيحة خطيئة لواحد من العامة إن اقترف نواهي الربّ[٤]، أو صمت عندما

---

[1]- ابن كمونة، سعد بن منصور: م.س، ص٤٦.

[2]- ن.م، ص٤٧.

[3]- تك ٨: ٢٠-٢١.

[4]- لا ٤: ٢٧-٣٥.

استحلف[١] أو تعدّى على واحد من أقداس الربّ[٢]. ورتّبت الذبيحة جدياً على أحد قادة الشعب إن اقترف نواهي الربّ[٣]. ورتبت على الشعب بمجموعه ثوراً إن اقترفوا نواهي الربّ[٤]. وأمّا نصيب الكهنة وفق ما جاء في سفر اللاّويين فهو "وتقدمون الساق اليمنى من ذبائح سلامتكم إلى الكاهن نصيب له"[٥]، وحتّى المرأة بعد الولادة لا تطهر من نزيفها حتّى تحضر حملاً حولياً وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة للكاهن، ولا يتجاوز عن المرأة الفقيرة أبداً، فلا بدّ من أن تقدّم شيئاً، وليكن يمامتين أو فرخي حمام[٦]. ولسائل أن يسأل: أي خطيئة ارتكبت تلك المسكينة عندما وضعت حملها حتّى تكلف بهذه الأعباء المالية؟ أما كان على الكاهن وأمثاله أن يقدّم لها ولأمثالها المساعدة المالية الممكنة، أو يقوم بحثّ الناس على مساعدتها بدلاً من ابتزازها؟ وما هذه إلاّ نماذج بسيطة للقرابين والمحرقات التي ملأت صفحات التوراة.

### ٣. المرأة في التقاليد التوراتية:

تذهب التوراة بداية إلى تحميل المرأة مسؤولية غواية آدم عليه السلام، ومن ثمّ طردهما من الجنّة، جاء في سفر التكوين: "هل أكلتَ من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها؟ فأجاب آدم: إنّها المرأة التي جعلتها رفيقة لي، هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة فأكلت"[٧]. بينما نجد القرآن الكريم يجعل المسؤولية مشتركة بينهما، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (البقرة٢/٣٥-٣٦).

---

1- لا ٥: ١-١٣.

2- لا ٥: ١٤-١٩

3- لا ٤: ١٣-٢١.

4- لا ٤: ٢٢-٢٦.

5- لا ٧: ٣٢.

6- لا ١٢: ٦-٨.

7- تك ٣: ١٢.

وتنظر التوراة إلى المرأة كمخلوق شرير، ينعدم فيها الخير، جاء في الجامعة:" فتفحصت قلبي لأعلم وأبحث وأنشد الحكمة وألتمس جواهر الأشياء وأعرف جهالة الشرّ، وحماقة الجنون، فوجدت أنّ المرأة التي قلبها أشراك وشباك، ويداها قيود، وهي أمرّ من الموت، ومن يرضي الله يهرب منها، أمّا الخاطئ فيقع في أشراكها. إليك ما وجدته: أضف واحداً إلى واحد لتكتشف حاصل الأشياء التي ما برحت نفسي تبحث عنها من غير جدوى، وجدت صديقاً واحداً بين ألف رجل، وعلى امرأة واحدة (صدّيقة) بين الألف لم أعثر"[١]. وخطيئة المرأة جعلت ترنيمة يتغنى بها، جاء في المزامير: "ها إني في الإثم ولدت، وفي الخطيئة حبلت بي أمي"[٢].

يقول عبد الأمير منصور الجمري معلقاً على هذه الأقوال: "المرأة عند العبرانيين أمرّ من الموت، لأنّها كما يعتقدون شباك وقلبها أشراك ويداها قيود، لذلك كانت عندهم تباع بيع الرقيق، والمهر الذي يدفعه الزوج يعتبر ثمناً لها، ولما ألغى رؤساء دينهم بيعها أوجبوا عليها أن تدفع لمن يتزوجها ما يرضيه من المال، وإلاّ بقيت من غير زواج، وللمرأة أحكام جائرة في أسفار التوراة الرائجة لا سيما التثنية، فهي توجب على الرجل أن يتزوج امرأة أخيه الميت بالرغم عنه وعنها، وتحرم المرأة من الإرث بوجود الولد، ولا تقبلها في الوظائف الدينية بتاتاً، ولا تقبل شهادتها ولا يعتدّ بنذرها ولا قسمها إلاّ بأن يثبت ذلك الرجل"[٣]. أمّا المرأة الفاضلة في العقلية التوراتية فهي أمة تعمل في خدمة زوجها، وتكدح من أجل راحته، وهو يجلس بين وجهاء البلد لا عمل له إلاّ الجلوس في الطرقات، جاء في سفر الأمثال: "من يعثر على المرأة الفاضلة؟ إنّ قيمتها تفوق اللآلئ، بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى ما هو نفيس، تسبغ عليه الخير دون الشرّ كلّ أيام حياتها، تلتمس صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين، فتكون كسفن التاجر الّتي تجلب طعامها من بلاد نائية، تنهض والليل ما برح مخيّماً لتعدّ طعاماً لأهل بيتها، وتدبّر أعمال جواريها، تتفحّص حقلاً وتشتريه، ومن مكسب يديها تغرس كرماً تُنَطِّقُ حقويها بالقوة وتشدّد ذراعيها،

---

1- جا ٧: ٢٥-٢٨.

2- مز ٥١: ٥.

3- الجمري، عبد الأمير منصور: المرأة في ظلال الإسلام، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط٤، ١٩٨٦، ص٤١.

وتدرك أن تجارتها رابحة، ولا ينطفئ سراجها في الليل، تقبض بيديها على المغزل وتمسك كفاها بالفلكة، تبسط كفيها للفقير وتمدّ يديها لإغاثة البائس، لا تخشى على أهل بيتها من الثلج، لأنّ جميعهم يرتدون الحلل القرمزية، تصنع لنفسها أغطية موشّاة، وثيابها محاكة من كتّان وأرجوان، زوجها معروف في مجالس بوابات المدينة، حيث يجلس بين وجهاء البلاد، تصنع أقمصة كتّانية وتبيعها، وتزوّد التاجر الكنعانيّ بمناطق، كساؤها العزّة والشرف وتبتهج بالأيام المقبلة، ينطق فمها بالحكمة، وفي لسانها سنّة المعروف، ترعى بعناية أهل بيتها، ولا تأكل خبز الكسل، يقوم أبناؤها ويغبطونها، ويطريها زوجها أيضاً قائلاً: "نساءٌ كثيرات قمن بأعمال جليلة لكنك تفوقت عليهنّ جميعاً"، الحسن غِشٌّ والجمال باطل، أما المرأة المُتّقيةُ الربّ فهي التي تمدح، أعطوها من ثمر يديها ولتكن أعمالها مصدَرَ الثناء عليها"[1].

## نجاسة المرأة وشريعة تطهيرها:

تعاملت التوراة مع المرأة، على أنّها مخلوق نجس لا سيما فترة الحيض وكلّ من يلمسها ينجس سبعة أيام، جاء في سفر اللاويين: "وإذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون في طمثها، وكلّ من يلمسها يكون نجساً إلى المساء. كلّ ما تنام عليه في أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجساً وكلّ من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحمّ بماء ويكون نجساً إلى المساء وكلّ من مسّ متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحمّ بماء، ويكون نجساً إلى المساء. وكلّ من يلمس شيئاً كان موجوداً على الفراش أو على المتاع الذي تجلس عليه يكون نجساً إلى المساء وإن عاشرها رجل وأصابه شيء من طمثها يكون نجساً سبعة أيام، وكلّ فراش ينام عليه يصبح نجساً"[2].

أمّا شريعة تطهيرها بعد الولادَة فهي أكثر تعقيداً، وثمة فرق بين أن تلد ذكراً أو أنثى، ولا بدّ في كلتا الحالتين، من تقديم ذبيحة خطيئة للكاهن، فإن لم تجد لفقرها، فلتأت بحمامتين أو جمامتين، لتطهر من نزيفها! جاء في سفر اللاويين: "وقال الربّ لموسى:

---

1- مثل ٣١: ١٠-٣١.

2- لا ١٥: ١٩-٢٤.

أوص بني إسرائيل إذا حملت امرأة ذكراً، تظلّ الأمّ في حالة نجاسة سبعة أيام كما في أيام فترة الحيض. وفي اليوم الثامن يجري ختان الطفل. وعلى المرأة أن تبقى ثلاثة وثلاثين يوماً أخرى إلى أن تطهر من نزيفها فلا تمسّ أيّ شيء مقدّس ولا تحضر إلى المقدّس، إلى أن تتمّ أيام تطهيرها، وإن ولدت أنثى فإنّها تظلّ في حالة نجاسة مدة أسبوعين كما في فترة الحيض، وتبقى ستة وستين يوماً حتّى تتطهر من نزيفها. وعندما تكتمل أيام تطهيرها سواء ولدت ذكراً أم أنثى، تحضر حملاً حولياً تقدمه محرقة، وكذلك فرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة، إلى مدخل خيمةِ الاجتماع إلى الكاهن، فيقربها أمام الربّ ويكفّر عنها فتتطهر من نزيفها. هذه هي الشريعة الخاصة بكل أم بعد الولادة، وإن كانت الأمّ أفقر من أن تقدم حملاً، فلتأت بيمامتين أو فرخي حمام، فيكون أحدهما محرقة والآخر ذبيحة خطيئة فيكفّر بهما عنها الكاهن وتطهر"[١].

## شريعة المرأة الأسيرة:

إذا وقعت المرأة أسيرة بين يدي اليهود، وفق شريعة التوراة، فالذلّ والصغار يلمّ بها ويشملها، جاء في سفر التثنية: "إذا ذهبتم لمحاربة أعدائكم، وأظفركم الربّ إلهكم بهم، وسبيتم منهم سبياً. وشاهد أحدكم بين الأسرى امرأة جميلة الصورة. فأولع بها وتزوجها، فحين يدخلها إلى بيته يدعها تحلق رأسها وتقلّم أظفارها. ثم ينزع ثياب سبيها عنها ويتركها في بيته شهراً من الزمان تندب أباها وأمها، ثم بعد ذلك يعاشرها وتكون له زوجة، فإن لم ترقه بعد ذلك. فيطلقها لتذهب حيث تشاء، لا يبيعها بفضة أو يستعبدها، لأنه قد أذلها"[٢].

---

[1]- لا ١٢: ١-٨.

[2]- تث ٢١: ١٠-١٤.

## أحكام في الزواج والطلاق والميراث:

إن أحكام التوراة قاسية في الطلاق، فإذا ما وقع الطلاق، فلا فرصة للمراجعة بعده، ولو طلّقت من زوجها الثاني أو مات عنها، لأنها تكون قد تنجّست، ولا بدّ عند إيقاع الطلاق من إعطاء الزوجة كتاب الطلاق وصرفها من بيت الزوجية، جاء في سفر التثنية: "إذا تزوج رجل من فتاة ولم ترق له بعد ذلك لأنه اكتشف فيها عيباً ما، وأعطاها كتاب طلاق وصرفها من بيته فتزوجت من رجل آخر بعد أن أصبحت طليقة، ثم كرهها الزوج الثاني وسلّمها كتاب الطلاق وصرفها من بيته أو إذا مات هذا الزوج، فإنه يحظر على زوجها الأول الذي طلقها أن يتزوجها مرة أخرى بعد أن تنجست. لأنّ ذلك رجس لدى الربّ"[1].

وإذا مات أخ وترك زوجة من غير أن ينجب، فعلى أخيه الذي يسكن معه أن يتزوج من امرأته، فإذا أنجبت فإنّه يحمل بكرها اسم الأخ الميت، وإن أبى زواجها، شُنّع عليه أمام شيوخ المدينة، جاء في سفر التثنية: "إذا سكن إخوة معاً ومات أحدهم من غير أن ينجب ابناً، فلا يجب أن تتزوج امرأته رجلاً من غير أفراد عائلة زوجها. بل ليتزوجها أخو زوجها ويعاشرها، وليقم نحوها بواجب أخ الزوج، ويحمل البكر الذي تنجبه اسم الأخ الميت فلا ينقرض اسمه من أرض إسرائيل. وإن أبى الرجل أن يتزوج امرأة أخيه، تمضي المرأة إلى بوابة شيوخ المدينة وتقول: قد رفض أخو زوجي أن يخلد اسماً لأخيه في إسرائيل، ولم يشأ أن يقوم نحوي بواجب أخ الزوج. فيدعوه شيوخ المدينة ويتداولون معه في الأمر، فإن أصرّ على الرفض وقال: لا أرضى أن أتزوجها. تتقدم امرأة أخيه إليه على مرأى من الشيوخ، وتخلع حذاءه من رجله وتتفل في وجهه قائلة: هذا ما يحدث لمن يأبى أن يبني بيت أخيه. فيدعى في إسرائيل: بيت مخلوع النعل"[2].

وإذا تزوج رجل من فتاة وادعى أنها غير عذراء، يعرض أبوها الأمر على شيوخ المدينة مع دليل عذراويتها، فإن ثبت براءتها، فرض على زوجها غرامة مالية – مائة

---

[1]- تث ٢٤: ١-٤.

[2]- تث ٢٥: ٥-١٠.

قطعة من الفضة–، وتكون له زوجة مدى حياته لا يطلقها، وإن ثبتت التهمة رجمت باب بيت أبيها[1].

وأما في الميراث فإنّ المرأة تحرم من التركة إن كان لها إخوة فإن لم يكن لها إخوة، ورثت أباها شريطة أن تتزوج من سبط أبيها، مخافة أن تتحول التركة إلى سبط آخر، وإنها لنظرة أنانية! جاء في سفر العدد: "وهذا ما أمر به الربّ بشأن بنات (صلفحاد) ليتزوجن من حسن في أعينهن، بشرط أن يكون من سبط آبائهن، فلا يتحوّل ميراث بني إسرائيل من سبط إلى آخر، بل يظل كلّ سبط محتفظاً بميراث آبائه. فكل فتاة ورثت نصيباً من سبطها، تتزوج واحداً من أبناء عشيرة سبط أبيها لكي يرث كل واحد من بني إسرائيل نصيب آبائه. فلا ينتقل ميراث سبط إلى سبط آخر، بل يظل كل سبط محتفظاً بميراثه"[2].

٤– عادة تحرير العبيد في التقاليد التوراتية:

تتعامل التوراة بعنصرية واضحة، فهي تميّز بين العبراني وغيره، ومن ذلك تحرير العبيد، فتمارس نوعاً من الإذلال تجاههم، وتحطّ من قدرهم، وتعاملهم معاملة البهائم، فتثقب آذانهم في بعض الحالات، جاء في سفر التثنية: "إذا اشتريت عبرانياً أو عبرانية وخدمك ست سنوات، ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك. لا تطلقه صفر اليدين. بل زوّده مما باركك الربّ إلهك به، من غنم وحنطة وزيت... ولكنْ إن قال لك العبد: إني لا أريد أن أتركك. لأنه قد أحبّك، وأحبّ بيتك، وتمتّع بالخير عندك. فخذ مثقباً واثقب به أذنه أمام قضاة المدينة، فيصبح لك عبداً مدى حياته، وكذلك تفعل بأمتك، لا يصعب عليك إطلاقه حرّاً من عندك، لأنه قد خدمك في ست سنوات بما يعادل ضعفي أجرة الأجير، وبذلك يباركك الربّ إلهك من كلّ ما تعمله"[3].

---

[1]– انظر تث ٢٢: ١٣–٢١.

[2]– عد ٣: ٦–٩.

[3]– تث ١٥: ١٢–١٨.

٥. الرّبا في التقاليد التوراتية:

إنّ الازدواجية والتعامل بمعيارين اثنين مبدأ راسخ في التوراة، ففي الوقت الذي تحرّم فيه التعامل بربا مع اليهودي، تجعله مباحاً مع غيره، جاء في سفر التثنية: "لا تتقاضوا فوائد عمّا تقرضونه لإخوانكم من بني إسرائيل، سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أي شيء آخر. أما الأجنبي فاقرضوه بربا. إنما إياكم إقراض أخيكم بفائدة"(١)، وجاء في سفر التلمود: "مسموح غشّ الأممي(٢)، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، لكنْ إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه!!"(٣)، وكتب "ميموند": "أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي وأن لا نقرضه شيئا، إلاّ تحت الشرط (أي الربا) وبدون ذلك نكون ساعدناه مع أنه من الواجب علينا ضرره، ولو أنه هو قد ساعدنا في هذه الحالة، بأخذنا منه الفوائد والربا، أما الربا فمحرّم بين الإسرائيليين بعضهم لبعض، وادّعى بعض الحاخامات أن أقوال موسى بخصوص الربا صدرت بصيغة الأمر"(٤).

٦. عادة الأشياء المفقودة في الشريعة اليهودية:

جاء في التلمود: "إنّ الله لا يغفر ذنباً ليهودي يردّ للأمميّ ماله المفقود، وغير جائز ردّ الأشياء المفقودة من الأجانب. وقال الرابي موسى: غير جائز ردّ الأشياء المفقودة إلى الكفرة والوثنيين وكلّ من اشتغل يوم السبت"(٥).

---

[1]- تث ٢٣: ١٩-٢٠.

[2]- الأممي: كلّ من ليس له يهودياً، وقريب اليهودي هو اليهودي فقط، وباقي الناس حيوانات في صورة إنسان، هم حمير وكلاب وخنازير - يلزم بغضهم سراً - قاعدة النفاق الجائزة. د. نصر الله يوسف، م.س، ص٧٣.

[3]- ن.م. ص٨١.

[4]- ن.م: ص٨٦.

[5]- ن.م.: ص٨٣.

## الخلاصة

وهكذا نجد أنّ التوراة أغفلت حوار موسى وهارون (عليهما السلام) في العادات والتقاليد، وجاء القرآن الكريم فبيّن كم تشبّث فرعون وملأه بها، في دفع ما أتيا به، من توحيد الله وعبادة الواحد الأحد وكان جلّ اهتمام التوراة في تحذير بني إسرائيل من عبادة الأصنام واتخاذ آلهة أخرى.

وقد عملت التوراة على تأصيل عادات وتقاليد وممارسات اجتماعية، بعيدة كلّ البعد عن العالمية والإنسانية، وإنما تهدف لخدمة اليهودي والحفاظ على نظام اجتماعي خاص باليهودي، فالمعاملات والأحكام تكال عندهم بمكيالين اثنين، فما هو حلال لليهودي، حرام في حقّ غيره، وقد بالغت التوراة في القرابين والذبائح والمحرقات، وفي الحطّ من قيمة المرأة وجعلت منها شيطاناً ينعدم فيها الصلاح.

ويتساءل المرء أمام هذه العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية غير إنسانية النزعة، والتي تأصلت في اليهود، باعتبارها من وحي السماء، هل هي كذلك في مصدرها؟

## المبحث الثاني: حوار عيسى عليه السلام مع الملأ في العادات والتقاليد:

تمهيد:

ملأ عيسى عليه السلام في العادات والتقاليد هم اليهود وعلى رأسهم الكتبة والكهنة والفرّيسيّون، وكما قال عيسى عليه السلام: "لا تظنّوا أنّي جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لألغي بل لأكمل"(١)، فعمل عيسى عليه السلام على أن يكمل وأن يصحّح، والناس بطبعهم لا يتنازلون عمّا تعوّدوا عليه بسهولة، وإن لم يكن لهم مصلحة في ذلك من رياسة أو مأكلة، فكيف إن كان لهم في ذلك نصيب؟ ترى ما ردّة الفعل عند اليهود عندما حاول عيسى عليه السلام أن يكمل وأن يصحّح الشريعة؟ هل فرحوا واستبشروا بخير لوصلهم بخبر السماء، بعد طول انقطاع؟ وهل وجدوها فرصة ليتفحّصوا ميراثهم الدينيّ؟ أم هل وجدوها حرباً تعصف بمكتسباتهم، وتحاصرهم في أرزاقهم؟ وهل جاملهم عيسى عليه السلام وخشي بأسهم؟ أم هل قال قولته ولم يلتفت لما تكنّه صدورهم؟

وينجلي الأمر وينقشع الضباب في تناولنا لبعض العادات والتقاليد في الممارسات الاجتماعية التي عكف عليها اليهود وتناولها عيسى عليه السلام بالنقد والتوجيه، ومن ذلك:

١. الحوار حول قدسيّة السبت:

جاء في قاموس الكتاب المقدّس: "وعندما جاء المسيح، كان موضوع حفظ السبت، هو مادّة النزاع بين المسيح وبين شيوخ اليهود، فقد أرادوا حفظ اليوم حرفياً كعبيد للسبت، بينما علم المسيح أنّ السبت إنما جعل لأجل الإنسان (مرقس ٢: ٢٧) ولم يجرّد المسيح السبت من قيمته كيوم للعبادة، فقد ذهب دوماً إلى المجامع للصلاة في يوم السبت (لوقا ٤: ١٦) ولكنه كان يتحنن بعمل المعجزات في يوم السبت، لأنّه ربّ السبت (مرقس ٢: ٢٨) وكان يريد ليوم السبت أن يكون يوم الخدمة وعمل الرحمة، وقد قدّس المسيحيّون الأولون يوم السبت، ولكن حلّ يوم الأحد تدريجياً محلّ اليوم السابع، وكان المسيحيّون يجتمعون

---

[1]- مت ٥: ١٧ وبر ٣٨: ٢-٣.

فيه للصلاة"[1]، وقال الفغالي: "وساعة زال الاحتفال بسائر الأعياد بسبب دمار الهيكل، نمت أهميّة السبت، كأنّه يوم راحة بسيط (أش ١: ١٣) فصار علامة تميّز العهد، ومع تكاثر الفرائض المتعلّقة براحة السبت صار السبت العلامة الفارقة في العالم اليهودي. وعمل في فلسطين عزرا ونحمياء بعد المنفى على جعل شعب الله أمة مقدّسة أي منفصلة عن سائر أمم العالم (نح ١٠: ٢٩-٣٢). ومازال التشريع عن السبت يتوسع على عتبة العهد الجديد، فوصل إلى درجة من الدقّة والقساوة بحيث لم يعد يوم راحة وحسب بل حملاً يسحق الإنسان. ولهذا ثار يسوع على مثل هذا التجاوز الذي لم يترك للإنسان حرية ليتكرّس لخدمة الله. وفي الوقت ذاته أثار الدهشة ثم الغضب والحقد لدى الذين تسلموا رسالة الحفاظ على نظم إسرائيل مهما كلّفهم ذلك من تضحيات"[2]، ولما احتجّ الفرّيسيّون على تلاميذه إذ قطفوا سنابل القمح وفركوها وأكلوها يوم السبت، ردّ عليهم من خلال موروثهم الديني، وذكر لهم أنّ داود عليه السلام لما جاع هو ومرافقوه أكلوا من خبز التقدمة، الّذي لا يحل إلاّ للكهنة، قال متّى: "في ذلك الوقت مرّ يسوع بين الحقول في يوم السبت فجاع تلاميذه فأخذوا يقطفون سنابل القمح ويأكلون، ولما رآهم الفرّيسيّون قالوا له: "ها إنّ تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعله في يوم السبت! فأجابهم: أما قرأتم ما فعله داود ومرافقوه عندما جاعوا؟ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يكن أكله يحلّ له ولا لمرافقيه بل للكهنة فقط! أو لم تقرأوا في الشريعة أنّ الكهنة ينتهكون السبت بالعمل في الهيكل أيام السبت ولا يحسبون مذنبين؟ ولكني أقول لكم: ها هنا أعظم من الهيكل! ولو فهمتم معنى القول: إني أطلب رحمة لا ذبيحة، لما حكمتم على من لا ذنب عليهم! فإنّ ابن الإنسان هو ربّ السبت"[3]. قال الفغالي: "وهذا ما أثار اشمئزاز الفرّيسيّين وقد أجابهم يسوع منطلقاً من مثل داود: لا تقف أية شريعة أمام حاجة حياتية. أمام هذه النظرة القاسية والضيّقة التي تعطي الأولوية للشريعة قدّم يسوع نظرة واسعة ومدهشة، فأعطى الأسبقية لحاجات الإنسان الأولية"[4]، ولم يجد عيسى عليه السلام حرجاً في أن يشفي المرضى أيام السبت، وهذا ما

---

[1]- د. عبد الملك، بطرس ومن معه، م.س، ص ٤٥٤.

[2]- الفغالي، الخوري بولس: صعود يسوع إلى أورشليم، المكتبة البوليسية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ج٢، ص٣٤٥.

[3]- مت ١٢: ١-٨ و مر٢: ٢٣-٢٨ و لو ٦: ١-٥.

[4]- الفغالي، الخوري بولس: انجيل لوقا، ظهور الكلمة والرسالة في الجليل، المكتبة البوليسية، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص٣٧٧

أثار حفيظة الفرّيسيّين، الذين اعتبروا عمله حراماً، فأفهمهم أنّ عمل الخير جائز يوم السبت، وأنّ تخليص النفس واجب في يوم السبت وفي غيره، وخاطبهم وفق عقليتهم المادية، أيكم يسقط خروفه أو ثوره فلا ينتشله؟ قال متّى: "ودخل مجمعهم وإذا هناك رجل يده يابسة، وإذ أراد الفرّيسيّون أن يشتكوا عليه بتهمة ما، سألوه: أيحلّ شفاء المرضى في يوم السبت؟ فأجابهم: أيّ واحد منكم يكون عنده خروف واحد، فإذا وقع في حفرة يوم سبت، أفلا يمسكه وينتشله؟ فكم هو الإنسان أفضل كثيراً من الخروف! إذن يحلّ فعل الخير يوم السبت. ثم قال للرجل: مدّ يدك! فمدّها فعادت سليمة كاليد الأخرى"[1]، وأفهمهم أن الاستثناءات لا تمسّ بحرمة السبت، وذكّرهم أنهم يختتون الأطفال يوم السبت، مخافة مخالفة شريعة موسى عليه السلام فليس لهم أن يغضبوا لمشافاة إنسان يوم السبت، قال يوحنا: "فقال يسوع: عملت يوم السبت عملا واحدا فاستغربتم جميعا. إنّ موسى أوصاكم بالختان – وهذا لا يعني أن الختان يرجع إلى موسى بل إلى الآباء – ولذلك تختتون الإنسان ولو يوم السبت. فإن كنتم تجرون الختان للإنسان يوم السبت لكي لا تخالفوا شريعة موسى فهل تغضبون عليّ لأني شفيت إنسانا بكامله في السبت؟ لا تحكموا بحسب الظاهر، بل احكموا حكماً عادلاً"[2]، ولقد تكرّر منه عليه السلام مشافاة الناس يوم السبت، ولم تكن أحداثاً عرضية، قال لوقا: "وكان يعلّم في أحد المجامع ذات سبت وإذا هناك امرأة كان قد سكنها روح فأمرضها طيلة ثماني عشرة سنة. وكانت حدباء لا تقدر أن تنتصب أبدا. فلما رآها يسوع، دعاها، وقال لها: يا امرأة، أنت في حلّ من دائك! ووضع يديه عليها، فعادت مستقيمة في الحال، ومجدت الله! إلاّ أنّ رئيس المجمع، وقد ثار غضبه لأنّ يسوع شفى في السبت، قال للجمع: في الأسبوع ستة أيام يسمح فيها بالعمل. ففي هذه الأيام تعالوا واستشفوا، لا في يوم السبت! فردّ عليه الربّ قائلا: يا مراؤون! ألا يحلّ كل واحد منكم يوم السبت رباط ثوره أو حماره من المذود ويذهب به فيسقيه! وأمّا هذه المرأة وهي ابنة لإبراهيم قد ربطها الشيطان طيلة ثماني عشرة سنة، أفما كان يجب أن تحل من هذا الرباط في يوم

---

[1]- مت ١٢: ١٠-١٣ و مر ٣: ١-٦ و لو ٦: ٦-١١

[2]- يو ٧: ٢٠-٢٤.

السبت؟ وإذ قال هذا، خجل جميع معارضيه وفرح الجمع كلّه بجميع الأعمال المجيدة الّتي كان يجريها"(١).

وقال لوقا:" وإذ دخل بيت واحد من رؤساء الفرّيسيّين في ذات سبت ليتناول الطعام، كانوا يراقبونه وإذا أمامه إنسان مصاب بالاستسقاء. فخاطب يسوع علماء الشريعة والفرّيسيّين، وسألهم: أيحلّ إجراء الشفاء يوم السبت أم لا؟ ولكنهم ظلوا صامتين فأخذه وشفاه وصرفه. وعاد يسألهم: من منكم يسقط ابنه أو ثوره في بئر يوم السبت ولا ينتشله حالاً؟ فلم يقدروا أن يجيبوه عن هذا"(٢).

وما كانت تلك الخروقات والتجاوزات، على حد فهم الكتبة والفرّيسيّين لتمرّ بسلام، لاسيما أنه قال عليه السلام وفق ما نقله عنه لوقا: "إنّ ابن الإنسان هو ربّ السبت"(٣)، وهي عبارة رآها الفرّيسيّون تجديفا. ويعلّق الفغالي على هذه المواقف فيقول: "من البداية لعبت الظروف لصالح خصوم يسوع، دخل رجل مريض إلى قاعة الطعام، فهو متطفل يحمله الناس ولا يطردونه، لكن حضوره أوجد حالة من التوتر، لا يستطيع يسوع أن يتجاهلها، فالألم صلاة تصيبه في صميم قلبه، وهو يستجيبها دائما، ونكاد نقول خاصة في يوم السبت، وهذا أمر لا يستطيع خصومه أن يقبلوا به، فقال يسوع لمعلمي الشريعة والفرّيسيّين: أيحلّ الشفاء في يوم السبت أم لا؟ فسكتوا، فاتخذ يسوع حالا المبادرة بهذا السؤال الأول، وليست هي المرة الأولى التي يطرح فيها مثل هذا السؤال على الفرّيسيّين، وهم يعرفون الخطر الّذي يرافق الجواب: إن قالوا: نعم يحل الشفاء، اتهمهم زملاؤهم بالسهولة والتراخي، تجاه الشريعة، وإن قالوا: لا يحل الشفاء يظهرون حالا في عيون الناس كأشخاص لا شفقة في قلوبهم، فرفضوا أن يتخذوا موقفا وظلوا ساكتين، وهكذا حرموا من حق انتقاد يسوع فيما بعد، وحينئذ أخذ المريض وشفاه وصرفه ولم يتخوف يسوع من صمتهم الّذي يدل على سوء نيتهم. ولما قال لهم: من منكم يقع ابنه أو ثوره في بئر يوم السبت ولا ينتشله في الحال؟ فما قدروا أن يجاوبوه. وهذا السؤال الّذي طرحه،

---

1- لو ١٣: ١٠-١٧.

2- لو ١٤: ١-٦.

3- مت ١٢: ٨ و مر ٢: ٢٨ و لو ٦: ٥.

ينقل المشكلة من عالم الشريعة إلى عالم الضمير والذوق السليم، وعلى مستوى الشريعة جعل السبت للإنسان، ويسوع يواجه الخصوم بصورة مباشرة حسب عادته "من منكم؟ "والجواب واضح إلى درجة لا يحتاج بعدها الفرّيسيّون أن يجيبوه"[١].

٢. عادة الغسل قبل الأكل:

كان اليهود لا يأكلون حتّى يغسلوا أيديهم مراراً، وإذا عادوا من السوق لا يأكلون ما لم يغتسلوا، ولما رأوا تلامذة المسيح يأكلون ولم يغسلوا أياديهم اعترضوا عليهم، فأفهمهم المسيح عليه السلام أن وصايا الله فوق تقاليد البشر، قال متى: "وتقدم إلى يسوع بعض الكتبة والفرّيسيّين من أورشليم وسألوه: لماذا يخالف تلاميذك تقاليد الشيوخ، فلا يغسلون أيديهم قبل أن يأكلوا؟ فأجابهم: ولماذا تخالفون أنتم وصية الله من أجل المحافظة على تقاليدكم؟ فقد أوصى الله قائلا: أكرم أباك وأمك، ومن أهان أباه أو أمه، فليكن الموت عقابا له. ولكنكم أنتم تقولون: من قال لأبيه أو أمه: إنّ ما أعولك به قد قدمته قربانا للهيكل، فهو في حلّ من إكرام أبيه وأمه، وأنتم بهذا تلغون ما أوصى به الله، محافظة على تقاليدكم، أيها المراؤون! أحسن أشعياء إذ تنبأ عنكم فقال: هذا الشعب يكرمني بشفتيه، أما قلبه فبعيد عني جداً! إنما باطلاً يعبدونني وهمْ يُعلِّمون تعاليم ليست إلاّ وصايا الناس"[٢].

يقول الدكتور أحمد حجازي السقا: "المسيح يحلل للناس بعض ما حرّمه عليهم علماء بني إسرائيل، فقد كان الربانيون والأحبار قد سنّوا مبتدعات في الدين، وسمّوها "التقاليد" وكان من يفعل التقاليد من الناس يعتبر وجيها في الدنيا، ولو لم يفعل وصايا الله الّتي أنزلها في التوراة، فقال المسيح للناس: إنّ وصايا الله أهمّ من التقاليد، افعلوا الوصايا ولا تفعلوا التقاليد، ومن هذه التقاليد: "القرابين" كان العلماء يقولون للناس قدّموا القرابين نغفر لكم ذنوبكم، فكان الأبناء لا ينفقون على آبائهم، وإذا طالب الآباء الأبناء بنفقة لا يعطي الأبناء للآباء شيئا. لأنهم إذا قدموا القرابين ستغفر لهم ذنوبهم أنفقوا أم لم ينفقوا. فوبخّ المسيح علماء بني إسرائيل الكتبة والفريسيين على إهمالهم وصايا الله، وعملهم

---

[1]- الفغالي، الخوري بولس: صعود يسوع إلى أورشليم، ج٢، ص٣٤٧، ٣٤٨.

[2]- مت ١٥: ١-٩ و مر ٧: ١-١٣ وير ٣٢: ٢٩-٣١.

بالتقاليد من أجل منافعهم الدنيوية ولكي يكون هو قدوة في ترك التقاليد، أكل هو وتلاميذه خبزاً ولم يغسل يديه ولا هم غسلوا"[1].

### ٣. مكانة المرأة في النصرانية:

لما كانت النصرانية امتداداً لليهودية، فالمرأة فيها ليست بحالٍ أحسن منها في اليهودية، فالنصرانية كذلك تحمل المرأة مسؤولية غواية آدم عليه السلام وطردهما من الجنة، قال عبد الأمير منصور الجمري: "لم يكن وزن المرأة الديني والاجتماعي عند النصارى بأفضل منه عند الآخرين، فقد كانت الكنيسة تنظر إليها بعين الاحتقار، وتلقي عليها حمل الرذيلة، وتراها ملتصقة بها فطرياً وأنها غير طاهرة"[2].

وأما بالنسبة للطلاق: فقد جاءت النصرانية فجفّفت منابعه، ونظرت إليه باشمئزاز، وجعلت من المطلّق والذي يتزوج بمطلّقة زان، والمرأة التي تطلّق زوجها وتتزوج غيره زانية، وجعلت من تطليق المرأة طريقاً موصلة إلى الزنى. قال متّى:" وقيل أيضا: من طلّق زوجته فليعطها وثيقة طلاق. أما أنا فأقول لكم: كل من طلق زوجته لغير علّة الزنى، فهو يجعلها ترتكب الزنى، ومن تزوج بمطلقة فهو يرتكب الزنى"[3]. ولما حاوره الفرّيسيّون في حكم الطلاق، وسألهم من خلال موروثهم الدّيني، فأجابوا بحلّ الطّلاق وطريقته، فأعلمهم أن موسى عليه السلام أجاز ذلك لقسوة قلوبهم، قال مرقس: "ثم غادر تلك المنطقة وجاء إلى نواحي منطقة اليهودية وما وراء الأردن، فاجتمعت إليه الجموع ثانية وأخذ يعلمهم كعادته، وتقدم إليه بعض الفريسيين وسألوه ليجربوه: هل يحلّ للرجل أن يطلق زوجته؟ فرد عليهم سائلا: بماذا أوصاكم موسى؟ فقالوا: سمح موسى بأن تكتب وثيقة طلاق ثم تطلق الزوجة. فأجابهم يسوع: بسبب قساوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصية، ولكن منذ بدء الخليقة جعل الله الإنسان ذكرا أو أنثى، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتجسد بزوجته، فيصير الإثنان جسدا واحدا، فلا يكونان بعد إثنين، فما جمعه الله لا

---

1- د. السقا، أحمد حجازي: م.س، ص٤٦، ٤٧.

2- الجمري، عبد الأمير منصور: م.س، ص٤٧.

3- مت ٥: ٣١، ٣٢ و مر ١٠: ١١، ١٢ و لو ١٦: ١٨.

يفرقه إنسان، وفي البيت عاد تلامذته فسألوه عن الأمر، فقال لهم: كل من طلّق زوجته وتزوج بأخرى يرتكب معها الزنى، وان طلقت الزوجة زوجها وتزوجت من آخر ترتكب الزنى"[1].

والتباين حاصل بين الأناجيل الإزائية وإنجيل يوحنا في الطلاق، ففي الوقت الّذي تحرّم فيه الأناجيل الإزائية الطلاق، نجد إنجيل يوحنا لم يتعرّض لتلك العبارات الّتي يفهم منها تحريمه، فيبقى الأمر على ما كان عليه في التوراة، قال محمد عبد المقصود: "إنّ أحكام الطلاق عند المسيحيين هي نفسها أحكام الطلاق عند اليهود، وبمقتضى ذلك فقد كان الطلاق في المسيحية بيد الرجل دون المرأة، ومن المحقق أن الطلاق ظلّ مباحا عند المسيحيين منذ عهد المسيح عليه السلام حتّى منتصف القرن السادس عشر الميلادي، ولم يحرمه إلاّ مجمع القساوسة المعروف بمجمع ترنت سنة ١٥٤٢م. والدليل على إباحة الطلاق في المسيحية وفق ما ورد في التوراة أنّ إنجيل يوحنا لم يذكر مطلقا العبارات الّتي وردت في أناجيل متّى ومرقس ولوقا ويفهم منها تحريم الطلاق وأنّ الزواج بالمطلقة زنى، ولكن الأناجيل الثلاثة حرمت الطلاق، وروى إنجيل متّى: أنّ السيّد المسيح سئل عن الطلاق فاستنكره لقسوته ودفعه بالزوجة إلى اقتراف الرذيلة"[2].

وفي حوار اجتماعي أراد الكتبة والفرّيسيّون إحراجه عليه السلام في رجم زانية، فعاملهم على خلاف قصدهم، وأدانهم، وتابت الزانية، فأطلق سراحها، قال برنابا: "أحضر إليه الكتبة والفرّيسيّون امرأة أخذت في زنى وقالوا فيما بينهم: إذا خلّصها فذلك مضادّ لشريعة موسى فيكون عندنا مذنباً، وإذا دانها فذلك مضادّ لتعاليمه لأنه يبشّر بالرحمة، فتقدّموا إلى يسوع وقالوا: يا معلّم لقد وجدنا هذه المرأة وهي تزني وقد أمر موسى أن مثل هذه ترجم، فماذا تقول أنت؟ فقال: من منكم بلا خطيئة فليكن أول راجم لها،... ولما عاد وانتصب يسوع ولم ير أحداً سوى المرأة، قال: أيتها المرأة أين الّذين دانوكي؟ فأجابت المرأة باكية:

---

1- مر ١٠: ١- ١٢ و مت ١٩: ١- ٩.

2- عبد المقصود، محمد: المرأة في جميع الأديان والعصور، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ص١٦٦، ١٦٧.

يا سيّد قد انصرفوا، فإذا صفحت عني فإني لعمر الله لا أخطئ فيما بعد، حينئذ قال يسوع: تبارك الله اذهبي في طريقك، بسلام، ولا تخطئي فيما بعد لأن الله لم يرسلني لأدينك"[١].

٤. عادة الصوم في التقاليد النصرانية:

يوجد نص في الصوم يتكرر في الأناجيل الإزائية، ومفاده: أن المسيح عليه السلام لم يلزم تلاميذه بصوم أثناء حياته، على اعتبار أنه عريس وتلامذته أهل العريس، فليس لهم أن يصوموا في حضرته، وإنما يكون لهم ذلك بعد رفعه، قال مرقس: "وكان تلاميذ يوحنا والفرّيسيّون صائمين، فجاء بعضهم إلى يسوع يسألونه: لماذا يصوم تلاميذ يوحنا وتلاميذ الفرّيسيّين، وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فأجابهم: هل يقدر أهل العريس أن يصوموا والعريس بينهم؟ ما دام العريس بينهم لا يقدرون أن يصوموا، ولكن ستأتي أيام يكون العريس فيها قد رفع من بينهم، فيومذاك يصومون"[٢]. ولا يعني أنه منع تلامذته من الصوم نهائياً بل أرشدهم إلى ضرورة أن يكون صومهم لله بعيدا عن الرياء، وبالصوم وبالصلاة تطرد الشياطين، جاء في إنجيل متى: "وعندما تصومون لا تكونوا عابسي الوجوه كما يفعل المراؤون الّذين يجعلون وجوههم كالحة كي يظهروا للناس أنهم صائمون، الحق أقول لكم أنهم قد نالوا مكافأتهم، أما أنت فعندما تصوم فاغسل وجهك، وعطّر رأسك، لكي لا تظهر للناس صائماً"[٣]. وقال مرقس: "ولما دخل البيت سأله تلاميذه على انفراد: لماذا عجزنا نحن أن نطرد الروح النجس؟ فأجابهم: هذا الجنس لا يطرد إلاّ بالصلاة والصوم "[٤].

ويعلّق الدكتور آرنست سمعان ومن معه على موقف المسيح عليه السلام من القيم اليهودية التقليدية فيقولون: "وموقفه إزاء القيم التقليدية هو عود إلى النقد الذي أبداه الأنبياء بصرامة إزاء من يقبضون على المفتاح، ولا يدعون الداخلين يدخلون. وغضب الرياء الديني، وفتح الجدال في صفة إبراهيم، موضع افتخار اليهود، وتوضيح ميراث روحي اختلط أمره

---

[1]- بر ٢٠١: ١-١٢ ويو ٨: ١-١١.

[2]- مر ٢: ١٨-٢٠ ومت ٩: ١٤-١٥ ولو ٥: ٣٣-٣٥

[3]- مت ٦: ١٦-١٨

[4]- مر ٩: ٢٨، ٢٩ ومت ١٧: ٢١

فصارت خطوطه العريضة عسيرة التمييز، وتطهير الهيكل والإعلان عن عبادة حقيقية كاملة، بعد وقوع خراب الهيكل"[١].

ويعلّق ول ديورات على موقف المسيح عليه السلام من الشريعة اليهودية والعادات والتقاليد فيها، وردّة فعل اليهود من ذلك فيقول: "ولما عرض يسوع أن تعدّل الشريعة اليهودية، سار على سنة هلل فلم يفكر في أنه ينقض هذه الشريعة: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس"[٢] لكنه مع هذا قد بدل كلّ شيء بقوة أخلاقه وشعوره، فقد أضاف إلى الشريعة اليهودية أمره إلى الناس بأن يستعدوا للدخول في الملكوت بأن يحيوا حياة العدالة، والرأفة والبساطة، وزاد الشريعة صرامة في مسائل الجنس والطلاق، ولكنه خففها بأن كان أكثر استعدادا للعفو، وذكّر الفرّيسيّين أن السبت قد وضع لخير الإنسان. وخفّف الشروط الموضوعة على الطعام والطهارة، وحذف بعض أوقات الصوم وأعاد الدين من المراسم والطقوس إلى الصلاح والاستقامة، وندد بالجهر بالصلوات، والتظاهر بالصدقات، والاحتفالات الفخمة بالجنازات، وترك الناس أحيانا يظنون أن الشريعة اليهودية سوف تمحى حين تحلّ الملكوت.

وقد قاوم اليهود على اختلاف شيعهم هذه الإصلاحات عدا الإسينيين، وكان الّذي أغضبهم بنوع خاص ما ادعاه لنفسه من حق العفو عن الخطايا والتحدث باسم الإله وقد هالهم أن يروه يختلط بعمال روما المبغضين، وبالنساء ذوات السمعة السيئة"[٣].

---

[1]- د. آرنست سمعان ومن معه: م.س، ص٨٠٢.

[2]- مت ٥: ١٧، ١٨ وبر ٣٨: ٢، ٣

[3]- ول ديوارت: قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ج٣، من مج٣، ص ٢٣٠.

## الخلاصـــــــة

هكذا نجد أن اليهود قد تشبثوا بموروثهم الديني، وبعاداتهم وبتقاليدهم ولم يقبلوا بالمسيح ﷺ نبياً، ولم يقبلوا به مصحّحاً ومكملاً لشريعتهم، واعتبروه نقمة عليهم، نغص عليهم عيشهم، وطاردهم في أرزاقهم، وهتك سترهم، وكشف رياءهم ونفاقهم، وواجههم بقوة ولم يلتفت لاعتراضاتهم ولم يخش بأسهم، وأعلمهم أن وصايا الله مقدمة على تقاليد البشر، وأفهمهم أنّ السبت للإنسان، ولا ينبغي لأحد أن يتوقف عن عمل الخير يوم السبت، فقدسيته لا تحول دون النفع لبني الإنسان، وإحياء نفس مقدم على السبت وغيره.

أمّا اليهود فأصروا على موروثهم الديني وجمدوا عليه، ولم يستطيعوا أن يقارعوا المسيح ﷺ الحجة بالحجة، فقد جربوا ذلك مراراً إلاّ أنّ الهزيمة كانت حليفتهم، فلم يجدوا آخر الأمر إلاّ أن يسعوا للتخلص منه، فتآمروا مع عدوّه وعدوّهم، إلاّ أنّ الله خيّب آمالهم فنجاه من كيدهم إذ رفعه إليه معزّزاً مكرّماً.

تمهيد:

إنّ ملأ الرسول محمد ﷺ في العادات والتقاليد هم قريش ومن حولها من القبائل العربية واليهود، وقريش كغيرهم من الأمم -إنّ لم يتفوقوا عليهم- لديهم ميراث من العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية، موجود قبل ولادتهم، ألفوه وتعوّدوا عليه، يلتزمون به، وينظرون إليه كدستور ينظّم حياتهم.

وجاء الإسلام بثورة على كثير من العادات والتقاليد، ترى هل قبلت قريش الدين الجديد، وتنازلت عما يخالفه من عادات وتقاليد؟ وإن لم يكن كذلك، فما مدى تغلغل العادات والتقاليد في النفس العربية؟ وما أثر ذلك في قبول الدين ورفضه؟ وما منهجية الرسول ﷺ في التعامل مع العادات والتقاليد المخالفة للدين؟

أمّا اليهود فقد اعتزوا بدينهم كثيرا، واعتبروه رمز فخارهم، ونظروا من خلاله إلى غيرهم نظرة دونيّة، فهل قبلوا الانضواء تحت راية الدين الجديد؟ وإن لم يكن كذلك فما الّذي منعهم؟

لقد واجه الإسلام كثيراً من الأعراف والعادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية التي تخالفه منها:

١) العبادة: اتضح لنا في الفصل الأول من هذا الباب مدى تغلغل الوثنية في العقلية العربية، حتّى أصبحت ديناً يدينون به، يدافعون عنه ويموتون من أجله، وجاء القرآن الكريم ونعى على قريش وغيرها في عديد من سوره متابعة الآباء والأجداد دون دليل، ودون إعمال عقل أو تفكير، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة ٥/١٠٤). قال ابن كثير: "أي إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرّمه، قالوا يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد، من الطرائق والمسالك، قال تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ

ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ أي: لا يفهمون حقا ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم، والحالة هذه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضلّ سبيلاً"[١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (لقمان ٣١/٢١)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ (سبأ ٣٤/٤٣).

ومن أكثر الشواهد دلالة على تغلغل الوثنية في العقلية العربية، ما نقله الكلبي عن أبي أحيحة: لمّا دخل عليه أبو لهب ووجده يبكي، ليس خوفا من الموت، وإنّما صبابة بالعزّى، وتخوفا من أن لا تعبد بعده، فطمأنه أبو لهب أنّه سيخلفه في عبادتها[٢]. وما قاله أبو طالب حين حضرته الوفاة للرسول ﷺ: "يا ابن أخي والله لولا مخافة السبّة عليك، وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنّ قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها، لا أقولها إلاّ لأسرّك بها"[٣]. وقد عبثت قريش بموروثها الديني الذي ورثته عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فغيروا وبدلوا وابتدعوا. قال ابن إسحق: فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرّون أنها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم عليه السلام، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها"[٤].

ولمّا جاء الإسلام أمرهم بالعودة إلى الحقّ، قال الواحدي: "قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(البقرة ٢/١٩٩). عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت العرب تفيض من عرفات، وقريش ومن دان بدينها تفيض من جمع من المشعر الحرام، فأنزل الله تعالى الآية. وعن جبير بن مطعم قال: أضللت بعيراً لي

---

[1]- ابن كثير: م.س، ج٢، ص١٠٣.

[2]- الكلبي: م.س، ص٢٣، ٢٤.

[3]- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٤١٨ وابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص١٢٣. والمباركفوري: م.س، ص١٣٦.

[4]- ن.م، ص١٩٩.

يوم عرفة، فخرجت أطلبه، فرأيت رسول الله ﷺ واقفا مع الناس بعرفة. فقلت هذا من الحُمس، ماله ههنا؟ قال سفيان: والأحمس الشديد الشحيح على دينه، وكانت قريش تسمى الحمس، فجاءهم الشيطان فاستهواهم، فقال لهم: إنكم إن عظمتم غير حرمكم استخفّ الناس بحرمكم، فكانوا لا يخرجون من الحرم ويقفون بالمزدلفة، فلما جاء الإسلام أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾، يعني: عرفة، وقوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (البقرة ٢/٢٠٠). قال مجاهد: كان أهل الجاهلية إذا اجتمعوا بالموسم، ذكروا فعل آبائهم بالجاهلية، وأيامهم وأنسابهم فتفاخروا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾"[1].

٢) الزواج: واجه الإسلام كثيرا من الأعراف الجائرة في الجاهلية في الزواج، ومن ذلك اعتبار المرأة من الميراث، فإن مات الرجل كان أولياؤه أحقّ بامرأته، يتزوجونها أو يزوجونها ويأكلون مهرها، نقل السيوطي: "عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقّ بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوّجوها فهم أحقّ بها من أهلها، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ (النساء ٤/١٩) "[2].

وبلغ بهم القبح أنّ الإبن يتزوج امرأة أبيه. فقد توفي أبو قيس بن الأسلت، وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعدّك ولداً، وأنت من صالحي قومك، فأتت النبي ﷺ، فأخبرته، فقال: ارجعي إلي بيتك، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (النساء ٤/٢٢) "[3]. وعلى النقيض من ذلك أباح الإسلام زواج امرأة الإبن من التبني، لأنه ليس ابنا في الحقيقة، وأراد الله تعالى لرسوله ﷺ أن يحطّم هذه العادة عندما زوجه زينب بنت جحش من فوق سبع سماوات، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ

---

1- الواحدي: م.س، ص٣٣، ٣٤. والسيوطي: م.س، ص٣٨، ٣٩.

2- السيوطي: م.س، ص٧٣ والواحدي: م.س، ص٨٣، ٨٤.

3- السيوطي: م.س، ص٧٣

أَزْوَاجِ أَدْعِيَآبِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ (الأحزاب ٣٣/٣٧)، قال ابن كثير "لمّا فرغ منها زيد وفارقها زوّجناكها، وكان الّذي تولّى تزويجها منه هو الله عزّ وجلّ، بمعنى أنه أوحى أن يدخل عليها بلا وليّ ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر"[1].

٣) الطلاق: حتّى لا تكون المرأة ألعوبة بيد الرجل، يطلقها متى شاء ويرجعها متى شاء، فيذرها معلّقة لا متزوجة ولا حرّة طليقة تشق طريق حياتها، جاء الإسلام فحدد الطلاق بطلقتين، فإذا أوقع الرجل طلقة ثالثة بانت زوجه منه، فلا تحلّ له بعد ذلك حتّى تنكح زوجا غيره، فإن طلّقها الزوج الثاني بعد ذلك دون إكراه أو تنسيق مع الزوج الأول، جاز لزوجها الأول أن ينكحها، قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (البقرة ٢/٢٢٩)، وقال تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢/٢٣٠). قال القرطبي: " قوله تعالى﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَان ﴾ ثبت أنّ أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد، وكانت عندهم العدّة معلومة مقررة، وكان هذا في أوّل الإسلام برهة، يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق، فإذا كادت تحلّ من طلاقه راجعها ما شاء، فقال رجل لامرأته على عهد النبيّ ﷺ: لا آويك ولا أدعك تحلّين، قالت: وكيف؟ قال: أطلقك فإذا دنا مضيّ عدتك راجعتك، فشكت المرأة ذلك إلى عائشة، فذكرت ذلك للنبيّ ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية بياناً لعدد الطلاق، الّذي للمرء فيه أن يرتجع دون تجديد مهر ووليّ، ونسخ ما كانوا عليه"[2].

٤) الإيلاء[3]: كانوا في الجاهلية يقسمون أن لا يجامعوا نساءهم إيذاءً لهنّ، فجاء الإسلام برفع الأذى وبالتوقيت، فمن زاد في قسمه على أربعة أشهر جاز لزوجه أن ترفع الأمر للقاضي، فمن أصرّ زوجها على إيلائه طلّق عليه، قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن

---

1- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٤٧٢.

2- القرطبي: م.س، ج٣، ص١٢٦.

3- الإيلاء: من الألية: اليمين، يقال آلى يولي، إيلاءً. ابن الاثير: م.س، ج١، ص٦٢.

نِسَآبِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢/٢٢٦، ٢٢٧)، نقل القرطبي: "عن ابن عباس قال: كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك، يقصدون بذلك إيذاء الزوجة عند المساءة، فوقّت لهم أربعة أشهر، فمن آلى بأقلّ من ذلك فليس بإيلاء حكمي"[1].

٥) الظهار: كان العرب في الجاهلية يظاهرون من نسائهم، فيعتزلوهنّ، ويجعلون المرأة كالأم في الحرمة، فأنكر الله عليهم صنيعهم واعتبره زورا وكذبا، وبعيدا عن الحقيقة لأنّ الزوجة ليست أمّا، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآبِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (المجادلة ٥٨/٢). قال ابن الأثير: "ظاهر الرجل من امرأته ظهارا. وتظهّر، وتظاهر، إذا قال لها: أنت عليّ كظهر أمي. وكان في الجاهلية طلاقا. وقيل إنّهم أرادوا: أنت عليّ كبطن أمي: أي كجماعها، فكنّوا بالظهر عن البطن للمجاورة، وقيل: إنّ إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان حراماً عندهم، وكان أهل المدينة يقولون: إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول، فلِقَصْد الرجل المطلّق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبّهها بالظهر، ثم لم يقنع بذلك حتّى جعلها كظهر أمه، وإنما عدّي الظهار (بمن)، لأنهم كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة ويحترزون منها، فكأنّ قوله: ظاهر من امرأته: أي بعد واحترز منها[2]. وقال الزمخشري: "قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم ﴾، في منكم توبيخ للعرب، وتهجين لعادتهم في الظهار، لأنّه كان من أيمَان أهل جاهليتهم خاصّة دون سائر الأمم"[3]. فلم يعتبره الإسلام طلاقا وإنما اعتبره يميناً يكفّر عنه قبل معاشرة المرأة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآبِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ

---

1- القرطبي: م.س، ج٣، ص١٠٣.

2- ابن الأثير: م.س، ج٣، ص١٦٥.

3- الزمخشري: م.س، ج٤، ص٧٠.

شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المجادلة ٥٨/٣،٤). وليس له أن يمتنع عن التكفير عن ظهاره. قال الزمخشري: "فإذا امتنع المظاهر عن الكفارة هل للمرأة أن ترافعه؟ قلت: لها ذلك، وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفّر وأن يحبسه، ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلاّ كفارة الظهار وحدها، لأنه يَضُرُّ بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم إبقاء حقّها"[1].

لقد نزلت آيات الظهار بسبب خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، نقل السيوطي وكذا الواحدي: "عن عائشة قالت: تبارك الّذي وسع سمعه كلّ شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وتقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتّى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهمّ إني أشكو إليك، فما برحت حتّى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة ٥٨/١)، وهو أوس بن الصامت"[2].

٦) وأد البنات[3]: قال الجمري: "إنّ القبائل العربية التي كانت تئد البنات أحياء هي: تميم، وقيس، وأسد، وهذيل، وبكر بن وائل. وأول قبيلة فتحت باب الوأد تميم"[4]. وقد جاء التبكيت والتقريع والتعنيف في القرآن الكريم لمن يفعل هذا الفعل المشين، قال تعالى﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴾ (التكوير ٨١/٨، ٩)، وقال تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ

---

1- الزمخشري: ن.م، ج٤، ص٧٢.

2- السيوطي: م.س، ص٢٨٤ والواحدي: م.س، ص٢٣١، ٢٣٢.

3- قال ابن الأثير" فيه " أنّه نهى عن وأد البنات" أي قتلهنّ، كان إذا ولد لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب وهي حية،

يقال: وأدها يئدها وأدا فهي موؤودة " ابن الأثير: م.س، ج٥، ص ١٤٣.

4- الجمري، عبد الأمير منصور: م.س، ص٥٠، وحرب، الغزالي: استقلال المرأة في الإسلام، دار المستقبل العربي، القاهرة،

[د.ت]، ص ٣٢.

أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام ١٤٠/٦)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل ٥٨/١٦، ٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (الزخرف ١٧/٤٣)، والذي حملهم على وأد البنات هو الفقر والخوف من العار، وإلحاق البنات بالله، لاعتقادهم أنّ الملائكة بنات الله، قال الزمخشري: "قيل: كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة، فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابنا حبسته، فإن قلت: ما حملهم على وأد البنات؟ قلت: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن، أو الخوف من الإملاق، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الإسراء ٣١/١٧)، وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به فهو أحقّ بهنّ"[1]. قال رسول الله ﷺ: "الوائدة والموؤودة في النار"[2]. جاء في عون المعبود "وقد تؤول الوائدة بالقابلة لرضاها به، والموؤودةُ بالموؤودةِ لها وهي أمّ الطفل، فحذفت الصلة كذا في المرقاة"[3]، وبذلك يزول الإشكال فالوليدة لا ذنب لها، وإن سئلت فسؤالها إنما هو على سبيل التبكيت لفعل الجاهلين.

وليس العرب وحدهم في مثل هذه الحماقات فمثلهم كثير، قال الغزالي حرب: "إنّ وأد البنات خوف العار، وقتل الذكور خشية الفقر، كما ابتليت بهما بعض الأحياء العربية الجاهلية الشاذة، ابتليت به بعض الأمم القديمة الأخرى، التي كانت وحشيتها في هذه الناحية تفوق وحشية العرب القدامى، فإسبرطة كانت تعدم الأولاد الذين يولدون ضعافاً، أو مشوهين عقب ولادتهم، وكانت ترميهم أحيانا في الصحاري طعاماً سائغاً للوحوش

---

1- الزمخشري: م.س، ج٤، ص ٢٢٢.

2- أبو داود: السنن: كتاب السنة: ١٧، باب في ذراري المشركين، ج٥، ص٩٠، ح٤٧١٧.

3- العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ج١٢، ص ٤٩١.

الضارية، والطيور الكاسرة، وكانت الأم في "أثينا" و"روما" تغمس وليدها في دَنٍّ النّبيذ فترة من الزمن، ثم تخرجه من الدَّنّ، فإن وجدت فيه أثرا للحياة فهو أهل للحياة، وإلاّ فقد تخلص المجتمع منه غير مأسوف عليه، وذلك ما أقرته تشريعات الرومان وفلسفات اليونان، التي حمل لواءها أفلاطون وأرسطو. وكان قتل الأولاد واجباً -لا مشروعا فقط- على آبائهم في بعض الشعوب البدائية القديمة، استجابة لاعتبارات دينية أو اقتصادية"[1].

وظهر من العرب من جنّد نفسه لمكافحة هذه العادة الذميمة، قال عمر رضا كحالة: "وقد نهض من سادات العرب من حال دون الوأد بما بذل من مال جمّ وسعي حميد، منهم "صعصعة بن ناحية التميمي"، فقد كان يلتمس من مسّها المخاض، فيغدو إليها ويستوهب الرجل حياة مولوده إن كان بنتا، على أن يبذل في سبيل ذلك بعيراً أو ناقتين عُشْراوتين، ومنهم "زيد بن عمرو بن نُفَيل القرشي"، فكان يضرب بين مضارب القوم، فإذا بصر برجل يهمّ بوأد بنته قال له: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها ويلي أمرها حتّى تشبّ عن الطوق، فيقول لأبيها إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها"[2].

٧) <u>توريث البنات والصغار</u>: كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والصغار، وإن كانوا ذكورا، نقل السيوطي: "عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورّثون البنات ولا الصغار الذكور حتّى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت، وترك ابنتين وابنا صغيرا، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة، وهما عصبته، فأخذا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول، فنزلت: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (النساء ٧/٤) "[3].

ويتحدث عبد الله عفيفي عن سنّة العرب في عدم توريث النساء فيقول: " سنّة من سنن العرب أنّ النساء لا يؤول إليهن من ميراث الرجال شيء. وكانوا يقولون في ذلك: لا

---

1- حرب، الغزالي: م.س، ص٢٥.

2- كحالة، عمر رضا: المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م، ج١، ص١٠.

3- السيوطي: م.س، ص٧١ والواحدي: م.س، ص٨٢.

يرثنا إلاّ من يحمل السيف ويحمي البيضة. فإذا مات الرجل ورثه ابنه، فإن لم يكن فأقرب من وجد من أوليائه، أباً كان أو أخاً أو عمّاً. على حين يضمّ بناته ونساءه إلى بنات الوارث ونسائه. فيكون لهنّ ما لهنّ، وعليهنّ ما عليهنّ. حتّى جاء الإسلام فصدع ذلك الضرب من الظلم، واختصّ النساء بنصيب مما ترك الرجال. فذلك قوله جلّ ذكره:
﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (النساء ٤/٧)[1].

٨) الخمر: حيث تدرّج الإسلام في تحريمه، فبيّن أن إثمه أكبر من نفعه، ونهى المسلمين عن الصلاة وهم سكارى، ثمّ جاء التحريم -بل أشدّ من ذلك- بالنهي عن اقتراب مظانّه، نقل السيوطي: "عن أبي هريرة قال: قدم رسول الله ﷺ وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر[2]، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة ٢/٢١٩)، فقال الناس ما حرّم علينا إنما قال: إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر، حتّى كان يوم من الأيام صلّى رجل من المهاجرين أمّ أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء ٤/٤٣)، ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة ٥/٩٠، ٩١) "[3].

---

1- عفيفي، عبد الله: المرأة العربية في ظلال الإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، [د.ت]، ص٣٤.

2- الميسر: القمار، يقال: يسر الرجل ييسر فهو يسر وياسر، والجمع أيسار. ابن الاثير، م.س، ج٥، ص٢٩٦.

3- السيوطي: م.س، ص١١٢.

## حوار اليهود للرسول ﷺ في العادات والتقاليد:

لقد تمسك اليهود بدينهم، وحجتهم في ذلك أنهم ورثوه عن آبائهم، وآباؤهم أعلم منهم، هكذا أجابوا رسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام، قال ابن إسحق: "ودعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام، ورغبهم فيه، وحذرهم من عذاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة، ومالك ابن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيرا منا فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ٢/١٧٠)"[1]. وقال ابن إسحق: "ولمّا أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا فيه، قالت أحبار يهود، أهل الكفر منهم! ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلى شرارنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (آل عمران ٣/١١٣) "[2].

## تأثير اليهود في أهل المدينة:

بثّ اليهود في روع أهل المدينة، أنّ من جامع زوجته من الخلف، وفي مكان الحرث، جاء الولد أحول، وقد عنون الإمام مسلم باباً في كتاب النكاح بـ" باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر" وعن جابر ﷺ قال: "كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢٢٣)"[3]. ونقل الواحدي: "عن ابن عباس: أنّ هذا الحيّ من قريش كانوا يتزوجون النساء، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة تزوجوا من الأنصار، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بمكة، فأنكرن ذلك وقلن: هذا شيء لم نكن نؤتى عليه،

---

[1]- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص٥٥٢.

[2]- ن.م.: القسم الأول، ص٢٥٧.

[3]- البخاري: م.س، ٢٥ كتاب التفسير: ٢ سورة البقرة: ٣٩ باب نساؤكم حرث لكم، ح ٤١٦٤، ومسلم: م.س، ١٧ كتاب النكاح، ١٩ باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر، ح ٢٥٩٢.

فانتشر الحديث حتّى انتهى إلى رسول ﷺ، فـــأنزل الله تعـــالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾، قال: إن شئت مقبلة، وإن شئت مدبرة، وإن شئت باركة، وإنما يُعْنَـــى بذلك موضع الولد للحرث، يقول: ائت الحرث حيث شئت"[١]. وعن أمّ سلمة قالـــت: "لمـــا قدم المهاجرون المدينة على الأنصار تزوجوا من نسائهم وكان المهاجرون يجبّون، وكانت الأنصار لا تجبي، فأراد رجل من المهاجرين امرأته على ذلك، فأبت عليه حتّـــى تـــسأل رسول الله ﷺ، قالت: فأتت فاستحيت أن تسأله فسألته أمّ سلمة فنزلت ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾، وقال: لا إلاّ في صمام واحد"[٢].

---

1- الواحدي: م.س، ص٤١، والسيوطي: م.س، ص٤٤.

2- ابن حنبل، أحمد: المسند، ١٣ كتاب باقي مسند الأنصار، ١٦٨، حديث أم سلمة (رضي الله عنها) ح٢٥٤٧٥.

## الخلاصـــة

ممّا تقدم يتبين لنا أنَ الإسلام قد وقف موقفاً صارماً من العادات والتقاليد التي تخالفه ولا تنسجم مع الفطرة والذوق السليم، فقاومها بشدّة، ونعى على كلّ من تشبّث بموروث الآباء والأجداد دون دليل، ودون إعمال عقل أو تفكير، وكان أثر الوحي واضحاً في اجتثاث كثير من العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية الخاطئة أو تصويبها، وقد أعيدت الحقوق إلى أصحابها، فرفع الضيم عن النساء وعن الصغار، فلم تعد المرأة سلعة تباع وتشترى وتورث، ولم تعد تحرم من الميراث، ولم يعد للرجال حق في إمساك النساء إضراراً بهنّ، قال تعالى: ﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ﴾ (البقرة ٢/٢٢٩)، فلم تعد المرأة مسلوبة الحقوق، فهي بنت الرجال وأمّهم وأختهم، وقد ساواها الإسلام بالرجل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء ٤/١)، فهي مطالبة بالأحكام الشرعية كالرجال، إلاّ ما استثني من ذلك لعدم مناسبته لفطرتها وأنوثتها. قال ابن عاشور: "لهذا جاء الإسلام بإلحاق المرأة بالرجل في التكاليف من اعتقاد وعمل وآداب ومعاملات، وجمع في الأقوال التشريعية بين ذكر الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (النحل ١٦/٩٧)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (الأحزاب ٣٣/٣٥)" [1].

---

[1] – ابن عاشور، محمد الطاهر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٩٨.

وقد لخص جعفر بن أبي طالب مساوئ الجاهلية، المتمثلة في عاداتها وتقاليدها وممارساتها الاجتماعية، في حواره مع النجاشيّ، ثم أعقب ذلك ببيان محاسن الإسلام، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: "قال جعفر بن أبي طالب: أيها الملك: كنا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام،..."[١].

وما كان تعنّت العرب وتمسكهم بموروثهم في العادات والتقاليد عن قناعة بها وثقة بصلاحيتها، بل صعب عليهم أن يتنازلوا عنها أو يستبدلوها بغيرها، ولكنها الحمية الجاهلية الّتي وقفت أمامهم، تجتالهم وتبعدهم عن تحكيم عقولهم واختيارهم الأفضل والأحسن.

وأمّا اليهود فقد اعتزّوا بدينهم واعتبروه رمز فخارهم، ورأوا أنّ تنازلهم عنه وانضواءهم في دين جديد يعني ذوبان شخصيتهم وضياعهم بين الأمم.

وما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلاّ وقد عمّ الإسلام الجزيرة العربية، وبدأ يتوثب بشعاعه المنير، ليغطي أرض الله، ولتصل رسالة الإسلام إلى كلّ مكان، تقتلع الشر وتثبت الخير، قال تعالى:﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال ٨/٤٢)، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف ١٢/٢١).

---

[1] - ابن حنبل: م.س، ح: ٢١٤٦٠، ومسند أهل البيت، ح: ١٩٤٩، ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٣٣٦.

## الفصل الثالث

## الحوار التربوي والأخلاقي بين الأنبياء والملأ

**تمهيد:**

الأنبياء عليهم السلام مبعوثون بمهمة من الله، وكل واحد منهم بلّغ رسالة ربه بصدق وإخلاص، فأمروا أقوامهم أن يعبدوا الله وأن يتبرأوا ممّا سواه، وكانوا يحرصون على هداية أقوامهم، وتفيض قلوبهم أسى وحسرة إن لم يؤمنوا، فكانوا يقولون متخوفين على أقوامهم من العذاب العظيم، وبلسان واحد: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف ٧/٥٩).

فرسالتهم واحدة وهدفهم واحد، عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[١].

والناس يختلفون في طباعهم، وفي تقبلّهم لرسالة الأنبياء عليهم السلام، فمنهم من يقدم ومنهم من يحجم، ويشبه الرسول ﷺ، تفاوت الناس في تقبّل الهدى والعلم بالأرض، فمنها أرض طيبة تقبل الماء وتنبت العشب، ومنها ما تحفظه فيشرب الناس منه، ومنها أرض لا تنتفع بالماء ولا تمسكه فينتفع به غيرها. قال ﷺ: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها النّاس فشربوا منها وسقوا وزرعوا. وأصابت منها طائفة أخرى إنّما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ. فذلك

---

[1]- البخاري، م.س، ٦١ كتاب المناقب، ١٨ باب خاتم النبيين ﷺ، ح: ٣٢٧١. مسلم، م.س، ٤٤ كتاب الفضائل، ٧ باب ذكر كونه خاتم النبيين، ح: ٤٢٣٩.

مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الّذي أرسلت به"[1].

والذي يهمنا في هذا الفصل أن نرى كيف كانت منهجية الأنبياء عليهم السلام في تعاملهم مع الملأ؟ فهل استفزتهم حماقاتهم وجهالاتهم وأنستهم رسالتهم؟ وكيف كانت توجيهاتهم التربوية والأخلاقية لملئهم؟.

---

[1]- البخاري، م.س، ٣ كتاب العلم، ٢٠ باب فضل من علم وعلم، ح: ٧٧. مسلم، م.س، ٤٤ كتاب الفضائل، ٥ باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، ح: ٤٢٣٢.

## المبحث الأول: الحوار التربوي والأخلاقي بين موسى عليه السلام والملأ

تمهيد:

ملأ موسى عليه السلام في الحوار التربوي والأخلاقي هم فرعون وملأه وبنو إسرائيل. فكيف كانت منهجية موسى عليه السلام في التعامل مع فرعون وملئه؟ وكيف كانت منهجيته عليه السلام في التعامل مع بني إسرائيل؟

وهل استفزه الملأ فنسي رسالته وثأر لنفسه واشتغل في الدفاع عن شخصه؟ وهل ثمة توجيهات تربوية وأخلاقية في ثنايا العهد القديم؟ وإن وجد فهل هي إنسانية النزعة، أم هو خاصّة ببني إسرائيل؟

لم تذكر التوراة شيئاً من هذا، وإنّما أكدت ابتداء بأن فرعون لن يستجيب لموسى عليه السلام وإن الله سيقسّي قلبه، وفي هذا تيئيس لموسى عليه السلام، وقد عُرفت النتيجة من البداية، جاء في سفر الخروج: "وقال الرب لموسى: حالما ترجع إلى مصر، تذكر أن تجري أمام فرعون جميع العجائب التي منحتك القوة على إجرائها، ولكنني سأقسي قلبه لكي لا يطلق الشعب. ثم قل لفرعون: هذا ما يقوله الرب: إسرائيل هو ابني البكر. قلت لك: أطلق ابني ليعبدني، ولكنك رفضت إطلاقه، لذلك سأهلك ابنك البكر"[١].

ولا نجد في التوراة ما يستشف أنه حوار تربوي أخلاقي بين موسى عليه السلام وفرعون، وإنما انحصر الأمر في مطالبته عليه السلام بإطلاق سراح بني إسرائيل وتهديده له بإيقاع ضربات به وبشعبه إن لم يستجب له، ورفض فرعون ذلك.

ونجد الصورة في القرآن الكريم تختلف عنه تماماً، وقد تركز حواره عليه السلام التربوي والأخلاقي مع فرعون في النقاط الآتية:

١- أدب الحوار: وجاء هذا الخلق استجابة لتوجيه الله سبحانه وتعالى له، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه ٢٠/٤٤). وذلك لعلّه يرجع عن غيّه ويرتدع

---

[1]- خر ٤: ٢١-٢٣.

عن طغيانه، ولا يوجد أفضل من حسن الخلق سبيلاً في إنجاح الحوار، فإنّه أقصر طريق إلى قلوب الناس، فإنّه من الممكن أن نقيم الحجة على الخصم عقلياً، لكننا لا نتمكن منه عاطفياً، وبذلك نخسر الجولة.

٢- الاعتدال في الردّ وعدم الاستفزاز: كان موسى عليه السلام في مهمة من ربه، وليس في مناظرة ينشد الغلبة، ولذلك لم يكن همه الدفاع عن شخصه، بقدر ما كان همه توضيح رسالته والفوز بما جاء به، وعندما بدأت الجولة مع فرعون نال من شخصه وتمنّن عليه، وذكره بماضيه، وقال له: إنه رباه في بيته وأحسن إليه، وقد قتل نفسا، وهذا كفر بالنعم، فما كان من موسى عليه السلام إلاّ أن اعترف بذنبه، واعتذر عن ذلك بأنه فعله قبل أن يأتيه الوحي، وليس لفرعون أن يتمنن عليه لأنه رباه وأحسن إليه وأغذق عليه، لأنه في الوقت الّذي فعل فيه ذلك كان قد استعبد أمته وبني جلدته، فالإحسان لفرد وإذلال أمّة بأكملها إساءة للجميع، فليس لفرعون أن يتمنن عليه بتلك النعمة، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء ٢٦/١٨-٢٢)، ويستمر الحوار ويسأله فرعون عن ربّ العالمين، فيعرّفه به، ويذكر له أنه ربّ السماوات والأرض وما بينهما وربّ الآباء الأولين، فلم تعجب فرعون هذه الإجابة، واتهم موسى عليه السلام بالجنون، لأنه صارحه بوجود ربّ غيره، ولم تستفزّه عليه السلام هذه الشبهة والمسبّة والشتيمة، وإنما مضى في بيان سعة ملك الله سبحانه، فاستشاط فرعون غضبا، وهدده بأن يجعله من المسجونين إن استمر في المناداة بوجود إله غيره ولم يتخذه إلها، قال تعالى:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن

كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء ٢٦/٢٣-٢٩).

٣- قبول التحدّي والشفقة والرحمة: وكان تحدياً قوياً حيث جاء موسى ﷺ بآيات بينات دالة على صدقه، فلم يلتفت فرعون لها بل اتهمه بالسحر، والتآمر لتفريغ الأرض من سكانها، وتحدّى موسى ﷺ بأن يأتيه بسحر مثله، وقبل ﷺ ذلك التحدّي، وليكن على رؤوس الأشهاد وفي يوم عيدهم، فلا يتخلف أحد، ومع ذلك استمر ﷺ في نصحه لفرعون وملئه وتخويفهم من عاقبة أمرهم شفقة ورحمة بهم، فلم يلتفتوا لنصائحه وأصروا على المنازلة، وكان ما كان من ظهوره ﷺ واعتراف السحرة بأنه نبي مرسل من رب العالمين، فآمنوا به ولم ينتظروا إذنا من فرعون، وهذا ما أغضبه فجعل يهدد ويتوعد ويتهم موسى ﷺ بأنه دبّر مؤامرة جديدة نسجها مع السحرة، وقد أحضرَ السحرة بمعرفة فرعون وملئة، ولم يلتق بهم ﷺ ولم يعرفهم من قبل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ (طه ٢٠/٥٦-٦٤)، وقال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء ٢٦/٤١-٥١).

ولقد برز الجانب التربوي والأخلاقي في التوراة في حواره ﷺ مع بني إسرائيل، وفي توجيهاته لهم[١] ومن ذلك:

١. تثبيته ﷺ لبني إسرائيل وطمأنته لهم وصبره عليهم: كان بنو إسرائيل مع موسى ﷺ كعربة قديمة كثيرة العطب، فكلما دفعهم إلى الأمام ارتدوا إلى الخلف، فلم يهيئوا أنفسهم لقبول محنة، فلما أدركهم فرعون احتجوا وتذمروا وفضلوا حياة الذل والعبودية على الحرية، وتقاسم أعبائها، إلاّ أنه ﷺ بصبره وسعة صدره وسعهم، جاء في سفر الخروج: "ولما اقترب فرعون، نظر بنو إسرائيل وإذا بالمصريين يندفعون نحوهم، فارتعبوا واستغاثوا بالربّ، ثم قالوا لموسى: هل لافتقار مصر للقبور أخرجتنا إلى الصحراء لنموت فيها؟ ماذا فعلت بنا حتّى أخرجتنا من مصر؟ ألم نقل لك في مصر: دعنا وشأننا فنخدم المصريين، إذ كان خيراً لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في الصحراء. فقال موسى للشعب: لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الربّ الّذي يجريه لكم اليوم، لأنّ المصريين الّذين رأيتموهم اليوم، لن تروهم فيما بعد إلى الأبد. فالربّ يحارب عنكم وأنتم تصمتون"[٢]. وفي موضع آخر من سفر التثنية سجلت التوراة عليهم عصيانهم وتذمرهم وقلة أدبهم مع الله سبحانه وتعالى، في حين يستمر موسى ﷺ في تثبيتهم، يقول النص: "لكنكم تقاعستم عن الصعود إليها وعصيتم أمر الربّ إلهكم وتذمرتم في خيامكم قائلين: لأنّ الربّ يكرهنا أخرجنا من أرض مصر ليوقعنا في أيدي الأموريين ويهلكنا. فإلى أين

---

[1]- الجانب التربوي والأخلاقي في التوراة نقطة في بحر، والبحث عنه كالبحث عن إبرة في كومة من القشّ، فقد ذكرت التوراة أنه أعقب مطالبة موسى ﷺ إطلاق سراح بني إسرائيل تضييق عليهم وإرهاق لهم، فشعروا أنهم في ورطة، وتذمروا سريعا، فقام ﷺ بمراجعة ربه بطريقة تفتقر إلى أدب الأنبياء لا سيما موسى ﷺ، وفق ما جاء في الخروج:" فقالوا لهما: لينظر إليكما الربّ ويقض. لقد كرّهتما بنا فرعون وحاشيته، وأعطيتماهم سيفا في أيديهم ليقتلونا، فرجع موسى إلى الربّ وقال: لماذا أسأت إلى شعبك يا ربّ؟ لماذا أرسلتني؟ فمنذ أن جئت لأخاطب فرعون باسمك، أساء إليّ الشعب وأنت لم تخلص شعبك على الإطلاق " خر٢١:٥-٢٣. " تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً "

خر ١٤: ١٠-١٤.

نذهب... فقلت لكم لا تجزعوا ولا تخافوا منهم لأن الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم كما رأيتموه معكم في مصر[1].

وسجّل القرآن الكريم عليهم تذمرهم وعدم تحملهم للأذى، وسجل لموسى عليه السلام تثبيته وطمأنته لهم، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف ١٢٩/٧).

٢. <u>شفقته عليه السلام علي قومه ورحمته بهم</u>: مرّ بنا كيف انحرف بنو إسرائيل وعبدوا العجل، ومع ذلك كان عليه السلام بهم رحيما، ويسأل الله لهم المغفرة، جاء في سفر الخروج: "فابتهل موسى إلى الربّ وقال: لماذا يحتدم غضبك على شعبك، الذي أخرجته من ديار مصر، بقوة عظيمة وذراع مقتدر؟ لماذا يشمت المصريون فينا قائلين: لقد احتال عليهم إلههم فأخرجهم من ههنا ليهلكهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن حمو غضبك ولا توقع هذا الغضب بشعبك"[2]. ولا يعقل أن يتفوه موسى عليه السلام، بمثل تلك الكلمات تجاه الربّ، وفي موضع آخر وبعدما قتل الشعب نفسه عقوبة له ابتهل عليه السلام لله، جاء في سفر الخروج:" وفي الغد قال موسى للشعب: لقد ارتكبتم خطيئة عظيمة، وها أنا أعود إلى الجبل لأمثل أمام الربّ، لعلّي أحظى لكم بغفرانه. ورجع موسى إلى الربّ وتضرّع قائلا: يا ربّ لقد اقترف هذا الشعب خطيئة عظيمة، وصاغوا لأنفسهم إلها من ذهب. والآن إن شئت، اغفر لهم، وإلاّ فامحني من كتابك الّذي كتبت. فأجاب الربّ موسى: الّذي أخطأ إليّ أمحوه من كتابي"[3]. وسجل القرآن الكريم هذا الموقف له عليه السلام، وفيه يظهر مدى شفقته ورحمته بأخيه وقومه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأعراف١٥١/٧)،

---

1- تث ١: ٢٦-٣١.

2- خر ٣٢: ١١، ١٢.

3- خر ٣٢: ٣٠-٣٣.

وقال تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٥٥/٧).

٣. شفاعته عليه السلام لإخته مريم: تذكر التوراة أن الله قد غضب على هارون ومريم لانتقادهما موسى عليه السلام لزواجه من امرأة كوشية، فأصيبت مريم بالبرص عقوبة لها فتشفّع لها عليه السلام، جاء في العدد: "وقال هارون لموسى: أرجوك يا سيّدي لا تحملنا الخطيئة الّتي ارتكبناها كالحمقى، وأسأنا بها إليك ولا تجعل مريم كالجنين الميت الخارج من رحم أمه وقد تهرّأ نصف لحمه. فصرخ موسى إلى الرب قائلا: اللّهمّ اشفها"[١].

٤. الوصايا العشر: وهي جملة الأوامر والنواهي والتوجيهات. تقول التوراة: "ثم نطق الله بجميع هذه الأقوال: أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك. لا يكن لك آلهة أخرى سواي. لا تنحت لك تمثالا. ولا تصنع صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من أسفل الأرض لاتسجد لهن ولاتعبدهن، لأني أنا الرب إلهك، إله غيور، أفتقد آثام الآباء في البنين حتّى الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأبدي إحسانا نحو ألوف من محبيّ الذين يطيعون وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الربّ يعاقب من نطق باسمه باطلاً. أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك، أما اليوم السابع فتجعله سبتا للرب إلهك، فلا تقم فيه بأي عمل أنت أو ابنك أو ابنتك أو عبدك أو أمتك أو بهيمتك أو النزيل المقيم داخل أبوابك. لأن الرب قد صنع السماء والأرض، والبحر وكل ما فيها في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، لهذا بارك الرب يوم السبت وجعله مقدساً أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض الّتي يهبك إياها

---

[١]- عد ١٢: ١١-١٣.

الرب إلهك لا تقتل، لا تزن، لا تسرق لا تشهد زوراً على جارك. لا تشتهي بيت جارك، ولا زوجته، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره ولاحماره، ولا شيئا ممّا له"(١).

٥. شريعة محبة: وهي توجيه لبني إسرائيل أن يحبّوا الله تعالى تقول التوراة: "اسمعوا يا بني إسرائيل: الربّ إلهنا ربّ واحد فأحبوا الربّ إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم وضعوا هذه الكلمات التي أوصيكم بها على قلوبكم، وقصوها على أولادكم، وتحدثوا بها حين تجلسون في بيوتكم، وحين تسيرون في الطريق، وحين تنامون، وحين تنهضون، اربطوها علامة على أيديكم، واجعلوها عصائب على جباهكم اكتبوها على قوائم أبواب بيوتكم وبوابات مدنكم"(٢).

٦. منع الظلم وحسن الخلق: هناك أوامر في التوراة بعدم الظلم والتعدي، وعدم الإساءة للأرامل واليتامى، والذي يفسد على التوراة جوّها، ويعكّر صفوها، نظرتها غير الإنسانية، فهي غير عالمية النزعة، وإنما خاصة ببني إسرائيل، والنص الذي نحن بصدده يحرم أخذ الربا والرهن من بعضهم، أما من غيرهم فجائز، فهل التوراة والحالة كذلك ربانية المصدر؟!، يقول النصّ: "لا تضطهد غريبا ولا تضايقه، فقد كنتم غرباء في ديار مصر. لا تسيء إلى أرملة أو يتيم، لأنّك إن أسأت إليهما وصرخا إليّ أسمع صراخهما، فيحتدم غضبي وأقتلكم بالسيف، فتصبح زوجاتكم أرامل وأولادكم يتامى. إن أقرضت فقيرا من شعبي المقيم عندك فلا تعامله كالمرابي، ولا تتقاض منه فائدة. إذا استرهنت ثوب صاحبك لقاء دين، فردّه إليه عند مغيب الشمس، لأن ذلك الثوب هو ثوبه الذي يقي به بدنه، وإلاّ فبأي شيء ينام؟ إذا صرخ إليّ أسمعه لأنّي رحيم"(٣).

٧. أحكام في العدل والرحمة: وهذه طائفة من الأحكام العامة في العدل والرحمة والتعاون مع العدو والصديق، إلاّ أنّ التوراة لم تفصح هذه المرة إن كان التعامل في نطاق بني إسرائيل أم يتعداهم إلى غيرهم، والأغلب أنها أحكام خاصّة بهم، لأنّ غيرها من التوجيهات في عدّة مواضع من

---

[1]- خر ٢٠: ٢ – ١٧ وتث: ٥: ٦ – ٢١.

[2]- تث ٦: ٤ –٩.

[3]- خر ٢٢: ٢١–٢٧.

التوراة يخصصها، يقول النص: "لا تقبل أخباراً كاذبة ولا تتعاون مع المنافق في شهادة زور. لا تنسق وراء الأغلبية لارتكاب الشرّ، ولا تحرّف شهادتك في دعوى انجرافاً مع الأكثرية، ولا تتحيز مع الفقير لأنَه فقير فقط في دعواه، إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ردّه إليه وإذا عاينت حمار مبغضك واقفا تحت حمله فلا تتجاوزه حتّى تسعف عدوك في حلّ ثقل حماره، لا تحرف حق فقيرك في دعواه لكونه فقيراً. اجتنب الاتهام الكاذب ولا تقتل البريء والصالح، لأنّني لا أبرىء المذنب. لا تقبل رشوة لأنّ الرشوة تعمي المبصرين وتحرف أقوال الصالحين. لا تضايق غريبا لأنّكم تعلمون مشاعر الغريب فقد كنتم غرباء في ديار مصر"[١].

٨. العدل في القضاء: جاء الأمر في التوراة بإقامة القضاة، وأمرتهم بالعدل، وحذرتهم من الرشوة، جاء في سفر التثنية: "وأقيموا لأنفسكم قضاة ومدبرين في جميع المدن التي يورثكم إياها الربّ إلهكم بحسب أسباطكم، فيقضوا بين الشعب بالعدل. ولا تعوجوا القضاء ولا تحابوا، ولا تقبلوا الرشوة، لأنّ الرشوة تعمي أبصار الحكماء، وتعوج أقوال الصديقيين. العدل العدل وحده أجروا"[٢]. وفي موضع آخر تقول التثنية: "وأمرت قضاتكم آنئذ قائلا: استمعوا إلى الخصومات الناشئة بين اخوتكم واقضوا بالعدل بين الإسرائيلي وأخيه، أو بين الإسرائيلي والنزيل. لا تحابوا في القضاء واستمعوا للصغير كما تستمعون للكبير. لا تهابوا إنسانا، لأنّ القضاء لله"[٣]. ويخصّص التلمود أحكام التوراة: فيجعل قريب اليهودي هو اليهودي فقط، ويأمر بالعدل مع اليهودي دون غيره، ويأمر بأن يكون اليهودي رابحا دائما، يقول التلمود: "قريب اليهودي هو اليهودي فقط، وباقي الناس حيوانات في صورة إنسان هم حمير وكلاب وخنازير يلزم بغضهم سراً "[٤]. ويقول أيضاً: "إذا جاء أجنبي وإسرائلي أمامك بدعوى فإن أمكن أن تجعل الإسرائلي رابحا فافعل، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا –إذا حصل ذلك في مدينة يحكم فيها اليهود– وإذا أمكن كذلك وفقا لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحاً، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك. فإذا لم تتمكن من كلتا الحالتين –بأن كان اليهود لا يحكمون البلد، والشريعة الأجنبية لا

---

[1]- خر ٢٣: ١-٩.
[2]- تث ١٦: ١٨-٢٠.
[3]- تث ١: ١٦-١٧.
[4]- د. نصرالله، يوسف، م.س. ص ٧٣.

تعطي الحق لليهودي- فاستعمل الغشّ والخداع في حقّ هذا الأجنبي حتّى يجعل الحقّ لليهودي"(١).

عقيدة التخريب والإبادة:

بثت التوراة في روع معتنقيها، عقيدة التدمير والتخريب والإبادة، ونسبت ذلك إلى أنبياء الله عليهم السلام، فمن المحال عليهم أن لا يراعوا المعاني الأخلاقية في سلمهم وحربهم، ونحن الآن أمام نصين من التوراة، أمّا النص الأول فهو عام في فن الاستعباد والتقتيل، وأما النص الثاني ففي تدمير مدينة أريحا على يد يوشع عليه السلام ومما يدعو إلى الإستهجان أن نبي الله يوشع عليه السلام يستحيي زانية وبحدّ السيف يقضي على رجال ونساء وأطفال وحيوانات مدينة أريحا، ويدمرها، ويحرقها بالنار، ويحرمها إلى الأبد، فهل يعقل هذا؟ وهل لعقل سوي أن يصدّقه؟

يقول النص الأول: "وحين تتقدّمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أوّلاً. فإن أجابتكم إلى الصّلح واستسلمت لكم، فكلّ الشّعب السّاكن فيها يصبح عبيدا لكم. وإن أبت الصّلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرّبّ إلهكم في أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحدّ السّيف. وأمّا النّساء والأطفال والبهائم، وكلّ ما في المدينة من أسلاب، فاغتنموها لأنفسكم، وتمتّعوا بغنائم أعدائكم الّتي وهبها الرّبّ إلهكم لكم. هكذا تفعلون بكلّ المدن النّائية عنكم الّتي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا. أمّا مدن الشعوب الّتي يهبها الرّبّ إلهكم لكم ميراثا فلا تستبقوا فيها نسمة حيّة، بل دمّروها عن بكرة أبيها، كمدن الحثّيّين واليبوسيّين كما أمركم الرّبّ إلهكم، لكي لا يعلّموكم رجاساتهم الّتي مارسوها في عبادة آلهتهم، فتغووا وراءهم وتخطئوا إلى الرّبّ إلهكم. وإذا حاصرتم مدينة حقبة طويلة معلنين الحرب عليها لإفتتاحها، فلا تقطعوا أشجارها بحدّ الفأس وتتلفوها لأنّكم تأكلون من ثمارها، هل شجرة الحقل إنسان حتّى يهرب أمامكم في الحصار؟ أمّا الأشجار الّتي لا يؤكل ثمرها فأتلفوها واقطعوها، لاستخدامها في بناء الحصون حول المدينة المحاصرة المتحاربة معكم، إلى أن

---

١- ن.م، ص ٨١.

يتم سقوطها"[١]. ويقول النص الثاني: "فانهار السور في موضعه. فاندفع الشعب نحو المدينة كلّ إلى وجهته، واستولوا عليها. ودمّروا المدينة وقضوا بحدّ السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتّى البقر والغنم. وقال يشوع للرجلين اللذين ذهبا لاستكشاف المدينة: ادخلا بيت المرأة الزانية واخرجاها مع كل ما لها من هناك كما حلفتما لها. فمضى الجاسوسان إلى بيت (راحاب)، فأخرجاها هي وأباها وأمها وإخوتها وكل ما لها، وأقرباءها، وذهبا بهم إلى مكان آمن خارج مخيم إسرائيل. ثم أحرق الإسرائيليون المدينة بالنار بكل ما فيها. أما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد فقد حفظوها في خزانة بيت الرّبّ" [٢].

---

[1]- يش ٢٠: ١٠-٢٠.

[2]- يش ٦: ٢٠-٢٤.

ممّا تقدم يتبين لنا أن موسى عليه السلام كان متأدباً بأدب الأنبياء عليهم السلام في حواره مع ملئه، معتدلا في ردّه، لا تستفزّه حماقاتهم، ولم تنسه رسالته وقت أن نيل من شخصه، وقد قبل التحدّي ليجعل منه أداة لإنجاح رسالته، ورغم تطاول قومه وتجاوزهم حدود الأدب والأخلاق -مع الله جلّ في علاه ومعه شخصياً- إلاّ أنّه صبر على أذاهم وتحملهم، واتسع صدره لهم وكان شفوقا رحيماً بهم.

ومع نُدرة تعرض التوراة للجانب التربوي والأخلاقي، إلاّ أنني استطعت أن أنتقي عدة نماذج في المحبة ومنع الظلم والتعدي، وفي العدل والرحمة، والعدل في القضاء، إلاّ أنها موجّهة إلى بني إسرائيل دون غيرهم من البشر، وهذا يؤكد أن الديانة اليهودية غير إنسانية النزعة، ولهذا ظلت متقوقعة على نفسها، يتزايد أتباع الرسالات ويتناقص أتباعها.

## المبحث الثاني: الحوار التربوي والأخلاقي بين عيسى ﷺ والملأ

تمهيد:

ملأ عيسى ﷺ في الحوار التربوي والأخلاقي اليهود عامة، فقد جاء عيسى ﷺ ليكمل ويصحّح الناموس، فكيف كانت منهجيته في توجيههم وتعليمهم؟ وهل استفادوا من توجيهاته وساروا على نهجه؟ وهل كانت تعليماته ذات وجه واحد؟ وهل اتفق أتباعه من بعده في فهمها وفي تعديتها إلى الآخر؟ وما موقفه من العنف واستخدام القوة؟ وما نظرته إلى الآخر؟

لقد جاء عيسى ﷺ مكملاً ومصححاً للعهد القديم، فدعا إلى توحيد الله ومحبته، ومحبة القريب ومحبة النفس[1]، وبذلك كانت إجاباته دائما كالثوب المطرّز به. واشتملت الأناجيل على جملة من التوجيهات الدينيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، نذكر منها:

١. الإخلاص في العبادة: وجه عيسى ﷺ تلاميذه إلى ضرورة الإخلاص في العبادة، وحذّرهم من الرياء، وعلّمهم كيف يصلّون ويصومون ويتصدّقون، قال في كيفية الصلاة: "وعندما تصلّون لا تكونوا مثل المرائين الّذين يحبون أن يصلّوا واقفين في المجامع وفي زوايا الشوارع ليراهم الناس. الحقّ أقول لكم: إنّهم قد نالوا مكافأتهم. أمّا أنت، فعندما تصلّي، فادخل في غرفتك، وأغلق الباب عليك، وصلّي إلى أبيك الّذي في الخفاء. وأبوك الّذي يرى في الخفاء، هو يكافئك. وعندما تصلّون، لا تكرروا كلاما فارغا كما يفعل الوثنيّون، ظنّاً منهم أنّه بالإكثار من الكلام، يستجاب لهم فلا تكونوا مثلهم، لأنّ أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه"[2]. وقال في الصوم: "وعندما تصومون لا تكونوا عابسي الوجوه كما يفعل المراؤون الّذين يُقطبون وجوههم لكي يظهروا للنّاس صائمين. الحقّ أقول لكم إنهم قد نالوا مكافأتهم. أمّا أنت فعندما تصوم، فاغسل وجهك وعطّر رأسك، لكي

---

[1]- انظر مر ١٢: ٢٨-٣٤ ومت ٢٢: ٣٤-٤٠ولو ١٠: ٢٥-٣٧.

[2]- مت ٦: ٥-١٤ ولو ١١: ٢-٤.

لا تظهر للنّاس صائما، بل لأبيك الّذي في الخفاء. وأبوك الّذي يرى في الخفاء، هو يكافئك"[1]. وقال في الصدقة: "احذروا من أن تعملوا برّكم أمام النّاس بقصد أن ينظروا إليكم. وإلاّ، فليس لكم مكافأة عند أبيكم الّذي في السّموات. فإذا تصدّقت على أحد، فلا تنفخ أمامك في البوق، كما يفعل المراؤون في المجامع والشوارع، ليمدحهم النّاس. الحقّ أقول لكم: إنّهم قد نالوا مكافأتهم. أمّا أنت فعندما تتصدّق على أحد، فلا تدع يدك اليسرى تعرف ما تفعله اليمنى. لتكون صدقتك في الخفاء، وأبوك السّماوي الّذي يرى في الخفاء هو يكافئك"[2].

وتلتقي هذه النصوص مع قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (البينة ٩٨/٥)، ويقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[3] ويقول الرسول ﷺ في حديث السبعة الّذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله: "ورجل تصدق أخفى حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"[4].

٢. الزني: حذّر عيسى عليه السلام من الزنى ومقدماته، واعتبر النظر إلى المرأة بشهوة زنى، جاء في متّى: "وسمعتم أنه قيل: لا تزن! أمّا أنا فأقول لكم: كلّ من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها، فقد زنى بها في قلبه! فإن كانت عينك اليمنى فخّاً لك فاقلعها وارمها عنك، فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا يطرح جسدك كله في جهنم! وإن كانت يدك اليمنى فخّاً لك فاقطعها وارمها عنك، فخير لك أن تفقد عضواً من أعضائك ولا يطرح جسدك كله في جهنم!"[5].

---

1- مت ٦: ١٦-١٨.

2- مت ٦: ١-٤.

3- البخاري: م.س، ٦٣ كتاب الأيمان والنذور، ٢٣ باب النية في الأيمان، ح ٦١٩٥. مسلم: م.س، ٣٤ كتاب الإمارة، ٤٥ باب قوله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات"، ح ٣٥٣٠.

4- البخاري: م.س، ١٠ كتاب الزكاة، ٣٦ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ح ٦٢٠. مسلم: م.س، ١٣ كتاب الزكاة، ٣١ باب فضل إخفاء الصدقة، ح ١٧١٢.

5- مت ٥:٢٧-٣٠.

ويلتقي هذا النّص مع قول الرسولﷺ: "العين تزني والقلب يزني، فزنى العين النظر، وزنى القلب التّمنّي، والفرج يصدّق هنالك أو يكذّب"(١).

٣. السعادة الحقيقية: وهي توجيهات تربوية وأخلاقية بمثابة تعزية للمحرومين والمضطهدين، ودعوة للتراحم والتعاطف وصنع السلام، جاء في موعظته عليه السلام للجموع على الجبل: "طوبى للمساكين بالروح، فإنّ لهم ملكوت السموات. طوبى للحزانى فإنهم سيعزّون. طوبى للودعاء فإنهم سيرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ فإنهم سيشبعون.طوبى للرحماء فإنهم سَيُرحمون. طوبى لأتقياء القلب فإنهم سيرون الله. طوبى لصانعي السّلام فإنّهم سَيُدْعَوْنَ أبناء الله. طوبى للمضطهدين من أجل البرّ، فإنّ لهم ملكوت السموات. طوبى لكم متى أهانكم النّاس واضطهدوكم، وقالوا فيكم من أجلي كلّ سوء كاذبين"(٢).

وحذّر عيسى عليه السلام من الترف والغفلة فقال:" الويل لكم أيها المشبعون الآن، فإنكم سوف تجوعون. الويل لكم أيها الضاحكون الآن، فإنكم سوف تنوحون وتبكون. الويل لكم إذا امتدحكم النّاس، فإنه هكذا عامل آباؤهم الأنبياء الدّجّالين"(٣).

٤. محبة الأعداء: احتوت الأناجيل على عديد من النصوص، الّتي تأمر بمحبة الأعداء والإحسان إليهم والصفح والتجاوز عنهم، وعدم الانتقام للنفس والتنازل عن الحق، وعدم متابعة الآخرين والحكم عليهم، جاء في لوقا: "وأما لكم أيها السامعون فأقول: أحبوا أعداءكم، أحسنوا معاملة الّذين يبغضونكم، باركوا لاعنيكم، صلوا لأجل الّذين يسيئون إليكم. ومن ضربك على خدك فاعرض له الخد الآخر أيضا. ومن انتزع رداءك فلا تمنع عنه ثوبك أيضا. أي من طلب منك شيئا فأعطه، ومن اغتصب مالك فلا تطالبه. وبمثل ما تريدون أن يعاملكم الناس عاملوهم أنتم أيضا. فإن أحببتم الّذين يحبونكم، فأيّ فضل لكم؟ فحتّى الخاطئون يحبون الّذين يحبونهم! وإن أحسنتم معاملة الّذين يحسنون معاملتكم، فأيّ

---

[1]- ابن حنبل: م.س، ٦ كتاب باقي مسند المكثرين، ٢ باب باقي المسند السابق، ح ٨٠٠٦.

[2]- مت ٥: ١-١١.

[3]- لو ٦: ٢٥، ٢٦.

فضل لكم؟ فحتّى الخاطئون يفعلون هكذا! وإن أقرضتم الّذين تأملون أن تستوفوا منهم، فأي فضل لكم؟ فحتّى الخاطئون يقرضون الخاطئين لكي يستوفوا منهم ما يساوي قرضهم. ولكن أحبوا أعداءكم وأحسنوا المعاملة، وأقرضوا دون أن تأملوا استيفاء القرض، فتكون مكافأتكم عظيمة، وتكونوا أبناء العليّ، لأنه ينعم على ناكري الجميل والأشرار. فكونوا أنتم رحماء كما أن أباكم رحيم. ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تحكموا على أحد فلا يحكم عليكم. اغفروا يغفر لكم..."[1]. وجاء مثله في متى: "وسمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن. أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بمثله، بل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الخد الآخر، ومن أراد محاكمتك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضا، ومن سخرك أن تسير ميلا فسر معه ميلين. من طلب منك شيئا فأعطه. ومن جاء يقترض منك فلا ترده خائبا..."[2].

يقول "الأنبا غريغوريوس" تحت عنوان التبشير بالمحبة والإحسان والتسامح والرحمة وانتهاج سبيل الكمال: "حتّى إذا تمادى في الاعتداء عليه ولطمه على أحد خديه، فلا يندفع إلى الانتقام لنفسه، لأن الانتقام لا يؤدي إلا إلى الرد عليه بمثله فلا يقف تبادل الانتقام عند حد، ولا تكون نتيجة ذلك كله إلا استمرار الحرب والضرب بين الطرفين، وإلى دمارهما معاً. وإنما فليقابل الإنسان اعتداء ذلك الّذي لطمه على أحد خديه بالسماحة والتسامح، ولو أدى هذا بذلك المعتدي إلى مزيد من الاجتراء والاعتداء،... ومن ثمة تعم المحبة بين الناس ويعم السلام، فلا يعود ثمة بينهم ضارب ولا مضروب وبذلك يسود بين الناس التسامح كما تسود الرحمة"[3].

٥. الغضب: نهى عليه السلام عن السبّ والشّتم والغضب، وحضّ على التجاوز والصفح والمصالحة، جاء في متى: "سمعتم أنّه قيل للأقدمين: لا تقتل! ومن قتل يستحقّ المحاكمة. أما أنا فأقول لكم: كلّ من هو غاضب على أخيه يستحق المحاكمة، ومن يقول لأخيه: يا تافه! يستحق المثول أمام المجلس الأعلى، ومن يقول: يا أحمق! يستحق نار جهنم! فإذا جئت بِتَقْدِمَتِك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك، فاترك تقدمتك أمام

---

1- لو ٦: ٢٧-٣٧.

2- مت ٥: ٣٨-٤٢.

3- الأنبا غريغوريوس ومن معه: م.س، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

المذبح، واذهب أوّلا وصالح أخاك، ثم ارجع وقدم تَقْدِمَتِك. سارع لاسترضاء خصمك وأنت معه في الطريق إلى المحكمة، قبل إن يسلمك الخصم إلى القاضي، فيسلمك القاضي إلى الشرطي، فيلقيك في السجن. والحقّ أقول لكم إنك لن تخرج من السجن حتّى توفي الفلس الأخير!"(١).

ويلتقي هذا النص مع قول الرسول ﷺ عن أبي هريرة ﷺ: "أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني، قال: لا تغضب. فردّدها مراراً قال: لا تغضب"(٢). ويقول النبي ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"(٣).

المسيح عليه السلام والآخر من خلال الأناجيل:

التباين حاصل بين فقرات الإنجيل الواحد في نظرة عيسى عليه السلام إلى الآخر، ففي الوقت الّذي يدعو بعضها للمحبة والصفح والتجاوز، نجد بعضا منها يدعو للحرب والعنف والاختلاف والانقسام، ومن ذلك ما نقله متى: "لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاما على الأرض. ما جئت لأرسي سلاما، بل سيفا. فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها. وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته"(٤). وما نقله لوقا: "جئت لألقي على الأرض ناراً، فكم أود أن تكون قد اشتعلت؟ ولكن لي معمودية علي أن أتعمد بها، وكم أنا متضايق حتّى تتم! أتظنّون أني جئت لأرسي السلام على الأرض؟ أقول لكم لا بالأحرى الانقسام: فإنه منذ الآن يكون في البيت الواحد خمسة فينقسمون: ثلاثة على اثنين، واثنان على ثلاثة، فالأب ينقسم على ابنه، والإبن على أبيه، والأم على بنتها، والبنت على أمها، والحماة على كنتها، والكنّة على حماتها!"(٥). وقال لوقا: "وكانت جموع كثيرة تسير معه، فالتفت وقال لهم: إن جاء إلي أحد ولم يبغض أباه

---

1- مت ٥: ٢١-٢٦.

2- البخاري: م.س، ٥٨ كتاب الأدب، ٧٦ باب الحذر من الغضب، ح ٥٦٥١.

3- ن.م، ٢ كتاب الإيمان، ٣٥ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ح ٤٦. مسلم: م.س ٢ كتاب الإيمان، ٢٨ بيان قول النبي ﷺ " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر "، ح ٩٧.

4- مت ٣٤:١٠-٣٦.

5- لو ١٢: ٤٩-٥٣.

وأمه وزوجته وأولاده وإخوته وأخواته، بل نفسه أيضاً، فلا يمكنه أن يكون تلميذا"[١]. وقال لوقا: "ثم قال لهم: حين أرسلتكم بلا صرة مال ولا كيس زاد ولا حذاء، هل احتجتم إلى شيء؟ فقالوا: لا! فقال لهم: أما الآن فمن عنده صرة مال فليأخذها، وكذلك من عنده حقيبة زاد، ومن ليس عنده فليبع رداءه ويشتري سيفاً... فقالوا: يا رب ها هنا سيفان. فقال لهم: كفى!"[٢].

---

1- لو ١٤: ٢٥-٢٦.

2- لو ٢٢: ٣٥-٣٨.

## اختلاف علماء اللاهوت في تفسير نصوص العنف:

اتّضح من الفقرات السابقة أن النصرانية تدعو للعنف واستخدام القوة، وما من نبي إلا عارضه قومه، فمبعث النبي يواكب أزمة، فيختلف الناس في شأنه، فمنهم من يتابعه ومنهم من يعارضه، ويتفاوت الأنبياء عليهم السلام في كثرة أتباعهم وفي قلتهم، قال الرسول ﷺ: "عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادا كثيراً سدّ الأفق فرجوت أن تكون أمتي"[١].

ولا يعقل أن نبياً يتعرض لاعتداء ولا يذود عن نفسه، ولقد تمنى لوط عليه السلام أن يكون له قوة أو عشيرة تحميه، فيذود عن نفسه وضيفه، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (هود ١١/٨٠) قال الطبري: "قال لوط لقومه حين أبوا إلاّ المضي لما قد جاءوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم.
﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً ﴾ بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني ﴿ أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ يقول: أو انضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم لَحِلْتُ بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي"[٢].

ولقد تعرّض المسيح عليه السلام لمؤامرة استهدفت حياته، فلم يقاوم وفق ما نقلته الأناجيل، ولا سمح لتلاميذه أن يقاوموا، قال متى: "واستل (تلميذه "سمعان") سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه. قال يسوع: رد سيفك إلى غمده، فإن الّذين يلجأون إلى السيف، بالسيف يهلكون"[٣]. ورُفع المسيح عليه السلام بعد تلك المحاولة، فماذا فعل أتباعه؟ وهل كان بمقدورهم أن يفعلوا شيئا؟ ومن قبل قتل "هيرودس" يحيى عليه السلام بدمٍ بارد، وقدّم رأسه على طبق لابنة زوجته، لتحمله بدورها إلى أمها "هيروديا"، ولم يثأر له تلامذته، أو لعلهم لم يقووا على ذلك، وبدلاً من أن تُشَنّع الأناجيل على فعل "هيرودس" التمست له العذر،

---

[1] - البخاري م.س، ٥٦ كتاب الطب، ٤١ باب من لم يرق، ح ٥٣١١.

[2] الطبري م.س، مج٧ ج ١٢، ص ٨٦

[3] مت ٢٦ ٥١ ومر ١٤ ٤٧ ولو ٢٢ ٤٩ ويو ١٨ ١٠، ١١

وذكرت أنه أقدم على فعلته ليكون باراً بيمينه للفتاة، وإنه حزين لمقتلـه"[١]، فمقتل نبي أهون عليه من أن يحنث بيمينه. فهل لأحد بعد ذلك أن يقول: إن يحيى وعيسى عليهما السلام أنبياء سلام؟ وهل كان بمقدورهم أن يدافعوا عن أنفسهم، وأن يطاردوا الشياطين، وأن يميطوا العقبات التي تحول دون تبليغ رسالتهم ولم يفعلوا؟ ومن أين لعيسى عليه السلام أن يقاوم اليهود ومن خلفهم الرومان؟ لقد وشى به أحد تلامذته وباعه لخصومه بحفنة من المال، ودلهم على مخبئه، وجعل تقبيله أمامهم علامة دالة عليه، وتركه تلامذته، وهرب أحدهم عريانا، وتبرأ الآخر منه ثلاث مرات قبل صياح الديك، قال متى: "عندئذ ذهب واحد من الإثني عشر، وهو المدعو " يهوذا الإسخريوطي"، إلى رؤساء الكهنة، وقال: كم تعطونني لأسلمه لكم؟ فوزنوا له ثلاثين قطعة من الفضة. ومن ذلك الوقت أخذ يتحين الفرصة لتسليمه"[٢]. وقال مرقس:"وكان مسلّمه قد أعطاهم علامة قائلا: الّذي أقبله فهو هو. فاقبضوا عليه وسوقوه بحذر. فما أن وصل يهوذا حتّى تقدم إليه، وقال: يا سيدي! وقبله بحرارة، فألقوا القبض عليه... عندئذ تركه الجميع وهربوا. وتبعه شاب لا يلبس غير إزار على عربة، فأمسكوه. فترك الإزار وهرب منهم عرياناً"[٣]. وقال متى: "... وبعد قليل تقدم الواقفون هناك إلى بطرس وقالوا له: بالحق إنك واحد منهم، فإن لهجتك تدل عليك! فابتدأ بطرس يلعن ويحلف قائلاً: إني لا أعرف ذلك الرجل! وفي الحال صاح الديك. فتذكر بطرس كلمة يسوع إذ قال له: قبل أن يصيح الديك تكون قد أنكرتني ثلاث مرات، فخرج إلى الخارج وبكى بكاء مرا"[٤].

وانقسم علماء اللاهوت على أنفسهم في نظرتهم لما يفهم منه عنف واستخدام قوة في الأناجيل، وتباينت أفهامهم في تفسير تلك النصوص، وفي عرضها إلى الآخر، وقد تجد الواحد منهم يتبنى وجهتي نظر مختلفتين تماماً. يقول "الأنبا غريغورس" مؤكداً على مشروعية استخدام العنف ويرى ذلك واجبا مقدسا لابدّ منه لإتمام الواجب: "إنه إن كان قد جاء لينعم بالسلام على أهل الأرض، فإنّ ذلك لن يكون إلاّ بعد صراع عنيف مخيف

---

1- مت ١٤: ٩-١١ ومر٦: ٢٦-٢٨.

2- مت ٢٦: ١٤-١٦ ومر ١٤: ١٠، ١١ ولو ٢٢: ٣-٦.

3- مر ١٤: ٤٤-٥٢.

4- مت ٢٦: ٧٣-٧٥ ومر ١٤: ٦٦-٧٢ ولو٢٢: ٥٥-٦٢ ويو ١٨: ١٢-٢٧.

يضطرم كالنار بين الأفكار التي جاء هو بها، وبين الأفكار الّتي غرسها الشيطان في أهل الأرض، وبعد صراع عنيف مخيف يضطرم كالنار أيضا بين الّذين يعتنقون الأفكار الّتي جاء هو بها ويؤمنون به وبها، وبين الّذين يتشبثون بالأفكار الّتي غرسها الشيطان فيهم ويدافعون عنها دفاع الوحوش الشرسة المفترسة، الّتي يتقمصها الشيطان فينفث فيها كلّ ما هو فيه من وحشية وشراسة وشهوة للافتراس. وكلما ازداد عدد المؤمنين بمخلصنا، ازداد عدد المقاومين لهم من جنود الشيطان، وازدادت نار الصراع بين الجانبين اضطراماً واحتداماً وهذا هو بالذات ما أراده مخلصنا ليقاوم الشرّ بالخير حتّى يفنيه، ويقاوم الأشرار بالأخيار حتّى يقضي عليهم. ولا بد أن يسقط في حومة هذا الصراع كثيرون من الشهداء المدافعين عن الخير المقاومين للشر... وإن مخلصنا قد أعلنها حربا على الشيطان، لن تنطفئ نارها أو يخمد أوارها، حتّى يقضي عليه القضاء الأخير، مهما اقتضت هذه الحرب من جهد وعناء، ومهما سقط في ساحتها من شهداء"[1]. ويقول: "الدعوة المسيحية ستؤدي إلى انقسامات ومنازعات"[2]. وفي موضع آخر يحاول صرف اللفظ عن ظاهره، للتهرب من استخدام السيف رمز العنف والشدة، فيقول معلقا على عبارة "ومن منكم ليس له سيف فليبع ثوبه وليشتر سيفا"[3]: "ومن ليس له سيف يدافع عن نفسه، ضد قوات الشر الّتي تطارده لأنه محتاج لأن يبيع ثوبه ويشتري بثمنه سيفا، ولم يكن فادينا يتحدث هنا عن السيف المعدني، فإنه لم ينصح باستعماله قط، وإنما عنى سيف الروح الّذي هو كلمه الله" (أفس ٦:)[4]،

والذي هو أقوى وأمضى من كل السيوف المعدنية وكل أسلحة الأرض، غير أنّ تلاميذه لم يفهموا حقيقة قصده فقالوا: "يا رب هو ذا هنا سيفان"[5]، ويقول القديس يوحنا: "إنهما لم يكونا سيفين عاديين وإنما كانا سكينتين كبيرتين من سكاكين الفصح حملهما التلاميذ معهم للدفاع عن أنفسهم وعن معلمهم، بعد أن سمعوا أنّ اليهود آتون لقتالهم، وإذ وجد مخلصنا

---

1- الأنبا غريغوريوس ومن معه: م.س، ص ٣٢٥-٣٢٧.

2- ن.م، ص ٨٩.

3- لو ٢٢: ٣٦.

4- " واتخذوا الخلاص خوذة الرأس، وكلمة الله سيف الروح " أف ٦: ١٧.

5- لو ٢٢: ٣٨.

أن تلاميذه أخطأوا الفهم قال لهم: كفاكم، أي كفوا عن هذا الفهم الخاطئ، فما تكلمت عن هذا النوع من السيوف"[١].

ويقول مظهر الملوحي: "المسيح أساس الانقسام: إن رسالة المسيح تسبب بمعنى آخر الخلاف والشقاق، فيدعو المسيح الناس لتكريس حياتهم كاملة لاتباعه ويطالبهم بولاء يفوق سائر العلاقات الأخرى، والّذين لم يقبلوا رسالته علقوه فوق عود الصليب كما قال لحواريه "ليس عبد أعظم من سيده، إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم" (يوحنا ١٥: ٢٠)"[٢].

ويقول الفغالي: "مجيء المسيح سبب الخلاف بين البشر... إنّ يسوع لا يحمل السلام إلاّ للذين يقبلون في الإيمان. ولهذا يستطيع أن يقول إنه يحمل السلام كما يحمل الخلاف والانقسام"[٣]، ويقول في موضع آخر: "لقد فهمت كلمات يسوع هذه بطرق متعددة إما بطريقة حرفية: عنى يسوع حقا سيفين، إنهما يكفيان من أجل القتال المقبل، وإمّا بطريقة أخرى. قال كيرلس الإسكندراني في تفسيره للوقا: أهذا كل ما لديكم؟ لهجة يسوع لهجة مداعبة غير أنّ المداعبة لا تعني عدد السيوف، بل عقلية الرسل الّذين لم يفهموا بعد طريقة يسوع، إنه لا يحتاج إلى سيوف من أجل الدفاع عن نفسه[٤]. ويقول: "وينتهي الحدث بإشارة إلى عدم فهم لدى الرسل بما أنّ يسوع أدخل فيه (لو٢٢:٣٦) مسألة جديدة تدعو الرسل ليحملوا معهم سيفين، فقد فهموا كلامه بشكل حرفي وقالوا له "يا رب ههنا سيفان" (لو٢٢:٣٨) وجاء كلام يسوع على سبيل المداعبة التي هي شبه ساخرة"[٥].

وهكذا نرى أن علماء اللاهوت قد انقسموا على أنفسهم، فنادوا باستخدام العنف والقوة تارة، ونادوا بالصفح والتجاوز والسلام تارة أخرى، وحاولوا جاهدين أن يصرفوا اللفظ عن ظاهره دون حاجة لذلك.

---

[1]- الأنبا غريغوريوس ومن معه: م.س، ص ٤٧٠.

[2]- مظهر الملوحي ومن معه: م.س، ص ٢٣٣.

[3]- الفغالي، الخوري بولس: إنجيل لوقا، صعود يسوع إلى أورشليم، ج٢، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

[4]- الفغالي، الخوري بولس: إنجيل لوقا، يسوع في أورشليم، الآلام والقيامة، ج٣، ص ٣٢٢.

[5]- ن.م، ص ٣٢٢.

## الخـــلاصـــــة

النصرانية رسالة سماوية قبل التحريف، والمسيح عليه السلام نبي مبعوث من ربّ العالمين أرسله الله لبني إسرائيل بشيراً ونذيراً كغيره من إخوانه من الأنبيـــاء والمرســـلين علـــيهم السلام، وجميعهم رسل خير وسلام، فليس لأحد أن يخصّه دون غيـــره بـــذلك، وإن كـــان واقعه الذي عاشه وقلّة أتباعه جعلاه كذلك. والذي يقرأ حجاجه مع يهود يدرك كـــم كـــان قوياً وعنيفاً معهم، لدرجة أنّه كان يفحمهم ويسكتهم ويقيم عليهم الحجّة من خلال موروثهم الديني، فلا يجرؤون على معاودة سؤاله.

إنّ البشر لم يتلقوا أي ديانة بالتسليم، فقد مضت سنة الله في خلقه أنه كلما بعث نبي قيّض الله له من يؤمن به ويسير في ركبه، وقيّض له من يعاديه. والمسيح عليه السلام مثلما دعـــا إلى المحبة والصفح والتجاوز والسلام دعا إلى الشدة والعنف مع خصومه وأعدائه، وحذّر تلاميذه من الاضطهاد الذي سيحلّ بهم بسبب إيمانهم، وهكذا يبتلى أتباع الأنبيـــاء. فلـــيس لأحد أن يحمّل النصوص أكثر ممّا تحتمل، أو أن يجردها من مـــضمونها، ولا أدري مـــا الذي دفع بعلماء اللاهوت إلى تلك التأويلات التي صرفتها عن ظواهرهـــا، فـــلا داعـــي للتهرّب من تفسير ما جاء في الأناجيل بخصوص العنف والقوة تفسيراً واقعياً، وليس هـــذا مطعناً فيها فهي ظاهرة طبيعية أن يختلف الناس في شأن أي نبي، فيقبلونه أو يرفـــضونه، ويتابعونه أو يعادونه، وتبعاً لذلك تكون علاقة نبيهم بهم.

ومع ما في الأناجيل من تحريفٍ فإنها تأمر بطاعة الله والعمل بـــأوامره، وتـــشتمل على جملة من التوجيهات التربوية والأخلاقية، وتزكية النفوس، والـــدعوة إلـــى المحبـــة والإحسان والرحمة، وانتهاج سبيل الكمال، وتحثّ أتباعها على فعل الخيـــرات والتمـــسك بالفضائل وروح المحبة والتآخي. وهكذا حال الأنبياء عليهم السلام مع أممهم وشعوبهم.

تمهيد:

لقد بعث محمد ﷺ إلى الناس كافة، فالرسالة عامّة والرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ٢١/١٠٧)، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب ٣٣/٤٠)، فعالمية الدعوة اقتضت منه ﷺ مخاطبة جميع البشر على اختلاف مللهم ونحلهم، فكيف كانت منهجيته ﷺ وهديه في التعامل مع الخلق إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم من حين بعث إلى أن لقي الله عزّ وجلّ؟ وما أثر سلوكه وأخلاقه في استقطاب مناوئيه وخصومه؟ وهل كان الخصوم يستفزونه وينسونه رسالته؟ ومتى كان يغضب؟ وما أهمّ سمات الحوار التربوي والأخلاقي النبوي؟

## هديه ﷺ في التعامل مع أهل الأرض:

١. هديه ﷺ في التعامل مع الكفار: بيّن الإمام ابن القيّم هديه ﷺ في التعامل مع الكفار أتمّ بيان فقال:" أوّل ما أوحي إليه ربّه تبارك وتعالى: أن يقرا باسم ربّه الّذي خلق، وذلك أوّل نبوته، وأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ (المدثر ٧٤/١، ٢)، فنبأه بقوله ﴿ٱقۡرَأۡ ﴾ (العلق: ٩٦/١)، وأرسله بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثمّ أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين، فأقام بضعة عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ويؤمر بالكف والصبر والصفح.

ثمّ أذن له بالهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكفّ عمّن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتّى يكون الدين كله لله، ثمّ كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمّة، فأمر أن يتم لأهل العهد والصّلح عهدهم، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم

عهدهم، ولم يقاتلهم حتّى يعلمهم بنقض العهد، وأمر أن يقاتل من نقض عهده. ولمّا نزلت (سورة براءة)، نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلّها، فأمره فيها أن يقاتل عدوّه من أهل الكتاب حتّى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان. وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام: قسما أمره بقتالهم، وهم الّذين نقضوا عهده، ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم. وقسما لهم عهد مؤقت لم ينقضوه، ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتمّ لهم عهدهم إلى مدّتهم. وقسما لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه، أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر، وهي الأشهر المذكورة في قوله تعالى:﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ ﴾ (التوبة ٩/٢)، فإذا انسلخت قاتلهم، وهي الحرم المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ (التوبة ٩/٥). وهو إنما أجلهم أربعة أشهر، ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم، فقاتل الناقض لعهده، وأجّل من لا عهد له، أو له عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يتمّ للموفي بعَهدِه عَهدَه إلى مدّته، فأسلم هؤلاء كلّهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدّتهم. وضرب على أهل الذمّة الجزية.

فاستقرّ أمر الكفار معه بعد نزول "براءة" على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصّلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمّة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب"[1].

٢. هديه ﷺ في التعامل مع المنافقين: قال ابن القيّم: "وأمّا سيرته في المنافقين، فإنّه أمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة، وأمره

---

[1]- ابن القيّم: زاد المعاد، ج٣، ص ١٥٨-١٦٠.

أن يعرض عنهم، ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهاه أن يصلي عليهم، وأن يقوم على قبورهم، وأخبره أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم"[1].

فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (التوبة ٩/٧٣). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة ٩/٨٤). وقال تعالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ (التوبة ٩/٨٠).

٣. هديه ﷺ في التعامل مع شياطين الإنس والجنّ: قال ابن القيّم: "وأمره في دفع عدوه من شياطين الإنس، بأن يدفع بالتي هي أحسن، فيقابل إساءة من أساء إليه بالإحسان، وجهله بالحلم، وظلمه بالعفو، وقطيعته بالصلة، وأخبره أنه إن فعل ذلك، عاد عدوّه كأنّه وليّ حميم. وأمره في دفع عدّوه من شياطين الجنّ بالاستعاذة بالله منهم، وجمع له هذين الأمرين في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف ٧/١٩٩، ٢٠٠)، وقال تعالى: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ۝٩٥ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾ (المؤمنون ٢٣/٩٣-٩٧)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا

[1]- ن.م، ص ١٦١.

﴿يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (فصلت ٤١/٣٤-٣٦).

٤. هديه ﷺ في التعامل مع اليهود: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأقام دولة الإسلام، بدأ بالمآخاة بين المهاجرين والأنصار، وأمّا بالنسبة لليهود فكان هناك ثلاثة قبائل هي: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، فوادعهم ﷺ وأحسن إليهم لكونهم أهل كتاب وأعرف الناس به ﷺ، فكان يأمل في إسلامهم، وكتب بينه وبينهم كتابا حدد به علاقتهم مع المجتمع المسلم[1]، ولكن أحبارهم أحسوا بخطر الدين الجديد على مكانتهم التقليدية بوصفهم أهل الكتاب الأول، وقد كانوا يتمتعون بمكانة عظيمة بين أهل يثرب بسبب هذه الصفة، فناصبوا الرسول ﷺ والمسلمين العداوة، بغيا وحسدا وضغنا لما خصّ الله به العرب من أخذه رسوله منهم، فحاربته القبائل الثلاث، فمنّ على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وأجرى على بني قريظة ما لم يجر على غيرهم، فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة، وكانت غزوة بني قينقاع عقب بدر، وغزوة بنو النضير عقب غزوة أحد، وغزوة بنو قريظة عقب الخندق[2]، وصالح أهل خيبر لما ظهر عليهم، على أن يجليهم منها ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ السلاح، وأبقاهم في أرضهم على أنّ لرسول الله ﷺ الشطر من كلّ شيء يخرج منها من ثمر أو زرع، ولهم الشطر، وعلى أن يقرهم فيها ما شاء[3].

٥. هديه ﷺ في التعامل مع أوليائه وحزبه: قال ابن القيّم: "وأمّا سيرته في أوليائه وحزبه، فأمره أن يصبر نفسه مع الّذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، وأن لا تعدو عيناه عنهم، وأمره أن يعفو عنهم، ويستغفر لهم، ويشاورهم في الأمر، وأن يصلّي عليهم. وأمره بهجر من عصاه، وتخلّف عنه حتّى يتوب ويراجع طاعته، كما هجر الثلاثة الّذين خلّفوا.

---

[1]- انظر ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٠١-٥٠٤.

[2]- ن.م.: ص٥١٣، ابن القيّم: زاد المعاد، ج٣، ص١٢٦-١٣٥. ابن عبد الوهاب، محمد: م.س، ص ١٦١، ١٧٦، ١٧٧

[3]- ابن القيّم: زاد المعاد، ج٣، ص ١٤٣، ١٤٤. ابن عبد الوهاب، محمد: م.س، ص١٨٧.

وأمره أن يقيم الحدود على من أتى موجباتها منهم، وأن يكونوا عنده في ذلك سواء شريفهم ودنيئهم"[1].

وفي أمره بالتزام جماعتهم قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ (الكهف ١٨/٢٨)، وقال تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ (الصف ٦١/١٤)، وفي أمره بالعفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم، قال تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران ٣/١٥٩)، وفي أمره بالصلاة عليهم، قال تعالى﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة ٩/١٠٣)، وفي إقامة الحدود على من أتى بموجباتها وأن يكونوا في ذلك سواء، قال ﷺ: "أتشفع في حدّ من حدود الله؟ ثمّ قام فاختطب، ثمّ قال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله! لو أنّ فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها"[2].

فهذه سيرته ﷺ، وهذا هديه مع أهل الأرض، إنسهم، وجنهم، مؤمنهم، وكافرهم.

سمات الحوار التربوي والأخلاقي النبوي:

نستطيع أن نتلمس سمات حوار الرسول ﷺ التربوي والأخلاقي من خلال المحاور الآتية:

---

1- ابن القيّم: زاد المعاد، ج٣، ص ١٦١.

2- البخاري: م.س، ٦٠ كتاب الأنبياء، ٥٤ باب حدثنا أبو اليمام، ح ٣٢١٦. مسلم: م.س، ٣٠ كتاب الحدود،٢ باب قطع يد السارق الشريف وغيره، ح ٣١٩٦.

١. أخلاقياته وضوابطهﷺ: لقد أثنى الله على نبيّه ﷺ بقولــه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤/٦٨)، وهذه شهادة حسن سلوك لنبينا ﷺ من ربّ العالمين، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قــال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[١]، نقل السيوطي وكذا الواحــدي: "عــن عائــشةﷺ قالت: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه، ولا من أهــل بيته إلاّ قال: لبيك، فلذلك أنزل الله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾"[٢]،ونقل ابن كثيــر: "عــن قتادة أنّ عائشة سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن"[٣]، ومعنــى هــذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً، تطبّعه وترك طبعه الجبلّي، فمهمــا أمره القرآن فعله ومهما نهاه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحيــاء والكرم والشجاعة والصّفح والحلم، وكلّ خلق جميل[٤]، وعن أنس ﷺ قال: "خدمت النبــيّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفّ ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت"[٥]، وعن عائشة رضــي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادما له قطّ ولا امرأة، ولا ضرب رســول الله ﷺ بيده شيئاً قطّ إلاّ أن يجاهد في سبيل الله، ولا خيّر بين أمرين قط إلاّ كــان أحبهمــا إليه أيسرهما حتّى يكون إثما، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه مــن شيء يؤتى إليه حتّى تنتهك حرمات الله عزّ وجلّ فيكون هو ينتقم لله عزّ وجــلّ"[٦]، وعــن عبد الله بن عمر ﷺ قال: "لم يكن النبيّ ﷺ فاحشاً ولا متفحّــشاً، وكــان يقــول: إنّ مــن خياركم أحسنكم أخلاقا"[٧].

---

1- ابن حنبل: م.س، ٦ كتاب باقي مسند المكثرين، ٢ باب باقي المسند السابق، ح ٨٥٩٥.

2- السيوطي: م.س، ص ٣٠٦. الواحدي: م.س، ص ٢٤٩.

3- ابن حنبل: م.س، ١٣ كتاب باقي مسند الأنصار، ١٦٣ باب باقي المسند السابق، ح ٢٤٦٢٩.

4- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص 402.

5- البخاري: م.س، ٧٨ كتاب الأدب، ٣٩، باب حسن الخلق، ح ٥٥٧٨. مسلم: م.س، ٤٤، كتاب الفضائل، ١٣ باب كان الرسول ﷺ أحسن الناس خلقا، ح ٤٢٦٩.

6- ابن حنبل: م.س، ح ٢٤٧٦٥.

7- البخاري: م.س، ٦١ كتاب المناقب، ٢٣ باب صفة النبيّ ﷺ،ح ٤٢٩٥. مسلم: م.س، ٤٤ كتاب الفضائل، ١٦ باب كثرة حيائه ح ٤٢٨٥.

لقد كان الرسول ﷺ يلتزم بالضوابط الأخلاقية مع محاوريه، حتّى حظي بهذه المرتبة عند ربّه عزّ وجلّ، وإذا ما تتبعنا منهجيته ﷺ مع محاوريه وجدناه قد تمثل بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل ١٦/١٢٥)، وقوله تعـالى: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت ٢٩/٤٦)، وقوله تعـالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت ٤١/٣٣-٣٥)، وغيرهـا من التوجيهات الإلهية.

٢. حرصه ﷺ على إيمان الآخر: من كمال شفقته ورحمته بالناس، ومبالغته في تحـذيرهم مما يضرهم ما رواه أبو هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ مثلي ومثل النـاس كمثـل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدوابّ التي تقع فـي النـار يقعن فيها، فجعل ينزعُهُنّ ويغلبهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها، وأنا آخذ بحجزكم عـن النـار وهم يقتحمون فيها"[1]. فهذا الحديث وغيره يدلنا على كمـال حرصـه ﷺ علـى هدايـة العالمين، فعلى كل موحد أن يقتفي أثره وأن يتابعه في نهجه، وأن يجند نفسه على أبـواب النيران يذود ويبعد خلق الله عنها شفقة ورحمة بهم، وأمّا المؤمنون فقد كان رحيماً بهـم، لينا معهم، وبذلك كثر حوله الأتباع، قال تعـالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ٣/١٥٩)، وقال تعـالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ

---

[1] البخاري: م.س، ٨١ كتاب الرقاق، ٢٦ باب الانتهاء عن المعاصي، ح ٦٠٠٢. مسلم: م.س، ٤٤ كتاب الفضائل، ٦ باب شفقته ﷺ على أمّته، ح ٤٢٣١.

وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح ٤٨/٢٩).

ولو تتبعنا حياته ﷺ من حين بعث إلى أن لقي الله عزّ وجلّ، لما لقينا فراغاً في حياته، فلا إجازة مرضية، ولا عرضية، بل عمل وتبليغ وجهاد، فقد أنذر عشيرته الأقـربين وأنـذر قومه، وأنذر العرب والناس أجمعين. وهذه نماذج تدلّ على حرصه على تبليغ العـالمين: حديث أبي هريرة ﷺ، قال: "قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء ٢٦/٢١٤)، فقال: يا معشر قريش! "أوْ كلمة نحوها" اشتروا أنفـسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبـد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا. ويا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنـك مـن الله شيئا. ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا"[1].

- وجمع الرسول ﷺ يهود بني قينقاع وبلّغهم وحذرهم، قال ابن إسحق: "ولما أصاب الله عزّ وجلّ قريشاً يوم بدر، جمع رسول الله ﷺ يهود في سوق بني قينقاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود أسلموا، قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب بـه قريشاً"[2].

ودخل الرسول ﷺ على اليهود حيث يتدارسون كتابهم فبلغهم وحذرهم، واستخدم موروثهم الديني في مخاطبتهم، قال ابن إسحق: "ودخل رسول الله ﷺ بيت المدْراس على جماعـة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنـت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه، قالا: فإنّ إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسـول الله ﷺ: فهلمّ إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

---

1- البخاري: م.س، ٥٥ كتاب الوصايا، ١١ باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، ح ٢٥٤٨. مسلم: م.س، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى:﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾، ح ٣٠٥.

2- ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٥٢.

﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران ٣/٢٣، ٢٤)"[١].

- ومن حرصه أن يعمّ الخير كلّ الناس ادخاره دعوته المجابة ليوم القيامة، فشفاعته تشمل الجميع المؤمن والكافر، عندما يؤذن للخلق بالحساب، وأمّا الذين آمنوا فيحظون ببقية شفاعته ﷺ ، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "كلّ نبيّ سأل سؤالاً، أو قال: لكلّ نبيّ دعوة قد دعا بها فاستجيبت، فجعلت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة"[٢].

٣) تسامحه ﷺ مع الآخر: فقد كان النبي ﷺ متسامحاً مع الجميع، يصبر ويحتسب، ولا يغضب لنفسه أبدا، فعفوه وحلمه يغلبان غضبه وانتقامه إلاّ أن تنتهك حرمات الله، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاّ أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ، إلاّ أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها"[٣].

ومن شفقته ﷺ على قومه ورحمته بهم، وتسامحه معهم، وعدم حبّه للانتقام منهم، وصبره عليهم، أنّه رفض تدخل ملك الجبال، الّذي جاءه يريد أن يطبق عليهم الأخشبين[٤]، وكان يأمل أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، فعن عروة أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النبيّ ﷺ حدثته أنها قالت للنبيّ ﷺ: "هل أتى عليك يوم أشدّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا

---

1- ن.م، القسم الأول، ص ٥٥٢، ٥٥٣.

2- البخاري: م.س، ٨٠ كتاب الدعوات: ١ باب لكل نبي دعوة مستجابة، ح ٥٨٣٠. مسلم: م.س، ٢ كتاب الإيمان، ٨٦، باب اختباء النبيّ ﷺ دعوته الشفاعة لأمته، ح ٢٩٩.

3- البخاري: م.س، ٦١ كتاب المناقب، ٢٣ باب صفة النبي ﷺ ح ٣٢٩٦. مسلم: م.س، ٤٤ كتاب الفضائل، ٢٠ باب مباعدته ﷺ للآثام واختيار المباح ح ٤٢٢٤.

4- الأخشبان: هما جبلا مكة، أبو قُبيس والذي يقابله، وكأنه قيقعان. ابن حجر: م.س، ج٦، ص ٣١٣.

مهموم، على وجهي، فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثمّ قال: يا محمد، فقال: ذلك ما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، فقال النبيّ ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا"[1].

ومن تسامحه ﷺ مع قومه أنه لم يثأر لعمه حمزة ﷺ، ولم ينتقم له، بل عفا وصفح، نقل السيوطي وكذا الواحدي: "عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثّل به، فقال: لأمثّلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل١٦/-١٢٦-١٢٨) ، فكفّ رسول الله ﷺ وأمسك عمّا أراد"[2]. وفي ذلك يقول وحشي قاتل حمزة: "قدمت على النبي ﷺ فلما رآني قال: أنت وحشيّ؟ قلت نعم، قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما قد بلغك، قال: هل تستطيع أن تغيّب وجهك عني؟ قال: فلمّا قبض رسول الله ﷺ وخرج الناس إلى مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة الكذاب لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان"[3].

وقال ابن كثير في قوله: "﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن، فإنّها مشتملة على مشروعية العدل والندب إلى الفضل، كما في قوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (الشورى ٤٢/٤٠)، ثمّ قال: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الشورى ٤٢/٤٠)، وقال: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (المائدة ٥/٤٥)، ثمّ قال: ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ

---

[1] – البخاري: م.س، ٤١ كتاب بدء الخلق، ٦ باب ذكر الملائكة، ح ٢٩٩٢.

[2] – السيوطي: م.س، ص١٦٧. الواحدي: م.س، ص١٦٣ وانظر ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص ٩٥، ٩٦.

[3] – الواحدي: م.س، ص١٦٥.

﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ (المائدة ٥/٤٥)، وقال في هذه الآيـة ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾، ثمّ قال: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأنّ ذلك لا ينال إلاّ بمـشيئة الله وإعانتـه، وحولـه وقوته[1].

والإسلام لم يغفل العواطف البشرية، فشرع العدل وجعل القصاص عقوبـة رادعـة للمعتدين، إلاّ أنّه رغب في الصفح والتجاوز، وبذلك جعل حدودا عليا وحدودا دنيا، فالحـدّ الأعلى أن يعفو المرء ويتجاوز، والحد الأدنى أن يأخذ بحقه ويقتص ممن ظلمه، والرسول ﷺ عفا وصفح وتجاوز.

ومن تسامحه ﷺ مع قومه: أنه عمل على عدم إراقة الدماء يوم فتح الله عليه مكـة، ففتح الباب على مصراعيه لتحقيق هذه الغاية، ومن ذلك: ما أعطـاه لأبـي سـفيان مـن مكرمة، إذ جعل بيته ملاذا آمنا للخائفين، قال ابن إسحق: "قال العباس: قلت يا رسول الله، إنّ أبا سفيان يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئا، قال: نعم، من دخل دار أبي سـفيان فهـو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"[2]. ولمّا مكنه الله من الـبلاد والعباد، صفح وتجاوز، وما زالت كلمته ﷺ في العفو العام عن أهل مكة تتردد على كـلّ لسان إلى يومنا هذا، قال ابن إسحق" ثمّ قال يا معشر قريش ما ترون أنـي فاعـل فـيكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء"[3]. ولما أراد علي بن أبي طالـب ﷺ أن تجمع لهم الحجابة مع السقاية أبى إلاّ إعادة الحقوق إلى أصحابها، قال ابن إسحق: "ثمّ جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ﷺ ومفتاح الكعبـة فـي يديه، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليـك، فقـال رسـول

---

1- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٥٧٣.
2- ابن هشام: م.س، القسم الثاني، ص٤٠٣.
3- ن.م: القسم الثاني، ص٤١٢.

اللهﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ ووفاء"[١].

ولما ضاقت الدنيا على سعتها في وجه من عظم كفرهم وزاد أذاهم للإسلام وأهله، وفرّوا من وجه الرسول ﷺ أمّنهم وعفا عنهم، ومن ذلك ما ذكرته آنفاً في حقّ وحشي، أمّا صفوان بن أمية فقد فرّ صوب جدّة، وكاد أن يركب البحر، حتّى أدركه عمير بن وهب بالأمان، فلم يصدق الخبر لعظم فَرَقِه، قال ابن إسحق: "عن عروة بن الزبير قال: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إنّ صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربا منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمّنه، ﷺ، قال: هو آمن، قال: يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته الّتي دخل فيها مكّة، فخرج عمير حتّى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به، قال: ويحك اغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبرّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمّك، عزّه عزّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع معه حتّى وقف به على رسول اللهﷺ، فقال صفوان: إنّ هذا يزعم أنّك قد أمّنني، قال: صدق، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر"[٢].

ومن تسامحه ﷺ مع من همّ بقتله: ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاة[٣]، فنزل تحت شجرة واستظلّ بها وعلق سيفه. فتفرق الناس في الشجر يستظلون. وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ، فجئنا، فإذا أعرابي قاعد بين يديه فقال: إنّ هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي، مخترط صلتاً[٤]، قال: من يمنعك مني؟

---

[1]- ن.م: القسم الثاني، ص٤١٢.

[2]- ن.م: القسم الثاني، ٤١٧، ٤١٨.

[3]- العضاة: شجر عظيم له شوك ينبت في الصحراء.

[4]- صلتاً: مجرداً من غمده.

قلت: الله! فشامه[1]، ثم قعد فهو هذا، قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ"[2]. ومثل ذلك كثير في تسامحه مع قومه.

ومن تسامحه ﷺ مع جهلة المسلمين: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ[3] بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبيّ ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذه، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"[4]. وما رواه أنس رضي الله عنه كذلك في شأن الأعرابي الّذي بال في المسجد قال: "جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ بذَنوب من الماء فأهريق عليه. وفي رواية مسلم بقوله: دعوه فلا تُزرموه[5]"[6]. يقول الصنعاني معلّقا على هذا الحديث: "وفي الحديث فوائد منها احترام المساجد فإنّه ﷺ لما فرغ الأعرابي من بوله دعاه ثم قال له: إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنّما هي لذكر الله عزّ وجلّ وقراءة القرآن، ولأنّ الصحابة لما بادروا إلى الإنكار أقرّهم ﷺ وإنما أمرهم بالرفق، كما في رواية الجماعة للحديث إلاّ مسلما أنه قال: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، ولو كان الإنكار غير جائز لقال لهم: إنه لم يأت الأعرابي بما يوجب نهيكم له، ومنها الرفق بالجاهل وعدم التعنيف ومنها حسن خلقه ولطفه بالمتعلم"[7].

---

1- شامه: أغمده.

2- البخاري: م.س، 38 كتاب الجهاد والسير، 83 باب من علق سيفه في السفر، ح ٢٦٩٤. مسلم م.س، 44 كتاب الفضائل، 4 باب توكله على الله وعصمة الله له من الناس، ح 423.

3- جبذ: جذب وشدّ بقوة.

4- البخاري: م.س، ٥٨ كتاب الأدب، ٦٨ باب القسم والعمل، ح ٥٦٢٤. مسلم: م.س، ١٣ كتاب الزكاة، ٤٥ باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ح ١٧٤٩.

5- تُزرموه: تقطعوا عليه بوله.

6- البخاري: م.س، ٤ كتاب الوضوء، ٥٨ كتاب صب الماء على البول في المسجد، ح ٢١٤. مسلم: م.س، ٣ كتاب الطهارة، ٣٠ وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، ح ٤٢٧.

7- الصنعاني الكحلاني ، محمد إسماعيل المعروف بالأمير (١٠٥٩-١١٨٢هـ): سُبل السلام شرح بلوغ المرام في أدلة الأحكام، دار الفكر، [د.م]، [د.ت]، مج١، ج١، ص ٢٥، ٢٦.

تسامحه ﷺ مع أهل الكتاب: لقد أنزل الإسلام أهل الكتاب منزلة لم ينزلها غيرهم، فقبلهم أن يعيشوا مواطنين كاملي الحقوق في أرض الإسلام، شريطة أن يدفعوا الجزية وأن ينصاعوا لأحكام الملة، قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ (التوبة ٩/٢٩). وأجاز نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة ٥/٥)، ومن تسامحه ﷺ معهم إعطاؤه لهم حق المواطنة، ومن الأمثلة على ذلك المعاهدة[١] الّتي أقامها معهم في المدينة النبوية، وتوصية خلفائه والمسلمين من بعده بالإحسان إليهم وعدم إيذائهم، قال ﷺ:"من قتل رجلا من أهل الذمّة لم يجد ريح الجنّة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عام"[٢]. ومن تسامحه ﷺ مع يهود وحرصه على إيمانهم وحبه الخير لهم دعوتهم إلى الإسلام مراراً استجابة لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ (آل عمران ٣/٦٤)، ومن ذلك ما قاله ابن إسحق: "وكلّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبد الله بن صوريا الأعور وكعب بن أسد فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أنّ الّذي جئتكم به لحقّ، قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فجحدوا ما عرفوا وأصرّوا على الكفر، فأنزل الله فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن

---

1- انظر ابن هشام: م.س، القسم الأول: ص٥٠١-٥٠٤.

2- النسائي: السنن، ٤٥ كتاب القسامة، ١٣ باب تعظيم قتل المعاهد، ح ٤٦٦٩.

نَّطۡمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولاً ﴾ (النساء ٤/٤٧) (١).

وانطلاقا من مبدأ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة ٢/٢٥٦) فقد ظلّ باب الحوار العقائدي مفتوحاً على مصراعيه مع أهل الكتاب، وكان لهم الوضع القانوني الّذي به تكفل حقوقهم ويؤدون ما عليهم من واجبات والتزامات، ولم يجعل الرسول ﷺ من عدم التوصل معهم إلى نقاط التقاء عداوة وقطيعة، فالتعاون والتعايش يستمران، ولا أدلّ على ذلك من حسن استقباله لوفد نصارى نجران وسماحه لهم بالصلاة في مسجده، وقبوله الجزية منهم بعد رفضهم المباهلة، وإرساله معهم حكماً أميناً(٢)، ورجوع اليهود إلى النبي ﷺ في حكم الرجم والدية وقبلوهم بحكمه(٣). ومن تسامحه مع يهود ما رواه أنس بن مالك ﷺ: "أنّ يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها، فقيل: ألا تقتلها؟ قال: لا. قال: فما زلت أعرفها في لهوات(٤) الرسول ﷺ"(٥). وما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السّامّ(٦) عليك ففهمتها، فقلت: عليكم السامّ واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: "مهلاً يا عائشة! فإنّ الله يحبّ الرفق في الأمر كلّه" فقلت: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: "فقد قلت: وعليكم""(٧).

والسنّة النبوية مليئة بالشواهد الدالة على حسن أخلاقه وتسامحه ﷺ مع الناس أجمعين.

---

1- ابن هشام: م.س، القسم الأول: ص٥٦١.

2- انظر ص١١٨-١٢٠ من هذه الرسالة.

3- انظر ابن هشام: م.س، القسم الأول ص ٥٦٤ - ٥٦٦.

4- لهوات: جمع لهاة وهي اللحمة المعلقة في أصل الحنك.

5- البخاري: م.س، ٣٣ كتاب الهبة، ٢٧ باب قبول الهدية من المشركين، ح ٢٤٢٤. مسلم: م.س، ٤٠ كتاب السلام، ١٨ باب السمّ، ح ٤٠٦٠.

6- السامّ: الموت.

7- البخاري: م.س، ٧٩ كتاب الاستئذان، ٢٢ باب كيف يرد على أهل الذمة السلام، ح ٥٧٨٦. مسلم: م.س، ٤٠ كتاب السلام، ٤ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، ح ٤٠٢٧.

## الخـــلاصـــة

مما تقدم يتبيّن لنا أنّ الرسول ﷺ كان حريصاً على هداية العالمين، والقضية الأهمّ في نظره نصح الناس وإرشادهم وإنقاذهم من النار، فلم يثأر ولم ينتقم لنفسه أبداً ولم يستفزه أحد، ولم ينس رسالته، ولم يدخل مع أحد في مهاترات كلامية لا تليق بمكانته، أوتضيع وقته. وقد كان ﷺ متسامحاً مع القريب والبعيد، فعفا وتجاوز وصفح، واحترم خصومه ومحاوريه وجاملهم، وأصّل فكرة احترام الآخر وإمكانية التعايش المشترك معه، وإن اختلفت وجهات النظر. وبرحمته وسموّ أخلاقه أقبل الناس على دين الله طواعية فلم يكره أحداً على ذلك، وقد استطاع أن يترجم عالمية الدعوة في دنيا الناس منذ أيامها الأول، فوجدنا بلالاً يسبق الأحباش، وصهيباً يسبق الروم، وسليمان يسبق الفرس، وعبد الله بن سلام يسبق يهود.

وهكذا ظلّ الإسلام يمتدّ وينتشر، يخترق الحدود، ولا يتعامل بلغة الألوان والأجناس حتّى وصل كلّ أرض وبلغ كلّ البشر.

# الباب الرابع

## مناهج الأنبياء عليهم السّلام في حوارهم مع الملأ

### الفصل الأول

### المنهج الفطري في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ

- المبحث الأول: المنهج الفطري في حوار موسى عليه السلام مع الملأ
- المبحث الثاني: المنهج الفطري في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ
- المبحث الثالث: المنهج الفطري في حوار محمد ﷺ مع الملأ

### الفصل الثاني

### المنهج التاريخي في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ

- المبحث الأول: المنهج التاريخي في حوار موسى عليه السلام مع الملأ
- المبحث الثاني: المنهج التاريخي في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ
- المبحث الثالث: المنهج التاريخي في حوار محمد ﷺ مع الملأ

### الفصل الثالث

### المنهج العقلي في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ

- المبحث الأول: المنهج العقلي في حوار موسى عليه السلام مع الملأ
- المبحث الثاني: المنهج العقلي في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ
- المبحث الثالث: المنهج العقلي في حوار محمد ﷺ مع الملأ

تمهيــد:

هذا الباب ليس كبقيّة أبواب الرّسالة، إنّه الخلاصة والمحصلة النهائية لها جميعاً، إنّه باب الاستنتاجات، فبعد أن اكتملت هذه المدوّنة، رأيت أن أقوم بعمليّة استقرائيّة، أقف من خلالها على مناهج الأنبياء عليهم السّلام في حوارهم مع الملأ، وليس القصد من ذلك تكرار المعلومة، بقدر ما هو الوقوف على مدى استخدامهم عليهم السّلام لهذا المنهج أو ذاك.

إنّهم بذلوا جهدهم في هداية الملأ، واستخدموا عديدا من المناهج والأساليب، وكانوا يحاكون في ملئهم حسّهم ووجدانهم، فيخاطبون فِطَرهم، ويستدعون موروثهم وتاريخهم، ويستثيرون عقولهم.

وفي هذا الباب سنركّز على هذه المناهج الثلاثة في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ، المنهج الفطري والمنهج التاريخي والمنهج العقلي.

# الفصل الأول

## المنهج الفطري في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ

تمهيـــد:

في البداية لا بدّ من التّعريف بالفطرة، يقول ابن منظور: "فطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبرأهم. والفطرة: الابتداء والاختراع. والفِطرة بالكسر: الخِلقة، والفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، وفي ذلك يقول الرّسول ﷺ: "ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه"[1]، قال ابن حجر: "وأشهر الأقوال أنّ المراد بالفطرة الإسلام"[2]. فالله سبحانه وتعالى خلق الناس موحدين وما لبثوا أن انحرفوا عن الجادة، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (البقرة ٢/٢١٣).

وإنّ هذه الفطرة هي البقيّة الباقية في النفس البشريّة، من يوم أن أخذ الله العهد والميثاق على ذريّة آدم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (الأعراف ٧/١٧٢، ١٧٣)، فأقرّ الخلق لله بربوبيته يوم أشهدهم على أنفسهم، وحذّرهم من مغبّة الارتداد بحجّتي الغفلة ومتابعة الآباء والأجداد.

وبالتّالي خاطب الأنبياء عليهم السلام الملأ بما فطرهم الله عليه من التّوحيـــد، وهـــذا النوع من الخطاب لا يحتاج إلى مزيد أدلّة، وإنّما هو تذكير بالعهد وتحريك للفطرة، فمـــن قويت فطرته استجاب، ومن ضعفت فطرته فلا تنفعه الآيات ولا النذر، ولذلك فإنّني أعتبر

---

[1] البخاري: م.س، ١٢ كتاب الجنائز، ٧٨ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ح١٢٧١. مسلم: م.س، ٤٧ كتاب القدر، ٦ باب كل مولود يولد على الفطرة، ح٤٨٠٣.

[2] ابن حجر العسقلاني: م.س، ج٣، ص٢٤٨.

الأدلّة النقليّة والعقليّة، التي نسوقها لإقناع الآخر وإقامة الحجّة عليه، منبّهات ومحرّكات لدواعي الفطرة ليس أكثر من ذلك، وهي وحدها لا تكفي لانصياع الآخر للحقّ، والعقل وحده لا يكفي حكماً فصلاً إذا لم تعانقه الفطرة وتصدّقه فيما ذهب إليه.

والمنهج الفطري: هو المنهج الذي يُعنى بمخاطبة الفطرة السليمة، ومخاطبة الإنسان من خلال فطرته، وهو المنهج الوجداني الذي يختصّ بمخاطبة المشاعر والأحاسيس، والوجدان وعاء الشعور، يقول الدكتور فرج الله أبو عطاء الله: "الوجدان وعاء للشعور ربّما ينشأ عن إدراك معنى من المعاني السارة أو المؤلمة، وعن التأثّر بأحاسيس سارة أو مؤلمة، ومخاطبة الوجدان بهذا المعنى استخدمها القرآن الكريم في الردّ على المكذّبين للبعث، كما استخدمها في إقناع النفس البشريّة في عرض شبهات المنكرين والردّ عليها من الناحيّة الوجدانيّة"[1].

ويقول الدكتور التهامي نقرة: "إنّنا لنجد في القرآن والحديث وفي الأناجيل ما يدلّ على أنّ الفطرة السليمة هي شعور الإنسان دوماً بضعفه أمام قوّة الله، وبفقره أمام غناه، وبذلّه أمام عزّته، وبحاجته إلى رحمته، فالأنبياء، وهم صفوة من قرّبه الله إلى حظيرة قدسه، وبرأه من النقائص وعصمهم من الذنوب والآثام، تراهم يتوجّهون إلى الله في ضراعة واستكانة، مؤملين رضاه، راجين عفوه، قال نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (هود:١١/٤٧) ...وليؤكّد الخالق دوام الصلة بينه وبين أنبيائه كانت أجلّ الصفات التّي ينعتهم بها هي صفة العبوديّة له سبحانه: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٣٨/٣٠)، وهذه الصلة الإلهيّة المبنيّة على ضعفهم أمام قوّته سبحانه هي خير ما يستمدّون منه القوّة والثبات في الحقّ، والقدرة على مقاومة الصعاب، والصبر على تحمّل الأذى في الدعوة،

---

[1] - فرج الله ، أبو عطاء الله: م.س ، ص ٤١٨

وهذا الشعور هو الذي يهذّب النفوس، ويفجّر ينابيع الخير، ويرهف الحساسيّة، ويغرس الرحمة التي تتسّم ظلالها على المكروبين والمعذّبين في ساعات العسرة والضيق"[١].

وفي هذا الفصل سنقف على مدى استخدام الأنبياء عليهم السّلام للجانب الفطري في حوارهم للملأ، ومدى تأثيرهم فيهم، ومدى نجاحهم أو إخفاقهم.

[1] - نقرة، التهامي: عقيدة البعث في الإسلام، نشرية مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، سلسلة الدراسات الإسلاميّة، الجامعة التونسيّة، تونس ١٩٧٥، ص ٢٩-٣١

## المبحث الأول: المنهج الفطري في حوار موسى عليه السلام مع الملأ

تمهيد:

ملأ موسى عليه السلام هم فرعون وبنو إسرائيل، ومعلوم أنّ التوراة لم تسجّل حواراً دينيّاً بين موسى عليه السلام وفرعون، وإنّما كان حوارا قوميّاً، وجاء القرآن الكريم فصحّح وأكمل النقص، وفي هذا المبحث سنرى مدى استخدام موسى عليه السلام للمنهج الفطري سواء من خلال القرآن الكريم أو العهد القديم.

وهذه نماذج من اعتماده عليه السلام المنهج الفطري في حواره مع بني إسرائيل من خلال التَوراة:

الوصايا العشر: وهي جملة الأوامر والنواهي والتوجيهات لبني إسرائيل تقول التوراة: "ثم نطق الله بجميع هذه الأقوال: أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك. لا يكن لك آلهة أخرى سواي. لا تنحت لك تمثالا. ولا تصنع صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من أسفل الأرض لاتسجد لهن ولاتعبدهن ... أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك لا تقتل، لا تزن، لا تسرق لا تشهد زوراً على جارك. لا تشتهي بيت جارك، ولا زوجته، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره ولاحماره، ولا شيئا ممّا له"[١].

شريعة محبة: وهي توجيه لبني إسرائيل أن يحبوا الله، تقول التوراة: "اسمعوا يا بني اسرائيل: الرب إلهنا رب واحد فأحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم ..."[٢].

توحيد الله: جاءت التَوراة قبل التحريف بتنزيه الله سبحانه وتعالى وبالتّحذير من عبادة غيره، فتقول: "اصغوا إليَّ يا بيت يعقوب، ويا بقيّة ذرّية إسرائيل الذين حَمَلْتُهُم منذ أن حبل بهم، وتكفلت بهم منذ مولدهم، وبقيت أنا حتى زمن شيخوختكم وحملتكم في مشيكم، أنا صنعتكم لذلك أنا أحملكم، وأخلصكم، بمن تشبهونني وتعادلونني وتقارنونني حتّى نكون متماثلين؟

---

1- خر ٢٠: ٢ – ١٧ وتث: ٥: ٦ – ٢١.

2- تث ٦: ٤ –٩.

هل بالذين يفرغون الذهب من الكيس، ويزنون الفضّة بالميزان، ويستأجرون صائغاً ليسبكها إلهاً، ويخرون لها ساجدين؟ يرفعونها على أكتافهم، وينقلونها لينصبوها في موضعها حيث تستقرّ هناك لا تبرح مكانها، وإن استغاث بها أحد لا تستجيب، ولا تنجّيه من محنته، اذكروا هذا واتّعظوا، انقشوه في أذهانكم يا عصاة تذكّروا الأمور الغابرة لأنّي أنا الله وليس آخر"(١).

التحذير من الممارسات الوثنيّة: لمّا بلغ موسى عليه السلام ما صنعه قومه من بعده من اتّخاذهم العجل إلهاً رجع إليهم غضبان أسفاً، تقول التّوراة: "وما أن اقترب موسى من المخيّم وشاهد العجل والرقص حتّى احتدم غضبه وألقى باللوحين من يده وكسرهما عند سفح الجبل، ثمّ أخذ العجل الذهبي وأحرقه بالنّار وطحنه حتّى صار ناعماً، وذراه على وجه الماء وأرغمهم على الشرب منه"(٢).

واستمرّت التّوراة في تحذير بني إسرائيل من عبادة الأصنام، ومن ذلك: "ومتى استأصل الربّ إلهكم من أمامكم الأمم التي توشكون على غزوهم وطردهم، ثمّ ورثتموهم واستوطنتم في أرضهم، فاحذروا من الوقوع في الشّرك باتّباع عبادتهم من بعد فنائهم من أمامكم، ومن ممارسة مراسيم عبادة آلهتهم قائلين: كما عبد هؤلاء الأمم آلهتهم هكذا نفعل نحن أيضا، لا تصنع هكذا للربّ إلهك، لأنّهم قد ارتكبوا من عبادة آلهتهم كل ما يمقته الرّب من الأرجاس، إذ أحرقوا بالنّار أبناءهم وبناتهم في سبيل آلهتهم، فاحرصوا على طاعة كلّ ما أوصيكم به، لا تزيدوا عليه ولا تنقصوا منه"(٣). وتقول التّوراة كذلك: "أنتم أبناء الربّ إلهكم فلا تجرّحوا أجسادكم ولا تحلقوا مقدّمة رؤوسكم حزناً على ميّت، لأنكم شعب مقدّس للربّ إلهكم وقد اختاركم من بين شعوب الأرض كافّة لتكونوا لهم شعبا خاصاً"(٤).

---

1 - اش ٤٦: ٣-٩

2 - خر ٣٢: ١٩-٢٠

3 - تث ١٢: ٢٩-٣٢

4 - تث ١٤: ٢،١

الابتهال: كان موسى عليه السلام حريصاً على الاستغفار لقومه. تقول التّوراة: "وفي الغد قال موسى للشّعب: لقد ارتكبتم خطيئة عظيمة وها أنا أعود إلى الجبل لأمثل أمام الربّ لعلّي أحظى لكم بغفرانـــــه"[1].

العــدل في القضاء: تقول التثنية: "وأمرت قضاتكم آنئذٍ قائلاً: استمعوا إلى الخصومات الناشئة بين اخوتكم واقضوا بالعدل بين الإسرائلي وأخيه، أو بين الإسرائيلي والنزيل، لا تحابوا في القضاء واستمعوا للصغير كما تستمعون للكبير، لا تهابوا إنسانا، لأنّ القضاء لله"[2].

منع الظلم وحسن الخلق: هناك أوامر في التوراة بعدم الظلم والتعدي، وعدم الإساءة للأرامل واليتامى. تقول التّوراة: "لا تضطهد غريبا ولا تضايقه، فقد كنتم غرباء في ديار مصر. لا تسيء إلى أرملة أو يتيم، لأنّك إن أسأت إليهما وصرخا إليّ أسمع صراخهما، فيحتدم غضبي وأقتلكم بالسيف، فتصبح زوجاتكم أرامل وأولادكم يتامى. إن أقرضت فقيرا من شعبي المقيم عندك فلا تعامله كالمرابي، ولا تتقاض منه فائدة. إذا استرهنت ثوب صاحبك لقاء دين، فرده إليه عند مغيب الشمس، لأن ذلك الثوب هو ثوبه الذي يقي به بدنه، وإلاّ فبأي شيء ينام؟ إذا صرخ إليّ أسمعه لأنّي رحيم"[3].

وهذه نماذج من اعتماد موسى عليه السلام المنهج الفطري من خلال القرآن الكريم، فقد عمل بتوجيه الله له، فكان ليّناً في خطابه مع فرعون ممتثلاً لأمر ربّه. قال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(طه ٢٠/٤٤). وقال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾(النازعات ٧٩/١٧-١٩)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾( الأعراف: ٧/١٠٤،١٠٥). وقال

---

1 - خر ٣٢: ٣٠

2- تث ١: ١٦-١٧.

3- خر ٢٢: ٢١-٢٧.

تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الشعراء:٢٦/٢٣-٢٦).

ونلاحظ من خلال هذه الآيات أنّ موسى عليه السلام قد وجّه فرعون إلى توحيد الله الواحد الأحد، منذ بداية الأمر لعله يعود إلى فطرته ويرعوي عن غيّه، ولم يأت له بمزيد أدلّة ابتداءً، وحذّره من عاقبة الافتراء على الله، قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ (طه ٢٠/٦٠،٦١).

ولمّا آمن سحرة فرعون ولامس الإيمان شغاف قلوبهم خاطبوا فطرته كذلك، قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (طه: ٢٠/٧٢،٧٣).

وظهر هذا المنهج الفطري على لسان مؤمن آل فرعون عندما جنّد نفسه ليدافع عن الحقّ الذي رآه متمثّلاً في موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ

ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر: ٤٠/٣٨-٤٠).

وفي استخدام موسى عليه السلام لهذا المنهج في مخاطبة قومه، قال تعالى:﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٣٨-١٤٠).

ولمّا ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربّه، وأحبّ رؤيته ولم يتمكّن من ذلك، أظهر افتقاره لله وحاجته إليه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٤٣).

ولمّا ارتدّ قومه من بعده وعبدوا العجل، رجع إليهم غضبان أسفًا، قال تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ (طه: ٢٠/٨٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (طه: ٢٠/٩٨).

ولمّا أخذه الغضب على أخيه هرون عليه السلام، وأخذ برأسه يجرّه إليه، لعدم معالجته الأمر، ولأنه لم يلحق به، توسّل إليه أن يرحمه، وأخبره أنّ الذي حصل لم يكن بصنع منه، وإنّما استضعفه القوم وخشي أن يتّهم بأنّه فرّق بينهم، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ

وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٧/١٥٠). فأشفق عليه وبادر إلى الاستغفار له ولأخيه، بعدما اتّضح له عدم تقصيره، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأعراف٧/١٥١) .

ومن شفقته عليه السلام ورحمته بقومه أنّه تضرّع إلى الله وابتهل إليه أن يرحمهم بعدما اتّخذوا العجلَ إلهاً، قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف ٧/١٥٥).

## الخلاصـــة

لقد تبيّن لنا أنّ التّوراة لم تُعنَ بما دار من حوارٍ دينيٍ بين موسى عليه السلام وفرعون، وإنّما كان حواراً قومياً، فلا ذكر والحالة كذلك للمنهج الفطري في حوار لم يحصل في الأصل، وتبيّن من خلال النماذج السّابقة أنّ موسى عليه السلام قد استخدم هذا المنهج في حواره مع قومه، وظهر ذلك من خلال الحديث عن الوصايا العشر وعن شريعة الله وتوحيده ومحبّته.

وأمّا في القرآن الكريم فقد اتّضح أنّ موسى عليه السلام قد استخدم المنهج الفطري في مخاطبة فرعون فلاطفه، وكان ليّناً في حواره معه، وكذلك الحال في حواره مع قومه، وظهر هذا المنهج الفطري على لسان مؤمن آل فرعون، عندما جنّد نفسه يدافع عن الحقّ. الذي رآه متمثّلاً في موسى عليه السلام، فلاطف قومه وحذّرهم من ظلم موسى عليه السلام أو التجنّي عليه، فهو لم يأت بذنب يستحقّ العقاب عليه، ودعاهم إلى عبادة الله وطاعته وخوّفهم من سوء العاقبة، وأن يحلّ بهم ما حلّ بالأمم البائدة من شديد عقاب، بسبب الارتداد والإعراض.

## المبحث الثاني: المنهج الفطري في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ:

تمهيـــد:

إنّ ملأ عيسى عليه السلام هم اليهود عامّة وعلى رأسهم الكتبة والفريسيون، فما مدى استخدامه عليه السلام للمنهج الفطري في حواره مع يهود؟ وما الذي دفعه إلى ذلك؟

هذه نماذج من اعتماده عليه السلام المنهج الفطري في حواره مع يهود:

العبادات: وجه عيسى عليه السلام تلاميذه إلى ضرورة الإخلاص في العبادة، وحذّرهم من الرياء، وعلّمهم كيف يصلّون ويصومون ويتصدّقون، قال في كيفية الصلاة: "وعندما تصلّون لا تكونوا مثل المرائين الذين يحبون أن يصلّوا واقفين في المجامع وفي زوايا الشوارع ليراهم الناس. الحقّ أقول لكم: إنّهم قد نالوا مكافأتهم"[1]. وقال في الصوم: "وعندما تصومون لا تكونوا عابسي الوجوه كما يفعل المراؤون الذين يقطّبون وجوههم لكي يظهروا للنّاس صائمين. الحقّ أقول لكم إنهم قد نالوا مكافأتهم. أمّا أنت فعندما تصوم، فاغسل وجهك وعطّر رأسك، لكي لا تظهر للنّاس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء. وأبوك الّذي يرى في الخفاء، هو يكافئك"[2]. وقال في الصدقة: "احذروا من أن تعملوا برّكم أمام النّاس بقصد أن ينظروا إليكم. وإلاّ، فليس لكم مكافأة عند أبيكم الّذي في السّموات. فإذا تصدّقت على أحد، فلا تنفخ أمامك في البوق، كما يفعل المراؤون في المجامع والشوارع، ليمدحهم النّاس. الحقّ أقول لكم: إنّهم قد نالوا مكافأتهم. أمّا أنت فعندما تتصدّق على أحد، فلا تدع يدك اليسرى تعرف ما تفعله اليمنى. لتكون صدقتك في الخفاء، وأبوك السّماوي الذي يرى في الخفاء هو يكافئك"[3].

التّوحيد: جاء في إنجيل برنابا: أنّ عيسى عليه السلام السّلام قال: "أشهد أمام السّماء وأشهد كلّ شيء على الأرض أنّي بريء من كلّ ما قد قلتم، لأنّي إنسان مولود من امرأة فانية بشريّة وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحرّ كسائر البشر، لذلك متى

---

1- مت ٦: ٥

2- مت ٦: ١٦-١٨.

3- مت ٦: ١-٤.

جاء الله ليدين يكون كلامي كحسام يخترق كلّ من يؤمن بأنّي أعظم من إنسان"[١]. وقال: "إنيّ أشهد أمام السّماء وأشهد كلّ ساكن على الأرض أنّي بريء من كلّ ما قاله النّاس عنّي من أنّي أعظم من بشر، لأنّي بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشّقاء العام، لعمر الله الذي تقف نفسي بحضرته إنّك أيّها الكاهن قد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته، ليلطف الله بهذه المدينة المقدّسة حتّى لا تحلّ بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة"[٢]. وقال: "أيها الربّ إلهنا هذا هو إيماني الذي آتي به إلى دينونتك شاهداً على كلّ من يؤمن بخلاف ذلك. ثمّ التفت إلى الشّعب وقال: "توبوا لأنّكم تعرفون خطيئتكم من كلّ ما قال الكاهن إنّه مكتوب في سفر موسى عهد الله إلى الأبد فإنّي بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الأرض وفانٍ كسائر البشر، وأنّه كان لي بداية سيكون لي نهاية، وأنّي لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة"[٣].

الحكم على الآخرين: قد وجّه عيسى عليه السلام تلامذته إلى عدم الحكم على النّاس ومتابعتهم، وحثّهم على أن يشتغل الواحد منهم في إصلاح نفسه، بدل من أن يشتغل في ملاحقة غيره. جاء في إنجيل لوقا: "ولا تدينوا، فلا تدانوا، لا تحكموا على أحد، فلا يحكم عليكم، اغفروا يغفر لكم. اعطوا تعطوا... ولماذا تلاحظ القشّة في عين أخيك، ولكنّك لا تنتبه إلى الخشبة الكبيرة في عينك؟ أو كيف تقدر أن تقول لأخيك: يا أخي دعني أخرج القشّة التي في عينك، وأنت تلاحظ الخشبة التي في عينك أنت. يا مرائي أخرج أوّلاً الخشبة من عينك، وعندئذ تبصر جيّداً لتبصر القشّة التي في عين أخيك"[٤].

محاولة القبض عليه واعتقاله بطريقة همجية: هال عيسى عليه السلام مهاجمة اليهود له ومحاولتهم القبض عليه واعتقاله بطريقة همجيّة، لا تتناسب مع مقامات الأنبياء عليهم

---

[1] - بر ٩٣: ٩-١١

[2] - بر ٩٤: ١-٩

[3] - بر ٩٤: ١٩،٢٠

[4] - لو ٦: ٣٧-٤٢

السلام، فقال: "أكما على لصٍّ خرجتم بالسّيوف والعصيّ لتقبضوا عليَّ؟ كنت كلّ يوم بينكم أعلّم في الهيكل، ولم تقبضوا عليّ!"[1].

وهذه نماذج أخرى. من اعتماده عليه السلام المنهج الفطري، في حواره مع يهود، من خلال القرآن الكريم. حيث أكد عليه السلام أنّ ما أتى به من آيات وأعاجيب إنّما هو من الله سبحانه وتعالى، أمدّه بها لتكون علامة على نبوّته وصدقه، قال تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣/٤٩-٥١). وقال تعالى: وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٦٣-٦٥). وبذلك فإنّه عليه السلام قد خاطب فطرهم، وذكّرهم بما أيّده الله به من آيات بيّنات، ووضّح رسالته ومهمّته وقدراته.

ومن شفقته ورحمته عليه السلام بقومه أنّه لم يقس عليهم، رغم انحرافهم من بعده، وتعرّضه للمساءلة من ربّه بسببهم، وإنّما وكّل أمرهم إلى الله سبحانه وتعالى، بطريقة يستشفّ منها طلبه المغفرة لهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا

---

[1]- مت ٢٦: ٥٥

تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ٥/١١٦-١١٧).

## الخلاصـــة

يتبيّن لنا من خلال النماذج السابقة أنّ عيسى عليه السلام قد استخدم المنهج الفطري، وأكّد عليه كثيراً، فعرّف بنفسه ووضّح مهمّته ورسالته وما بعثه الله به، وما أمدّه به من آيات بيّنات، دالّة على نبوّته وصدقه، وأعلن بشريّته وحاجته وافتقاره إلى الله، والذي دفعه إلى ذلك رغبته الأكيدة في اجتثاث ما أشاعه يهود عنه من أنّه أكثر من بشر، ووجّه تلامذته إلى ضرورة الإخلاص في العبادة، وحذّرهم من النّفاق، أومن متابعة الكتبة والفريسيين في أخلاقهم وأفعالهم. وأراد للنّاس أن يعودوا إلى فطرتهم السليمة في عبادة الله سبحانه وتعالى كما شرع وأمر، وهو في منهجه هذا يسير على درب إخوانه المرسلين (عليهم السّلام).

## المبحث الثالث: المنهج الفطري في حوار محمد ﷺ مع الملأ

تمهيـــد:

ملأ الرسول ﷺ في هذا المنهج هم قريش ومن حولها من العرب وأهل الكتاب. فما مدى استخدامه ﷺ للمنهج الفطري في حوارهم؟ وما أثر ذلك في قبولهم أو رفضهم للإسلام؟

جاءت الآيات القرآنيّة فخاطبت الحس والشّعور والوجدان في النّفس البشريّة، فلا يستطيع من سلمت فطرته وتحرّرت من المؤثرات الخارجيّة إلاّ أن يذعن لها ويستجيب لما تنادي به، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢/٢٠٤-٢٠٩).

﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (البقرة: ٢/١٣٠)

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٣/٦٤).

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝٧٠ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٣/٧٠،٧١).

﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٨٣ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٨٤ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٣/٨٣-٨٥).

وهذه نماذج من اعتماده ﷺ المنهج الفطري في حواره مع الملأ:

عالميّة الرّسالة: جاء الرسول ﷺ للنّاس كافّة في أي زمان أو مكان أو مجال. قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف ٧/١٥٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ٢١/١٠٧)، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ (الأحزاب ٣٣/٤٠). وقد بدأ بالتبليغ منذ أن أُمر بذلك. فعن أبي هريرة ﷺ قال: "قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (الشعراء ٢٦/٢١٤) فقال: يا معشر قريش! "أَوْ كلمة نحوها" اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا. ويا صفية عمّة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئا. ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا"[1].

---

[1]- البخاري: م.س، ٥٥ كتاب الوصايا، ١١ باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، ح٢٥٤٨. مسلم: م.س، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى:﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾، ح٣٠٥.

الرحمة للعالمين: ومن كمال شفقته ورحمته بالناس، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ما رواه أبو هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب الّتي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعُهُنّ ويغلبهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها"[1]. فهذا الحديث وغيره يدلنا على كمال حرصه ﷺ على هداية العالمين.

اللطف في التّعامل واحترام الآخر: ظهر ذلك جليّاً واضحا في حواره ﷺ مع عتبة بن ربيعة، فلمّا عرض عليه ما عنده، قال ابن إسحق: "قال له ﷺ: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منّي، قال: أفعل، فقال: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ (فصلت: ٤١/١-٥). ثمّ مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلمّا سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثمّ انتهى رسول الله ﷺ إلى السّجدة منها، فسجد ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله قد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشّعر، ولا بالسّحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرّجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد النّاس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم"[2]. وكان من مخاطبته ﷺ لفطرة عتبة كبير الأثر في نفسه، إلاّ أنّه سرعان ما تنازل عن قناعته أمام الحمية والضغوط القريشيّة.

---

[1] البخاري: م.س، ٨١ كتاب الرقاق، ٢٦ باب الانتهاء عن المعاصي، ح٦٠٠٢. مسلم: م.س، ٤٤ كتاب الفضائل، ٦ باب شفقته ﷺ على أمّته، ح٤٢٣١.

2 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص ٦٣-٦٤، ابن هشام م.س، القسم الأول، ص٢٩٣، ٢٩٤

الحلم والتّسامح: من تسامحه مع جهلة المسلمين ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبيّ ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذه، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"(١). وما رواه أنس ﷺ كذلك في شأن الأعرابي الّذي بال في المسجد قال: "جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ، فلمّا قضى بوله أمر النبي ﷺ بذَنوب من الماء فأهريق عليه. وفي رواية مسلم بقوله: دعوه فلا تزرموه"(٢). وكان لحسن تعامله ﷺ مع هؤلاء وأمثالهم كبير الأثر في نفوسهم، وفي تقويم فِطَرهم.

حرصه على هداية يهود: ومن شفقته ورحمته ﷺ بيهود أنّه كان يحثّهم أن يسلموا في كلّ مناسبة، ومن ذلك ما قاله ابن إسحق: "وكلّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبد الله بن صوريا الأعور وكعب بن أسد فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أنّ الّذي جئتكم به لحقّ، قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فجحدوا ما عرفوا وأصرّوا على الكفر فأنزل الله فيهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ (النساء ٤/٤٧)(٣). و" جمع رسول الله ﷺ يهود في سوق بني قينقاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود أسلموا، قبل أن يصيبكم بمثل ما أصاب به قريشا"(٤).

وهذه نماذج لمن طهرت نفوسهم واستقامت فطرهم، فأقبلوا على دين الله من المشركين وأهل الكتاب :

---

1- البخاري: م.س، ٥٨ كتاب الأدب، ٦٨ باب القسم والعمل، رقم٥٦٢٤. مسلم: م.س، ١٣ كتاب الزكاة، ٤٥ باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ح١٧٤٩.

2- البخاري: م.س، ٤ كتاب الوضوء، ٥٨ كتاب صب الماء على البول في المسجد، ح٢١٤. مسلم: م.س، ٣ كتاب الطهارة، ٣٠ وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، ح٤٢٧.

3 – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٦١

4- ن.م، القسم الأول، ص٥٥٢.

الطفيل بن عمرو الدوسي: نقل ابن إسحق عنه قوله : "فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي عند الكعبة، فقمت قريبا منه فأبى الله إلاّ أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي: واثكل أمّاه، والله إنّي لرجل لبيب شاعر ما يخفي عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرّجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت، قال: فمكثت حتّى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فتبعته حتّى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمّد. إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوّفوني أمرك حتّى سددت أذنيّ بكرسف لئلا أسمع قولك، ثمّ أبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك، فعرض رسول الله ﷺ عليّ الإسلام وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ"[١].

عبدالله بن سلام : عن أنس، قال: "سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إنّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلاّ نبيّ، فما أوّل أشراط السّاعة، وما أوّل طعام أهل الجنّة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمّه؟ قال: أخبرني بهنّ جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذلك عدوّ اليهود من الملائكة. فقرأ هذه الآية ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (البقرة:٢/٩٧) أمّا أوّل أشراط السّاعة: فنار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعام أهل الجنّة: فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله"[٢].

النجاشي: قال ابن القيّم: "ولما عرف النجاشي أنّ عبّاد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده أسلم سراً، وكان يكتم إسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم... وقال النجاشي: أشهد بالله أنه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن

---

1 – ابن هشام :م.س، ص ٣٨٢-٣٨٣ – البيهقي: م.س، ج٥، ص ٣٦١،٣٦٠

2 – البخاري: م.س ، كتاب التفسير، ح ٤١٢٠

بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعياء براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر"[1].

وفد من النصارى: قال ابن إسحق: "ثمّ قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكّة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النّصارى، حين بلغهم خبره في الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلمّا فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ إلى الله عزّ وجلّ وتلا عليهم القرآن، فلمّا سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدّمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلمّا قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيّبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئنّ مجالسكم عنه، حتّى فارقتم دينكم وصدّقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم ، فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأْلُ أنفسنا خيراً[2].

---

1- ابن القيّم: هداية الحيارى، ص٣٤.

2 - ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٣٩١-٣٩٢

## الخلاصــــة

يتبيّن لنا أنّ القرآن الكريم اهتمّ بالنفس البشريّة، فجاءت آياته وخاطبت الحسّ والوجدان، ووصلت إلى شغاف قلوب بني البشر، وجاء الرسول ﷺ واستخدم المنهج الفطري في حواره مع الملأ، فأقبل كثير منهم على دين الله لمّا اتّضح لهم الحقّ، ورأوه منسجما مع الفطر السليمة، ولم يعرض عن ذلك إلاّ معاند أو من له تعلّقات شخصيّة دنيويّة حالت دون إيمانه.

## الفصل الثاني: المنهج التاريخي في حوار الأنبياء عليهم السّلام مع الملأ

### تمهيد:

المنهج التاريخي: هو فنّ توظيف النصّ في إقامة الحجّة على الآخر وإلزامه بذلك.

وقد جرت العادة أن يستدعي أطراف الحوار: التّاريخ والموروث الدّيني في حجاج بعضهم بعضاً، وقد دأب على ذلك الأنبياء عليهم السّلام، وكذلك الملأ، فاستخدم كلّ منهم التّاريخ ليقيم الحجّة على صاحبه، كما استخدمه الأنبياء عليهم السّلام في تذكير ملئهم وتخويفهم من أن يحلّ بهم ما حلّ بغيرهم من الأمم الغابرة من نكال وعذاب.

إنّ التاريخ يعتبر رصيداً إنسانيّاً يحظى بقدر كبير من الاحترام بين بني البشر، ولذلك كان أطراف الحوار يجدون ضالتهم إذا ما وقفوا على نصّ يؤيّد مذهبهم، سواء أكان ذلك النصّ من موروثهم أو موروث غيرهم، وإن كانت مخاطبة الآخر من خلال نصوصه آكد في إقامة الحجّة عليه وإلزامه بذلك.

وفي هذا الفصل سنرى مدى استخدام أطراف الحوار للتّاريخ في حوارهم.

المبحث الأول: المنهج التاريخي في حوار موسى ﷺ مع الملأ:

تمهيــد: ملأ موسى ﷺ في ذلك هم فرعون وبنو إسرائيل. فما مدى استخدامه ﷺ لهذا المنهج؟ وهل استخدم فرعون هذا المنهج في حجاجه لموسى ﷺ؟

لم أقف في مصدري البحث العهد القديم والقرآن الكريم على محاجّة استخدم فيها موسى ﷺ المنهج التاريخي في خطابه لفرعون، سواء في معرض إثبات الحجّة أو التذكير والتخويف، وإنّما كان ذلك منه ﷺ في حواره مع بني إسرائيل. حيث استخدم هذا المنهج معهم على سبيل الاعتبار والتذكير، ليستمروا على طاعة الله، وليكفّوا عن ارتكاب المعاصي والآثام، ومن ذلك:

١. التذكير بالوصايا العشر: تقول التوراة: "واَستَدعى موسى جميعَ بَني إسرائيلَ وقالَ لهُم: "إسمَعوا يا بَني إسرائيلَ السُّنَنَ والأحكامَ التي أتلوها على مَسامِعِكُمُ اليومَ، وتعَلَّمُوها واَحْرِصوا أنْ تعمَلوا بها. الرّبُّ إلهُنا قطَعَ معَنا عَهدًا في حوريبَ. لا معَ آبائِنا قطَعَ ذلِكَ العَهدَ، بل معَنا كُلِّنا نحنُ الأحياءَ الذينَ هُنا اليومَ. وجهاً إلى وجهٍ كلَّمَكُمُ الرّبُّ في الجبَلِ مِنْ وسَطِ النَّار • وأنا قائمٌ بَينَ الرّبِّ وبَينَكُم في ذلِكَ الوقتِ لأبَلِّغَكُم كلامَهُ، لأنَّكُم خفتُم مِنَ النَّارِ ولم تصعَدوا الجبَلَ، فقالَ:أنا الرّبُّ إلهُكَ الذي أخرجكَ مِنْ أرضِ مِصْرَ، مِنْ دارِ العبوديَّةِ..."[١].

٢. التذكير بأيّام الله في سيناء: تقول التوراة : "هذِهِ هيَ الوصايا التي كلَّمَ الرّبُّ بها جماعَتَكُم كُلَّها في الجبَلِ. مِنْ وسَطِ النَّارِ والسَّحابِ والضَّبابِ كلَّمَكُم، بصوتٍ عظيمٍ ولم يَزِدْ، وكتبَها على لوحَي الحجرِ وسلَّمَها إليَ. فلمَّا سَمِعْتُمُ الصَّوتَ مِنْ وسَطِ الظَّلامِ، والجبَلُ يَضطَرِمُ بالنَّار اَقتربتُم إليَ معَ جميعِ شيوخكُم ورؤساءِ أسباطِكُم وقلتُم: «أُنْظُرْ كيفَ أرانا الرّبُّ إلهُنا مَجدَهُ وعظمَتَهُ وأسمَعَنا صوتَهُ مِنْ وسَطِ النَّار. هذا اليومَ رأينا أنَّ اللهَ كلَّمَ إنساناً وبقيَ هذا الإنسانُ حيّاً. فنحنُ لم نَهلِكْ ولم تأكُلْنا هذِهِ النَّارُ العظيمةُ، فإنْ عُدْنا فسَمِعنا أيضاً صوتَ الرّبِّ إلهِنا نموتُ. فما مِنْ بشَرٍ سمِعَ صوتَ اللهِ الحيِّ مُتكلِّماً مِنْ وسَطِ النَّارِ وبقيَ حيّاً. إقتربْ أنتَ

---

[١] - تث ٥: ١-٢١

واَسمعْ جميعَ ما يقولُهُ الرّبُّ إلهُنا، وكلِّمْنا بجميعِ ما يُكلِّمُكَ بهِ، فنسمَعَ ونعمَلَ بهِ"[١].

٣. عبادة العجل ولوحا الوصايا: تقول التوراة: "واَذكروا، يا بَني إسرائيلَ، ولا تنسَوا كيفَ أغظتُمُ الرّبَ إلهَكُم في البَرِّيَّةِ. ومُنذُ خروجكُم منْ أرضِ مصرَ حتى جئتُم هذا المكانَ لا تزالونَ تتمرَّدونَ على الرّبِّ. وفي حوريبَ أغظتُمُ الرّبَّ فكادَ يُفنيكُم. وذلكَ حينَ صَعِدتُ الجبَلَ لآخذَ لوحَيِ الحجرِ، لوحَيِ العَهدِ الذي قطَعَهُ الرّبُّ معَكُم، فأقمْتُ أربعينَ نهاراً وأربعينَ ليلةً، لم آكلْ خبزاً ولم أشربْ ماءً ثُمّ أعطاني الرّبُّ لوحَيِ الحجرِ المكتوبَينِ بإصبعِهِ، وعلَيهِما مثلُ جميعِ الكلامِ الذي كلَّمَكُمُ الرّبُّ بهِ في الجبَلِ منْ وسَطِ النَّار في يومِ اجتماعِكُم هُناكَ. وبعدَ أربعينَ نهاراً وأربعينَ ليلةً سلَّمَني الرّبُّ اللَّوحَينِ الحجريَّينِ، لوحَيِ العَهدِ وقالَ لي: "قُمِ أنزلْ سريعاً منْ هُنا لأنَّ شعبَكَ الذينَ أخرَجتَهُم مِنْ مصرَ فسَدوا وزاغُوا سريعاً عنِ الطَّريقِ التي رسمتُها لهُم وصنعوا لهُم تِمثالاً مَسبوكاً هوَ شعبٌ عنيدٌ."[٢].

٤. تحطيم اللوحين والعجل: تقول التوراة : "فرَجعتُ ونَزلتُ منَ الجبَلِ، وهوَ مُضطَرِمٌ بالنَّارِ، ولوحا العَهدِ في يَديَّ. ونظرْتُ فإذا بكُم خطِئتُم إلى الرّبِّ إلهِكُم وصنعتُم لكُم عِجلاً مَسبوكاً، وزُغتُم سريعاً عنِ الطَّريقِ التي أوصاكُم بها الرّبُّ. فأخذْتُ اللَّوحَينِ وطرَحتُهُما منْ يَديَ، وكسَّرتُهُما أمامَ عيُونِكُم ثُمَ تضرَّعتُ أمامَ الرّبِّ كالمرَّةِ الأولى أربعينَ نهاراً وأربعينَ ليلةً، لم آكلْ خبزاً ولم أشربْ ماءً بسببِ خطيئتِكُمُ التي خطِئتُموها حينَ صَنعتُمُ الشَّرَ في نظَرِ الرّبِّ وكدَّرتُمُوهُ، لأنِّي خفْتُ مِنْ غضَبِ الرّبِّ وغَيظِهِ علَيكم ليُبيدَكُم. فسمِعَ ليَ الرّبُّ هذهِ المرَّةَ أيضاً. وأمَّا هارونُ فغضِبَ الرّبُّ علَيهِ جدّاً حتى كادَ يُهلِكَهُ، فتَضرَّعتُ إلى الرّبِّ لأجلِهِ في ذلكَ اليومِ. وأمَّا الذي خطِئتُم بهِ، أي العِجلُ الذي صنعتُموهُ، فأخذتُهُ وأحرقتُهُ بالنَّارِ، حتىصارَ ناعماً كالغُبارِ، ثمَ طرحتُ غُبارَهُ في النَّهرِ المُنحَدِرِ مِنَ الجبَلِ[٣].

---

[1] – تث ٥: ٢٢-٢٩

[2] – تث ٩: ٧-١٤

[3] – تث ٩: ١٥-٢٤

٥. الابتهال إلى الربّ وشفاعته لبني إسرائيل: تقول التوراة: "فتَضرَّعْتُ أمامَ الرّبِّ مُدَّةَ الأربعينَ نهاراً والأربعينَ ليلةً لأنَّهُ هدَّدَكُم بالهَلاك. وصلَّيتُ إليهِ وقُلتُ: أيُّها السَّيِّدُ الرّبُّ لا تُهلِكْ شعبَكَ الذينَ أخذْتَهُم وافتديتَهُم بعَظَمتِكَ وأخرَجتَهُم مِنْ مِصرَ بيدِكَ القديرةِ. أُذكُرْ عبيدَكَ إبراهيمَ وإسحَقَ ويعقوبَ ولا تلتَفتْ إلى قساوةِ قلبِ هذا الشَّعبِ وشرِّهِ وخطيئتِهِ لئلاَ يقولَ أهلُ الأرضِ التي أخرَجتَنا منها إنَّ الرّبَ لم يقدرْ أنْ يُدخلَهُم الأرضَ التي وعدَهُم بِها . أبغضَهُم وأخرَجهُم ليُميتَهُم في البَرِّيَّةِ وهُم يا ربُّ شعبُكَ الذينَ اختَرتَهُم لكَ وأخرجتَهم بقوَّتِكَ العظيمةِ وذِراعِكَ المَرفوعة"[١].

٦. التذكير بأيام الله وعظائمه على بني إسرائيل: تقول التوراة: "واعلموا يا بَني إسرائيلَ أنِّي أُكلِّمُكُم أنتُم لا بَنيكُمُ الذينَ لم يَعلموا ولم يرَوا تأديبَ الرّبِّ إلهِكُم وعظمَتَهُ ويَدَهُ القديرةَ وذِراعَهُ المرفوعةَ. فأنتُم تعرِفونَ مُعجزاتِهِ وأعمالَهُ التي عَمِلَها في مِصْرَ بفِرعَونَ مَلِكِ مِصْرَ وبِكُلِّ أرضِهِ، وما صَنَعَ بِجيشِ المِصْرِيِّينَ وخيلِهِم ومَركباتِهِم، حينَ غطَّاهُم ماءُ البحرِ الأحمرِ وهُم يُحاوِلونَ اللِّحاقَ بِكُم فأبادَهُمُ الرّبُّ إلى يومِنا هذا. وأنتُم تعرِفونَ أيضاً ما صنَعَ لكُم في البَرِّيَّةِ إلى أنْ جئتُم إلى هذا الموضِعِ[٢].

المنهج التاريخي في حواره ﷺ مع ملئه من خلال القرآن الكريم:

هذه نماذج من اعتماده ﷺ على المنهج التاريخي في حجاجه لملئه من خلال القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٧/١٤١). وقال تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (طه: ٢٠/٨٠-٨١)

---

[1] - تث ٩: ٢٥-٢٩



[2] تث ١١: ٢-٧

وممّا جاء على لسان مؤمن آل فرعون في تذكيره وتخويفه لقومه من عاقبة أمرهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (غافر: ٤٠/٣٠-٣٣).

وقد استخدم فرعون التّاريخ وما لديه من مكتسبات، ليستدلّ بها على أحقيّته في الحكم والسلطان، معرّضاً في ذلك بموسى عليه السلام الذي يفتقر لتلك المقوّمات، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾

( الزخرف: ٤٣/٥١-٥٣).

يتّضح لنا من خلال النماذج السابقة أنّ موسى ﷺ لم يستخدم المنهج التاريخي في حواره مع فرعون في مصدري البحث العهد القديم والقرآن الكريم، وإنّما جاء ذلك على لسان مؤمن آل فرعون الذي جنّد نفسه للدّفاع عن موسى ﷺ، فحذّر قومه من عاقبة أمرهم، أو أن يحلّ بهم ما حلّ بمن سبقهم من قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم.

وقد استخدم موسى ﷺ هذا المنهج في حجاجه مع قومه فذكّرهم بالوصايا العشر وأمرهم بمحبّة الله وطاعته، وذكّرهم بأيّام اله في سيناء وآياته العظام على بني إسرائيل، وما اقترفوه من خطايا وآثام. وذلك من أجل أن يتّقوا الله ويعبدوه ويحبّوه من كلّ قلوبهم ومن كلّ نفوسهم.

وقد استخدم فرعون هذا المنهج ليبيّن لعامّة الشّعب أحقيّته في الحكم والسّلطان، فهو يملك مقوّماتهما في حين يفتقر موسى ﷺ إلى ذلك حسب زعمه.

## المبحث الثاني: المنهج التاريخي في حوار عيسى عليه السلام مع الملأ :

تمهيـــد:

ملأ عيسى عليه السلام في ذلك هم اليهود وعلى رأسهم الكتبة والفريسيون، فما مدى استخدامه عليه السلام المنهج التاريخي في حواره مع يهود؟ وما الذي دفعه إلى ذلك؟ وما مدى نجاحه في إقامة الحجّة عليهم؟

إنّ أكثر ما تميّز به عيسى عليه السلام في حواره مع يهود هو مخاطبتهم من خلال موروثهم الدّيني، فإن أقوى سلاح يستخدم في مواجهة الخصم هو إدانته من فمه ومن معتقده، وهذه نماذج من اعتماده عليه السلام المنهج التاريخي في حواره معهم:

الوصيّة العظمي: قال مرقس: "وتقدّم إليه واحد من الكتبة كان قد سمعهم يتجادلون، ورأى أنّه أحسن الردّ عليهم، فسأله: أيّة وصيّة هي أولى الوصايا جميعاً؟ فأجابه يسوع: "أولى الوصايا جميعاً هي: اسمع يا إسرائيل، الربّ إلهنا ربّ واحد، فأحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وبكلّ نفسك وبكلّ فكرك وبكلّ قوّتك، هذه هي الوصيّة الأولى. وهناك وصيّة ثانيّة مثلها، وهي أن تحبّ قريبك كنفسك، فما من وصيّة أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: صحيح، يا معلّم. حسب الحقّ تكلّمت، فإنّ الله واحد وليس آخر سواه، ومحبّته بكلّ القلب وبكلّ الفهم، ومحبّة القريب كالنّفس، أفضل من جميع المحرقات والذّبائح"، فلمّا رأى يسوع أنّه أجاب بالحكمة، قال له: "لست بعيدا عن ملكوت الله" ولم يجرؤ أحد بعد ذلك أن يوجّه إليه أيّ سؤال"[١]. فأجابهـــم من التّوراة وبالتّحديـــد مـــن (سفر التثنية ٦: ٤-٦).

الحياة الأبديّة: قال لوقا: "وسأله واحد من الرؤساء قائلاً: "أيّها المعلّم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟ ولكن يسوع قال له: "لماذا تدعوني الصّالح؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحـــــد، وهو الله. أنت تعرف الوصايا: لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزّور، أكرم أباك وأمّك"[٢]. وكانت إجابته عليه السلام كذلك من التّوراة، فقد ذكّر السائل بالوصايا العشر (التثنية ٥: ١٦-٢١).

---

1 - مر ١٢: ٢٨-٣٤

2 - لو ١٨: ١٨-٢٠

قدسيّة يوم السّبت: قال متّى: "في ذلك الوقت مرّ يسوع بين الحقول في يوم السبت فجاع تلاميذه فأخذوا يقطفون سنابل القمح ويأكلون، ولما رآهم الفريسيون قالوا له: ها إنّ تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعله في يوم السبت! فأجابهم: أما قرأتم ما فعله داود ومرافقوه عندما جاعوا؟ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يكن أكله يحلّ له ولا لمرافقيه بل للكهنة فقط ! أو لم تقرأوا في الشريعة أنّ الكهنة ينتهكون السبت بالعمل في الهيكل أيام السبت ولا يحسبون مذنبيـــن؟ "[١].

عادة الغسل: قال متّى: "وتقدّم إلى يسوع بعض الكتبة والفريسيين من أورشليم وسألوه: لماذا يخالف تلاميذك تقاليد الشيوخ، فلا يغسلون أيديهم قبل أن يأكلوا؟ فأجابهم: ولماذا تخالفون أنتم وصية الله من أجل المحافظة على تقاليدكم؟ فقد أوصى الله قائلا: أكرم أباك وأمك، ومن أهان أباه أو أمه، فليكن الموت عقابا له. ولكنكم أنتم تقولون: من قال لأبيه أو أمه: إنّ ما أعولك به قد قدّمته قرباناً للهيكل، فهو في حلّ من إكرام أبيه وأمه، وأنتم بهذا تلغون ما أوصى به الله، محافظة على تقاليدكم، أيها المراؤون. أحسن أشعياء إذ تنبأ عنكم فقال: هذا الشعب يكرمني بشفتيه، أما قلبه فبعيد عني جدا! إنما باطلا يعبدونني وهمْ يُعلِّمون تعاليم ليست إلاّ وصايا الناس"[٢].

كمال الله وعظمته: قال برنابا: وقال يسوع بصوت عالٍ: "ليصعد كاهننا إلى محلّ مرتفع حيث يتمكّن من تحقيق كلامي، فصعد من ثمّ الكاهن إلى هناك، فقال له يسوع بوضوح يتمكّن كلّ واحد من سماعه: "قد كتب في عهد الله الحيّ وميثاقه أنّ ليس لإلهنا بداية ولا يكون له نهاية".

أجاب الكاهن: "لقد كتب هكذا هناك".فقال يسوع: "إنّه كتب هناك أنّ إلهنا قد برأ كلّ شيء بكلمته فقط". فأجاب الكاهن: "إنّه لكذلك". فقال يسوع: "إنّه مكتوب هناك أنّ الله لا يُرى وأنّه محجوب عن عقل الإنسان لأنّه غير متجسّد وغير مركّب وغير متغيّر". فقال الكاهن: "إنّه لكذلك حقّاً". فقال يسوع: "إنّه مكتوب هناك كيف أنّ سماء السّموات لا تسعه لأنّ إلهنا

---

[1]- مت ١٢: ١-٥

[2]- مت ١٥: ١-٩

غير محدود". فقال الكاهن: "هكذا قال سليمان النبي يا يسوع"؟ قال يسوع: "إنّه مكتوب هناك أنّ ليس لله حاجة لأنه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص؟ قال الكاهن: "إنّه لكذلك". قال يسوع: "إنّه مكتوب هناك إنّ إلهنا في كلّ مكان وأن لا إله سواه الذي يضرب ويشفي ويفعل كلّ ما يريد". قال الكاهن: "هكذا كتب". حينئذٍ رفع يسوع يديه وقال: "أيها الربّ إلهنا هذا هو إيماني الذي آتي به إلى دينونتك شاهدًا على كلّ من يؤمن بخلاف ذلك، ثمّ التفت إلى الشّعب وقال: "توبوا لأنّكم تعرفون خطيئتكم من كلّ ما قال الكاهن إنّه مكتوب في سفر موسى عهد الله إلى الأبد فإنّي بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الأرض وفانٍ كسائر البشر، وأنّه كان لي بداية سيكون لي نهاية وأنّي لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة.

حينئذٍ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا: "لقد أخطأنا إليك أيّها الربّ إلهنا فارحمنا، وتضرّع كلّ منهم إلى يسوع ليصلّي لأجل أمن المدينة المقدّسة لكيلا يدفعها الله في غضبه لتدوسها الأمـــم، فرفع يسوع يديه وصلّى لأجل المدينة المقدّسة ولأجل شعب الله وكلّ يصرخ: "ليكن كذلك آمين"[1].

توحيد الله وإفراده بالعبادة: قال متّى: "ثمّ صعد الرّوح يسوع إلى البرّية، ليجرّب من قبل إبليس، وبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، جاع أخيراً، فتقدّم إليه المجرّب وقال له: إن كنت ابن الله، فقل لهذه الحجارة أن تتحوّل إلى خبز. فأجابه قائلاً: قد كُتب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله"، ثمّ أخذه إبليس إلى المدينة المقدّسة، وأوقفه على حافة سطح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنّه قد كُتب: يوصي ملائكته بك، فيحملونك على أيديهم لكي لا تصطدم قدمك بحجر، فقال له يسوع: وقد كُتب أيضاً: لا تجرّب الربّ إلهك".

ثمّ أخذه إبليس أيضاً إلى قمّة جبل عال جدّاً وأراه جميع ممالك العالم، وعظمتها، وقال له: أعطيك هذه كلّها إن جثوت وسجدت لي، فقال له يسوع: اذهب يا شيطان، فقد كُتب: للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد"[2].

---

[1] - بر ٩٥: ٣-١٦

[2] - مت ٤: ١-١١

وقد تميّز عليه السلام في حواره معهم باستدعائه التّاريخ، واستخدامه لموروثهم الدّيني، فقد أعادهم إلى العهد القديم، الذي يدينون به مستشهداً بعديد من جُمله وفقراته، وأوقفهم على عظمة الله وحسن صفاته، ولا يسع رئيس كهنتهم إلاّ أن يقول في كلّ مرّة "إنّه لكذلك".

## الخلاصـــة

يتبيّن لنا من خلال هذه النماذج السابقة أنّ عيسى عليه السلام كان متمكّناً جدّاً من موروث اليهود الدّيني (العهد القديم)، فكان يجيبهم من خلاله، ويذكّرهم به دائماً، ممّا أربكهم وأفحمهم وأقام عليهم الحجّة، وكتب له عليهم الغلبة فكريّاً، لكنّهم بادلوه بغلبته لهم بغضاً وحسداً، فرأوه شوكة في حلوقهم يفسد عليهم عيشهم، فتآمروا عليه وسعوا في قتله، ولكنّ الله تعالى نجّاه منهم وردّ كيدهم في نحورهم.

تمهيـــد:

ملأ الرّسول محمّد ﷺ في ذلك هم قريش وأهل الكتاب من اليهود والنّصارى، فما مدى تشبّث أطراف الحوار بتاريخهم وموروثهم الدّيني، وما مدى استخدام كلّ طرف لهذا الموروث أو ذلك في إثبات حجّته؟ وما أثر وحدة المرجعيّة الدّينية عند أطراف الحوار – بانتسابهم جميعاً إلى إبراهيم عليه السلام – في نجاح الحوار أو فشله؟

كان يفترض في أطراف الحوار أن يلتقوا جميعاً على كلمة سواء وأن يتعاملوا بلغة القواسم المشتركة، سيما وأنّهم يعتبرون أنفسهم على دين إبراهيم عليه السلام ، فهو مرجعيّتهم جميعاً، إلاّ أنّ الواقع خلاف ذلك، فلم يتردّد أيّ طرف في أن يجعل الآخر ليس على شيء، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة: ١١٣/٢). وجاء الإسلام وبيّن أنّ إبراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران:٦٧/٣). ويوم التقى نصارى نجران باليهود في المدينة تبادلوا الاتّهامات واتّهم كلّ فريق الآخر بأنّه ليس على شيء، كما رفض اليهود أن يكون محمد ﷺ على ملّة إبراهيم عليه السلام، ممّا دعاه إلى أن يستخدم موروثهم الدّيني في حجاجهم، فلم يمتثلوا لطلبه، قال ابن هشام: "ودخل رسول الله ﷺ بيت المِدْراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد:على أي دين أنت يا محمّد؟ قال: على ملّة إبراهيم ودينه. قالا: فإنّ إبراهيم كان يهوديّاً. فقال: فهلّم إلى التّوراة فإنّها بينا وبينكم. فأبيا عليه فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ

مِنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ ( آل عمران: ٣/٢٣-٢٤).

وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا.فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلاّ يهوديًّا.وقال النصارى" ما كن إبراهيم إلاّ نصرانيّاً.

فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ( آل عمران: ٣/٦٥-٦٨).

قال أبو رافع القرظي، حين اجتمعت الأحبار من يهود، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد منّا يا محمّد أن نعبدك كما تعبد النّصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصرانيّ يقال له الرئّس: أو ذاك تريد منّا يا محمّد وإليه تدعونا؟

فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله ولا أمرني، فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٣/٧٩-٨٠)(١).

---

[1] – ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٢٥٢-٢٥٤ ، البيهقي: م.س، ج٥ ص ٣٨٤، ابن كثير: م.س، ج٣ ص ٦٣٠-٦٣١ وابن القيّم، زاد المعاد ج٣ ص٦٣٠و٦٣١

وقد تشبثّت قريش بموروثها واتّهمت رسول الله ﷺ بأنّه خرج على دين الآباء والأجداد وسبّ وشتم وعاب -وإن كان هذا ليس من شيمه ولا من طبعه ﷺ- وقد صرّحت بذلك قريش عدّة مرات، قال ابن إسحق: قالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفه عنّا وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه[1].

واستدعى الرسول ﷺ التاريخ في لقائه مع عتبة بن ربيعة وحذّره من عاقبة الإعراض أن يحلّ بقريش ما حلّ بغيرها من الأمم البائدة بسبب كفرهم وإعراضهم، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت: ٤١/١٣-١٧).

وطلبت قريش منه ﷺ أن يعبد آلهتهم، يقول ابن كثير: "ذكروا في سبب نزول قوله تبارك وتعالى:﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٩/٦٤)، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه، نزلت:﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (الزمر: ٣٩/٦٤-٦٥)، وهذا

---

[1] - ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٢٦٥-٢٦٧

كقوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/٨٨)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الزمر: ٣٩/٦٥-٦٦). أي: أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتّبعك وصدقك"[1]. وذكر الواحدي في سبب نزول سورة "الكافرون": أنّها نزلت في رهط من قريش، قالوا: يا محمّد هلمّ اتبع ديننا ونتّبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً ممّا بأيدينا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظّنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً ممّا في يدك قد شركت في أمرنا وأخذت بحظّك، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، فأنزل الله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون: ١٠٩/١-٦) إلى آخر السّورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتّى فرغ من السّورة، فأيسوا منه عند ذلك"[2].

وتكوّن حلف وفاق يهودي وثني لمقاومة الرسول ﷺ، وتمخّض عن هذا الحلف مساءلة الرسول ﷺ عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبي من خلال موروث اليهود الدّيني، قال ابن إسحق: "... فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنّكم أهل التّوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرّجل متقوّل، فروْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدّهر الأوّل ما كان أمرهم، فإنّه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الرّوح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه، فإنّه نبيّ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتّى قدما مكّة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمّد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرّجل متقوّل، فروْا فيه رأيكم .فجاؤوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدّهر الأوّل قد كانت لهم قصّة عجب، وعن رجل كان طوّافاً قد

---

[1] – ابن كثير: م.س، ج٤، ص ٦٣

[2] – الواحدي: م.س، ص ٢٦١

بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الرّوح ما هي؟"[1]. وعلى الرغم من أنّ الرسول ﷺ أجابهم عمّا سألوا وفق ما أخبره الوحي، إلاّ أنّ قريشا لم تستفد من الآيات البيّنات والإجابات الواضحات وأصرّت على باطلها ولم تؤمن بالنبي ﷺ رغم قيام الحجّة، فتبيّن أنّ مراءهم لم يكن حبّاً في الحقيقة وبحثاً عنها، وإنّما هو العناد بعينه.

واستفادت قريش من موروث غيرها، وكانوا يعلمون عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام فجادلوه ﷺ من خلال ذلك، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قوله: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٥٧). قال: يعني قريشاً لمّا قيل لهم: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢١/٩٨). فقالت قريش: فما ابن مريم؟ قال: ذلك عبد الله ورسوله، فقالوا: والله ما يريد هذا إلاّ أن نتّخذه ربًّا كما اتّخذت النصارى عيسى ابن مريم ربّاً، فقال الله عزّ وجلّ:﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٥٨)[2].

## حجاج اليهود للرسول ﷺ من موروثهم الدّيني:

استخدم اليهود موروثهم الديني في حجاجهم مع الرسول ﷺ سلباً وإيجاباً، ومن حجاجهم الإيجابيّ: ما جاء على لسان عبدالله بن سلام في قصّة إسلامه، عن أنس رضي الله عنه، قال: "سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرضٍ يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال إنّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلاّ نبيّ فما أوّل أشراط السّاعة، وما أوّل طعام أهل الجنّة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمّه؟ قال: أخبرني بهنّ جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم قال: ذلك عدوّ اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (البقرة: ٢/٩٧). أمّا أوّل أشراط السّاعة: فنار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعام أهل الجنّة: فزيادة كبد حوت،

---

1 - ابن هشام: م.س، ص ٢٩٨-٣٠١

2 - ابن هشام: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ١٣٤، ١٣٥

وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله"[1].

ومن حجاجهم السلبي الذي كان قصدهم فيه تعجيز الرسول ﷺ وإحراجه، ما رواه ابن إسحق: "عن شهر بن حوشب الأشعريّ: أن نفراً من أحبار يهود جاؤوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ، فإن فعلت ذلك اتّبعناك وصدّقناك، وآمنّا بك، قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أخبرتكم بذلك لتصدّقنّني، قالوا: نعم، قال: فاسألوا ما بدا لكم، قالوا: فأخبرنا كيف يشبه الولد أمّه، وإنّما النّطفة من الرجل؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيّهما علت صاحبتها كان لها الشّبه؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: فأخبرنا كيف نومك؟ فقال: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنّ نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان؟ قالوا: فأخبرنا عمّا حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنّه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنّه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها، فحرّم على نفسه أحبّ الطعام والشّراب إليه شكراً لله، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: أخبرنا عن الرّوح؟ قال: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهم نعم؟ ولكنّه يا محمّد لنا عدوّ، وهو ملك، إنّما يأتي بالشدّة وسفك الدّماء، ولولا ذلك لاتّبعناك، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢/٩٧-٩٨)"[2].

وكان الرسول ﷺ يتولّى في بعض الأحيان زمام المبادرة في مساءلة يهود من خلال موروثهم الدّيني رغبة في إيمانهم، ولمّا سألوه في رجل وإمرأة منهم زنيا بعد إحصانهما،

---

[1] – البخاري: م.س ، كتاب التفسير، رقم ٤١٢٠

[2] – ابن هشام:م.س، القسم الأول،ص ٥٤٣-٥٤٤

مشى إلى أحبارهم واستخرج منهم حكم الله في ذلك وكانوا قد بدّلوه وأخفوه، قال ابن إسحق: "... فقالوا: يا محمّد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بإمرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما، فقد ولّيناك الحكم فيهما، فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدْراس فقال: يا معشر يهود أخرجوا إليّ علماءكم، فأخرج له عبدالله بن صوريا. فخلا به رسول الله ﷺ، وكان غلاماً شابّاً من أحدثهم سنّاً، فألظّ به رسول الله ﷺ المسألة، يقول له: يا ابن صوريا، أنشدك الله وأذكّرك بأيّامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أنّ الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرّجم في التّوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنّهم ليعرفون أنّك نبيّ مرسل ولكنّهم يحسدونك، قال: فخرج رسول الله ﷺ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجّار، إلى آخر القصّة"[1].

ونقل ابن إسحق عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لمّا حكّموا رسول الله ﷺ فيهما دعاهم بالتّوراة، وجلس حبر منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم، قال: فضرب عبدالله بن سلام يد الحبر، ثمّ قال: هذه يا نبي الله آية الرّجم، يأبى أن يتلوها عليك، فقال لهم رسول الله ﷺ: ويحكم يا معشر يهود، ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟ قال : فقالوا: أما والله إنّه قد كان فينا يُعمل به، حتّى زنى رجل منّا بعد إحصانه، من بيوت الملوك وأهل الشرف، فمنعه الملك من الرّجم ثمّ زنى رجل بعده، فأراد أن يرجمه، فقالوا: لا والله حتّى ترجم فلاناً، فلمّا قالوا ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبيّة، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به. قال: فقال رسول الله ﷺ: فأنا أوّل من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به، ثمّ أمر بهما فرجما عند باب مسجده، قال ابن عمر: فكنت فيمن رجمهما"[2].

---

[1] – ابن هشام: م.س، ص ٥٦٤،٥٦٥ – انظر: الواحدي: م.س، ص ١١١،١١٢ – السيوطي: م.س، ١٠٦،١٠٥

[2] – ابن هشام: م.س، ص ٥٦٦

## حجاج النّصارى للرسول ﷺ من موروثهم الدّيني:

أمّا النصارى فمنهم من كان تاريخه وميراثه حجّة له ومنهم من كان حجّة عليه، فمنهم من استفاد من تاريخه وموروثه فأقبل على دين الله فأسلم، ومنهم من أصرّ على التمسّك بدينه والإبقاء على مكتسباته.

ومن الذين آمنوا وصدّقوا: النّجاشي رضي الله عنه، قال ابن القيّم: "ولما عرف النّجاشي أن عبّاد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده أسلم سراً، وكان يكتم إسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم... وقال النّجاشي: أشهد بالله أنه للنبيّ الأميّ الذي ينتظره أهل الكتاب، وأنّ بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعياء براكب الجمل، وأنّ العيان ليس بأشفى من الخبر"(١).

ومن الذين آمنوا وصدّقوا كذلك: عشرون رجلاً قدموا إلى مكّة وأسلموا، قال ابن إسحق: " ثمّ قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكّة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النّصارى، حين بلغهم خبره في الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلمّا فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ دعاهم إلى الله عزّ وجلّ وتلا عليهم القرآن، فلمّا سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدّمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدّقوه. فلمّا قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيّبكم الله من ركب. بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئنّ مجالسكم عنه، حتّى فارقتم دينكم وصدّقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم، فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً(٢).

---

[1]- ابن القيّم: هداية الحيارى، ص٣٤.

[2] - ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٣٩١-٣٩٢

ومن الذين أصرّوا على البقاء على دينهم إبقاء على مكتسباتهم وتعلّقاتهم الدنيويّة: نصارى نجران الذين قدموا المدينة على رسول الله ﷺ ونزلوا آخر الأمر على دفع الجزيـــــة[1].

<u>المنهج التاريخي القرآني في مخاطبة بني إسرائيل:</u>

لقد أكثر القرآن الكريم من مخاطبة بني إسرائيل وذكّرهم بتاريخهم مع أنبيائهم وقسوة قلوبهم وعنادهم، واحتلّ هذا الأمر الجزء الأكبر من آيات القرآن الكـــريم، وعلـــى ســـبيل المثال: الجزء الأول من سورة البقرة، وفيه يمتنّ الله عليهم أن نجّاهم من فرعون الطّاغية وذكّرهم بذنوبهم وتجاوزاتهم وعفوه عنهم، وذكّرهم بنعمه وآلائه عليهم وكفرهم بها وعدم شكرهم. وهذه نماذج من ذلك، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٤٩ ، ٥٠).

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٧٢-٧٤).

---

[1] – أنظر: ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ابن كثير: م.س، ج١ ص ٣٤٨-٣٤٩ ، أنظر: الواحدي: م.س ، ص ٥٧-٥٩ ، السيوطي: م.س، ص ٥٦ ، البيهقي: م.س، ٥/٣٩٢،٣٨٧ وابن القيّم، زاد المعاد ج٣ ص٦٢٩

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٢/١١١).

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة: ٢/١٣٥).

مصارع الظالمين: ساق القرآن الكريم وقصّ علينا عدداً من مصارع الظالمين لأخذ الدروس والعبر والاتّعاظ، ليعلم كلّ معاند أنّ الهلاك عنه ليس ببعيد، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود: ١١/٥٩-٦٠).

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ (هود: ١١/٦٧، ٦٨).

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (سبأ: ٣٤/١٥-١٦).

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ (القصص: ٢٨/٤٠-٤٢).

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الزخرف: ٤٣/٥٥).

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٠/٤٦).

مشاهد من يوم القيامة: ساق القرآن الكريم صوراً حيّة لمشاهد من يوم القيامة كأنّ المرء يراها رأي العين على سبيل الترغيب والترهيب والتخويف، ومن ذلك:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ (الأنعام:٦/٦).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/٣٠-٣١).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (سبأ: ٣٤/٣١-٣٣).

## الخلاصـــة:

وهكذا يتبيّن لنا أنّ كافّة أطراف الحوار استخدموا الموروث الدّيني لإثبات حجّتهم. وقد تعامل ﷺ بالقاسم المشترك مع محاوريه، فاستدعى التاريخ وجعل حضوراً لإبراهيم عليه السلام الذي يجمع أطراف الحوار على الانتساب إليه، وقد تشبثّت قريش بموروثها ولم يطب لها نفساً أن تتخلّى عنه. ومن النصارى من اتّضح له الحقّ فآمن وصدّق، ومنهم من منعته الرياسة والمأكلة من ذلك. ومن اليهود من اتّضح له الحقّ فأحبّه وأقبل عليه، ومنهم من أصرّ على خلافه، فناصب الرسولﷺ العداء وجعل من موروثه الدّيني مادّة لإحراجه وتعجيزه، وأكثر من ذلك تكوّن حلف وفاق وثني يهودي لمقاومة الرسول ﷺ فكرياً ابتداء، فقد استعانت قريش بيهود في التثبّت من صدق الرسول ﷺ فزوّدوهم بالمعلومات اللازمة لذلك، إلاّ أنّ الوحي كان يمدّه بخبر السّماء فيفحمهم ويقيم عليهم الحجّة

تمهيد:

هذا المنهج هو مقارعة الحجّة بالحجّة بعيداً عن العواطف والانفعالات، فلا بدّ من وجود حضور للعقل في أي حوار، والخطاب موجّه في الأصل للعقلاء، والعقل مناط التكليف، وخير طريق لإلزام الآخر بما تريد، هو إقناعه وإقامة البيّنة على دعواك، وعندها إمّا أن يسلم لك وينصاع للحقّ، أو يبقى معانداً لا يلتف لحجة ولا يصغي إلى دليل، ولا يستمع لصوت الحقّ، ولا بدّ في كلّ الأحوال من التلطّف والرحمة مع المخاطبين، فكسب القلوب أولى من كسب المواقف، فقد ينتصر المرء عقليّاً لكنّه لا ينتصر عاطفياً فيخسر الجولة.

وأنبياء الله (عليهم السّلام)، حاوروا ملأهم وأقاموا عليهم الحجّة وتلطّفوا في خطابهم، ولما أثار الملأ الشبهات في وجه أنبيائهم، فنّدوا لهم تلك الشبهات ولم يشتغلوا في الدّفاع عن ذواتهم، وإنّما كانوا يردّون عليهم بلطف ليستمروا في مسارهم دون عرقلة أو انشغال في أمور جانبية تنسي الرسول رسالته.

وفي هذا الفصل سنرى مدى استخدام الأنبياء (عليهم السّلام) للمنهج العقلي في حوارهم وحجاجهم مع ملئهم.

## المبحث الأول: المنهج العقلي في حوار موسى عليه السلام والملأ

تمهيد:

ملأ موسى عليه السلام في ذلك هم فرعون وبنو إسرائيل. فما مدى استخدامه عليه السلام لهذا المنهج في حجاجه مع ملئه؟ وهل ورد هذا المنهج في مصدري البحث العهد القديم والقرآن الكريم؟

لم أقف في العهد القديم على أيّة محاجّة عقليّة بين موسى عليه السلام وملئه، ومقابلاته عليه السلام مع فرعون كانت تفتقر إلى الحوار والمناظرة والأدّلة العقليّة، وتركّزت على مطالبته بإطلاق سراح بني إسرائيل، لأنّ الربّ إله إسرائيل أراد ذلك، دون ذكر أي تبرير وجاء القرآن الكريم فأكمل النقص، وهذه نماذج من اعتماده عليه السلام على المنهج العقلي مع ملئه من خلاله:

المنهج العقلي في حوار موسى عليه السلام مع فرعون من خلال القرآن الكريم:

يتجلّى هذا المنهج في حجاجه عليه السلام مع فرعون بإجاباته المقتضبة الذكيّة، فنجده يعرّف بربّه، ويبيّن فضله في نعمتي الخلق والهداية، ولم يجعل من عدم معرفته بمآل الأمم الماضية حجّة لفرعون تعرقله عن تبليغ رسالته فأسند الأمر لله، كما لم يجعل من تربية فرعون له وإغداقه عليه وقتله للنّفس مانعاً من إتمام مهمّته، فأجاب بلطف ولين وإيجاز وأحبط فرعونَ حجّتَه، وتابع الحديث ببيان نعم الله وآياته على الإنسان من تسخير للأرض وتيسير سبل العيش فيها وإنزال المطر من السّماء وتوفير الطعام للإنسان وللدواب، وبيّن أنّ الأرض منها كان الخلق والإيجاد وإليها العود، ومنها يكون البعث والخروج، إلاّ أنّ هذه الآيات لم تعجب فرعون فراح يتّهم موسى عليه السلام بالسّحر. ونبيّن هذا الحجاج من خلال نموذجين:

النموذج الأوّل: قوله تعالى:

- ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى

وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦١﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (طه: ٢٠/٤٩-٥٩).

النموذج الثاني: قوله تعالى:

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الشعراء: ٢٦/١٨-٣٤).

ويردّ موسى عليه السلام على ما ألصقه به فرعون من شبهة السّحر التي نالت من شخصه بكلّ لطف ولين، ويقبل التحدّي لتكون له الغلبة، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ (يونس: ١٠/٧٦- ٧٧).

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾ (الإسراء: ١٧/١٠١- ١٠٢).

## المنهج العقلي في حوار موسى عليه السلام مع قومه من خلال القرآن الكريم:

وفي حجاجه عليه السلام مع قومه مستخدماً المنهج العقلي ، قال تعالى:

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٧/ ١٣٨-١٤٠).

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ (طه: ٢٠/٨٦-٨٧).

وفي حجاجه عليه السلام مع أخيه هرون، قال تعالى:

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴾ (طه: ٢٠/٩٢-٩٤).

وفي حجاجه عليه السلام مع السامري، قال تعالى:

﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾ (طه: ٢٠/٩٥-٩٧).

وفي حجاج مؤمن آل فرعون مع قومه، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٤٠/٢٨).

﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (غافر: ٤٠/٤١-٤٤).

## الخلاصـــة

يتبيّن لنا أنّ التوراة لم تورد استخداماً للمنهج العقلي من موسى ﷺ في حجاجه مع ملئه، أمّا القرآن الكريم فقد سجّل له ذلك، واتّضح لنا كم كان موفّقاً في حجاجه ﷺ مع فرعون ومع قومه، وكيف كانت إجاباته مقتضبة وذكيّة وعلى قدر السؤال، وأنّه لم يشتغل بأمور جانبيّة تنسيه رسالته، بل انهمك في المهمة التي جاء من أجلها، وأحسن في بيان قدرة الله، ونعمه على الخلق، واستطاع أن يدخل مسألة البعث والنشور في الحوار لعلّه يحرّك دواعي الفطرة في نفس فرعون، وينتزع ما علُق في ذهنه من كِبْر وعُجْب وتضخّم في مفهوم الذّات.

وقد سار مؤمن آل فرعون على نفس المنهج، عندما انبرى للدّفاع عن موسى ﷺ بطريقة منطقيّة، فبيّن لفرعون وملئه خطورة فعلهم، وأنّ موسى ﷺ لم يرتكب ذنباً يستحقّ بموجبه القتل، وأنّ كلّ ما أتى به أنّه قال: "ربي الله"، وقد جاء بالبيّنات الدّالة على ذلك، فإن صدق عمّ الخير الجميع بسببه، وإنّ كذبه لا يتعدّاه إلى غيره.

## المبحث الثاني: المنهج العقلي في حوار عيسى ﷺ والملأ

تمهيد:

ملأ عيسى ﷺ في ذلك هم اليهود وعلى رأسهم الكتبة والفريسيون، فما مدى استخدامه ﷺ المنهج العقلي في حواره مع يهود؟ وما الذي دفعه إلى ذلك؟ وما مدى نجاحه في إقامة الحجّة عليهم؟ وماذا ترتّب على ذلك من قبول له أو رفض؟

لقد أكثر عيسى ﷺ من استخدامه المنهج العقلي في حجاجه مع يهود، فقارعهم الحجّة بالحجّة بطريقة كان يفحمهم بها ولا يحوجهم إلى مساءلته ثانية، وهذه نماذج من اعتماده ﷺ المنهج العقلي في حواره معهم:

الافتتان به: لمّا اضطرب النّاس في شأنه لما أتى به من آيات عظام، فمنهم من جعله إلهاً، ومنهم من جعله ابن إله، ومنهم من جعله نبيّاً، عجب لأمرهم ورفض اختلافهم فيه، وأكّد على بشريّته على مرأى ومسمع من الجميع، وبرهن على ذلك بفقرات من العهد القديم، وكان من ذلك ما قاله الوالي وهيرودس: "يا سيّد إنّه لمن المحال أن يفعل بشرٌ ما أنت تفعله فلذلك لا نفقه ما تقول". أجاب يسوع: "إنّ ما تقوله لصدق إنّ الله يفعل صلاحاً بالإنسان كما أنّ الشيطان يفعل شرّاً، لأنّ الإنسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل ويبيع فيه، ولكنْ قل لي أيّها الوالي وأنت أيّها الملك: أنتما تقولان هذا لأنّكما أجنبيان عن شريعتنا لأنّكما لو قرأتما العهد وميثاق إلهنا لرأيتما أنّ موسى حوّل بعصاه البحر دماً والغبار براغيث والندى زوبعة والنّور ظلاماً، أرسل الضفادع والجرذان على مصر فغطّت الأرض وقتل الأبكار وشقّ البحر وأغرق فيه فرعون، ولم أفعل شيئا من هذه وكلّ يعترف بأنّ موسى إنّما هو الآن رجل ميّت وأوقف يشوع الشمس وشقّ الأردن وهما ممّا لم أفعله حتّى الآن، وكلّ يعترف بأنّ يشوع إنّما هو الآن رجل ميّت، وأنزل إيليا النّار من السّماء عياناً وأنزل المطر، وهما ما لم أفعله، وكلّ يعترف بأنّ إيليا إنّما هو بشر كثيرون آخرون من الأنبياء والأطهار وأخلاّء الله فعلوا بقوّة الله أشياء لا تبلغ كنهها عقول الذين لا يعرفون إلهنا القدير الرحيم المبارك إلى الأبد[1].

---

[1] - بر ٩٥: ٦-١٥

شرعيته في التغيير: قاوم عيسى عليه السلام الممارسات الخاطئة التي أقرّها كتبة اليهود وعلماؤهم بشدّة، وهذا لم يرق لهم، فاستنكروا عمله، وسألوه ممن يستمدّ شرعيته في التغيير، فردّ عليهم بطريقة أفحمهم بها وأحرجهم وأسكتهم، قال مرقس: "ثمّ عادوا إلى أورشليم مرّة أخرى، وبينما كان يتجوّل في الهيكل، تقدّم إليه رؤساء الكهنة، والكتبة، والشيوخ، وسألوه: بأيّة سلطة تفعل ما فعلته؟ ومن منحك هذه السّلطة لتفعل ذلك؟ فأجابهم يسوع قائلاً: وأنا أيضا أسألكم أمراً واحداً، فأقول لكم بأيّة سلطة أفعل تلك الأمور: أمن السّماء كانت معموديّة يوحنا أم من النّاس؟ أجيبوني. فتشاوروا فيما بينهم قائلين: إنْ قلنا: من السّماء، يقول: إذن لماذا لم تؤمنوا به؟ فهل نقول: من النّاس؟ فإنّهم كانوا يخافون الشّعب لأنّهم كانوا جميعاً يعتبرون أنّ يوحنا نبي حقّاً، فأجابوا يسوع قائلين: لا ندري، فقال لهم يسوع: ولا أنا أقول لكم بأيّة سلطة أفعل تلك الأمور"[١].

دفع الجزية للقيصر: سأل اليهود عيسى عليه السلام عن مشروعيّة دفع الجزية للقيصر، يريدون بذلك إحراجه، وتوريطه إمّا مع قيصر ونظامه فيسجن، وإمّا مع عامّة النّاس فيلفظ، قال مرقس: "ثمّ أرسلوا إليه بعض الفرّيسيين وأعضاء حزب هيرودس، لكي يوقعوه بكلمة يقولها، فجاؤوا وقالوا له: يا معلّم، نحن نعلَم أنّك صادقٌ، ولا تبالي بأحدٍ، لأنّك لا تراعي مقامات النّاس، بل تُعلّم طريق الله بالحقّ: أيَحِلُّ أن تُدفع الجزية للقيصر أم لا؟ أنَدْفعها أم لا ندفع؟ ولكنّه إذ علم رياءهم قال لهم: لماذا تجرّبونني؟ أَحْضِروا إليّ ديناراً لأراه. فأَحْضَروا إليه ديناراً، فسألهم: لمن هذه الصّورة وهذا النّقش؟ فقالوا له: للقيصر، فردّ عليهم قائلاً: أعطوا ما لِلْقَيْصَرِ لِلْقَيْصَرِ، وما للهِ للهِ، فذهلوا منه"[٢].

العمل يوم السّبت: تشنّج اليهود وجمدوا على قدسيّة يوم السّبت، وحرّموا العمل فيه قطعيّاً، فأراد عيسى عليه السلام أن يصحّح مفهومهم الخاطئ، وأعلمهم أن الاستثناءات لا تمسّ بحرمة السبت، وذكّرهم أنهم يختتون الأطفال يوم السبت، مخافة مخالفة شريعة موسى عليه السلام فليس لهم أن يغضبوا لمشافاة إنسان يوم السبت، قال يوحنا: "فقال يسوع: عملت يوم السبت عملاً واحداً فاستغربتم جميعاً. إنّ موسى أوصاكم بالختان –وهذا لا يعني أن الختان يرجع

---

1- مر ١١: ٢٧-٣٣

2- مر ١٢: ١٣-١٧ .

إلى موسى بل إلى الآباء- ولذلك تختنون الإنسان ولو يوم السبت. فإن كنتم تجرون الختان للإنسان يوم السبت لكي لا تخالفوا شريعة موسى فهل تغضبون عليّ لأني شفيت إنساناً بكامله في السبت؟ لا تحكموا بحسب الظاهر، بل احكموا حكماً عادلاً"[١].

وكان عليه السلام هو المبادر في بعض الأحيان، فيسألهم فيصمتون عن الإجابة مخافة أن يسجّل عليهم موقف، فإن أقرّوه على العمل يوم السّبت ومشافاة المرضى، وبّخهم زملاؤهم واتّهموهم بالتّساهل، وإن لم يوافقوه اتّهمهم النّاس بقسوة القلب. قال لوقا: "وإذ دخل بيت واحد من رؤساء الفرّيسيين في ذات سبت ليتناول الطعام، كانوا يراقبونه وإذا أمامه إنسان مصاب بالاستسقاء. فخاطب يسوع علماء الشريعة والفريسيين، وسألهم: أيحلّ إجراء الشفاء يوم السبت أم لا؟ ولكنهم ظلّوا صامتين فأخذه وشفاه وصرفه. وعاد يسألهم: من منكم يسقط ابنه أو ثوره في بئر يوم السبت ولا ينتشله حالاً؟ فلم يقدروا أن يجيبوه عن هذا"[٢].

لقد استدلّ عيسى على مشروعيّة قطف تلامذته للسنابل وفركها وأكلها يوم السّبت وهم جياع بما فعله داود عليه السلام ومرافقوه من أكلهم من خبز التقدمة، قال متّى: "في ذلك الوقت مرّ يسوع بين الحقول في يوم السبت فجاع تلاميذه فأخذوا يقطفون سنابل القمح ويأكلون، ولما رآهم الفرّيسيون قالوا لهم: ها إنّ تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعله في يوم السبت! فأجابهم: أما قرأتم ما فعله داود ومرافقوه عندما جاعوا؟ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الّذي لم يكن أكله يحلّ له ولا لمرافقيه بل للكهنة فقط! أو لم تقرأوا في الشّريعة أنّ الكهنة ينتهكون السّبت بالعمل في الهيكل أيّام السّبت ولا يحسبون مذنبين؟"[٣].

طعام الجنّة: قال برنابا: قال يسوع: "ولكنّك تخطئ يا بطرس في ظنّك أنّ طعاماً كهذا يبرز نجاسة، لأنّ هذا الجسم في الوقت الحاضر يأكل أطعمة قابلة للفساد، ولهذا يحصل

---

[1]- يو ٧: ٢٠-٢٤.

[2]- لو ١٤: ١-٦.

[3]- مت ١٢: ١-٥

الفساد، ولكنّ الجسم يكون في الجنّة غير قابل للفساد، وغير قابل للألم وخالداً من كلّ شقاء، والأطعمة التي لا عيب فيها لا تحدث أدنى فساد"[1].

المسيح المنتظر: ناقش عيسى عليه السلام الفرّيسيين في شخصيّة المسيح من يكون؟ وأفهمهم أنّه لا يكون من ولد داود عليه السلام لأنّه يدعوه سيّده ، ولمّا كان عيسى عليه السلام من ذريّة داود، فلا يكون هو المسيح المنتظر، قال متى: "وفيما كان الفرّيسيون مجتمعين، سألهم يسوع: "ما رأيكم في المسيح، ابن من هو؟ أجابوه: "ابن داود"، فسألهم: "إذن كيف يدعوه داود بالرّوح ربّاً له إذ يقول: قال الربّ لربّي: اجلس عن يميني حتّى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه ربّه، فكيف يكون ابنه؟، فلم يقدر واحد منهم أن يجيبه ولو بكلمة، ومن ذلك اليوم، لم يجرؤ أحد أن يستدرجه بأيّ سؤال"[2].

---

1 - بر ١٧٤: ٨-١١

2 - مت ٢٢: ٤١-٤٦

## الخلاصـــة

وهكذا يتبيّن لنا من خلال النماذج السابقة وغيرها أنّ عيسى عليه السلام قد أكثر من استخدام المنهج العقلي في حجاجه مع يهود، فكان يقارعهم الحجّة بالحجّة، وكان يفحمهم دائماً، وكان قويّاً معهم، وممّا أعانه عليهم تمكّنه من كتابهم العهد القديم ومعرفته بأسراره، لذا كان يقيم عليهم الحجّة من خلاله، فلم يسعهم إلاّ أن يسلّموا ويذعنوا له، ولئن كان قد انتصر عليهم عقليّاً إلاّ أنّه لم ينتصر عليهم عاطفيّاً، فأبغضوه وحسدوه، وتآمروا عليه وسعوا في قتله ولكنّ الله رفعه إليه ونجّاه منهم فلم يقتل ولم يصلب ولكن شبّه لهم!

تمهيـــد:

إنّ ملأ محمّد ﷺ في ذلك هم قريش والعرب من خلفها وأهل الكتاب. فما مدى استخدام الرسول ﷺ لهذا المنهج في حواره مع ملئه؟ وما أثره في قبولهم أو رفضهم للإسلام؟ وهل استخدم الملأ هذا المنهج في حوارهم مع الرسول ﷺ؟

لمّا كان العقل أداة التأمّل والتمييز والإدراك والاستنتاج، جاء الإسلام فأعطاه المكانة اللائقة، وبنظرة فاحصة إلى آيات القرآن الكريم، نرى أنّ مادّة "علم" ومشتقاتها قد وردت في ثمانمائة وأربعة وخمسين موضعاً، وأنّ مادّة "بصر" وردت في مائة وثمانية وأربعين موضعاً، ومادّة "فقه" وردت في عشرين موضعاً، ومادّة "فكر" وردت في ثمانيّة عشر موضعا، بينما وردت مادّة "جهل" في أربعة وعشرين موضعاً فقط.

وفي الوقت الذي لا نجد شاهداً واحداً في التوراة يلتزم الموضوعيّة والحجاج العقلي، نجد القرآن الكريم والسنّة النبوية تزخران بكمٍّ هائل من مخاطبة العقل، والحجاج العقلي بين الأنبياء وملئهم. وإن كان النّاس بفطرهم يميّزون بين الخير والشرّ، وبطبعهم يحترمون التّاريخ ويذعنون له، فإنّهم لا يتردّدون في قبول حكم العقل، لأنّه حجّة ملزمة للجميع، والأصل أن يقبل الخلق بحكم العقل، ومن هذا المنطلق جاء احترام العقل، وجاء الحثّ على العلم والتعلّم، وإنّ أوّل ما أنزل على قلب محمّد ﷺ قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق: ٩٦/١).

وقد وجّه الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ابتداءً وأتباعه من بعده أن يلتزموا بالمنهج العقلي في مخاطبة الآخر، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٦/١٢٥).

## المنهج العقلي في مخاطبة قريش:

اتّضح هذا الأمر في منهجيّة الرسول ﷺ في مخاطبة عتبه بن ربيعة، فبعد ما عرض عتبة ما عنده، وجلس ينتظر جواباً يطير به إلى قريش، قال له الرسول ﷺ: أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منّي، وهذه منهجيّة متميّزة في احترام الآخر، فقد أعطاه فرصة كافية ليعبّر عن نفسه، ولم يقاطعه في حديثه، وبعدها قرأ عليه سورة فصلت حتّى انتهى إلى آية السّجدة، قرأ عليه آيات تصوّر واقع قريش وموقفها من الرّسول ﷺ والرسالة، وتؤكّد على بشريّته ﷺ ووحدانيّة الله سبحانه، وتطرح سؤالاً فيه رائحة الاستغراب من قريش التي تكفر بالله مع عظيم قدرته، فقد خلق الأرض في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها، وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها ...الخ، قال تعالى:﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ (فصلت: ٤١/١-١٢). فما كان من عتبة إلاّ أن رجع إلى قريش بغير الوجه الذي ذهب به. قال ابن إسحق: "... فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ،

والله ما هو بالشّعر، ولا بالسّحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرّجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزّكم،وكنتم أسعد النّاس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم"[1].

ومن استخدام الرسول ﷺ للمنهج العقلي في حواره مع قريش ما ذكره السيوطي : "جاء العاصي بن وائل إلى رسول الله بعظم حائل ففتّه فقال: يا محمد أيبعث هذا بعد ما رمّ؟ قال: نعم يبعث الله هذا، ثمّ يميتك ثمّ يحييك ثمّ يدخلك نار جهنّم، فنزلت الآيات: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس: ٣٦/٧٧ - ٨٣)"[2].

إبراهيم عليه السلام والمنهج العقلي:

ومن صور المحاجّة العقليّة التي ساقها القرآن الكريم أسلوب التدرّج، وهو أن تتدرّج مع المحاور من المعلوم إلى المجهول، ومن المسلّم به المتّفق عليه إلى المختلف فيه، حتّى تقيم عليه الحجّة وتعينه على تقبّل الحقّ. ومن ذلك: ما قصّه الله تعالى علينا من خبر إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى

---

1 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص ٦٣-٦٤، ابن هشام م.س، القسم الأول، ص٢٩٣، ٢٩٤

2 - السيوطي، جلال الدّين: م.س ، ص ٢٥٣

لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٦/٧٦-٨٢). لقد ظنّ كثير من النّاس أنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن أنذاك نبيّاً، وقد اهتدى بعقله بمعزل عن وحي السّماء، والمتدبّر البصير يرى أنّ هذه الآيات، وهذا النمط من الخطاب إنّما هو توجيه وتعليم لإبراهيم عليه السلام من الله سبحانه، ولذلك جاء في بداية السياق: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٦/٧٥). وجاء في نهايته ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٦/٨٣). فما أتى به إبراهيم عليه السلام من أسلوب تدرّج ليقيم الحجّة على قومه إنّما هو من وحي الله وتعليمه فليتفطّن لهذا.

وممّا قصّه الله علينا من خبر إبراهيم عليه السلام في محاجّة أبيه، وفي ذلك تعريض بقريش ومن نحا نحوها في عبادة غير الله، يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ

سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ (مريم: ١٩/٤٢-٤٨).

وفي محاجّته ﷺ أبيه وقومه، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الشعراء: ٢٦/٧٠-٨٢).

## المنهج العقلي في مخاطبة يهود:

غنيّ عن القول أنّ مادّة الحوار في المنهجين الفطري والتاريخي تقوم على العقل والفهم، والذي لا يعقل ولا يفهم لا يقوى على العمل، فالعمل فرع عن الفهم، والرسول ﷺ عندما كان يحاور يهود يقول لهم زيادة في إقامة الحجّة عليهم: "فأتوا بالتّوراة"، قال الواحدي: "قوله: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ (آل عمران : ٩٣/٣). نزلت حين قال النبي: إنّه على ملّة إبراهيم، فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها؟، قال النبي ﷺ كان ذلك حلالاً لإبراهيم. فنحن نحلّه، فقالت اليهود: كلّ شيء أصبحنا اليوم نحرّمه، فإنّه كان على نوح وإبراهيم حتّى انتهى إلينا، فأنزل الله عزّ وجلّ تكذيبا لهم قوله: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٣/٣)"[1].

[1] - الواحدي: م.س ، ص ٦٥

المنهج العقلي في مخاطبة النصارى:

لقد تمثّل ذلك في محاورة الرسول ﷺ لنصارى نجران، قال ابن إسحق:... فكلّم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح والأيهم السيّد - وهم من النصرانيّة على دين الملك، مع اختلاف أمرهم- يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، كذلك قول النصرانيّة... فلمّا كلّمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنّكما لم تسلما (فأسلما)، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصّليب، وأكلكما الخنزير، قالا: فمن أبوه يا محمّد؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كلّه، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها..."[١].

قال الرازي: "ثمّ أخذ رسول الله ﷺ يناظر معهم، فقال: ألستم تعلمون أنّ الله حيّ لا يموت، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولد إلاّ ويشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّم على كلّ شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه، فهل يملك عيسى شيئاً من ذلك؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، فهل يعلم عيسى شيئاً من ذلك إلاّ ما علم؟ قالوا: لا، قال: فإنّ ربّنا صوّر عيسى في الرّحم كيف شاء، فهل تعلمون أنّ ربّنا لا يأكل الطّعام ولا يشرب الشّراب ولا يحدث؟ وتعلمون أنّ عيسى حملته إمرأة كحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة، ثمّ كان يطعم الطّعام ويشرب الشّراب ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى، فقال: رسول الله ﷺ فكيف يكون كما زعمتم؟ فعرفوا ثمّ أبوا إلاّ جحودًا، ثمّ قالوا: يا محمّد ألست تزعم أنّه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، فقالوا: فحسبنا. فأنزل الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٧/٣). ثمّ إنّ الله تعالى أمر محمّداً ﷺ بملاعنتهم. فعدلوا عن الملاعنة وقبلوا بدفع الجزية للرسول ﷺ.

---

[1] - ابن هشام: م.س، القسم الأول، ص ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ابن كثير: م.س، ج١ ص ٣٤٨-٣٤٩، انظر: الواحدي: م.س ، ص ٥٧-٥٩ ، السيوطي: م.س، ص ٥٦ ، البيهقي: م.س، ٣٨٧،٣٩٢/٥ وابن القيم، زاد المعاد ج٣ ص٦٢٩

المنهج العقلي القرآني في مخاطبة أهل الكتاب والمشركين :

هذه نماذج من حجاج القرآن العقلي لأهل الكتاب والمشركين عامّة، يتّضح منها أنّ الأدلّة الشرعيّة إنّما هي أدلّة نقليّة عقليّة، وكلّ ما يخطر في خلد المكلّف من دليل عقليّ، لا بدّ وأن يكون له أصل في الشرع، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٣/٦٥-٦٨).

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٣/٧٠-٧١).

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٣/٩٨-٩٩).

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(الأنبياء: ٢١/٢١-٢٤).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت: ٤١/٥٢-٥٣).

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة: ٥٦/٥٨-٧٢).

## الخلاصـــة

يتّضح لنا أنّ الإسلام أعطى العقل المكانة اللائقة به، وقد وجّه الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ابتداء وأتباعه من بعده إلى ضرورة مخاطبة الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة، ففي الوقت الذي نرى فيه العهد القديم يهمل المنهج العقلي تماماً نجد القرآن الكريم والسنّة النبوية لا يضاريان في هذا الجانب. وقد حاور الرسول ﷺ ملأه مستخدماً المنهج العقلي، وقارع المخالفين الحجّة بالحجّة، ومع ذلك لم يهمل المنهج الفطري ولا المنهج التاريخي. والمناهج الثلاثة ملازمة لبعضها البعض، فهي متكاملة، فلا بدّ من مخاطبة الفطرة والحسّ والوجدان، ولا بدّ من الوقوف على التّاريخ، وفي كلّ الحالات لا بدّ من مخاطبة العقل، فهو مناط التكليف، وقد استطاع الرسول ﷺ أن يأتي بها جميعاً، وبذلك يكون قد أوجد مناخاً ملائماً للحوار والتفاهم مع الآخر، وأرسى دعائمه، ليكون في ذلك قدوة للأجيال القادمة.

وقد تباين الملأ بعد قيام الحجّة في قبولهم للإسلام أو رفضه، فمنهم من انشرح صدره للإسلام وآمن، ومنهم من بقي على دينه جحوداً وحميّة، أو لتعلّقات دنيويّة، ومع ذلك لم يجعل الرسول ﷺ من عدم الالتقاء قطيعة وضغينة، وإنّما عمل من أجل التعاون والتعايش في المجتمع الواحد.

## الخاتمـــة

بعد أن منّ الله عليّ فأتممت هذه الرّسالة، التي تقوم على فلسفة العلاقة بين الأنبياء (عليهم السلام) والملأ، من خلال القرآن الكريم وما يسمى بالكتاب المقدّس، فإنّني أستطيع أن أقول: لئن كان أصل الحوار بين أهل الشرائع والملل في القديم يقوم على إثبات الحجّة وهدم حجّة الآخر، فقد نحوت في دراستي هذه إلى الارتقاء بالحوار، وهذا ما حاولت إثباته من تحويل الصراع بين الأنبياء والملأ إلى حوار جدّي وصريح، رغبة في إجلاء الحقيقة، وذلك في ضوء ما نادى به المفكّرون المحدَثون من ضرورة الحوار بين المختلفين، وبذلت جهدي في إبراز الصّورة المشرقة للدّين الإسلامي، واستجلاء مبادئه السّمحة وقيمه الزكيّة، وإثراء الفكر الاجتهادي المؤمن بالحوار والتفتّح الرّافض للصّراع والانغلاق على النّفس والتحجّر، لذلك كانت الإشكاليّة الرئيسة في هذه الرسالة تتمحور حول فلسفة العلاقة القائمة بين الأنبياء (عليهم السلام) وملئهم، من خلال القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد.

ولئن كان الملأ من خلال القرآن الكريم وما يسمى بالكتاب المقدّس بعهديه، يتولّى في الأغلب كِبْرَ مقاومة الأنبياء عليهم السّلام، فتصوّري للعلاقة المستقبليّة بين هاتين الفئتين - في ضوء ما أصبح عليه الفكر الحديث من التحرّر وقبول الآخر - أن تكون علاقة حواريّة قوامها التقارب والتعايش والتعاون بين الطّرفين، يقبل فيها الملأ على دين الله، دون أن يمنعهم من ذلك مال ولا جاه ولا سلطان، وأن لا تكون علاقة عدائيّة صِداميّة بحيث يغلق فيها باب الحوار وتقطع فيها العلاقات وتحلّ فيها الضغينة والبغضاء بدل التّفاهم والانسجام. أمّا ما كان من اعتراض كثير من الملأ على أنبيائهم -في القرآن الكريم والكتاب المقدّس- فلم يكن لجهل منهم أو عدم قناعة بأحقيّة ما جاؤوا به، وإنّما لتعلّقات دنيويّة كالرئاسة والأنفة والحميّة، والمكانة الاجتماعيّة، ذلك أنّ الآيات المادّية التي جاء بها الأنبياء عليهم السّلام لم تكن قطّ موضعَ نزاعٍ بينهم، وبين الملأ، وإنّما كان طلب الملأ لها على سبيل التعجيز والإحراج.

وقد اتّضح لي من خلال هذه الرّسالة، أنّ الأنبياء عليهم السّلام قد استخدموا ذات المناهج -المنهج الفطري والمنهج التاريخي والمنهج العقلي- في حوارهم مع ملئهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على وحدة مصدر التلقّي (والله تعالى أعلم).

وختاماً: سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين. وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الثبوتـــــات:

# ثبت الآيات القرآنيّة

## نُظمت حسب ترتيب التلاوة

| السورة | رقم | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| الفاتحة | ١ | إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ | ٥ | ١٩ |
| سورة البقرة | ٢ | يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ | ٢١ | ٢٧،٣٣ |
| | | فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا | ٢٢ | ٣٧ ،٣٣ |
| | | وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا | ٣١ | ٤ |
| | | نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ | ٤٩-٥٠ | 421 |
| | | وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ | ٥٤ | 75 |
| | | وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ | ٥٥ | ٣٥ |
| | | ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ | ٥٦ | ٢١٥ |
| | | ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ | ٥٦ | ٢١٦ |
| | | وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ | ٣٦،٣٥ | ٣٠٧ |
| | | وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ | ٨٩ | ٢٨٥ ،١٣٧ |
| | | وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ | ٩٣ | ١٠١ |
| | | قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ | ٩٧-٩٨ | 399 |
| | | وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ | ٩٩ | ١٧٧ |
| | | يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا | ١٠٤ | ١٧٤ |
| | | أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ | ١٠٨ | ١٧٧ |
| | | وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ | ١١١ | ٢٠٢ |
| | | وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ | ١١٣ | ١٨٤ |
| | | وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا | ١١٨ | ١٧٧ |
| | | وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ | ١٣٠ | ٣٩٥ |
| | | وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ | ١٣٥ | 422 |
| | | وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا | ١٤٣ | ١٧٦ |
| | | وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ | ١٤٥ | ١٧٦ |
| | | ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ | ١٤٦ | ١٧٨ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ | ١٦٣ | ٢٦ |
| | | وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ | ٢٠٤-٢٠٩ | 395 |
| | | كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً | ٢١٣ | ٢٧٠ |
| | | يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ | ٢١٩ | ٣٢٨ |
| | | نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ | ٢٢٣ | ٣٣٤ |
| | | ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ | ٢٢٩ | ٣٣٦ |
| | | فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ | ٢٣٠ | 328 |
| | | أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ | ٢٤٦ | ٨٠ |
| | | ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ | ٢٥٥ | ٣٧،٣٢ |
| | | لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ | ٢٥٦ | ٣٧٦،٢ |
| | | ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ | ٢٠٠ | ٣٢٧ |
| | | لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ | ٢٢٧،٢٢٦ | ٣٢٩ |
| آل عمران | ٣ | وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ | ٤٩-٥٤ | ١٢٢ |
| | | يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ | ٦٥-٦٨ | ١٠٣ |
| | | يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ | ٧٠-٧١ | ٣١٥ |
| | | الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ | ٢،١ | ١٠١ |
| | | فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ | ٧ | ٤٤٢ |
| | | قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ | ٣١ | ١٢١ |
| | | إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا | ٣٣ | ٧٣ |
| | | وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا | ٣٧ | ٨٣ |
| | | أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا | ٢٤،٢٣ | ٤١٤ ،١٠٣ |
| | | قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ | ٦٤ | 395 ، ٢٠ ،٢ |
| | | مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا | ٦٧ | ٤١٣ |
| | | مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ | ٧٩-٨١ | ٤١٤ |
| | | قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ | ٩٨-٩٩ | ٤٤٣ |
| | | لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ | ١١٣ | ٣٣٤ |

| السورة | رقمها | الآية | رقم الآية | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| | | فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ | ١٥٩ | ٣٦٦ |
| | | فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ | ١٥٩ | ٣٦٨ |
| | | مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ | ٨٠،٧٩ | ١٣٠ |
| | | لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ | ١٨١ | ١٤١ |
| | | وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ | ١٨٧ | ٦٧ |
| النساء | ٤ | وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ | ١٥٦-<br>١٥٨ | 152 |
| | ٤ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ | ١ | ٣٣٦ |
| | ٤ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ | ١٩ | ٣٢٧ |
| | ٤ | وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ | ٢٢ | ٣٢٧ |
| | ٤ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ | ٤٣ | ٣٣٣ |
| | ٤ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ | ٤٧ | ٣٧٦ |
| | ٤ | وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا | ٧٩ | ٦٣ |
| | ٤ | إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ | ١٦٣ | ٦٨ |
| | ٤ | وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا | ١٦٤ | ٦٨ |
| | ٤ | رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ | ١٦٥ | ٧١ |
| | ٤ | لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ | ١٧٢ | ٢٠ |
| | ٤ | إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ | ١٥١ | ١٣٣ |
| | ٤ | وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ | ١٥٨،١<br>٥٧ | ٢١١ |
| المائدة | ٥ | يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ | ٢٠-٢٦ | ١٤٠ |
| | ٥ | إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ | ١١٢-<br>١١٥ | ١٥٣ |
| | ٥ | لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً | ٨٢-٨٤ | ١٨٣ |
| | ٥ | ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ | ٣ | ٧٢ |
| | ٥ | ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ | ٥ | ٣٩٣ |
| | ٥ | فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ | ١٣ | ١٩٧ |
| | ٥ | وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ | ١٤ | ١٩٧ |
| | ٥ | أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ | ١٩ | ٧١ |

| السورة | رقمها | الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| | ٥ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ | ٤١ | ١٧٩ |
| | ٥ | وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ | ٤٥ | ٣٧١ |
| | ٥ | وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ | ٤٩،٥٠ | ١٧٩ |
| | ٥ | وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ | ١٠٤ | ٣٢٥ |
| | ٥ | يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ | ١٠٩ | ١١٣ |
| | ٥ | إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى | ١١٠ | ١٥٢ |
| | ٥ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ | ٩١،٩٠ | ٣٣٣ |
| | ٥ | إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰ | ١١٧ | ١١٣ |
| الأنعام | ٦ | وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ | ١٠٩-١١١ | ١٦١ |
| | ٦ | وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ | ٣ | ٣٠ |
| | ٦ | أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ | ٦ | ٣٣٧ |
| | ٦ | وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ | ٣٠-٣١ | 337 |
| | ٦ | إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ | ٣٦ | ٢١٥ |
| | ٦ | قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً | ١٩،٢٠ | ١٢٣ |
| | ٦ | وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ | ٤٨ | ٧١ |
| | ٦ | ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ | ٦٠ | ٢١٥ |
| | ٦ | وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ | ٧٥-٨٣ | ٣٥١ |
| | ٦ | وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم | ٨٨ | ٩١، ١١٩ |
| | ٦ | بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ | ١٠١ | ٣٠ |
| | ٦ | لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ | ١٠٣ | ٣٥ |
| | ٦ | ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ | ١٢٤ | ٧٢،٢٥٠، ٢٧٧ |
| | ٦ | قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ | ١٤٠ | ٣٣١ |
| الأعراف | ٧ | وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ | ١٣٢-١٣٥ | ١٣٨ |
| | ٧ | وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ | ١٢٠-١٢٢ | ٢٣٨ |
| | ٧ | وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ | ١٣٨-١٤٠ | ٩٧ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | ٩ | وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم | ٨٤ | ٣٦٤ |
| | ٩ | وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ | ١٠٣ | ٣٦٦ |
| | ٩ | مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ | ١١٣ | ٢٨١ |
| | ٩ | وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا | ١١٥ | ٦٨ |
| | ٩ | لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ | ١٢٨ | ٦٢ |
| يونس | ١٠ | ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ | ٧٥-٧٨ | ٣٠٠ |
| | ١٠ | أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا | ٢ | ٢٢١ |
| | ١٠ | قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا | ٧٨ | ٢٣٩ |
| | ١٠ | فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ | ٨٣ | ١٩٩ |
| | ١٠ | وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ | ٨٨ | ١٩١ |
| | ١٠ | لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ | ٩٠ | ٧٥ |
| | ١٠ | وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ | ٩٩ | ٢٣٣ |
| | ١٠ | وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ | ٩٩ | ٢ |
| | ١٠ | حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ | ٩٠،٩١ | ٧٥، ٧٦ |
| | ١٠ | إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ | ٩٦، ٩٧ | ١٦١ |
| هود | ١١ | قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ | ٤٧ | ٣٠٤ |
| | ١١ | وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ | ٦٧-٦٨ | ٣٣٦ |
| | ١١ | قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً | ٨٠ | ٣٥٧ |
| | ١١ | فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ | ٩٧ | ١٩٨ |
| يوسف | ١٢ | فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ | ١٩ | ٦٣ |
| | ١٢ | وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ | ٢١ | ٢٦٩ |
| | ١٢ | إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ | ٢٣ | ١٥١ |
| | ١٢ | ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ | ٣٩ | ٢٨ |
| | ١٢ | فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ | ٤٢ | ١٥١ |
| | ١٢ | إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ | ٥٣ | ٢٨ |
| | ١٢ | وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا | ١٠٩ | ٢٢١ |
| | ١٢ | وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ | 106 | 26 |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الرعد | ١٣ | كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ | ٣٠ | ١٦٦ |
| | ١٣ | وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ | ٣١ | ١٥٩ |
| إبراهيم | ١٤ | وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ | ٤ | ٦٩ |
| | ١٤ | وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ | ٤ | ٣٧ |
| | ١٤ | يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ | ٢٧ | ٢١٧ |
| | ١٤ | رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ | ٤١ | ٢٨ |
| الحجر | ١٥ | إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ | ٩ | ٢٣ |
| النحل | ١٦ | و بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا | ٣٦ | ٧١ |
| | ١٦ | إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ | ٣٧ | ٦٩ |
| | ١٦ | وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ | ٦٨ | ٧٠ |
| | ١٦ | وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ | ٣٨،٣٩ | ٢٢٠ |
| | ١٦ | مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ | ٩٧ | ٣٣٦ |
| | ١٦ | وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ | ٥٨،٥٩ | 331 |
| | ١٦ | ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ | ١٢٥ | ١٣٢ |
| الإسراء | ١٧ | وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا | ٩٠-٩٣ | ١٦٠ |
| | ١٧ | وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ | ٧٣-٧٥ | ١٢٠ |
| | ١٧ | وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا | ٤٩-٥١ | ٢٢٠ |
| | ١٧ | وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ | ١٠١-١٠٣ | ١٣٩ |
| | ١٧ | لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ | ٧ | ٢٦٥ |
| | ١٧ | وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا | ١٥ | ٨٦ |
| | ١٧ | وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ | ٣١ | ٢٦٤ |
| | ١٧ | وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ | ٥٩ | ١٦١ |
| | ١٧ | وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ | ٨٥ | ٢٣٠ |
| | ١٧ | وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ | ٨٥ | ١٦٦ |
| | ١٧ | قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ | ٨٨ | ١٤٣ |
| | ١٧ | وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ | ١٠٤ | ١٩٨ |
| | ١٧ | قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ | ١١٠ | ٣١ |

| السورة | رقمها | الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| الكهف | ١٨ | أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ | ٩ | ٦٦ |
| | ١٨ | وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ | ٢٥ | ١٩٩ |
| | ١٨ | وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم | ٢٨ | ٣٦٦ |
| | ١٨ | وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا | ٢٠،١٩ | ١٩٩ |
| | ١٩ | إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ | ٤٨-٤٢ | ٣٥١ |
| | ١٩ | وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا | ٥٧ | ٦٠ |
| | ١٩ | فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ | ٦٥ | ٣٧ |
| طه | ٢٠ | وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ | ٩٨-٨٣ | ١٠١ |
| | ٢٠ | وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا | ٦٤-٥٦ | ٣٤٢ |
| | ٢٠ | قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ | ٥٥-٤٩ | 92 |
| | ٢٠ | إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا | ٧٦-٧٤ | ١٩٨ |
| | ٢٠ | قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ | ٧٣-٧١ | ١٩٨ |
| | ٢٠ | فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا | ٤٤ | ١١٥،١٣٣ |
| | ٢٠ | فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا | ٤٧ | ٦٩ |
| | ٢٠ | مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ | ٥٥ | ٩٢ |
| | ٢٠ | قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ | ٦٣ | ٢٤٠ |
| | ٢٠ | يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ | ٨١-٨٠ | ٣٢٤ |
| | ٢١ | وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ | ٢٥ | ٧١ |
| | ٢١ | وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا | ٧٣ | ٧٣ |
| | ٢١ | إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ | ٩٨ | ٣٣٣ |
| | ٢١ | وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ | ١٠٧ | ٢٨٨ |
| | ٢١ | وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ | ٧٩،٧٨ | ٦٩ |
| الحج | ٢٢ | وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ | ٥٢ | ٦٧،٦٥ |
| | ٢٢ | ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا | ٧٥ | ٧٣ |
| | ٢٢ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ | ٧٧ | ٣٣ |
| المؤمنون | ٢٣ | أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ | ٤٠-٣٥ | ٢٢١ |
| | ٢٣ | قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى | ٩٧-٩٣ | ٢٨٩ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | ٢٨ | ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ | ٥٢-٥٥ | ١٨٢ |
| | ٢٨ | وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ | ٧ | ٧٠ |
| | ٢٨ | إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ | ٢٠ | ٨٠ |
| | ٢٨ | وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ | ٢٠ | ٢٩٤ |
| | ٢٨ | فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا | ٣٦ | ٢٤٠ |
| | ٢٨ | مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى | ٣٨ | ١٩٥ |
| | ٢٨ | فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ | ٤٠-٤٢ | ٣٣٧ |
| | ٢٨ | إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ | ٥٦ | 69، ٢٣٣ |
| | ٢٨ | وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ | ٥٧ | ٢١٩ |
| | ٢٨ | يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ | ٧٩ | ١٩٦ |
| العنكبوت | ٢٩ | وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ | ٤٦ | ٢٩٢ |
| | ٢٩ | أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا | ٦٧ | ٣٤ |
| الروم | ٣٠ | وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ | ٥٤ | ٣٧ |
| | ٣٠ | وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ | ٥٦ | ١٧٣ |
| لقمان | ٣١ | وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ | ٢١ | ٢٥٩ |
| الأحزاب | ٣٣ | إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ | ٣٥ | ٣٣٦ |
| | ٣٣ | مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ | ٤٠ | ٣٩٦ |
| سبأ | ٣٤ | وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ | ٣١-٣٣ | ٣٣٧ |
| | ٣٤ | وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ | ٣٥ | ٢٢٠ |
| | ٣٤ | وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا | ٤٣ | ٣٢٦ |
| فاطر | ٣٥ | إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ | ٢٤ | ١٣٤ |
| يس | ٣٦ | أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ | ٧٧-٨٣ | ٤٣٩ |
| الصافات | ٣٧ | وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ | ١٥-١٨ | ١٨١ |
| | ٣٧ | أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا | ١٦-١٨ | ١٧٨ |
| | ٣٧ | وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ | ١٣-١٤ | ١٨١ |
| | ٣٧ | لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ | ٨ | ٦٢ |
| | ٣٧ | إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ | ٣٥،٣٦ | ٢٦ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ص | ٣٨ | صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ | ١-٧ | ١٢١ |
| | ٣٨ | وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ | ٦ | ٢٢٢ |
| | ٣٨ | مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ | ٧ | ١٩٦ |
| | ٣٨ | وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ | ٣٠ | ٣٠٤ |
| | ٣٨ | مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ | ٦٩ | ٦٢ |
| | ٣٨ | قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ | ٦٨،٦٧ | ٥٨ |
| الزمر | ٣٩ | قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ | ٦٤-٦٦ | ١١٩، ٣٣٢ |
| | ٣٩ | مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ | ٣ | ١١٤ |
| | ٣٩ | سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ | ٩ | ١٧٤ |
| | ٣٩ | لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ | ٦٥ | ١١٩ |
| | ٣٩ | وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ | ٦٧ | 124 |
| غافر | ٤٠ | وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ | ٢٦ | ٢٤٠ |
| | ٤٠ | وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ | ٢٨ | 430 |
| | ٤٠ | قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ | ٢٩ | ١٩٥ |
| | ٤٠ | وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ | ٣٠-٣٣ | ٤٠٦ |
| | ٤٠ | وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ | ٣٤ | ٢٤٠ |
| | ٤٠ | وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا | ٣٧،٣٦ | ٩٤ |
| | ٤٠ | وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ | ٣٨-٤٠ | ٣٠٧ |
| | ٤٠ | وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ | ٤١-٤٤ | ٤٣٠ |
| | ٤٠ | ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا | ٤٦ | ٤٢٢ |
| فصلت | ٤١ | حمٓ ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ | ١-٥ | ١٥٧ |
| | ٤١ | فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ | ١٣-١٧ | ٤١٥ |
| | ٤١ | وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ | ٣٣-٣٦ | ٣٦٨ |
| | ٤١ | قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ | ٥٢-٥٣ | ٤٤٤ |
| | ٤١ | وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ | ٢٦ | ١٦٨ |
| الشورى | ٤٢ | لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ | ١١ | ٢٤، ٣٧ |
| | ٤٢ | وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ | ٥١ | ٦٨ |
| | ٤٢ | وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ | ٥٢ | ٢٩٣ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | ٤٢ | وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا | ٥٢ | ٧١ |
| الزخرف | ٤٣ | وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ | ٥١-٥٤ | ١٩٠ |
| | ٤٣ | وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ | ٦٣-٦٥ | ٣٩٢ |
| | ٤٣ | وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ | ١٧ | ٣٣١ |
| | ٤٣ | أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ | ٥٢ | ١٩٦ |
| | ٤٣ | فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ | ٥٤ | ٩٤ |
| | ٤٣ | فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ | ٥٥ | ٤٢٢ |
| | ٤٣ | وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا | ٥٧ | ٤١٧ |
| | ٤٣ | وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ | ٥٨ | ٤١٧ |
| | ٤٣ | لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ | ٣١،٣٢ | ٢٢١ |
| | ٤٣ | وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ | ٨٤ | ٣٨ |
| الدخان | ٤٤ | فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ | ١٠،١١ | ١٣٠ |
| | ٤٤ | إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ | ٤٠ | ١٥٦ |
| الجاثية | ٤٥ | وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا | ٢٤ | ١٧٦ |
| الأحقاف | ٤٦ | أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ | ٣٣ | ٢٤٣ |
| الحجرات | ٤٩ | إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ | ١٣ | ٢١٧ |
| ق | ٥٠ | وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ | ٣٨ | ٣٠٥ |
| الذاريات | ٥١ | وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ | ٥٦-٥٨ | ٢٧،٣٣ |
| الواقعة | ٥٦ | وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا | ٤٧-٥٠ | ١٧٨ |
| | ٥٦ | أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ | ٥٨-٧٢ | ٤٤٤ |
| المجادلة | ٥٨ | قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ | ١ | ١٧٩ |
| | ٥٨ | ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم | ٢ | ٣٢٩ |
| | ٥٨ | وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ | ٣،٤ | ٣٣٠ |
| الممتحنة | ٦٠ | قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ | ٤ | ٢٦ |
| الصف | ٦١ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ | ١٤ | ٣٦٦ |
| الجمعة | ٦٢ | ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ | ٢-٥ | ١٧١ |
| التغابن | ٦٤ | زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ | ٧ | ١٧٨ |

| السورة | رقمها | الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| | ٦٤ | أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ | ٥،٦ | ١٤٠ |
| نوح | ٧١ | قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى | ٢١ | ١٩١ |
| المدثر | ٧٤ | يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ | ١،٢ | ١٦٧ |
| القيامة | ٧٥ | وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ | ٢٢ | ٢٩ |
| الإنسان | ٧٦ | إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا | ٣ | ٢٣٣ |
| النبأ | ٧٨ | عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ | ١ | ٥٨ |
| | ٧٨ | يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ | ١٨ | ٢١٦ |
| النازعات | ٧٩ | هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ | ١٥-٢٦ | ١٤٢ |
| | ٧٩ | فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ | ٢٣-٢٦ | ٩٤ |
| | ٧٩ | فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ | ٢٤ | ٧٤ |
| التكوير | ٨١ | وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ | ٨ | ٣٣٠ |
| المطففين | ٨٣ | كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ | ١٥ | ٣٦ |
| البلد | ٩٠ | وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ | ١٠ | ٢٣٣ |
| الشمس | ٩١ | وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا | ٧،٨ | ٧٠ |
| الليل | ٩٢ | فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ | ١٣ | ١٧٤ |
| العلق | ٩٦ | ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ | ١ | ٢٧،٦٣ |
| | ٩٦ | ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ | ٣ | ٢٧ |
| الكافرون | ١٠٩ | قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ | ١ | 119 |
| المسد | ١١١ | تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ | ١ | ٢١٩ |
| الإخلاص | ١١٢ | قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ | ١-٤ | ٢٣،٢٩،٣٠،١٢١ |

# ثبت الأحاديث النبويّة الشريفة

## نُظمت حسب الترتيب الألفبائي

| الحديث | التخريج | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| - إلى عظيم الروم | البخاري ومسلم | ٨٢ |
| - إن كان في الأمم قبلكم محدّثون | البخاري ومسلم | ٦٨ |
| - أنّ رجلا قال للنبي ﷺ أوصني | البخاري | ٢٨٣ |
| - أنّ رجلا سمع رجلا يقرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ويردّدها | البخاري | ٢٩ |
| - إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا | البخاري ومسلم | ٣١ |
| - إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي | البخاري ومسلم | ٢٧٠ |
| - إنّ مثلي ومثل النّاس كمثل رجل استوقد نارا | البخاري ومسلم | ٢٩٢ |
| - أنّ يهوديّة أتت النبي بشاة مسمومة | البخاري ومسلم | ٢٩٨ |
| - إنّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى | البخاري ومسلم | ٢٨١ |
| - إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق | ابن حنبل | ٢٩١ |
| - الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ | البخاري | ١٨٤ |
| - أَيْـــنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ | مسلم | ٣٨ |
| - أيّ آية في كتاب الله أعظم | ابن حنبل | ٣٢ |
| - أيّها الملك كنّا أهل جاهليّة | ابن حنبل | ٢٦٨ |
| - بَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ | البخاري | ٢٩ |
| - بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ | البخاري ومسلم | ٢٣ |
| - بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ، في خَرِب المدينة | البخاري ومسلم | ١٧٣ |
| - تشفع في حدّ من حدود الله ؟ | البخاري ومسلم | ٢٩١ |
| - جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد | مسلم | ١٧٢ |
| - جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد | البخاري ومسلم | ٢٩٧ |
| - خدمت النبي ﷺ عشر سنين | البخاري ومسلم | ٢٩٢ |
| - خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صاحباه ! | البخاري ومسلم | ٢٧٤ |
| - دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السّام عليك | البخاري ومسلم | ٢٨٨ |
| - سألوا الرسول ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر | البخاري ومسلم | ١٦٢ |
| - سباب المسلم فسوق وقتاله كفر | البخاري ومسلم | ٣٥٥ |
| - سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف | البخاري | ١٧٢ |

| | | |
|---|---|---|
| - صلى ﷺ صلاة الصبح ثمّ أقبل على النّاس | البخاري | ٢١٩ |
| - عرضت علي الأمم | البخاري | ٣٥٧ |
| - العين تزني والقلب يزني | ابن حنبل | ٣٥٣ |
| - غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد | البخاري | ٣٧٣ |
| - فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر | البخاري | ٢٢٧ |
| - فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا | البخاري ومسلم | ٥٩ |
| - قال أبو جهل: اللهم إن كان هو الحقَ | البخاري ومسلم | ١٦٢ |
| - قال الله كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ | البخاري | ٣١ |
| - قال النبي ﷺ: " تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة | البخاري | ٢٢٧ |
| - قال: أو مخرجي هم؟ | البخاري ومسلم | ١٤٩ |
| - قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله | البخاري ومسلم | ٣٦٩ |
| - كان خلقه القرآن | ابن حنبل | ٣٦٧ |
| - كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول | البخاري ومسلم | ٣٣٤ |
| - كلّ نبي سأل سؤالاً | البخاري ومسلم | ٣٧٠ |
| - كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني | البخاري ومسلم | ٣٧٤ |
| - كنت قائما عند رسول الله ﷺ | مسلم | ٢٢٦ |
| - لاَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ | البخاري | ٦٢ |
| - لم يكن النبي ﷺ فاحشا | البخاري ومسلم | ٣٦٧ |
| - لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ | البخاري ومسلم | ٢٨١ |
| - لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ | البخاري | ٣٤ |
| - لمّا فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمّ | البخاري | ١٨٠ |
| - مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ | البخاري | ٣١ |
| - ما أصاب أحدًا قطّ همّ ولا حزن | ابن حنبل | ٣١ |
| - ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين | البخاري ومسلم | ٣٧٠ |
| - ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادما | ابن حنبل | ٣٧٠ |
| - ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة | البخاري ومسلم | ٢٦٩ |
| - ما هذا ؟ قالوا: هذا يوم صالح | البخاري | ٩٧ |
| - مثله ما بعثني الله به من الهدى والعلم | البخاري ومسلم | ٣٣٨ |
| - مثلي ومثلكم كمثل رجل | مسلم | ١٨٨ |
| - مرض أبو طالب | الحاكم | ١٢١ |

| - | - | - |
|---|---|---|
| - من قتل رجلا من أهل الذمّة لم يجد ريح الجنّة | النسائي | ٣٧٥ |
| - نعم، لم يأت رجل قطّ بمثل ما جئت به إلا عودي | البخاري ومسلم | ١٤٩ |
| - هذا ملك هذه الأمّة قد ظهر | البخاري | ٢٣١ |
| - هل أتى عليك يوم أشدّ من يوم أحد | البخاري | ٣٧٠ |
| - هل تضارون في رؤية الشّمس والقمر | البخاري | ٣٥ |
| - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ | البخاري ومسلم | ٢٩ |
| - وإنّما كان هذا لأنّ قريشا | البخاري ومسلم | ١٦٢ |
| - ورجل تصدّق أخفى حتّى لا تعلم شماله | البخاري ومسلم | ٣٥٢ |
| - يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ | البخاري | ٣٤ |

## ثبت أسفار العهد القديم

## نُظمت حسب ترتيبها في الكتاب المقدس

| السفر | الإصحاح | النص | رقمه | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| التكوين | ٣ | هل أكلت من ثمر الشجرة | ١٢ | ٣٠٧ |
| | ٨ | وبنى نوح مذبحا | ٢٠ ، ٢١ | ٣٠٧ |
| | ٢٤ | فنزلت إلى العين | ١٦ | ٧٥ |
| | ٢٥ | وعندما اكتملت أيامها | ٢٤ | ٧٥ |
| | ٥٠ | وقد استغرق هذا أربعين يوما | ٣ | ٧٥ |
| الخروج | ١ | ثم مات يوسف وإخوانه | ٦ – ٦ | ١٨٩ |
| | ٢ | أطلق شعبي ليحتفل بي في البرية | ٢ – ١٧ | ٦٩ |
| | ٣ | فهلم الآن أرسلك إلى فرعون | ١٠ – ١٥ | ٤١ |
| | ٤ | وقال الرب لموسى حالما | ٢١ – ٢٣ | ٢٧١ |
| | ٥ | وبعد ذلك ذهب موسى | ١ – ٥ | ٨٧ |
| | ٥ | فوجد رؤساء عمال إسرائيل أنفسهم في ورطة | ١٩ – ٢٣ | ٧٠ |
| | ٦ | سترى الآن ما أنا فاعله بفرعون | ١ | ٧١ |
| | ٦ | وقل الرب لموسى: أنا هو الرب | ٣ | ٤ |
| | ٧ | فقال الرب لموسى انظر | ١ ، ٢ | ٤١ |
| | ٧ | أنا جعلتك كإله لفرعون | ١ – ٧ | ٧١ |
| | ١٠ | فهلم الآن أرسلك إلى فرعون | ١١ – ١٥ | ٤١ |
| | ٧ | ثم قال الرب: إن قلب فرعون قد تصلب | ١٤ – ١٨ | ١٣٦ |
| | ١٥ | فمن مثلك يارب بين كل الآلهة | ١١ | ٧ |
| | ١٦ | احفظوا ملء العمر | ٣٢ | ٧٥ |
| | ٢٠ | أنا هو الرب إلهك | ٢ – ١٧ | ٢٧٥ |
| | ٢٢ | لا تضطهد غريبا | ٢١ – ٢٧ | ٣٤٦ |
| | ٢٣ | لا تقبل أخبارا كاذبة | ١ – ٩ | ٣٤٧ |
| | ٣٢ | ولما رأى الشعب أن موسى قد طالت إقامته | ١ – ٥ | ٧٧ |
| | ٣٢ | فأمر الرب موسى: قم فانزل | ٧ – ٨ | ٧٨ |
| | ٣٢ | فابتهل موسى الى الرب | ١١ ، ١٢ | ٣٤٤ |
| | ٣٢ | وما إن اقترب موسى من المخيم | ١٩، ٢٠ | ٧٨ |
| | ٣٢ | ماذا فعل بك هذا الشعب | ٢١ – ٢٤ | ٩٩ |
| | ٣٢ | فاجتمع حوله اللاويون | ٢٦ – ٢٨ | ٧٨ |
| | ٣٢ | و في الغد قال موسى للشعب | ٣٠ – ٣٣ | ٣٤٤ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | ٣٥ | و ملأه من روح الله | ٣١ | ٧٥ |
| | ٤٠ | ومجد الرب ملأ المسكن | ٣٥ | ٧٥ |
| اللاويين | ١٢ | وقال الرب لموسى | ١ - ٨ | ٣٠٩ |
| | ١٥ | وإذا حاضت المرأة | ١٩ - ٢٤ | ٣٠٩ |
| العدد | ٣ | وهذا ما أمر به الرب | ٦ - ٩ | ٣١٢ |
| | ١٢ | وانتقدت مريم هارون موسى | ١ - ٨ | ٧ |
| | ١٢ | وقال هارون لموسى أرجوك | ١١ - ١٣ | ٢٧٥ |
| التثنية | ١ | وأمرت قضاتكم آنئذ قائلا | ١٦- ١٧ | ٣٤٧ |
| | ١ | لكنكم تقاعستم عن الصعود | ٢٦ - ٣١ | ٣٤٣ |
| | ٤ | إن الرب هو الإله | ٣٥ | ٦ |
| | ٤ | فخاطبكم الرب من وسط النار | ١٢، ١٣ | ٦ |
| | ٤ | فاحذروا لأنفسكم جدا | ١٥، ١٦ | ٧ |
| | ٥ | واستدعى موسى جميع بني إسرائيل | ١-٢١ | ٤٠٣ |
| | ٥ | أنا هو الرب إلهك | ٦- ٢١ | ٣٤٥ |
| | ٥ | هذه هي الوصايا التي كلم الرب | ٢٢-٢٩ | ٣٢٢ |
| | ٦ | اسمعوا يا بني إسرائيل | ٤ - ٩ | ١٤ |
| | ٩ | فرجعت ونزلت من الجبل | ١٥-٢٩ | ٤٠٤ |
| | ٩ | واذكروا يا بني إسرائيل ولا تنسوا | ٧-١٤ | ٤٠٤ |
| | ١١ | واعلموا يا بني إسرائيل | ٢-٧ | ٤٠٥ |
| | ١٢ | ومتى استأصل الربّ إلهكم | ٢٩-٣٢ | ٣٨٤ |
| | ١٤ | أنتم أبناء الربّ إلهكم | ١-٢ | ٣٨٤ |
| | ١٥ | إذا سكن اخوة معا | ١٢ - ١٨ | ٣١١ |
| | ١٦ | وأقيموا لأنفسكم قضاة | ١٨ - ٢٠ | ٣٤٧ |
| | ٢١ | إذا ذهبتم لمحاربة أعدائكم | ١٠ - ١٤ | ٣١٠ |
| | ٢٣ | لا تتقاضوا فوائد | ١٩، ٢٠ | ٣١١ |
| | ٢٤ | إذا تزوج رجل فتاة | ٤١ | ٣١١ |
| | ٣٢ | يا رب ليس لك نظير | ٣٩ | ٦ |
| | ٣٣ | اشبع يا نفتالي رضى | ٢٣ | ٧٥ |
| يشوع | ٦ | فانهار السور في موضعه | ٢٠ - ٢٤ | ٣٤٩ |
| | ٢٠ | وحين تتقدمون لمحاربة مدينة | ١٠ - ٢٠ | ٣٤٨ |
| القضاة | ٢ | واقترف بنو اسرائيل الشر في عيني الرب | ١١ - ١٤ | ٧٥ |
| | ١٠ | وعاد بنو اسرائيل يرتكبون الإثم | ٦ ، ٧ | ١٠٢ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| صموئيل الأول | ٩ | في هذه المدينة يقيم نبي | ٦ - ٩ | ٤٣ |
| | ١٠ | وعندما وصل شاؤل جبعة | ١٠ - ١١ | ٤٠ |
| صموئيل الثاني | ٧ | ما أعظمك أيها السيد الرب | ٢٢ | ٨ |
| الملوك الأول | ٨ | أيها الرب إله إسرائيل | ٢٣ | ٨ |
| | ٨ | ولكن هل يسكن الله حقا على الأرض | ٢٧ | ٩ |
| الملوك الثاني | | أنت وحدك اله كل ممالك الأرض | ١٥ | ٧ |
| الأخبار الأول | ١٧ | يا رب ليس لك نظير | ٢٠ | ٧ ، ٨ |
| أيوب | ١٩ | أما أنا فاني موقن | ٢٥ - ٢٧ | ٢٠١ |
| المزامير | ١٤ | الرب من السماء أشرف | ٢ | ٩ |
| | ٣٣ | إنه كتب هناك أن إلهنا | ٦ | ١٤ |
| | ٥١ | ها إني في الإثم ولدت | ٥ | ٣٠٨ |
| | ٧١ | برك متعال يا الله | ١٩ | ٨ |
| | ٨٩ | فمن في السماء يعادل الرب | ٦ | ٨ |
| | ٨٩ | من مثلك ايها الرب | ٨ | ٨ |
| | ٩٠ | وقد كتب في عهد الله الحي | ٢ | ١٧ |
| | ١٢١ | إنه مكتوب هناك لا يتعس | ٤ | ١٧ |
| | ١٣٩ | إن قلت في نفسي: ربما الظلمة تحجبني | ١١ ، ١٢ | ٩ |
| الأمثال | ١٥ | عينا الرب في كل مكان | ٣ | ٩ |
| | ٣١ | من يعثر على المرأة الفاضلة | ١٠ - ٣١ | ٣٠٨ |
| الجامعة | ٧ | فتفحصت قلبي لأعلم | ٢٥ - ٢٨ | ٣٠٨ |
| أشعيا | ٦ | قدوس الرب القدير | ٣ | ٧٥ |
| | ٦ | وسمعت صوت الرب يقول: من أرسله | ٨ - ٩ | ٤٢ |
| | ٩ | لأنه يولد لنا ولد | ٦ ، ٧ | ٧٢ |
| | ١٣ | ولولوا فإن يوم الرب قريب | ٦ - ٩ | ١٩٩ |
| | ٢٢ | ويكون هارب من صوت الرعب | ١٨ - ٢٠ | ١٩٩ |
| | ٢٤ | هو ذا الرب يخلي الأرض | ١ - ٢ | ١٩٩ |
| | ٢٤ | ويكون في ذلك اليوم أن الرب | ٢١ - ٢٣ | ٢٠٠ |
| | ٢٥ | ويقال في ذلك اليوم هو ذا | ٩ - ١٢ | ٢٠٠ |
| | ٢٦ | تحيا أمواتنا ، تقوم الجثث | ١٩ | ٢٠١ |
| | ٤٤ | أنا هو الأول والآخر | ٦ | ٧ ، ٩ |
| | ٤٥ | حقا أنت إله يحجب نفسه | ١٥ | ٨ ، ١٧ |
| | ٤٦ | لقد خر وانحنى | ١ - ٩ | ١٠٢ |
| | ٤٦ | لمن تشبهوني وتعادلونني | ٥ | ٩ |

| إرميا | ٢٣ | ألعلي فقط أرى ما يجري عن قرب | ٢٣ ، ٢٤ | ٩ |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| حزقيال | ١٢ | وكان إلي كلام الرب قائلا | ٢١ | ٢٠٠ |
| | ٧٣ | أيتها العظام اليابسة | ٤ – ٧ | ٢٠١ |
| عاموس | ٣ | إن السيد الرب لا يجري أمرا | ٧ – ٨ | ٤٠ |
| | ٥ | ويل للمتمنين يوم الرب | ١٨ – ٢٠ | ١٩٩ |
| ملاخي | ٣ | ها أنا أرسل رسولي فيمهد الطريق أمامي | ١ | ٧٢ |
| | ٤ | انظروا هذا يوم القضاء مقبل | ١ – ٣ | ٢٠١ |

## ثبت أسفار العهد الجديد

## نظمت حسب ترتيبها في الكتاب المقدس

| السفر | الإصحاح | النص | رقمه | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| متى | ٢ | فقد ولد يسوع في بيت لحم | ١ | ٨٣ |
| | ٤ | ثم صعد الروح يسوع إلى البرية | ١-١١ | ١١١ |
| | ٤ | اذهب يا شيطان قد كتب للرب إلهك تسجد | ٨-١١ | ١٧ |
| | ٥ | طوبى للودعاء فإنهم | ١-١١ | ٣٥٣ |
| | ٥ | سمعتم أنه قيل للأقدمين | ٢١-٢٦ | ٣٥٤ |
| | ٥ | من طلّق زوجته فليعطها | ٣١-٣٥ | ٣٢٠ |
| | ٥ | عين بعين وسن بسن | ٣٨-٤٢ | ٢٨٢ |
| | ٥ | لا تظنوا إني جئت لألغي الشريعة | ١٧-١٩ | ١٧، ١٤٥، ٣١٥ |
| | ٦ | وعندما تصلون لا تكونوا | ٥-١٨ | ٣٥١ |
| | ٦ | احذروا من أن تعملوا بركم | ١-٤ | ٣٥١ |
| | ٦ | وعندما تصومون لا تكونوا | ١٦-١٨ | ٣٢٢ |
| | ٩ | وكان تلاميذ يوحنا | ١٤،١٥ | ٣٢٢ |
| | ١٢ | ثمّ أحضر له رجل أعمى | ٢٢-٣٢ | ١٤٩ |
| | ١٢ | في ذلك الوقت مرّ يسوع | ١-٨ | ٣١٦ |
| | ١٢ | وفي آخر يوم العيد | ٣٨-٤٢ | ١٤٨ |
| | ١٢ | ودخل مجمعهم وإذا هناك | ١٠-١٣ | ٣١٧ |
| | ١٢ | إن ابن الإنسان هو الربّ | ٨ | ٣١٨ |
| | ١٣ | وغادر يسوع ذلك المكان | ٥٤-٥٨ | ١٤٩ |
| | ١٣ | هكذا يحدث في نهاية المزمار | ٤٩،٥٠ | ٢٠٩ |
| | ١٥ | وتقدّم إلى يسوع بعض الكتبة | ١-٩ | ٣١٩ |
| | ١٥ | ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضالة | ٢٥ | ١٠٦، ١٤٥ |
| | ١٧ | ولما وصلو إلى كفر ناحوم | ٢٤-٢٧ | ٢٠٦ |
| | ١٧ | ولمّا دخل البيت سأله تلاميذه | ٢١ | ٣٢٢ |
| | ١٩ | يا أيها المعلم الصالح | ١٦-٣٠ | ١٤٦ |
| | ١٩ | ثمّ غادر تلك المنطقة | ١-٩ | ٣٢٠ |
| | ٢١ | ووصلوا إلى أورشليم | ١٢-١٧ | ٢٠٣ |
| | ٢٢ | ثمّ جاء لم قول من الصدوقيين | ٢٢-٣٣ | ١٦٢ |
| | ٢٢ | ثمّ أرسلوا إليه بعض الفريسيين | ١٥-٢٢ | ٢٠٥ |
| | ٢٢ | وتقدّم إليه واحد من الكتبة | ٣٤-٤٠ | ١٤٥ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| لوقا | ٤ | ثمّ صعد الروح يسوع إلى البريّة | ١-١٣ | ١١١ |
| | ٤ | اذهب يا شيطان، فقد كتب للرب إلهك تسجد | ٥-٨ | ١٧ |
| | ٤ | روح الربّ علي لأنه مسحني | ١٨ | ٤٣ |
| | ٥ | وكان تلاميذ يوحنا | ٣٣-٣٥ | ٣٢٢ |
| | ٥ | وكان في زمن هيرودس | ١ | ١١٢ |
| | ٦ | وأما لكم أيّها السّامعون | ٢٧-٣٧ | ٣٥٣ |
| | ٦ | ودخل مجمعهم وإذا هناك | ٦-١١ | ٣١٧ |
| | ٦ | في ذلك الوقت مرّ يسوع | ١-٥ | ٣١٧ |
| | ٧ | ونقل تلاميذ يوحنا إليه الخبر | ١٨-٢٣ | ١٥٠ |
| | ٧ | عملت يوم السبت عملا | ٢٠-٢٤ | ٣١٧ |
| | ١٠ | وتصدّى له أحد علماء الشريعة | ٢٥-٣٧ | ١٤٧ |
| | ١١ | وتكلّم أحد علماء الشريعة | ٤٥-٥٤ | ٢٠٣ |
| | ١١ | ثمّ أحضر إليه رجل أعمى | ١٤-٢٣ | ١٤٧ |
| | ١١ | وفي آخر يوم العيد | ٢٧-٣٣ | ١٤٨ |
| | ١١ | وعندما تصلون لا تكونوا | ٢-٤ | ٣٥١ |
| | ١١ | أيّها الأب أشكرك، لأنّك سمعت لي | ٤١،٤٢ | ٢١ |
| | ١٢ | جئت لألقي على الأرض نارا | ٤٩-٥٣ | ٣٥٥ |
| | ١٢ | احذروا لأنفسكم من خمير الفريسيين | ١-٣ | ٢٠٣ |
| | ١٣ | وكان يعلم في أحد المجامع | ١٠-١٧ | ٢٥٣ |
| | ١٤ | وإذا دخل بيت واحد | ١-٦ | ٤٣٤ |
| | ١٤ | وكانت جموع كثيرة تسير معه | ٢٥،٢٦ | ٣٥٥ |
| | ١٦ | من طلق زوجته فليعطها | ١٨ | ٣٢٠ |
| | ١٨ | يا أيّها المعلّم الصالح | ١٨-٣٠ | ٢١٠ |
| | ١٨ | ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة | ١٨-٢٠ | ٤٠٨ |
| | ٢٠ | ثمّ جاء إليه قوم من الصدوقيين | ٢٧-٤٠ | ٢١٠ |
| | ٢٠ | ثمّ أرسلوا إليه بعض الفريسيين | ٢٠-٢٦ | ٢٠٥ |
| | ٢٠ | واحذروا من الكتبة | ٤١-٤٧ | ١٤٩ |
| | ٢٠ | وجاء إليه بعض الصدوقيين | ٢٧ | ٢٠٣ |
| | ٢١ | ولمّا بلغ الطفل يوم الثامن | ٢ | ١١٣ |
| | ٢٢ | وبعد قليل تقدّم الوافدون | ٥٥-٦٢ | ٣٥٨ |
| | ٢٢ | ثم قال لهم حين أرسلتكم | ٣٥-٣٨ | ٣٥٦ |
| | ٢٢ | ومن منكم ليس له سيف | ٣٦-٣٨ | ٣٥٩ |
| | ٢٢ | يا أبي إن شئت ابعد عنّي هذه الكأس | ٤١ | ١٩ |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | ٢٢ | واستلّ سيفه وضرب | ٤٩ | ٢٦١ |
| | ٢٣ | ووقف يسوع أمام الحاكم | ١-٢٥ | ٢١٠ |
| | ٧٤ | وفيما يتكلّم إذا يهوذا | ٢٢-٧١ | ٢٠٩ |
| يوحنا | ٣ | لينال كل من آمن به | ١٥ | ٢٠٨ |
| | ٣ | وأن الذي لا يؤمن | ٣٦ | ٢٠٨ |
| | ٨ | أحضر له الكتبة والفريسيون إمرأة | ١-١١ | ٣٢١ |
| | ١١ | ولكني قلت هذا لأجل الجمع | ٤٢ | ٥٤ |
| | ١١ | أنا هو القيامة | ٢٥،٢٦ | ٢١٣ |
| | ١٢ | ملك إسرائيل | ١٣ | ٢٠٧ |
| | ١٢ | أرأيتم كيف أنّكم لم تستفيدوا شيئا | ١٩ | ٢٠٧ |
| | ١٣ | من يَقْبَلْ الذي أرسله يقبلني | ٢٠ | ٥٤ |
| | ١٧ | والحياة الأبدية هي أن يعرفوك | ٣-٥ | ١٩ |
| | ١٨ | وفيما هو يتكلّم إذا يهوذا | ٣-٢٤ | ٢٠٩ |
| | ١٨ | وبعد قليل تقدم الواقفون | ١٢-٢٧ | ٣٥٨ |
| | ١٨ | وقف يسوع أمام الحاكم | ٢٨-٤٠ | ٢١٠ |
| | ١٨ | واستلّ سيفه وضرب | ١٠،١١ | ٣٥٧ |
| برنابا | ٢ | ووصلوا إلى أورشليم | ١٣-٢٢ | ٢٠٣ |
| | ٣١ | ثمّ عادوا إلى أورشليم | ١-٦ | ٢٠٤ |
| | ٣٢ | وتقدّم إلى يسوع بعض الكتبة | ٢٩-٣١ | ٣١٩ |
| | ٣٨ | لا تظنوا إني جئت لألغي الشريعة | ٢،٣ | ١٧، ٣١٥ |
| | ٥٢ | الحقّ أقول لكم متكلما من القلب | ١٠-٢٠ | ٢١ |
| | ٥٤ | عندئذ يسوق الملاك | ١٨ | ١٧٣ |
| | ٦٦ | أيّها المعلّم الصالح | ١-٤ | ١٤٦ |
| | ٦٨ | سألتني أن أخبركم ما يعطينا الله | ١،٢ | ١٩٨ |
| | ٧٧ | الحق أقول لكم أن كثيرين | ١،٢ | ١٩٨ |
| | ٩٠ | حدث في هذا الزمان اضطراب عظيم | ٩٥ | ٨٤ |
| | ٩٣ | أشهد أمام السماء | ٩-١١ | ٣٩٠ |
| | ٩٤ | إني أشهد أمام السماء | ١-٩ | ٣٩١ |
| | ٩٤ | أيها الرب إلهنا هذا هو | ١٩-٢٠ | ٣٩١ |
| | ٩٥ | وقال يسوع بصوت عال: ليصعد كاهننا | ٣-١٦ | ٤٠٩ |
| | ٩٥ | قبل أن أوجدت الجبال | ٧ | ١٧ |
| | ٩٥ | الربّ إلهك تتقي | ٩ | ١٧ |
| | ٩٥ | ويقابلها في التوراة بكلمة الربّ | ١٣ | ١٩،١٧ |

| | ٩٥ | إنّه مكتوب هناك أنّ إلهنا | ١٥ | ١٧ |
|---|---|---|---|---|
| | ٩٦ | حقّا أن الله وعد هكذا | ١-٦ | ١٥١ |
| | ١٠٣ | ثمّ بكى يسوع قائلا | ١٦-١٩ | ٢٢ |
| | ١٢٨ | إلى هذا أراد الشيطان أن يوصلكم | ٧-٩ | ٢٢ |
| | ١٤٢ | فتشاور الكتبة والفريسيون | ٨-٢٤ | ٢٠٨ |
| | ١٧٣ | قال بطرس: أيذهب جسدنا | ٧-١٠ | 211 |
| | ١٧٤ | ولكنّك تخطئ يا بطرس | ٨-١١ | ٢١١ |
| | ٢٠١ | احضر إليه الكتبة والفريسيون إمرأة | ١،٢ | ٣٢١ |
| | ٢١٥ | ولما دنت الجنود مع يهوذا | ١-٦ | ٢١١ |
| أعمال الرسل | ٢٣ | وأمّا الفريسيون فيؤمنون بهذا كلّه | ٨ | ٢٠٣ |
| ١ اتس | ٤ | وينادي رئيس ملائكته ويبوق | ١٦،١٧ | ٢٠٩ |

## ثبت المصطلحات

- **الأخشبان:** هما جبلا مكة، أبو قُبَيْس والذي يقابله.
- **الأسينيون:** فرقة يهوديّة انفصلت عن الفريّسيين سنة ٢٠٠ ق.م، تميل إلى الزهد والبعد عن مظاهر الترف، يكرّرون الغسل والنظافة، ومن تقاليدهم الامتناع عن الزواج وتبنّي أبناء الفقراء، ويحتقرون المال، ويشتركون في المتاع، ويمتازون بخضوعهم للحكّام.
- **الأممي:** كلّ من ليس يهودياً، وقريب اليهودي هو اليهودي فقط، وباقي الناس حيوانات في صورة إنسان، هم حمير وكلاب وخنازير – يلزم بغضهم سرّا – على قاعدة النفاق الجائزة.
- **الأناجيل الإزائيّة:** الأناجيل المتشابهة، ( متّى، مرقس، لوقا).
- **الأنبياء الكذبة** ( مت٧: ١٥ ) أناس يزعمون كذبًا أنّهم يتكلّمون بكلام الله.
- **الإيلاء:** من الألية: حلف اليمين، يقال آلى يولي، إيلاءً.
- **بعل:** بعل: اسم إله عبده سكّان أرض كنعان الأقدمون، وهو السيّد وصاحب الأرض، قالوا عنه: سيّد الطّبيعة، وينسب إليه النّاس سلطة إخصاب الحقول والمواشي، كانت ترافق ممارسة ديانة بعل ما يسمّى البغاء المكرّس، فحارب العهد القديم بقوّة هذه الدّيانة.
- **بعلزبول:** رئيس الشياطين.
- **بيت المدْراس:** أو بيت المَدارِسْ، هو بيت يهود يتدارسون فيه كتابهم.
- **تذامروا:** حض بعضهم بعضاً.
- **تزرموه:** تقطعوا عليه بوله..
- **تضارّون:** بالتشديد والتخفيف بمعنى: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر لوضوحه وظهوره.
- **التلاميذ الإثني عشر** هم: سمعان بطرس واندراوس ويعقوب بن زيدي ويوحنا أخوه وفيليبس وبرثولماوس وتوما ومتّى العشار ويعقوب بن حلفي ولياوس الملقّب تداوس ( ويسمّى أيضا يهوذا بن حلفي ) وسمعان القانوني ( وهو الغيور ) ويهوذا الاسخريوطي، وبعد رفع المسيح عليه السّلام ببضعة أيّام انتخب التلاميذ متياس خلفًا ليهوذا الاسخريوطي.
- **التلمود:** كلمة عبريّة، معناها المعرفة أو التّعليم.
- **ثمال القوم:** أصلهم الذي يقصدون إليه، ويقوم بأمرهم وشؤونهم.

- **جبذ**: جذب وشدّ بقوّة

- **جمارا**: شرح المشنا، وهما شرحان: جمارا أورشليم، وجمارا بابل، ويشتمل كلّ واحد منهما على سجل مناقشات الحاخامات سواء في أورشليم أو في بابل.

- **حقب الأمر**: زاد واشتدّ.

- **خيمة الاجتماع**: مركز عبادة بني إسرائيل قبل بناء الهيكل، وأطلق على بيت آخر وضع فيه داود عليه السلام التابوت.

- **الدينونة**: المجازاة والمحاسبة يوم القيامة.

- **السامريون**: هم من بني إسرائيل من آل يوسف عليه السلام ما زالوا يسكنون مدينة نابلس، وقيل هم خليط من اليهود والآشوريين الذين استولوا على السامرة في القرن الثامن ق.م، وأخذوا من اليهود الأسفار الخمسة فقط، وبنوا لهم هيكلاً على جبل جرزيم بنابلس، وقام الملك هيركانوس اليهودي بتدميره سنة ١٢٨ ق.م، وهم يختلفون مع اليهود الذين اعتبروهم كفَاراً.

- **السامّ**: الموت.

- **ساورهم**: واثبهم وباطشهم.

- **السنهدريم**: هو مجلس شيوخ اليهود ومحكمتهم العليا، ويمارس سلطات قضائيّة ودينيّة في الوقت نفسه، وكان يمثّل الشّعب اليهودي أمام الرومان، ويتكوّن من واحد وسبعين عضواً، والعضو الواحد والسبعون هو رئيس الكهنة، وقد توقّف عمل السهندريم بعد عام ٧٠م، وذلك بعد خراب أورشليم.

- **شامه**: أغمده.

- **شرى**: كثر واشتدّ.

- **شيليحين**: [ש י ל ח י ן] كلمة عبريّة بمعنى رسل .

- **الصدّيقيون**: فرقة يهوديّة، أكثر أعضائها من الكهنة، ومنها كان رؤساء الكهنة في زمن المسيح، تنكر الإيمان بالملائكة وقيامة الأموات، كانوا يوالون الرومان، وعلى خلاف دائم مع الفريّسيين، ولكنّهم اتّفقوا على مقاومة المسيح عليه السلام. وزعم بعض مؤرّخي اليهود أنّهم تسموا بذلك نسبة إلى رئيسهم " صادق الكاهن " الذي كان موجودا سنة ١٨٠ق.م.

- **صلتاً**: السيف إذا جُرّد من غمده.

- **عشتاروت**: آلهة الحبّ والخصب، انتشرت عبادتها في الشرق الأدنى

- **العضاة**: شجر عظيم له شوك.

- **العلّيقة**: نبات شائك يثمر ثمراً كنبات التوت.

- **الغزو الفكري**: عنوان أطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للثلث الثالث من القرن العشرين الميلادي، على المخطّطات والأعمال الفكريّة، والتثقيفيّة، والتدريسيّة، والتربويّة، والتوجيهيّة، وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي، والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي التي تقوم بها المنظمات والمؤسّسات الدولية والشعبيّة من أعداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كليّاً أو جزئيّا، وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم، وتقطيع روابطهم الاجتماعيّة وإضعاف قوّتهم، لاستعمارهم فكريّاً ونفسيّاً، ثمّ استعمارهم سياسيّاً وعسكريّاً واقتصاديّاً استعماراً مباشراً أو غير مباشر.

- **الفريّسيّون**: فرقة يهوديّة دينيّة، متشدّدة في التمسّك بفروض الدّين وأحكام الشّريعة والتقاليد، كان أتباعها كثيرين بين معلمي الشريعة، وكان بولس واحداً منهم قبل دخوله النّصرانيّة، آمنت بالملائكة وبقيامة الأموات وقاومت المسيح عليه السلام وحاولت قتله، فنجّاه الله وقد دفعتهم ممارستهم الاعتزاليّة وادعاؤهم أنّهم أقدس من غيرهم إلى احتقار غيرهم، وكان تأثيرهم في اليهود عظيماً رقم قلّة عددهم، وتمتّعوا باحترام باقي اليهود لهم.

- **قِرَصَة**: بوزن العنبة، جمع قرص وهو الرغيف،

- **كوشية**: سوداء

- **لهوات**: جمع لهاة، وهي اللحمة المعلّقة في أصل الحنك.

- **المشنا**: متن التلمود، ومعناها التكرار، أو الشريعة المتكرّرة.

- **المعطّلة**: هم الدهريون، طائفة من الأقدمين، جحدوا الخالق المدبّر العالم القادرجل وعلا، وزعموا أنّ العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه وبلا صانع، وذهبوا إلى أنّ النّفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنّة والنّار والحشر والمعاد والقيامة والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فانحلّ عنهم اللّجام، وانهمكوا في الشّهوات انهماك الأنعام، وهؤلاء أيضاً زنادقة.

- **الملاعنة**: تفسير للمباهلة، وآية المباهلة قوله تعالى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(آل عمران: ٣/٦١).

- **المبسر**: القمار

- **ناضرة**: مشرقة من بريق النعيم ونداه.

- **نكال الآخرة والأولى**: التنكيل: الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة.

- **يخترف**: يجتني من ثمارها.

- **apostolos**: لفظ يوناني يقابله بالإنجليزية الحديثة: " apostle "، وتلفظ " ابستل " بمعنى رسول أو حواريّ

## ثبت المصادر والمراجع

### أ - المصادر


١. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

٢. الكتاب المقدّس : العهد القديم، ترجمة تفسيرية، مصر الجديدة، القاهرة. ط.٦، ١٩٩٥

٣. الكتاب المقدّس : العهد الجديد، ترجمة تفسيرية، مصر الجديدة، القاهرة. ط.٤، ١٩٩٣

٤. إنجيل برنابا، ترجمه من الأنجليزية سعادة، خليل، مارس ١٩٠٨م.

**ابن المحرومة**

٥. حواشي على كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونة، حققه المطران حبيب باشا، المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٩٤.

**ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل( ت٧٧٤هـ)**

٦. تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، ط.١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

**ابن كمونة، سعد بن منصور**

٧. تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٦٧

**ابن ميمون القرطبي، موسى (٥٣٠-٦٠٣هـ)**

٨. دلالة الحائرين، ترجمه وعارضه بأصوله العربية والعربية حسين أتامي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، المركز الإسلامي للطباعة، [د.ت].

٩. مختارات من الكتابات العربية

Selectios From The Arabic Waitings of Maimonides ; Leiden ; 1909 .

**ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(ت٢١٨هـ)**

١٠. السيرة النبويّة، تحقيق مصطفى السقا ومن معه. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، [د.م]، [د.ت]

**البخاري، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ)**

١١. صحيح البخاري، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧.

**السقا، أحمد حجازي**

١٢. نقد التوراة، اسفار موسى الخمسة السامرية، العبرانية، اليونانية، دار الجيل، بيروت، ط.١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٣. الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط.١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

**سمعان، أرنست ومن معه**

١٤. معجم اللاهوت الكتابي، دار الشروق، بيروت، ط.١، ١٩٩٩م.

**سيجال، م.ص**

١٥. تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمه من العبرية وعلّق عليه حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، دار العلوم، والثقافة، ط.١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. (ضمن كتاب أبحاث في الفكر اليهودي لحسن ظاظا).

**السيوطي: جلال الدين**

١٦. لباب النقول في أسباب النزول، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤

**ظاظا، حسن**

١٧. أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، ط.١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

١٨. الفكر اليهودي: أطواره ومذاهبه، ط.٢، ١٤٠٧/١٩٨٧م.

**عبد الملك، بطرس ومن معه**

١٩. قاموس الكتاب المقدّس، دار الثقافة، القاهرة، ط.١١

**العظيم آبادي، أبو الطيّب محمد شمس الحقّ:**

٢٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٩هـ

**مسلم بن الحجاج القشيري(ت٢٦١هـ)**

٢١. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م

**نصر الله، يوسف**

٢٢. الكنز المرصود في قواعد التلمود، (ترجمه عن الفرنسية) وقدّم له مصطفى أحمد الزرقا، وحسن ظاظا، دار القلم، دمشق، ودارة العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

**الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد**

٢٣. أسباب النزول، المكتبة الثقافيّة، بيروت، ١٤١٠هـ١٩٨٩م.

## ب – المراجع


**ابن القيّم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر**

٢٤. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، مؤسسة مكة للطباعة والإعلان، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٢٥. مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين،دار الكتاب العربي، بيروت، ط.٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م

٢٦. اجتماع الجيوش الإسلاميّة على غزو المعطلة والجهميّة،إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٥١هـ

٢٧. زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامي، ط.٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

**ابن تيمية، أحمد**

٢٨. توحيد الربوبية، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٥١هـ

٢٩. توحيد الألوهية، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٨هـ

٣٠. الرسالة التدمرية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣م

٣١. الإيمان، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، [د.ت]

٣٢. مجمل اعتقاد السّلف، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٨هـ

٣٣. النبوات، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٤٦هـ.

٣٤. الجواب الصحيح لمن بدّل دين لمسيح، مطابع المجد التجارية، [د.ت]

**ابن حجر العسقلاني، أحمد (٧٧٣-٨٥هـ)**

٣٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، [د.ت]

**ابن خلدون، عبدالرحمن**

٣٦. مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

**ابن عاشور، محمد الطاهر**

٣٧. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م

٣٨. تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس

**ابن عبد الوهاب، محمد**

٣٩. مختصر سيرة الرسول ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٨هـ

**ابن عطية، عبدالحق**

٤٠. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل
٤١. البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت [د.ت]
٤٢. قصص الأنبياء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، د.ت، ١٩٨٧
٤٣. مختصر السيرة النبوية، تحقيق محمد علي القطب، دار المسيرة، بيروت، ط.٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧
أبو العلا، عادل محمد
٤٤. الصراع بين الحقّ والباطل، كما جاء في سورة الأعراف، مطبوعات، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط.١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
أبو زهرة، محمّد
٤٥. محاضرات في النصرانيّة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٤هـ
أبو عطاء الله، فرج الله عبد الباري
٤٦. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ط.٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
أبو فارس، عبد القادر
٤٧. النظام السياسي في الإسلام، الجامعة الأردنية عمان، ١٩٨٠م
الأشعري، أبو الحسن
٤٨. الإبانة عن أصول الدّيانة، اصدارات الملحقية الثقافية السعودية لتونس ١٤١٥هـ/١٩٩٤
الأشقر، عمر سليمان
٤٩. الرسل والرّسالات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط.١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
آل الشيخ عبدالرحمن بن حسن
٥٠. فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، دار المسلم للنشر والتوزيع والنشر،[د.ت]
الألوسي، محمود شكري
٥١. روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت [د.ت]
الأنبا غريغورس ومن معه
٥٢. الإنجيل للقدّيس لوقا وتفسيره، دار المعارف، القاهرة، رقم الإيداع ١٩٧٨/١٧٠٥
الباش،حسن:
٥٣. القرآن والتّوراة أين يتّفقان وأين يفترقان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، بيروت، ط.١

**بسترس،كيرلس سليم**

٥٤. أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، المكتبة البوليسية، جونية، لبنان،١٩٩٩م.

**بهجت،أحمد**

٥٥. أنبياء الله، دار الشروق، ط ١٠، ١٤٠١هـ-١٩٨٢م

**البوطي، سعيد رمضان**

٥٦. فقه السيرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، د.م

**بوعلاقي، حرّاث**

٥٧. البعث في الفكر الدّيني قبل الإسلام

**بوكاي، موريس**

٥٨. القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م

**البيهقي، أحمد بن الحسين**

٥٩. دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٥م

**الثعالبي، عبدالعزيز**

٦٠. محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، ط.١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥،

**الجمري، عبد الأمير منصور**

٦١. المرأة في ظلال الإسلام، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط٤، ١٩٨٦

**حجازي، محمد محمود**

٦٢. التّفسير الواضح، دار الجيل، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

**حرب، الغزالي**

٦٣. استقلال المرأة في الإسلام، دار المستقبل العربي، القاهرة، [د.ت].

**الحاكم النيسابوري**، أبو عبد الله

٦٤. **المستدرك على الصحيحين**، دار المعرفة، بيروت، [د.ت].

**الخالدي، صلاح عبد الفتاح**

٦٥. من قصص السابقين في القرآن، ١٣١٦هـ-١٩٩٦م، [د.م].

**الخضري بك، محمد**

٦٦. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦

**دروزة، محمد عزة**

٦٧. تاريخ بني إسرائيل من خلال أسفارهم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

٦٨.	اليهود في القرآن الكريم، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

**الرازي، فخر الدين بن محمد**

٦٩.	التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م

**رضا، محمد رشيد**

٧٠.	تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م

**ريتشارد، فرانس**

٧١.	المرشد إلى الكتاب المقدّس، الخلفية الدينية للعهد الجديد، منشورات دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت ، ط.٢، ٢٠٠٠م.

**الزمخشري، محمود بن عمر ( ٤٦٧-٥٣٨هـ)**

٧٢.	تفسير الكشّاف/ دار الفكر ط.١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

**زيدان،عبدالكريم**

٧٣.	أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

**زين العابدين، محمد بن سرور بن نايف**

٧٤.	منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، دار الأرقم، برمنجهام، المملكة المتحدة،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

**السعدي، عبد الرحمن بن ناصر**

٧٥.	القواعد الحسان في تفسير القرآن، مركز صالح بن صالح الثقافي، السعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٧٦.	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي، السعودية، عنيْزة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

**الشهرستاني، محمد بن مكرم ( ت٥٤٨هـ)**

٧٧.	الملل والنحل، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ت]

**شيبة الحمد، عبدالقادر**

٧٨.	الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، [د.ت]

**شيخة، جمعة**

٧٩.	عيسى المسلم أو عيسى عليه السّلام في القرآن،(طبع هذا الكتاب بمناسبة الألفية الثالثة)، تونس ٢٠٠٠م

**الصابوني، محمد بن علي**

٨٠. صفوة التفاسير، دار الصابوني ، القاهرة، ط.٩، [د.ت].

٨١. النبوة والأنبياء، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٨٢. مختصر تفسير الطبري، عالم الكتب، بيروت، ط.١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

**الصنعاني الكحلاني ، محمد إسماعيل المعروف بالأمير (١٠٥٩-١١٨٢هـ)**

٨٣. سبل السلام شرح بلوغ المرام في أدلة الأحكام، دار الفكر، [د.م]، [د.ت]

**طبارة، عفيف عبدالفتاح**

٨٤. اليهود في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط.٩، ١٩٨٢

**الطبري، محمد بن جرير**

٨٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، عالم الكتب، ١٩٨٥

**طهمان،عبدالحميد محمود**

٨٦. التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران، دار القلم، دمشق، ط.١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

**طويلة، عبدالوهاب عبدالسلام**

٨٩. وجاء النبي المنتظر، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط.٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

**عبد الباقي، محمد فؤاد**

٩٠. اللؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشيخان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

**عبد الناظر، محسن بن محمد**

٩١. حوار الرسول ﷺ مع اليهود، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

**عبدالمقصود، محمد**

٩٢. المرأة في جميع الأديان والعصور، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م

**عفيفي، عبد الله:**

٩٣. المرأة العربية في ظلال الإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت)

**العقّاد، عبّاس محمود**

٩٤. إبراهيم أبو الأنبياء- المكتبة العصرية، صيدا، بيروت [د.ت]

**عيّاد، الحبيب**

٩٥. التوحيد في الأديان الكتابيّة، المركز القومي البيداغوجي، تونس ط.١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

**الغزالي، أبو حامد محمد(ت٥٠٥هـ)**

٩٦. المنقذ من الضلال، المكتب الفني للنشر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

**الغضبان، منير محمد:**

٩٧. المنهج الحركي للسيرة النبويّة،مكتبة المنار، الزرقاء،ط٥ ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م،

**فائز، أحمد**

٩٨. اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.٦، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

**الفغالي، الخوري بولس**

٩٩. إنجيل يوحنّا، دراسات وتأمّلات، المكتبة البوليسية، لبنان، جونيه، الرابطة الكتابية، ط.١، ١٩٩٢

١٠٠. إنجيل مرقس، يسوع ابن الله، المكتبة البوليسية، لبنان، جونيه، الرابطة الكتابية، ط.١، ١٩٩٦

١٠١. إنجيل لوقا، يسوع في أورشليم، الآلام والقيامة، المكتبة البوليسية،بيروت، ط.١، ١٩٩٦

١٠٢. صعود يسوع إلى أورشليم، المكتبة البوليسية، بيروت، ط١، ١٩٩٥

**القرطبي، أبو عبدالله محمد**

١٠٣. الجامع لأحكام القرآن، [د.م ] [د.ت]

**القنوجي البخاري، صدّيق بن حسن خان**

١٠٤. فتح البيان في مقاصد القرآن، تقديم ومراجعة عبدالله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٨٩م.

**كحالة، عمر رضا**

١٠٥. المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م

**الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ)**

١٠٦. الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية،إحياء الآداب العربية، ط.٢، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

**الكيلاني، إبراهيم زيد**

١٠٧. معركة النبوة مع المشركين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، د.ت

**المباركفوري، صفي الدين**

١٠٨. الرحيق المختوم، ط٢، الرباط، المغرب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

**المراغي أحمد مصطفى**

١٠٩. تفسير المراغي، دار احياء التراث العربي، [د.ت]

**مسوّر، خالص**

١١٠. الاقتباس والجنس، دار علاء الدّين، دمشق، ١٩٩٧

**المشرقي، أحمد**

١١١. النبوّة في الأديان الكتابيّة، المركز القومي البيداغوجي، تونس، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

**المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي**

١١٢. إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، الشؤون الدينية بقطر، ط٢، د.ت

**الملوحي، مظهر، ومن معه:**

١١٣. الإنجيل كما أوحي للقديس لوقا: قراءة شرقية، دار الجيل، بيروت، ط.١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

**الميداني، عبد الغني الغنيمي (ت١٢٩٨هـ)**

١١٤. شرح العقيدة الطحاويّة، دار الفكر، دمشق، ط.٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

**الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكه**

١١٥. أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط.٧، ١٤١٤هأ/١٩٩٤م.

**النجّار، عبد الوهاب**

١١٦. قَصص الأنبياء، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م

**النسائي (٣٠٣هـ)**

١١٧. سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦م.

**النّسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد**

١١٨. تفسير النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، [د.ت]

**نقرة، التهامي:**

١١٥.عقيدة البعث في الإسلام، نشرة مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، سلسلة الدراسات الإسلاميّة، الجامعة التونسيّة، تونس ١٩٧٥

**هرّاس، محمد خليل**

١١٦. شرح العقيدة الواسطيّة لابن تيمية، إصدارات الملحقيّة الثقافيّة، تونس، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

**الهندي، رحمة الله خليل الرحمن**

١١٧. إظهار الحقّ، اخراج وتحقيق عمر الدسوقي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت

**ول ديورانت**

١١٨. قصّة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة محمد بـــدران، دار الجيل، بيروت، ط.١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١٩. قصة الحضارة: قيصر والمسيح والحضارة الرومانيّة، دار الجيل، بيروت، ط.١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

**l'école publique de Jérusalem**

١٢٠. Traduite en Français sous ‹La Sainte Bible : La Bible de Jérusalem nouvelle édition ‹la direction de l'école publique de Jérusalem 1973‹Paris‹entièrement revue et augmentée

ت – <u>المعاجم</u>

**إبراهيم، أنيس ومن معه**

١٢١. المعجم الوسيط، ط.٢، [د.م]، [د.ت]

**ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤هـ/٦٠٦هـ)**

١٢٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة الإسلامية، ط.١، ١٣٨٣هـ)١٩٦٣م.

**ابن حجر العسقلاني، أحمد (٨٥٢هـ)**

١٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، جمع وتحقيق د. محمد الأمين السنقيطي، ط،٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

**ابن منظور، محمد بن مكرم**

١٢٧. لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول للكلمة يوسف خياط، دار الجيل، بيروت، ، دار لسان العرب، بيروت، ١٤٠٨هـ)١٩٨٨م.

**البعلبكي، منير**

١٢٨. المورد: قاموس انجليزي، عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٨

**بوكاي، موريس**

١٢٩. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

**جدول الشّروح**

١٣٠. ملحق بالكتاب المقدّس، العهد القديم ، الإصدار الثاني، ط.١، ١٩٩٥ ، العهد الجديد، الإصدار الرابع، ط١، ١٩٩٣.

**الحاكم النيسابوري،محمد بن عبدالله (٣٢١-٤٠٥هـ)**

١٣١. المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

**الدامغاني، الحسين بن محمد**

١٣٢. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط.٢، ١٩٨٠

**الراغب الأصبهاني،الحسين بن محمد**

١٣٣. المفردات في غريب القرآن،تحقيق محمد أديب عبدالواحد جمران، دار قهرمان للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، ١٩٨٦.

**السجستاني، أبوبكر محمد بن عزيز (٣٣٠هـ)**

١٣٤. غريب القرآن، دار قتيبة، ط.١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

**الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ).**

١٣٥. القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت [د.ت]

١٣٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، المكتبة العلمية بيروت، [د.ت]

**كمال، ربحي**

١٣٧. المعجم الحديث: عبري، عربي، ط.،٢، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م، بيروت

**اليزيدي،أبو عبدالله بن يحي المبارك (٢٣٧هـ).**

١٣٨. غريب القرآن وتفسيره، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ث - الرسائل الجامعيّة

**بخيت، محمد حسن رباح**

١٤٠. عقيدة البعث بين المثبتين والمنكرين، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، الدراسات العليا، قسم العقيدة والأديان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

**السليماني، محمد المنصف**

١٤١. حقيقة التّوحيد بين الإسلام واليهوديّة،دكتوراه الحلقة الثالثة في تاريخ الأديان، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس ١٤١١-١٤١٢هـ/١٩٩١-١٩٩٢م

**كحلول، نسرية**

١٤٢. حوار الأديان من خلال الصحيحين، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدّين

**مزيو، حسن**

١٤٣. المواقيت في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ج - الدوريات

١٤٤. مجلة إسلاميات مسيحيات، روما، عدد ٥ سنة ١٩٧٩، ص ٤٥، ٤٩، ١٠٥، ١٠٧ (IslamoChristana)

ح - برامج الوسائط المتعدّدة

١٤٥. برنامج القرآن الكريم، شركة صخر لبرامج الحاسب الآلي، الكويت، الإصدار السادس، ١٩٩٦

١٤٦. برنامج الحديث النبوي الشريف: الكتب التسعة، شركة صخر لبرامج الحاسب الآلي،الكويت، الإصدار الأول، ١٩٩٧

خ - مواقع من شبكة الأنترنت

**من خدمات جمعية الكتاب المقدّس، لبنان**

١٤٧. http://www.elkalima.com/

١٤٨. http://www.biblesociety.org.lb/

# ثبت الموضوعات

الثبوتـــــات:

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

## نبذة عن حياة المؤلف

# الدكتور حسين محمود أحمد المهدي

ولد الشيخ حسين المهدي في مخيم الفوار في محافظة الخليل عـام ١٩٥٨م، لأسـرة متدينة يعود موطنها إلى بلدة بيت جبرين. هاجرت أسرته أثناء حرب ١٩٤٨م وسكنت فـي مخيم الفوار. والشيخ متزوج وله ثمانية أولاد ذكـور وبنتـان. أنهـى دراسـته الابتدائيـة والإعدادية في مدارس وكالة الغوث في المخيم، ثم انتقل إلى مدرسة ذكـور دورا الثانويـة وأنهى دراسته الثانوية فيها عام ١٩٧٦م. التحق بدار المعلمين التابعة لوكالة الغوث وحصل منها على دبلوم في اللغة الإنجليزية عام ١٩٧٨م. ثم التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حيث حصل منها على شهادة الليسانس من كلية الشريعة قسم الدعوة بتقدير امتياز عام ١٩٨٢م، ثم أتم دراسته في الجامعة الإسلامية وحصل على شهادة الماجـستير بتقـدير امتياز عام ١٩٨٦م، وحصل في عام ١٩٩٠م على إجازة المحاماة الـشرعية، وفـي عـام ٢٠٠٤م حصل على شهادة الدكتوراة من جامعة الزيتونة في تونس بتقـدير امتيـاز. مـن الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أثناء دراسته: الشيخ الدكتور علي جريشة والشيخ محمـد نمـر الخطيب والشيخ الدكتور علي الحذيفي والشيخ عبدالله الغنيمان والشيخ أبو بكر الجزائري.

- عمل في التدريس في مدارس وزارة التربية والتعليم في الخليل، ثم فصل من قبل السلطات الإسرائيلية .
- عمل محاضراً في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس (أبو ديس)، وعمل محاضراً غير متفرغ في جامعة القدس المفتوحة في الخليل ودورا ويطا.
- مارس المحاماة في المحاكم الشرعية في الضفة الغربية، ومارس التحكيم والإصلاح في القضايا المتنازع عليها خارج المحاكم الشرعية والمدنية.
- كان أحد أعضاء رابطة علماء فلسطين، وعضو لجنة الزكاة في مدينة دورا.
- عمل مدرساً وخطيباً في مساجد منطقتي الخليل وبيت لحم ، وإماماً وخطيباً لمسجد معاذ بن جبل في مخيم الفوار.

توفي الشيخ يوم الجمعة ٢٠٠٥/٠٤/٢٩م. ( رحمه الله رحمة واسعة ).

لقد سرّني -والله- مراجعة وتصحيح وتهذيب وتنقيح، كتاب أخي التقيّ الداعية الدكتور حسين المهدي (رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته)، الذي تربطني به رابطة العقيدة والدعوة منذ ربع قرن .. وكان بودّي أن أتشرّف بتقديم رسالته في حياته، ولكن شاء الله تعالى غير ذلك، ولا نملك إلا أن نقول: (إنّ القلب ليخشع وإنّ العين لتدمع وإنّا على فراقك يا حسين لمحزونون وإنّا لله وإنّا إليه راجعون)!

والحقّ يقال : لئن قلّت صفحات هذه الرسالة العلميّة التي كتبها في ديار الغربة والتغريب، الأخ العلاّمة حسين الحبيب، فقد كثر خيرها، وإن تكرّر بعض مباحثها فقد زادت حلاوتها، وكما قيل:

قليلٌ منك يكفيني ولكنْ قليلك لا يقال له قليلُ!

وإنّي لأحسب الفقيد (رحمه الله) لو امتدّ به الأجل، لغيّر في رسالته وبدّل وأضاف وعدّل، ولكنْ قدّر الله وما شاء فعل، وكلّ إنسان يؤخذ منه ويردّ عليه إلا المعصوم الأجلّ (صلّى الله عليه وسلّم).

أشهد أنّ هذه الرسالة كُتبت بمدادٍ من نور -ولا أزكّي على الله أحداً-، أسأل الله أن ينفع صاحبها وقارئها وناشرها يوم البعث والنشور.

وإنني على ثقة أنّ هذه الرسالة العلميّة ستأخذ مكانها بين الأطروحات العلمية والمكتبات الإسلاميّة، وستكون نبراساً لكل من شاء من عباد الله أن يستقيم!

وختاماً:

ليكن نشر هذه الرسالة بهذه الصورة في هذا الظرف العصيب، تحيّة منّا لروح المؤلف الفقيد الداعية الرشيد، وتحيّة لأهله وأسرته وذويه، ومعارفه وأصدقائه ومحبّيه، الذين شرّفوني بمراجعة هذه الرسالة وتقديمها، ومن ثم نشرها وتوزيعها على طلبة العلم والمكتبات، والمساجد والمدارس والنوادي والجامعات.

**أ. د محمد الشريدة**